8121.4

المجاني الحديثة

عن مجاني الآباء اليسوعيين

منشورات دار المشرق
بيروت ١٩٤٩

BOBST LIBRARY
3 1142 03186 7784

DATE DUE

المجاني الحديثة

عن مجاني الادب شجو

٨١٤ . ٤

8121, 4 al-Bustānī, Fu'ād Afrām
"

المجاني الحديثة

عن مجاني الآباء شيخو

al-Majānī al-ḥadīthah

جدّدها

اختيارًا ودرسًا وشرحًا وتبويبًا

لجنة من الأساتذة

بإدارة

فؤاد أفرام البستاني

مدير دار المعلمين والمعلمات

أستاذ الأدب ومؤسسات المجتمع العربي

في معهد الآداب الشرقية

منشورات الآداب الشرقية

بيروت ١٩٤٩

PJ
7631
.B8
V. 4
C. 1

الجزء الرابع
في
النثر العباسي
بقلم
كرم البستاني

ازدهر النثر الفني ، في صدر الدولة العباسية ، ايما ازدهار ، ذاك بأن اتساع اراضي هذه الدولة ، واحتياج اولياء أمرها الى مراسلات عمالهم ، في مختلف الاقطار ، حملهم على انشاء الدواوين ، وتنظيمها ، واختيار افضل الكتّاب لها ؛ فطفق هؤلاء يتنافسون في تنميق عباراتهم ، والافتنان بها ، والتأنق فيها ، متأثرين بذلك كتّاب الفرس ، فنهضوا بالفن الانشائي الى درجة عالية من البلاغة .

وكان لنشاط الفكر اثر عظيم في نفوس الادباء ، فعمدوا الى النقل والتدوين والتأليف. ونبغ كاتبان كبيران : ابن المقفع والجاحظ ، فرفع اسلوبهما الانشاء الى اعلى مراتب الفن.

وقُيِّضَ ، بعدها ، للنثر كتّاب من رجالات البلاط ، فأخذوا ينمّقون انشاءهم ، ويوشّونه ، ويزخرفونه ، كما نمّقوا مواعين بيوتهم ، وثيابهم ، ووشّوها ، وزخرفوها ، فظهر على النثر أثرُ ترف الحياة ورخائها ؛ على أنه لم ينحطّ عن مستوى بلاغته .

ثم ظهر فنّا المناظرات والمقامات ، فكان التسجيعُ ، والتصنّع ، والاخذُ بضروب البديع، ولا سيما الجناس ، أسّاً من أساس انشائها ، وكان التلاعب الصناعي ، واهمال الفن الصحيح ، وابتذال المعاني ، ركناً من اركانها . وقد أسرف الكتّاب في كل ذلك حتى تبغّضوا ، وتعقد انشاؤهم ، وغمض . ولم يشذ عنهم ، الا ابو الفرج الاصبهاني في اسلوب كتابه « الاغاني » وما فيه من بلاغة ، وروعة ، ووضوح ، وسلاسة ؛ وإلا بضعة كتاب لم يتكلفوا ولم يتبذّلوا . وهكذا انحدر النثر ، في اواخر العصور العباسية ، في منحدر التعسّف والضعف ؛ ثم ما لبث أن تمكن الضعف منه ، وخالطته الالفاظ العامية ، فانحطّ ، وأسفّ الى حيث كان بدء عهد الانحطاط .

ابن المقفّع

رينيه

٧٢٤ – ٧٥٩ م

هو ، في مجوسيته ، روزبَهُ بنُ دازَوَيه ، وكنيته ابو عمرو ؛ وفي اسلامه ، عبدالله بن المقفّع وكنيته ابو محمد . ولد ونشأ في البصرة وتعاطى الكتابة ، مهنةَ ابيه من قبله ، فكتب ، وهو في العشرين ، لداود بن هبيرة ، من ولاة الامويين ؛ وكتب ، في دولة العباسيين ، لسليمان وعيسى واسماعيل ابناء علي بن عبدالله بن عباس ، اعمام المنصور ، وأسلم على يد عيسى ، منهم ، وسمّى نفسه عبدالله . ثم سخط عليه المنصور ، فأوعز الى سفيان بن معاوية والي البصرة فقتله متّهماً اياه بالزندقة ، ومثّل به .

كان ابن المقفّع عميق الثقافة في لغته الفارسية ، عالمًا بالحكمة اليونانية التي كانت قد نقلت الى لغة الفرس ؛ مالكًا ناصية الفصاحة والبلاغة في العربية ، لنشأته في البصرة محجّة العلم والادب ، في ذاك العهد ، واتصاله بآل الاهتم ، لولاء ابيه فيهم ، وهم من فصحاء العرب وبلغائهم . وكان من اوائل الشعوبيين الذين كانوا يتذمرون على العرب ، ويتألمون منهم لغمطهم حقوقهم الاجتماعية ، ونتاسيهم تفوّقهم الثقافي . فجدّ في نقل آداب قومه وتاريخهم الى العربية ، ليُريَ العرب فضل الفرس ، ونضجَ ثقافتهم ، وسمو تفكيرهم . فنقل كتبًا كثيرة منها : « كليلة ودمنة » و « الادب الصغير » و « الادب الكبير » في عبارة سلسة ، رشيقة ، صافية اللغة ، متوازنة الجمل ، متّسقة الافكار : مزج فيها الاسلوب القصصي بالاسلوب المنطقي ، فجاءت سهلةً ، واضحة ، قريبةَ المتناوَل ؛ بيد أنها لم تكن تخلو من بعض شوائب ، حينما يأخذ منشئنا بالاسلوب المنطقي وحده ، مهملًا الاسلوب القصصي ، فتزدحم في تعابيره الجملُ الاعتراضية ، والقياسات المنطقية ، والاستنتاجات الفلسفية ؛ فتتعقد ويعتورها الغموضُ . على أنه ، مهما يكن من أمر ، فابن المقفّع ، باسلوبه الجديد ، الذي له فيه فضل المبتكر ، رقّى الفن الانشائي الى أسمى درجات البلاغة .

آثاره

لابن المقفع آثار كثيرة أشهرها كليلة ودمنة ، وهو كتاب في تهذيب النفس وإصلاح الاخلاق ، والارشاد الى حسن السياسة . اصله هنديّ ؛ نُقل الى الفهلوية ، ثم نقله عبدالله بن المقفع الى العربية . وهو مطبوع طبعات كثيرة في مصر ولبنان . وقد اخذنا من بعض أبوابه امثالاً مستقلة وذكرنا الباب الذي أُخذت منه .



شريكان

وهو مثلٌ لمن يطلبُ أمرًا فيه مضرّةُ غيره، طلبًا لصلاحِ نفسه بفسادِ غيره.

زَعَمُوا أنه كانَ رجلٌ تاجرٌ، وكانَ لهُ شريكٌ، فاستأجرا حانُوتاً، وجَعلا مَتاعَهما فيهِ. وكانَ أحدُهما قريبَ المَنزِلِ من الحانُوتِ؛ فأضمرَ، في نفسه، أن يَسرقَ عِدلًا من أعدالِ رفيقه، ومَكرَ الحِيلةَ[1] في ذلكَ، وقالَ: إنْ أنا أتيتُ ليلًا، لم آمَنْ أن أحملَ عِدلًا من أعدالي، أو رِزمةً من رِزَمي، ولا أعرفُها، فيَذهبَ عَنائي وتَعبي باطلًا. فأخذَ رِداءَه، وألقاهُ على العِدلِ الذي أضمرَ أخذَه، ثمَّ انصرفَ الى مَنزِلِه. وجاءَ رفيقُه بعدَ ذلكَ ليُصلِحَ أعدالَه، فقالَ: واللهِ، هذا رِداءُ صاحِبي، ولا أحسَبُه إلّا قد نَسِيَه؛ وما الرأيُ أن أدعَه ههُنا، ولكن أجعَلُه على رِزمِهِ، فلعلَّه يَستَبقِي الى الحانوتِ، فيَجِدُه حيثُ يُحِبُّ. ثمَّ أخذَ الرداءَ فألقاه على عِدلٍ من اعدالِ رفيقه، وأقفلَ الحانوتَ، ومَضى إلى منزِلِه. فلمّا جاءَ اللّيلُ أتى رفيقُه، ومَعَه رجلٌ قد واطأه[2] على ما عزمَ عليهِ، وضَمِنَ له جُعلًا[3] على حَملِهِ؛ فصارَ إلى الحانوت فتَحسَّس[4] الرِّداءَ، في الظُّلمةِ، وتلمَّسَهُ[5]، فوجدَه على العِدلِ؛ فاحتَمَلَ ذلكَ العِدلَ، وأخرَجه هو والرَّجلُ، وجعلا يَتَراوحانِ[6] في حَملِهِ حتّى أتى مَنزِلَه، ورَمى نَفسَه تَعَبًا. فلمّا أصبحَ افتقدَه[7]، فإذا هو ببعضِ أعدالِه، فندِمَ أشدَّ النَّدامةِ. ثمَّ انطلقَ

١. مكر بالمكر. الحيلة: أضمرها، ونواها

٢. واطأه: اتفق واياه.

٣. الجعل: الاجرة.

٤. تحسس الشيء: تطلبه بالحس.

٥. تلمس الشيء: تطلبه باللمس.

٦. يتراوحان في الحمل: يحمله هذا مرة وهذا اخرى.

٧. افتقده وتفقده: طلبه بعد غياب.

نحرَ الحانوتِ ، فوجدَ شريكَه قد سبقَه إليه ، ففتحَ الحانوتَ ، وفقدَ العِدلَ ، فاغتمَّ ، لذلكَ ، غمًّا شديدًا ، وقالَ : واسوءتا[1] من رفيقٍ صالحٍ قد ائتمنني على مالِه ، وخلّفني[2] فيهِ ! ماذا يكونُ حالي عندَه ؟ ولستُ أشكُّ في تُهمتِه إيايَ ؛ ولكن قد وطّنتُ نفسي[3] على غرامتِه[4] . فلمّا أتاهُ صاحبُه وجدَه مُغتمًّا ، فسألَه عن حالِه ، فقالَ : إنّي قد افتقدتُ الأعدالَ ، وفقدتُ عِدلًا من أعدالِك ، ولا أعلمُ بسببِه ؛ وإنّي لا أشكُّ في تُهمتِكَ إيايَ ؛ وإني قد وطّنتُ نفسي على غرامتِه . فقالَ له : يا أخي ! لا تغتمَّ ، فإنَّ الخيانةَ شرُّ ما عَمِلَه الإنسانُ ؛ والمكرُ والخديعةُ لا يؤدّيانِ الى خيرٍ ، وصاحبُهما مغرورٌ أبدًا ؛ وما عادَ وبالُ[5] البَغيِ إلّا على صاحبِه . وأنا أحدُ مَن مَكَرَ وخدعَ واحتالَ . فقالَ لهُ صاحبُه : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ فأخبرَه بخبرِه ، وقصَّ عليهِ قِصّتَه ، وقال : قد اعترفتُ بذنبي وخطإي عليكَ ؛ وعزيزٌ عليَّ أن يكونَ هذا كهذا . غيرَ أنَّ النفسَ الرديئةَ تأمرُ بالفحشاءِ[6] ! فقبلَ الرجلُ معذرتَه ، وأضربَ[7] عن توبيخِه ، وعن الثقةِ بهِ ؛ وندمَ هو عندَما عاينَ من سوءِ فعلِه ، وتقديمِ جهلِه .

١ . واسوءتا : يريد واخجلتا .
٢ . خلّفني : جعلني خلفًا له .
٣ . وطّنت نفسي : عزمت ، وصمّمت .
٤ . الغرامة : من غرم المال : ادّاه .
٥ . الوبال : سوء العاقبة .
٦ . الفحشاء : الذنب القبيح .
٧ . اضرب : أعرض .



الرَّجلُ الذي سلكَ مفازةَ[1]

وَهُوَ مَثَلٌ من اجتهَدَ في تَوقِيَةِ نفسه من الهَلاكِ ، فعادَ اجتهادُه وبالًا عليه .

قِيلَ : إنَّ رجلًا سلكَ مَفازةً فيها خَوفٌ من السِّباعِ[2] ؛ وكانَ الرَّجلُ خبيرًا بوَعْثِ[3] تلكَ الأرضِ وخَوفِها ؛ فلمّا سارَ غيرَ بَعيدٍ ، اعترضَ له ذِئبٌ من أحدِ الذِّئابِ وأضراها[4] ؛ فلما رأى الرَّجلُ أنَّ الذِّئبَ قاصدٌ نحوَه خافَ منه ، ونظرَ يميناً وشمالًا ليَجِدَ موضِعاً يَتحرَّزُ[5] فيه من الذِّئبِ ، فلم يرَ إلّا قريةً خلفَ وادٍ[6] ؛ فذهبَ مُسرِعاً نحوَ القريةِ . فلمّا أتى الوادي لم يرَ عليه قنطرةً ، ورأى الذِّئبَ قد أدرَكه ، فألقى نَفسَه في الماءِ ، وهُوَ لا يُحسِنُ السِّباحةَ ، وكادَ يَغرَقُ لَولا أن بَصُرَ به قومٌ من أهلِ القريةِ ، فتواقَعُوا[7] لإخراجِه ، فأخرَجُوه ، وقد أشرَفَ على الهَلاكِ . فلمّا حصَلَ الرجلُ عندَهم ، وأمِنَ على نَفسِه ، من غائلةِ[8] الذِّئبِ ، رأى على عُدوَةِ الوادي بيتاً مُفرَدًا ، فقالَ : أدخُلُ هذا البيتَ فأستريحُ فيه ؛ فلما دَخلَه وَجدَ جماعةً من اللُّصوصِ قد قطَعُوا الطَّريقَ على رجلٍ من التُّجّارِ ، وهم يَقتسِمونَ مالَه ، ويُريدونَ قتلَه . فلما رأى الرجلُ ذلك خافَ على نفسِه ، ومَضى نحوَ القريةِ ، فاسندَ ظَهرَه الى حائطٍ من حِيطانِها ليَستريحَ مِمّا حلَّ به مِنَ الهَولِ[10] والإعياءِ ، إذْ سقَطَ عليه الحائطُ ، فماتَ .

١ . المفازة : فلاة لا ماء فيها ، سُمّيت هكذا تفاؤلًا بالفوز اي بالنجاة منها .

٢ . السِّباع : الوحوش المفترسة .

٣ . الوعث : الوعورة .

٤ . اضراها : اكثرها تعودًا على الافتراس .

٥ . يتحرّزُ : يتوقّى .

٦ . الوادي : النهر .

٧ . تواقعوا : رموا بانفسهم في الماء .

٨ . غائلة : شرّ .

٩ . العدوة : الجانب .

١٠ . الهول : الخوف .

القِردُ والنجّارُ

وهوَ مَثَلٌ من تكلّفَ(١ من القولِ والفعلِ ما ليسَ من شكلِه(٢ .

زَعَمُوا أنَّ قِردًا رأى نَجّارًا يَشُقُّ خَشَبَةً ، وهو راكبٌ عليها ؛ وكُلَّما شَقَّ مِنها ذِراعاً أدخَلَ فيها وَتَدًا(٣ ؛ فوقَفَ يَنظُرُ إليه ، وقد أعجَبَه ذلك . ثُمَّ إنَّ النَّجّارَ ذَهَبَ لبَعضِ شَأنِه(٤ ؛ فقامَ القِردُ ، وتَكلَّفَ ما ليسَ من شَأنِه(٥ ، فرَكِبَ الخَشَبَةَ ، وجعلَ وَجهَه قِبَلَ الوَتَدِ ، وظَهرَه قِبَلَ طَرَفِ الخَشَبَةِ ؛ فتَدَلَّى ذَنَبُه في الشَّقِّ . ونَزَعَ الوَتَدَ ، فلَزِمَ الشَّقُّ عليه ، فكادَ يُغشَى عليه من الألَمِ . ثُمَّ إنَّ النَّجّارَ وافاه(٦ ، فأصابَه على تِلكَ الحالةِ ، فأقبَلَ عليه يَضرِبُه ؛ فكانَ ما لَقِيَ من النَّجّارِ ، منَ الضَّربِ ، أشَدَّ مِمّا أصابَه من الخَشَبَةِ .

العُلجُومُ والسَّمَكُ

وهوَ مَثَلُ المُحتالِ الذي يَهلِكُ بحيلتِه

زَعَموا أنَّ عُلجُوماً(٧ عَشِشَ في أجَمَةٍ(٨ كثيرةِ السَّمكِ ، فكانَ يَختلِفُ(٩ إلى ما فيها من السَّمكِ ، فيأكُلُ منه . فعاشَ بها ما عاشَ ، ثُمَّ هَرِمَ(١٠ ، فلم يَستطِعْ صَيدًا ؛ فأصابَه جُوعٌ وجَهدٌ(١١ شديدٌ ؛ فجلسَ حزيناً يَلتمِسُ(١٢ الحِيلَةَ في أمرِه . فمَرَّ بِهِ سَرَطانٌ ، فرأى حالَتَه وما هو عليهِ من الكآبَةِ(١٣ والحُزنِ ،

١ . تكلّف الامر : حمّل نفسه عمله على مشقة

٢ . ليس من شكله : مما يوافقه .

٣ . الوتد : قطعة من الخشب ترز في الارض او في غيرها .

٤ . شأنه : امره .

٥ . ما ليس من شأنه : ما ليس من مقتضى حاله .

٦ . وافاه : اتاه .

٧ . العلجوم : طائر ابيض الريش .

٨ . الأجمة : مكان فيه اشجار وماء .

٩ . يختلف : يتردد .

١٠ . هرم : شاخ ، اسن .

١١ . الجهد : المشقة .

١٢ . يلتمس : يطلب .

١٣ . الكآبة : الغم والحزن .

فدنا منه ، وقالَ له : ما لي أراكَ أيها الطَّائرُ هكذا حزيناً ، كئيباً ؟ قال العُلجُومُ : وكيفَ لا أحزَنُ ؟ وقد كُنتُ أعيشُ مِن صَيدِما هَهُنا من السمكِ . وإني رأيتُ اليومَ صيَّادَينِ قد مَرَّا بهذا المكان ، فقالَ أحدُهما لصَاحبه . إنَّ ههُنا سَمكاً كثيرًا ، أفَلا نَصيدُه أوَّلًا ؟ فقالَ الآخرُ : إني قد رأيتُ في مَكانٍ كذا سمكاً أكثرَ مِن هذا السَّمكِ ، فَلنَبدَأ بذلكَ ، فإذا فَرَغْنا منه ، جِئنا إلى هذا ، فأفنَيناهُ . وقد عَلِمتُ أنَّهما إذا فَرَغا مِمَّا ثَمَّ[1] ، انتهَيا إلى هذه الأجمَةِ ، فاصطادا ما فيها ؛ فإذا كانَ ذاكَ ، فهو هَلاكي ونَفادُ مُدَّتي[2] . فانطَلقَ السَّرطانُ إلى جمَاعةِ السَّمكِ ، فأخبَرهنَّ بذلك ؛ فأقبَلنَ على العُلجُومِ ، فاستَشَرنَه ، وقُلنَ له : إنا أتَيناكَ لتُشيرَ علَينا ، فإنَّ ذا العَقلِ لا يَدَعُ مشاوَرةَ عَدُوِّه ؛ وبَقاؤكَ ببَقائِنا . قال العُلجُومُ : أمَّا مُكابَرَةُ[3] الصَّيَّادَينِ فلا طاقةَ[4] لي بها ؛ ولا أعلَمُ حِيلةً إلا المَصيرَ إلى غَديرٍ قَريبٍ مِن هُنا ، فيه سَمكٌ ومِياهٌ كثيرةٌ وقَصَبٌ ؛ فإن استَطَعتُنَّ الانتِقالَ إليه كانَ فيه صَلاحُكنَّ وخِصبُكنَّ[5] . فقُلنَ له : ما يَمُنُّ[6] علينا بذلك غيرُك . فجعَلَ العُلجُومُ يَحمِلُ في كلِّ يومٍ سَمكَتَينِ ، حتى يَنتهيَ بها إلى بعضِ التِّلالِ ، فيأكُلَها ؛ حتَّى ، إذا كانَ ذاتَ يومٍ ، جاءَ لأخذِ السَّمكتَينِ ؛ فجاءَه السَّرطانُ فقالَ له : إنِّي ، أيضاً ، قد أشفَقتُ[7] من مكاني هذا ، واستوحَشتُ[8] منه ؛ فاذهَبْ بي إلى ذلكَ الغَديرِ . فقالَ له : حُبًّا وكَرامةً . واحتمَلَه ، وطارَ به ؛ حتَّى ، إذا دَنا مِن التَّلِّ الَّذي كانَ يأكُلُ السَّمكَ فيه ، نَظَرَ السَّرطانُ ، فرأى عِظامَ السَّمكِ مجموعةً هُناكَ ، فعَلِمَ أنَّ العُلجُومَ هو صاحِبُها ، وأنَّه يُريدُ به مِثلَ ذلك . فقال في نفسِه : إذا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّه في المَواطِنِ[9] الَّتي يَعلَمُ أنَّه فيها هالِكٌ ، سَواءٌ قاتَلَ أم لم يُقاتِلْ ، كانَ حَقيقاً[10] أن يُقاتِلَ

١ . ثَمَّ : ظرف مكان معناه هناك .
٢ . نفاد المدة : الفناء .
٣ . مكابرة : مصدر كابر : عاند .
٤ . طاقة : قدرة .
٥ . الخصب : كثرة الخير ورفاهة العيش .
٦ . يمنّ : مضارع مَنَّ عليه : أنعم عليه .
٧ . أشفقت : خفت .
٨ . استوحش من المكان : ضد استأنس به .
٩ . المواطن : ج الموطن : المكان .
١٠ . حقيقاً : هو حقيق به : اولى به .

عن نفسه كرماً وحفاظاً[1] ؛ ولا يُمكنه من نفسه حتى يَستفرغَ ما عنده من الحيلة في قتاله ، لأنّه قد بنى أمرَه على التلفِ ؛ فلعلّ خلاصه في ذلك القتالِ ، والهلاكُ واقعٌ به كيفَ كانَ . فلم يزلْ يحتالُ على العلجوم ، حتى تمكّنَ من عُنقه ، فأهوى بكلبتيه[2] عليها ، فعصرها ، فماتَ ؛ وتخلّصَ السرطانُ الى جماعة السمكِ ، فأخبرهنّ بذلكَ .

الغدير[3] والسمكات

مَثَلُ العاجزِ يظلُّ في تَرَدُّدٍ وتَمَنٍّ وتوانٍ[4] حتى يَهلكَ .

زَعموا أنّ غديرًا كانَ فيهِ ثلاثٌ من السمكِ : كَيِّسَةٌ[5] ، وأكيسُ[6] منها ، وعاجزةٌ . وكانَ ذلك الغديرُ بِنَجوةٍ[7] من الارض ، لا يكادُ يَقربُهُ أحدٌ ، وبقُربه نَهرٌ جارٍ . فاتّفقَ أنّه اجتازَ ، بذلكَ النّهرِ ، صيّادانِ ، فابصرا الغديرَ ، فتواعدا أن يَرجعا إليهِ بشباكِهما ، فيَصيدا ما فيهِ من السمكِ فسمعتِ السمكاتُ قولَهما ؛ فأمّا أكيسُهنّ ، فلمّا سمعتْ قولَهما ارتابتْ بهما ، وتَحوّفت منهما ، فلم تُعرّجْ[8] على شيءٍ ، حتى خرجَت من المكانِ الّذي يَدخلُ فيهِ الماءُ مِنَ النّهرِ إلى الغديرِ ، فنجَت بنفسها . وأمّا الكيّسةُ الأخرى ، فإنّها مَكثَت مَكانَها ، وتهاونَت في الأمرِ ، حتى جاءَ الصّيّادانِ ، فلمّا رأتهما ، وعرَفَت ما يُريدانِ ، ذهَبَت من حَيثُ يَدخلُ الماءُ ، فاذا بهما قد سَدّا ذلكَ المَكانَ ؛ فحينئذٍ قالت : فرّطتُ[9] وهذه عاقبةُ التّفريطِ ، فكيفَ الحيلةُ على هذهِ الحالِ ؟ وقَلّما[10] تَنجحُ حيلةُ العَجَلةِ والإرهاقِ[11] ؛ غيرَ أنّ العاقلَ لا يَقنطُ[12]

١ ـ حفاظاً : الحفاظ : العزّة والدفاع عن النفس .
٢ ـ كلبتيه : مشق كلمة : وهي هنا بمعنى ظفر السّرطان .
٣ ـ الغدير : ما غادره السّيل من الماء ، والنهر .
٤ ـ التواني : مصدر توانى به : قصّر به .
٥ ـ الكيّسة : الفطنة الذكيّة .
٦ ـ أكيس : افعل تفضيل : أكثر فطنة .
٧ ـ النجوة : ما ارتفع من الارض .
٨ ـ تعرّج : مضارع عرّج على المكان : وقف وأقام عليه .
٩ ـ فرّطت : قصّرت .
١٠ ـ قلّما : مركبة من قلّ فعل ماض ، وما الكافة عن عمل الرفع ، اي انه فعل لا فاعل له . والمعنى قليل ما .
١١ ـ الارهاق : مصدر ارهق ، اخّر .
١٢ ـ يقنط : مضارع قنط : قطع الامل .

مِن مَنافعِ الرَّأيِ ، ولا يَيأسُ على حالٍ ، ولا يَدَعُ الرَّأيَ والجَهدَ . ثُمَّ إنَّها تَماوتَت[١] ، فطَفَت[٢] على وَجهِ الماءِ ، مُنقلِبةً على ظَهرِها تارةً ، وتارةً على بَطنِها . فأخذَها الصَّيَّادانِ ، وظَنَّاها مَيتةً ، فوضعاها على الأرضِ ، بينَ النَّهرِ والغَديرِ ، فوَثَبَت إلى النَّهرِ ، فنَجَت . وأمَّا العاجزةُ ، فلم تَزَل في إقبالٍ وإدبارٍ حتى صِيدَت .

الطَّيطَوى ووَكيلُ البَحرِ[٣]

زَعَموا أنَّ طائرًا مِن طيورِ البحرِ ، يُقالُ له الطَّيطَوى ، كانَ وَطنُه على ساحِلِ البَحرِ ، ومَعَه زَوجةٌ لَهُ ؛ فلمَّا جاءَ أوانُ إفراخِها ، قالَتِ الأُنثى للذَّكرِ : لَوِ التَمَسْنا مكاناً حَريزًا[٤] ، غيرَ هذا ، نُفرِخُ فيه ، فإني أخافُ مِنَ البحرِ ، اذا مَدَّ الماءُ ، أن يَذهَبَ بِفراخِنا . فقالَ : ما أُراهُ يَحمِلُ علَينا ، فإنَّ وَكيلَ البَحرِ يُخافُني أن انتقِمَ منهُ ؛ فأفرِخي في مَكانِكِ ، فإنَّه مُوافِقٌ لنا ، والماءُ ، والزَّهرُ مِنَّا قريبٌ . قالَت له : ياغافلُ ! ما أشدَّ عِنادَكَ وتَصَلُّبَكَ ! أما تَذكُرُ وَعيدَه[٥] وتَهدُّدَهُ إيَّاكَ ؟ ألا تَعرفُ نَفسَكَ وقَدرَكَ في وَعيدِ من لا طاقةَ لكَ بِهِ ؟ فأبى أن يُطيعَها ؛ فلمَّا أكثَرَت عليهِ ، ولم يَسمَعْ قَولَها ، قالَت ، لهُ : إنَّ مَن لم يَسمَعْ قَولَ النَّاصحِ يُصيبُهُ ما أصابَ السُّلحُفاةَ ، حينَ لم تَسمَعْ قَولَ البَطَّتينِ . قالَ الذَّكرُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قالَتِ الأُنثى : زَعَموا أنَّ غديرًا كانَ عِندَه عِشبٌ ، وكانَ فيه بَطَّتانِ ، وكانَ في الغديرِ سُلحُفاةٌ بينها وبينَ البَطَّتينِ مَودَّةٌ وصَداقةٌ ؛ فاتَّفقَ أن غِيضَ[٦] ذلكَ الماءُ ، فجاءَتِ البَطَّتانِ لِوَداعِ السُّلحُفاةِ ، وقالَتا : السَّلامُ عليكِ ! فإنَّنا ذاهبتانِ عن هذا المَكانِ لأجلِ نُقصانِ الماءِ عنه . فقالَت : إنَّما يَبينُ[٧] نُقصانُ الماءِ على

١ . تماوتت : تظاهرت بالموت وليس بها

٢ . طفت : عامت على وجه الماء .

٣ . وكيل البحر : لعله في الاصل الهندي إله البحر فترجمه ابن المقفع بوكيل البحر تقية من ان يتهم بالزندقة .

٤ . حريزاً : حصيناً ، منيعاً .

٥ . الوعيد : قيل انه مصدر لوعده بالشر وقيل انه من الايعاد بالشر مصدر أوعده .

٦ . غيض : مجهول : غاضَ : نقص .

٧ . يبين : مضارع : بان : ظهرَ .

مِثلي التي كأنّي السَّفينةُ لا أقدرُ على العَيشِ إلّا بالماء ؛ فأمّا أنتما ، فتقدِران على العَيشِ حيث كُنتُما ، فاذهبا بي معكما. قالتا : نَعَمْ . قالت : كيفَ السَّبيلُ الى حَملي ؟ قالتا : نأخذُ بطَرَفي عُودٍ ، وتقبضينَ بفيكِ على وسَطِه ، ونَطيرُ بكِ في الجوِّ ؛ وإيّاكِ ، إذا سمِعتِ النّاسَ يتكلّمونَ ، أن تَنطِقي . ثُمّ أخذَتاها ، فطارَتا بها في الجَوِّ . فقال النّاسُ : عَجَبٌ ! سُلحفاةٌ بينَ بَطّتَينِ قد حمَلَتاها ؟ فلمّا سَمِعَتْ ذلك ، قالت : فَقأَ[1] اللهُ أعيُنَكم ، أيُّها النّاسُ ! فلمّا فتَحَت فاها بالنُّطقِ ، وَقَعَت على الأرضِ ، فماتَت .

قالَ الذَّكَرُ : قد سمِعتُ مَقالَتَكِ ، فلا تَخافي وكيلَ البَحرِ ! فلمّا مَدَّ الماءُ[2] ، دَنا وكيلُ البَحرِ ، فذهَبَ بفِراخِها ؛ فقالتِ الأنثى : قد عرَفتُ ، في بَدءِ الأمرِ أنَّ هذا كائنٌ ؛ وما أصابنا ، إنّما هو بتَفريطِكَ . قالَ الذَّكَرُ : قد قُلتُ ما قُلتُ ، وأنا على قَولي . وسوفَ ترَينَ صُنعي به ، وانتقامي منه . ثُمَّ مضَى الى جَماعةِ الطَّيرِ ، فقالَ لهُنَّ : إنَّكنَّ أخَواتي وثِقاتي[3] ، فأعِنّي ! قُلنَ : ماذا تُريدُ أن نَفعلَ ؟ قال : تجتَمِعنَ وتذهبنَ معي ، إلى سائرِ الطَّيرِ فنشكو إليهنَّ ما لَقيتُ مِن وكيلِ البحرِ ، ونقولُ لهُنَّ : إنَّكنَّ طَيرٌ مِثلُنا ، فأعِنّا . فقالَت له جَماعةُ الطَّيرِ : إنَّ العَنقاءَ[4] ، بِنتَ الرّيحِ ، هيَ سَيِّدَتُنا ، ومَلِكَتُنا ، فاذهَبْ بنا إليها حتّى نَصيحَ بها ، فتَظهَرَ لنا ، فنَشكوَ إليها ما نالَكَ مِن وكيلِ البحرِ ، ونَسألَها أن تَنتقِمَ لنا منه بقُوَّةِ مُلكِها . ثُمّ إنَّهنَّ ذَهَبنَ إليها معَ الطَّيطَوى ، فاستَغَثنَها ، وصِحنَ بها ، فتراءَت[5] لهُنَّ ، فأخبرَتْها بقِصَّتِهنَّ ، وسَألَتها أن تَطيرَ مَعَهُنَّ إلى مُحاربةِ وكيلِ البحرِ ، فأجابَتهنَّ إلى ذلك . فلمّا عَلِمَ وكيلُ البحرِ أنَّ العَنقاءَ قد قَصَدَته ، في جَماعةِ الطَّيرِ ، خافَ مِن مُحاربةِ مَلِكٍ لا طاقةَ لهُ بهِ ، فرَدَّ فِراخَ الطَّيطَوى ، وصالَحَهُ ، فرَجَعَتِ العَنقاءُ عنه .

١ . فقأ العين : اطفأ ضوءها .

٢ . مدّ الماء : ارتفع الى البرّ .

٣ . ثقاة : ج ثقة : وهو من يوثق به اي يؤتمن .

٤ . العنقاء : اسم لطائر وهمي ، ويقال له ايضاً : عنقاء مغرب ، سميت كذلك لانها اغربت في البلاد فمات ، فلم تحس ولم ترَ .

٥ . تراءى : ظهر

الخَبُّ[1] والمُغَفَّلُ

زَعَمُوا أنَّ خَبًّا ومُغَفَّلًا اشْتَرَكا في تِجارةٍ وسافَرا . فبينَما هُما في الطَّريقِ ، تَخَلَّفَ[2] المُغَفَّلُ لبعضِ حاجتِه ، فوجدَ كِيساً فيه ألفُ دينارٍ ، فأخذَه ، فأحسَّ بهِ الخَبُّ ، فرَجَعا إلى بلَدِهما ، حتَّى إذا دَنَوا مِنَ المدينةِ ، قعدَا لاقتسامِ المالِ . فقالَ المُغَفَّلُ : خُذ نِصفَه وأعطِني نِصفَه . وكانَ الخَبُّ قد قرَّرَ ، في نفسِه ، أن يذهَبَ بالألفِ جميعِها ، فقالَ : لا نَقتسِمْ ، فإنَّ الشَّرِكةَ والمُفاوَضةَ[3] أقربُ إلى الصَّفاءِ والمُخالَطةِ[4] ، ولكنْ آخُذُ نَفقةً وتأخُذُ مِثلَها ، ونَدفِنُ الباقيَ في اصلِ هذه الشَّجرةِ ، فهو مَكانٌ حِرزٌ[5] ، وذلكَ أكتَمُ لأمرِنا ، فإذا احتَجنا جِئنا ، أنا وأنتَ ، فنأخُذُ حاجَتَنا مِنهُ ، ولا يَعلَمُ بموضِعِنا أحدٌ فأخذَا مِنها يسيرًا ، ودفَنا الباقيَ في أصلِ الشَّجرةِ ، ودخَلا البلدَ . ثُمَّ إنَّ الخَبَّ خالفَ المُغَفَّلَ إلى الدَّنانيرِ فأخذَها ، وسوَّى الارضَ كما كانت . وجاءَ المُغَفَّلُ ، بعدَ ذلكَ ، فقالَ للخَبِّ : قد احتَجتُ إلى نَفَقةٍ ، فانطلِقْ بنا نأخُذْ حاجَتَنا . فقامَ الخَبُّ معَهُ ، وذهَبا إلى المكانِ ، فحفَرا فلم يَجِدا شيئاً . فأقبلَ الخَبُّ على وجهِه يَلطِمُه ، ويقولُ : لا تَغتَرَّ بصُحبةِ صاحبٍ ! خالفتَني الى الدَّنانيرِ ، فأخذتَها . فجعلَ المُغَفَّلُ يَحلِفُ ويَلعَنُ آخِذَها ، ولا يَزدادُ الخَبُّ إلَّا شِدَّةً في اللَّطمِ ، وقالَ : ما أخذَها غيرُكَ ؛ وهَل شَعَرَ بها أحدٌ سِواكَ ؟ ثُمَّ طالَ بينَهما ذلكَ ، فترافَعا الى القاضي ، فاقتَصَّ قِصَّتَهما[6] ، فادَّعى الخَبُّ أنَّ المُغَفَّلَ أخذَها ، وجَحَدَ[7] المُغَفَّلُ فقالَ للخَبِّ : ألكَ ، على دَعواكَ ، بَيِّنَةٌ[8] ؟ قالَ نَعَمْ ! الشَّجرةُ ، الَّتي كانتِ الدَّنانيرُ عِندَها ، تَشهَدُ لي أنَّ المُغَفَّلَ قد أخذَها . وكانَ الخَبُّ قد أتى أباه ، فقصَّ عليه القِصَّةَ ،

١ . الخَب : الخبيث ، الخدّاع .

٢ . تخلّف : تأخّر .

٣ . المفاوضة : مصدر فاوضه في الامر : ساواه فيه .

٤ . الصفاء : نقيض الكدر . المخالطة : مصدر خالطه : مازجه وداخله ، وعاشره .

٥ . حِرز : حصين ، منيع .

٦ . اقتص : قصّته : سأله ان يرويها على وجهها .

٧ . جحد : أنكر .

٨ . البيّنة : الدليل والحجة ، وتطلق عند الفقهاء على الشهادة .

وطلب إليه أن يذهب ، فيتوارى [١] في الشجرة بحيث إذا سُئل أجاب . فقال له أبوه : رُبَّ مُتحيّل أوقعه تحيُّله في ورطة [٢] عظيمة لا يقدر على الخلاص منها . فإياك أن يكون مثلك مثل العُلجوم [٣] . قال الخبُّ : وكيف كان ذلك ؟

قال أبوه : زعموا أنَّ عُلجوماً جاور حيَّة ، فكان كلما أفرخ جاءت إلى عُشِّه وأكلت فِراخه . ففزع [٤] في ذلك الى السرطان ، فقال له السرطان : إنَّ بقُربك جُحرًا يسكنه ابنُ عِرس [٥] ، وهو يأكل الحيّات ؛ فاجمع سمكاً كثيرًا ، وفرِّقه من جُحر ابن عرس إلى جُحر الحيَّة ، فإذا بدأ في أكل السَّمك انتهى الى جُحر الحيَّة فأكلها ؛ ففعل وكان كذلك . ثمَّ تدرَّج [٦] ابنُ عِرس من جُحر الحيَّة في طلب غيرها ، حتى بلغ إلى جُحر العُلجوم ، فأكله ، أيضاً ، وفراخه جميعاً .

وإنَّما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم : أنَّ من لم يتثبَّت [٧] في الحيل ، ويتدبَّرها [٨] ، وينظُر فيها ، أوقعته حيلته في أشدّ مما يحتال له . قال الخبُّ : قد فهمتُ ما ذكرتَ ، ولكن لا تَخَفْ ، فإنَّ الأمر يسيرٌ ، حقيرٌ . ولم يَزَل به حتى طاوعه ، وانطلق معه ، فدخل جوفَ الشجرة . ثمَّ إنَّ القاضيَ لما سمع من الخبِّ حديث شهادة الشجرة أكبره [٩] ، وانطلق هو وأصحابُه ، والخبُّ والمُغفَّل معه ، حتى وافى الشجرة ، فسألها عن الخبر ؟ فقال الشيخُ من جوفها : نَعَم ! المُغفَّل أخذها . فلما سمع القاضي ذلك اشتدَّ تعجُّبه ، وجعل يطوف بالشجرة ، حتى بان له خرقٌ فيها ، فتأمَّله ، فلم يَرَ فيه شيئاً ؛ فدعا بحطب ، وأمر أن تُحرَق الشجرةُ ؛ فأُضرمت حولها النيرانُ ، فاستغاث أبو الخبِّ عند ذلك ، فأُخرج ، وقد أشرف على الهلاك ؛ فسأله القاضي عن القصَّة ، فأخبره بالخبر ،

١ . يتوارى : مضارع توارى : استتر ، اختفى .

٢ . الورطة : الشدّة .

٣ . العلجوم : طائر ابيض والبطُّ الذكر .

٤ . فزع اليه : لجأ اليه .

٥ . ابن عرس : ج بنات عرس : هو من فصيلة السراعيب اي اكلات اللحوم . دويبة اكبر من الجرذ ، طويلة البدن ، قصيرة القوائم ، صفراء اللون .

٦ . تدرج الى الشيء : تقدم اليه شيئاً فشيئاً .

٧ . تثبّت : تأنى في عمله .

٨ . تدبّر الامر : فكّر في عواقبه .

٩ . اكبر الشيء : رآه كبيراً وعظم عنده .

فأوقعَ بالخبِّ ضرباً ، وبأبيهِ صَفعاً[١] ؛ وأركبه مَشهوراً ، وغَرَّمَ[٢] الخبَّ الدَّنانيرَ ، فأخذَها وأعطاها المُغفَّلَ .

الخازنُ[٣] السَّارقُ

وهو مثلُ الباطلِ يتلبَّسُ[٤] بالحقِّ حتى يَشتبهَا .

زَعموا أنَّه كانَ في بعضِ المُدنِ تاجرٌ ، وكانَ له خازنٌ لبيتِ مالِه . وإنَّ الخازنَ أرادَ اختلاسَ[٥] شيءٍ من المالِ ، فلم يستطعْ ؛ لأنَّ التاجرَ كانَ ، إذا دخلَ الخازنُ بيتَ المالِ ، أقفلَ عليهِ البابَ ؛ فإذا أرادَ الخُروجَ أتى ففتحَ له وفتَّشه قبل ان يَخرُجَ . وكانَ إلى جَنبِ التَّاجرِ رجلٌ مُصوِّرٌ ، ماهرٌ ، وكانَ هُوَ ، للخازنِ صديقاً . فقال له الخازنُ يوماً : هلْ لكَ أن تُواطئني[٦] على الاختلاسِ مِن هذا المالِ ؟ قالَ : نعم ! قالَ : وما الحيلةُ ؟ ولا سبيلَ لي إلى الخُروجِ اليكَ ، ولا سبيلَ لكَ الى الدُّخولِ إليَّ ؛ وذكرَ له حالَه معَ التَّاجرِ . قالَ المُصوِّرُ : أوَ ما لبيتِ المالِ كُوَّةٌ[٧] إلى الخارجِ تُناولُني منها شيئاً في الظَّلامِ ؟ قالَ بَلى ! ولكنْ أخشَى أن يرانا أحدٌ . قال : فأنا أمرٌ قريباً مِنَ الكُوَّةِ ، إذا ابتدأَ الظَّلامُ ، فأصفِرُ لكَ ، أو أُومِئُ[٨] اليكَ ، فترمِي لي بصُرَّةٍ ، فآخُذُها ولا يُشعَرُ بنا ؛ فرَضِي الخازنُ بذلكَ ، وأعجَبَهُ ، وأقاما عليهِ حيناً . ثُمَّ إنَّ الخازنَ قالَ ، ذاتَ يومٍ ، للمُصوِّرِ : إنِ استطَعتَ أن تَحتالَ بحيلةٍ أعلَمُ بها مَجيئَكَ مِن غيرِ صَفرٍ ولا إيماءٍ ، ولا ما يُرتابُ بهِ مِن فِعلِكَ وفِعلي ؛ فإنِّي قد تَخوَّفتُ أن يُحِسَّ بنا أحدٌ . قالَ المُصوِّرُ : عِندي مِنَ الحيلةِ ما سألتَ : إنَّ عِندي مُلاءَةً[٩] فيها مِن تَهاويلِ[١٠]

١ * صفعاً : مصدر صفعه ، اي ضربه على قفاه بجمع كفّه .
٢
٣ * الخازن : امين يتولى حفظ المال .
٤ * يتلبسُ : مضارع تلبّس : اختلط .
٥ * اختلاس : مصدر اختلسَ : نهب سرق .
٦ * تواطئني : مضارع واطأه : وافقه .
٧ * كوة : خرق صغير في الحائط .
٨ * أومي : مضارع أومأ : اشار .
٩ * الملاءة : كساء يُلتحف به .
١٠ * التهاويل : زينة الصور والنقوش .

الصُّوَرِ وتَماثيلِ الصَّنعَةِ ، فإني ألبَسُها ، حين مَجيئي ، وأتراءى[1] لك فيها. ثمَّ إنَّ المُصوِّرَ لَبِسَ المُلاءَةَ ، وتَراءى له ، فرَمى له بالصُّرَّةِ ، فتناولها. ولم يَزالا على ذلكَ ، حتَّى بَصُرَ بهما ، في تِلكَ الحالةِ ، جارٌ للمُصوِّرِ ، وكانَ بينَه وبينَ خادمِ المُصوِّرِ صَداقةٌ ؛ فطلبَ المُلاءةَ منه ، وقالَ : أُريدُ أن أُرِيَها صديقاً لي لِأُسُرَّه بذلك ، وأُسرِعُ الكَرَّةَ[2] بَرَدَها ، قبلَ أن يَعلمَ بذلكَ مولاكَ ؛ فأعطاه إيَّاها. ولمَّا اتى اللَّيلُ أسرعَ ، فلَبِسها ، ومَرَّ من حَيثُ كانَ يَمُرُّ المُصوِّرُ ؛ فلما رآه الخازنُ لم يَشُكَّ في مَجيئه ، فرَمى له بالصُّرَّةِ ، فتناولَها ، وانطلقَ ؛ فرَجَعَ بالمُلاءةِ الى خادمِ المُصوِّرِ ، فدفَعَها إليه ، فوضَعَها مَوضِعَها. وكانَ المصوِّرُ ، عن بيتِه ، غائباً ، فلمَّا عادَ إلى مَنزِلِه لبِسَ المُلاءةَ ، على عادتِه ، وتَراءى للخازنِ ، فعَجِبَ من رجوعِه ، ولم يكن لديه ما يَرمي له به ، وانصرفَ المصوِّرُ بلا شيءٍ. ثمَّ تلاقيا بعدَ ذلكَ ، فقالَ له المصوِّرُ : لم تَرمِ لي بالصُّرَّةِ ؟ قالَ : أوَ لم تَمُرَّ ، قُبَيلَ مُرورِكَ ، ورَميتُ لكَ بها ؟ فرجعَ المُصوِّرُ إلى مَنزِلِه ، فدَعا الخادمَ ، وتَوعَّدَه[3] بالقتلِ ، أو يُخبِرَه بالحقيقة ؛ فأخبرَهُ بالقِصَّةِ ، فأخذَ المُلاءةَ فأحرَقَها.

الطَّبيبُ الجاهلُ

زعموا أنَّه كانَ في بعضِ المُدُنِ ، طبيبٌ لهُ رِفقٌ[4] وعِلمٌ ؛ وكانَ ذا فِطنةٍ فيما يَجري على يدِه مِنَ المُعالَجاتِ ؛ فكَبِرَ ذلكَ الطَّبيبُ ، وضَعُفَ بَصَرُه. وكانَ لِملكِ تلكَ المدينةِ ابنٌ وحيدٌ ، فأصابَه مَرَضٌ ، فجيءَ بهذا الطَّبيبِ ، فلمَّا حضرَ سألَ الفتى عن وَجعِه وما يَجِدُ ، فأخبرَه ، فعرَفَ داءَه ودَواءَه وقالَ : لو كُنتُ أُبصِرُ لَجَمَعتُ الأخلاطَ[5] ، على مَعرِفتي بأجناسِها ، ولا أثِقُ في ذلكَ بأحدٍ غيري. وكانَ في المدينةِ رجلٌ جاهلٌ ، فبلَغَه الخبرُ ، فأتاهم ، وادَّعى عِلمَ الطِّبِّ ، وأعلمهم أنَّه خبيرٌ بمَعرِفةِ أخلاطِ الأدويةِ والعَقاقيرِ[6] ، عارفٌ بطبائعِ الأدويةِ

١ * اتراءى : مضارع تراءى له : تصدى له ليراه .
٢ * الكرة : مرة من كر : رجع .
٣ * توعده : تهدده .
٤ * الرفق : اللطف .
٥ * الاخلاط : الادوية المركبة من اجزاء .
٦ * العقاقير : ما يتداوى به من النباتات .

المُركّبةِ والمُفرَدة . فأمرَه الملِكُ أن يَدخُلَ خِزانةَ الأدويةِ ، فيأخذَ مِن أخلاطِ الدَّواء حاجتَه . فلمّا دخَل الجاهلُ الخِزانةَ ، وعُرِضت عليه الأدويةُ ، ولا يدري ما هيَ ، ولا له بها معرفةٌ ، أخذَ ، في جُملَةِ ما أخذَ منها ، صُرَّةً فيها سُمٌّ قاتلٌ لوَقتِه ، وَدافَه[1] بالأدويةِ ، ولا عِلمَ له به ، ولا معرفةَ عندَه بجنسِه ؛ فلمّا تمّت اخلاطُ الأدويةِ سقَى الفتى منه ، فماتَ لوقتِه . فلمّا عرَفَ الملِكُ ذلكَ دعا بالجاهل ، فسقاهُ من ذلك الدَّواء ، فماتَ من ساعتِه .

١ . داف : خلط .



باب الحمامة المطوقة

الحمامةُ المُطوَّقةُ والجُرَذُ والظَّبيُ والغُرابُ.

زعموا أنَّه كانَ بأرضِ سكاوَندَجينَ، عِندَ مَدينةِ داهَرَ، مكانٌ كثيرُ الصَّيدِ، يَنتابُه[٢] الصَّيادونَ. وكانَ في ذلكَ المكانِ شجرةٌ كثيرةُ الأغصانِ، مُلتفَّةُ الورَقِ، فيها وَكرُ غُرابٍ؛ فبينما هو، ذاتَ يومٍ، ساقطٌ في وَكرِه، إذ بَصُرَ بصيَّادٍ قبيحِ المَنظَرِ، سَيِّءِ الخَلقِ؛ وقُبحُ مَنظَرِه يَدُلُّ على سُوءِ مَخبَرِه[٣]؛ على عاتِقِه[٤] شَبَكةٌ، وفي يدِه عَصا، مُقبِلًا نحوَ الشَّجرةِ. فذُعِرَ منه الغُرابُ، وقالَ: لقد ساقَ هذا الرَّجلَ، إلى هذا المكانِ، إمَّا حَيني[٥]، وإمَّا حينُ غيري، فلأَثبُتَنَّ مكاني، حتى أنظُرَ ماذا يَصنعُ. ثُمَّ إنَّ الصَّيَّادَ نصَبَ شَبَكَتَه ونَثَرَ عليها الحَبَّ، وكَمَنَ قريباً منها؛ فلم يَلبَثْ[٦] إلَّا قليلًا، حتَّى مَرَّت بهِ حَمامةٌ يُقالُ لها: المُطوَّقةُ، وكانتْ سيِّدةَ الحمامِ، ومعَها حَمامٌ كثيرٌ؛ فعَمِيت، هيَ وصاحباتُها عنِ الشَّرَكِ، فوقَعنَ[٧] على الحَبِّ يَلتقِطنَه، فعَلِقنَ بالشَّبَكةِ كُلُّهنَّ؛ وأقبلَ الصَّيادُ فَرِحاً، مسروراً. فجَعَلَت كلُّ حَمامةٍ تَتلَجلجُ[٨] في حبائلِها[٩]، وتَلتمِسُ[١٠]

١. الحمامة المطوقة: التي يكون في عنقها طوق طبيعي من ريشها مختلف بلونه عن لونها. وتسمّى هذه الحمامة ايضاً بالفاختة، وهي مما يربّى بالاقفاص. ويقال لها في الشام: يا كريم، وفي حلب: ست الروم، وفي العراق: فختية.

٢. ينتاب: مصدر التاب المكان: أتى اليه مرة بعد اخرى.

٣. المخبر: مصدر ميمي من خبره: جرّبه.

٤. العاتق: ما بين الكتف والعنق.

٥. الحين: الهلاك.

٦. لم يلبث: لم يقم.

٧. وقعن: سقطن.

٨. تتلجلج: تهتزّ وتضطرب.

٩. الحبائل: ج حُبالة: شرك ينصب لصيد الطيور.

١٠. تلتمس: مضارع التمس: طلب.

الخلاصَ لنفسها . قالتِ المطوَّقةُ : لا تتخاذلنَ[1] في المعالجةِ ، ولا تكن نفسُ إحداكنَّ أهمَّ إليها مِن نفسِ صاحبتِها ؛ ولكنْ نتعاونُ جميعُنا ، ونطيرُ كطائرٍ واحدٍ ، فينجو بعضُنا ببعض . فجمعنَ أنفسَهنَّ ، ووثبنَ وثبةً واحدةً ، فقلعنَ الشبكةَ ، جميعُهن ، بتعاونِهنَّ ، وعلونَ بها في الجوِّ . ولم يقطعِ الصيَّادُ رجاءَه منهنَّ ، وظنَّ أنهنَّ لا يتجاوزْنَ إلَّا قريباً ، حتى يقعْنَ . فقالَ الغرابُ : لأتبعنَّهنَّ ، وأنظرُ ما يكونُ منهنَّ . فالتفتتِ المطوَّقةُ ، فرأتِ الصيَّادَ يتبعُهنَّ ، فقالت للحمامِ : هذا الصيَّادُ جادٌّ في طلبِكنَّ ؛ فإن نحنُ اخذنا في الفضاءِ[2] لم يخفَ عليه أمرُنا ، ولم يزلْ يتبعُنا ؛ وإن نحنُ توجَّهنا الى العُمرانِ خفيَ عليه أمرُنا ، وانصرفَ . وبمكانِ كذا جُرَذٌ هو أخٌ لي ، فلو انتهينا إليه قطعَ عنا هذا الشركَ . ففعلنَ ذلك ، وأيسَ[3] الصيَّادُ منهنَّ ، وانصرفَ . وتبعهنَّ الغرابُ لينظرَ إليهنَّ لعلَّه يتعلَّمُ منهنَّ حيلةً تكونُ له عُدَّةً[4] عند الحاجةِ . فلمَّا انتهتِ الحمامةُ المطوَّقةُ إلى الجُرَذِ أمرتِ الحمامَ أنْ يقعنَ ، فوقعنَ .

وكان للجُرَذِ منةٌ جُحرٍ أعدَّها للمخاوفِ ؛ فنادتْه المطوَّقةُ باسمِه ، وكان اسمُه زيرَكَ ، فأجابَها الجُرَذُ مِن جُحرِه : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا خليلتُكَ المطوَّقةُ ! فأقبلَ إليها الجُرَذُ يسعى ، فقالَ لها : ما أوقعكِ في هذه الورطةِ ؟ قالت له : ألَم تعلمْ أنَّه ليسَ ، منَ الخيرِ والشرِّ ، شيءٌ إلَّا وهو مُقدَّرٌ على مَن تُصيبُه المقاديرُ ؟ وهيَ التي أوقعتني في هذه الورطةِ ! فربَّما لا يمتنعُ منَ القدرِ مَن هو أقوى مني ، وأعظمُ أمرًا ؛ وقد تنكسفُ[5] الشمسُ ، وينخسفُ[6] القمرُ ، إذا قُضيَ عليهما . ثمَّ إنَّ الجُرَذَ أخذَ في قرضِ[7] العقدِ[8] الذي فيهِ المطوَّقةُ ؛ فقالت لهُ المطوَّقةُ : أبدأْ بقطعِ عِقدِ سائرِ الحمامِ ، وبعدَ ذلك ، أقبلْ على عِقدي ؛

١ * تتخاذلن : مضارع تخاذل ، لجمع المؤنث المخاطب ، اي تتركن التعاون .

٢ * الفضاء : ما اتسع من الارض .

٣ * أيس : قطع الامل .

٤ * العدّة : ما أعدّ وهيّء لحوادث الدهر .

٥ * انكسفت الشمس ، وكسفت : احتجب نورها في النهار .

٦ * انخسف القمر وخسف : اظلم ضوءه .

٧ * قرض : قطع باسنانه .

٨ * العقد : اراد به حبل الشرك .

فأعادت عليهِ ذلك مِرارًا ، وهو لا يَلتفِتُ إلى قَولِها ؛ فلمّا أكثرَت عليهِ القولَ ، وكرَّرَت ، قالَ لها : لقد كرَّرتِ القَولَ عليَّ ، كأنَّكِ ليسَ لكِ ، في نفسِكِ ، حاجةٌ ، ولا لكِ عليها شَفَقةٌ ، ولا تَرعَينَ[1] لها حقًّا ؟ قالت : إني أخافُ ، إنْ أنتَ بَدأتَ بقَطعِ عِقدي ، أن تَملَّ ، وتَكسَلَ عن قَطعِ ما بَقِيَ ؛ وعرَفتُ أنَّكَ ، إن بَدأتَ بهنَّ قبلي ، وكنتُ ، انا ، الأخيرةَ ، لم تَرضَ ، وإن أدركَكَ الفُتورُ[2] ، أن أبقى في الشَّرَكِ . قالَ الجُرَذُ : هذا مما يَزيدُ الرَّغبةَ فيكِ ، والمَودَّةَ لكِ . ثم إنَّ الجُرَذَ أخذَ في قَرضِ الشَّبكةِ حتَّى فرَغَ مِنها ، فانطلقتِ المُطوَّقةُ وحَمامُها معَها .

١ ـ ترعين : مضارع رعى الشيء : حفظه .
٢ ـ الفتور : مصدر فتر : الكسرت حدّته ، ونشاطه .



الفِيَلةُ والأَرانبُ

زَعموا أَنَّ أَرضاً ، من أراضي الفِيَلةِ ، تتابعت عليها السِّنُونَ[1] ، وأجدَبَت[2] ، وقَلَّ ماؤها ، وغارَت[3] عُيونُها ، وذوى[4] نَبتُها ، ويَبِسَ شجرُها ؛ فأصابَ الفِيَلةَ عَطَشٌ شديدٌ . فشَكونَ ذلكَ إلى مَلِكِهِنَّ ، فأرسل الملكُ رُسُلَهُ ورُوَّادَه[5] في طَلَبِ الماءِ ، في كلِّ ناحيةٍ . فرجعَ إليهِ بعضُ الرُّسُلِ ، فقالَ له : إني وَجَدتُ بمكانِ كذا عيناً يُقالُ لها : عينُ القمرِ ، كثيرةَ الماءِ ؛ فتوجَّه ملكُ الفِيَلةِ ، بأصحابِهِ ، إلى تلكَ العَينِ ليشربَ ، منها ، هو وفِيَلَتُهُ . وكانت العينُ في أرضِ الأَرانبِ ، فوَطِئنَ الأرانبَ في أجحارِهِنَّ ، فأهلكنَ ، منهنَّ ، كثيراً . فاجتمعتِ الأرانبُ إلى ملِكِها ، فقُلنَ له : قد علمتَ ما أصابنا مِنَ الفِيَلةِ ؛ فقالَ : ليُحضِرْ ، منكنَّ ، كلُّ ذي رأيٍ رأيَه . فتقدَّمت أرنبٌ ، منَ الأرانبِ ، يُقالُ لها : فَيروزُ ؛ وكان الملكُ يَعرِفُها بحُسنِ الرأيِ والأَدَبِ ؛ فقالَت : إن رأى الملكُ أن يبعثَني إلى الفِيَلةِ ، ويُرسلَ معي أميناً ليَسمعَ ويَرى ما أقولُ ، ويَرفَعَه إلى الملكِ . فقالَ لها الملكُ : أنتِ أمينةٌ ، ونَرضى بقولِكِ ؛ فانطلقي إلى الفِيَلةِ وبلِّغي عنِّي ما تُريدينَ ؛ واعلَمي أنَّ الرَّسولَ ، برأيِهِ ، وعقلِهِ ، ولِينِهِ ، وفَضلِهِ ، يُخبِرُ عن عَقلِ المُرسِلِ ؛ فعليكِ باللِّينِ ، والرِّفقِ ، والحِلمِ ، والتَّأني ؛ فإنَّ

١ . السنون : ج السنة وهي الجدب والمحل .
٢ . أجدبت : أمحلت .
٣ . غار الماء : ذهب في الارض .
٤ . ذوى : ذبل .
٥ . الروّاد : جمع الرائد : وهو الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً فيه ماء وعشب ، فينزلوا فيه .

الرَّسولَ هو الَّذي يُلينُ الصُّدورَ ، إذا رَفَقَ[١] ، ويُخْشِنُ الصُّدورَ ، إذا خَرِقَ[٢] . ثُمَّ إنَّ الأَرنبَ انطلقَت في ليلةٍ قَمراءَ[٣] ، حتى انتهت إلى الفِيلَةِ ؛ وكَرِهت أن تَدنُو مِنهنَّ مَخافةَ أن يَطَأْنَها بأرجلِهنَّ ، فيَقتُلْنها ، وإن كُنَّ غيرَ مُتعَمِّداتٍ[٤] . فأشرفَت[٥] على الجبلِ ، ونادَت ملكَ الفِيلَةِ ، وقالَت لهُ : إنَّ القمرَ أرسلَني إليكَ ؛ والرَّسولُ غيرُ مَلُومٍ فيما يُبلِّغُ ، وإن أغلظَ في القولِ . قالَ مَلكُ الفِيلَةِ : فما الرِّسالةُ ؟ قالَت : يقولُ : إنَّه مَن عَرَفَ فضلَ قُوَّتِه على الضُّعَفاءِ ، فاغتَرَّ[٦] في ذلكَ ، بالأَقوياءِ ، قياساً لهم على الضُّعَفاءِ ، كانت قُوَّتُهُ وَبالاً[٧] عليهِ . وأنتَ قد عرفتَ فضلَ قُوَّتِكَ على الدَّوابِّ ، فغَرَّكَ ذلكَ ، فعَمَدتَ إلى العَينِ الَّتي تُسمَّى باسمي ، فشربتَ مِنها ، ورَنَّقتَها[٨] ؛ فأرسلَني اليكَ ، فأُنذِرُكَ[٩] أن لا تعودَ إلى مِثلِ ذلكَ ؛ وإنَّهُ ، إن فَعلتَ ، يُغَشِّي[١٠] على بَصَرِكَ ، ويُتلِفُ[١١] نفسَكَ ؛ وإن كُنتَ في شكٍّ من رِسالتي ، فهَلُمَّ[١٢] الى العَينِ ، من ساعتِكَ ، فإنَّه مُوافيكَ[١٣] بها . فعَجِبَ مَلكُ الفيلةِ مِن قولِ الأَرنبِ ؛ فانطلقَ الى العَينِ مع فيروزَ الرَّسولِ ؛ فلمَّا نظرَ إليها رأى ضَوءَ القمرِ فيها ، فقالَت لهُ فيروزُ : خُذْ بخُرطومِكَ ، مِنَ الماءِ ، فاغسِلْ بهِ وجهَكَ ، واسجُدْ للقمرِ ! فأدخلَ الفيلُ خُرطومَهُ في الماءِ ، فتَحرَّكَ ، فخُيِّلَ الى الفيلِ أنَّ القمرَ ارتعدَ[١٤] ؛ فقالَ : ما شأنُ القمرِ ارتعدَ ؟ أتَرَينَه غضِبَ مِن إدخالي خُرطومي في الماءِ ؟ قالَت فيروزُ الأَرنبُ : نَعَمْ ! فسَجدَ الفيلُ للقمرِ مرَّةً أُخرى ، وتابَ إليهِ مِمَّا صَنعَ ، وشرَطَ أنْ لا يعودَ ، إلى مِثلِ ذلكَ ، هو ولا أحدٌ مِن فيلَتِهِ .

١ . رفقَ : لطف ولم يعنف .
٢ . خرقَ : جهل وحمق .
٣ . قمراء : أضاء فيها القمر .
٤ . متعمدات : متعمدة : اسم فاعل للمؤنث من تعمد الشيء قصده .
٥ . اشرفت : أطلت .
٦ . اغترَّ : انخدع .
٧ . الوبال : الشدة ، الوخامة .
٨ . رنقتها : كدرت ماءها .
٩ . انذرك : مضارع انذره : حذره .
١٠ . يغشي : مضارع غشّى : غطى .
١١ . يتلف : مضارع أتلف : اهلك .
١٢ . هلمّ : كلمة للدعاء الى الشيء ومعناها : تعالَ .
١٣ . موافيك : اسم فاعل من وافاه : لاقاه .
١٤ . ارتعد : اضطرب .

النَّاسِكُ والفارةُ

زعموا أنّه كانَ ناسكٌ مستجابُ الدَّعوة. فبينما هو، ذاتَ يوم، جالسٌ على ساحلِ البحرِ إذ مرّت به حِدأةٌ[1] في رِجلِها درصٌ[2] فأرةٍ، فوقعت منها عِندَ النَّاسكِ، وأدركته لها رحمةٌ، فأخذها، وأمّها في ورقةٍ، وذهبَ بها إلى مَنزلِه. ثمّ خافَ أنْ تشقّ[3] على أهلهِ تربيتُها، فدعا ربّه أنْ يُحوّلَها جاريةً، فتحوّلت جاريةً حسناء؛ فانطلقَ بها إلى امرأتِه، فقالَ لها: هذه ابنتي، فاصنعي، معها، صنيعَكِ بولَدي. فلمّا كبِرت قالَ لها النّاسكُ: يا بُنيّةُ! اختاري مَن أحببتِ، حتّى أُزوّجكِ إيّاه. فقالَت: أمَا إذ خيّرتَني، فإنّي اختارُ زوجاً يكونُ أقوى الاشياء. فقال النّاسكُ: لعلّكِ تُريدين الشّمسَ؟ ثمّ انطلقَ إلى الشّمسِ، فقالَ: أيّها الخَلقُ العظيمُ الّي جاريةٌ، وقد طلَبت زوجاً يكونُ أقوى الاشياء، فهل أنتَ مُتزوّجها؟ فقالتِ الشّمسُ: أنا أدُلّكَ على مَن هو أقوى مني: السّحاب[4] الّذي يُغطّيني، ويَرُدُّ جِرمَ[5] شُعاعي، ويَكسِفُ أشِعّةَ أنواري؛ فذهبَ النّاسكُ الى السّحابِ، فقالَ له ما قالَ للشمسِ؛ فقالَ السّحابُ: وأنا أدُلّكَ على مَن هو أقوى مِنّي؛ فاذهبْ إلى الرّيحِ الّتي تُقبلُ بي، وتُدبرُ[6]، وتَذهبُ بي شرقاً وغرباً؛ فجاءَ النّاسكُ الى الرّيحِ، فقالَ لها كقولِه للسّحاب، فقالَت: وأنا أدُلّكَ على مَنْ هو أقوى مِني، وهو الجبلُ الّذي لا أقدرُ على تحريكِه؛ فمضى إلى الجبلِ، فقالَ له القولَ، فأجابَه الجبلُ، وقالَ له: أنا أدُلّكَ على من هو اقوى مني: الجُرَذُ الّذي لا استطيعُ الامتناعَ منهُ اذا خرَقني، واتّخذَني مَسكناً؛ فانطلَقَ النّاسكُ الى الجُرَذِ، فقالَ له: هلْ انتَ مُتزوّجٌ هذه الجاريةَ؟ فقالَ: وكيفَ أتزوّجُها، ومَسكني ضيّقٌ؛ وانّما يتزوّجُ الجُرَذُ الفأرةَ. فدعا النّاسكُ ربّهُ أن يُحوّلَها فأرةً كما كانت، وذلكَ برِضى الجاريةِ، فأعادَها اللهُ إلى عُنصرِها[7] الأوّلِ، فانطلقت معَ الجُرَذِ.

١. الحدأة: طائر يصطاد الجرذان ويعرف عند العامة بالكوحة.
٢. درص: ولد الفأرة.
٣. تشق: مضارع شقّ عليه: صعُبَ.
٤. السحاب: الغيم المطر.
٥. الجِرم: الجسم من كل شيء.
٦. تقبل وتدبر: تأتي وتولي.
٧. العنصر: الاصل.



قِردٌ وغَيلَمٌ

وهو مثلُ الذي يطلبُ الحاجةَ فإذا ظفرَ بها أضاعها.

زعَمُوا أنَّ قِردًا كانَ ملِكَ القِرَدَةِ، يُقالُ لهُ: ماهرٌ؛ وكانَ قد كَبِرَ وهَرِمَ. فوثَبَ عليهِ قِردٌ شابٌّ مِنْ بيتِ المملَكَةِ، فتغلَّبَ عليهِ، وأخذَ مكانَه. فخرَجَ هارباً على وجهِهِ، حتى انتهى إلى الساحِلِ، فوجدَ شجرَةً من التِّينِ، فارتقى إليها وجعلَها مُقامَـه. فبينما هو ذاتَ يومٍ يأكُلُ مِن ذلك التِّينِ، إذ سقطَت، من يدِه، تينةٌ في الماءِ، فسمِعَ لها صوتاً وإيقاعاً[2]؛ فجعَلَ يأكُلُ ويَرمي في الماءِ، فأطرَبَهُ ذلكَ، فأكثرَ مِن تطريحِ التِّينِ في الماءِ. وكانَ ثَمَّ[3] غَيلَمٌ كلَّما وقعت تينةٌ أكلَها؛ فلما كثُرَ ذلك، ظنَّ أنَّ القِردَ، إنَّما يفعَلُ ذلك لأجلِهِ، فرَغِبَ في مُصادقتِهِ، وأنِسَ اليهِ، وكلَّمَه، وألِفَ[4] كلُّ واحِدٍ منهما صاحِبَه. وطالَت غَيبةُ الغَيلَمِ عن زوجتِه، فجَزِعَت[5] عليه، وشكَت ذلك إلى جارةٍ لها، وقالَت: قد خِفتُ ان يكونَ قد عرَضَ لهُ عارضُ سُوءٍ، فاغتالَه. فقالَت لها: إنَّ زوجَكِ، في السَّاحِلِ، قد ألِفَ قِردًا، وألِفَهُ القِردُ، فهو مُؤاكِلُه ومُشارِبُه، وهو الَّذي قطعَه عنكِ، ولا يَقدِرُ أن يُقيمَ عندَكِ، حتى تحتالي لهَلاكِ القِردِ. قالَت: وكيفَ أصنَعُ؟ قالَت جارتُها: إذا وصَلَ إليكِ فتَمارَضي[6]؛ فإذا سألَكِ عن حالِكِ، فقولي: إنَّ الأطِباءَ وصفُوا لي قلبَ قِردٍ. ثُمَّ إنَّ الغَيلَمَ انطلقَ،

١. الغيلم: ذكر السلحفاة.
٢. الايقاع: نغمة حسنة.
٣. ثمّ: ظرف مكان بمعنى هناك.
٤. ألف: صادق.
٥. جزعت: خافت.
٦. تمارض: تظاهر بأنه مريض.

بعدَ مُدَّةٍ ، إلى مَنزِلِهِ فوجدَ زوجتَه سيِّئةَ الحالِ ، مَهمومةً ، فقالَ لها : ما لي راكِ هكذا ؟ فأجابَته جارتُها ، وقالَت : إنَّ زوجَتكَ مريضةٌ ، مِسكينةٌ ، وقد وصفَ لها الأطبّاءُ قلبَ قِردٍ ، وليسَ لها دَواءٌ سِواه . قالَ الغَيلَمُ : هذا أمرٌ عَسيرٌ ! مِن أينَ لنا قلبُ قِردٍ ، ونحنُ في الماءِ ؟ وبَقِيَ مُتحيِّرًا . ثُمَّ قالَ في نفسِه : ما لي قُدرةٌ على ذلك إلَّا أن اغدُرَ بخليلي وصاحِبي ، واثمُه[1] ، عندي ، شديدٌ ؛ وأشدُّ مِن ذلك هَلاكُ زوجتي ، لأنَّ الزوجةَ الصَّالحةَ لا يَعدِلُها[2] شيءٌ ؛ لأنَّها عَونٌ على أمرِ الدُّنيا والآخرةِ .

ثُمَّ عادَ الى الساحِلِ حزيناً ، كئيباً ، مُفكِّرًا في نفسِه كيفَ يصنَعُ ؟ فقالَ له القِردُ : يا أخي ! ما حبسَكَ عنِّي ؟ قالَ له الغيلَمُ : ما حبسَني عنكَ إلَّا حياتي ، فلم أعرِفْ كيفَ أُكافئُكَ على إحسانِكَ إليَّ ؟ وأُريدُ أن تُتِمَّ إحسانَكَ إليَّ بزيارتِكَ لي في مَنزِلي ؛ فإنِّي ساكنٌ في جزيرةٍ طيِّبةِ الفاكهةِ ، فاركَبْ ظهري لأسبحَ بك ؛ فإنَّ أفضلَ ما يَلتمِسُه المرءُ من أخلَائِه أن يَغشَوا[3] منزِلَه ، ويَنالُوا من طَعامِه وشَرابِه ، ويَعرِفَهم أهلُه وولَدُه وجيرانُه ؛ وانتَ لم تَطَأْ[4] منزِلي ، ولم تذُقْ لي طَعاماً ولا شَراباً ، وذلك مَنقَصةٌ وعارٌ عليَّ . قالَ له القِردُ : وما يُريدُ المرءُ مِن خليلِه ، إلَّا ان يبذُلَ له وُدَّه[5] ، ويُصفيَ له قلبَه ؟ وما سِوى ذلك ففضُولٌ[6] . قالَ الغَيلَمُ : نَعَم ! غيرَ أنَّ الاجتماعَ على الطَّعامِ والشَّرابِ آكَدُ[7] للمودَّةِ والأُنسِ ؛ لأنَّا نَرى الدَّوابَّ ، اذا اعتلَفَت[8] معاً ، ألِفَ بعضُها بعضاً ؛ وكانَ يُقالُ : لا يَنبغي للعاقلِ أن يَلِجَّ[9] على إخوانِه في المَسئلةِ ، فإنَّ العِجلَ إذا أكثرَ مَصَّ ضَرعِ[10] أُمِّه نَطحَته . فرغِبَ القِردُ في الذَّهابِ معَه ، فقالَ : حبًّا وكَرامةً ، ونزَلَ ،

١ ـ اثمه : ذنبه ، اي ذنب الغدر .

٢ ـ يعدلها : مضارع عدله : وازنه ، ساواه به .

٣ ـ يغشوا : مضارع غشاه : اتاه .

٤ ـ يطأ : مضارع وطئه : علاه برجله وداسه .

٥ ـ يبذل له الود : اي يقدم الحب .

٦ ـ الفضول : الزيادة دون فائدة .

٧ ـ آكد : افعل تفضيل من اكد الشيء ووكده : وثقه واكده .

٨ ـ اعتلفت : اكلت ، اشتركت في الاكل .

٩ ـ يلج : مضارع لج : الحّ .

١٠ ـ الضرع للبقر بمنزلة الثدي للمرأة .

فرَكِبَ على ظهرِ الغَيلَمِ ، فسبَحَ به ؛ حتى إذا تجاوزَ قليلًا ، عرَضَ له قُبحُ ما أضمَرَ في نفسِه مِنَ الغَدرِ ، فنكَسَ رأسَه ، ووقَفَ ، وقالَ في نفسِه : كيفَ أغدرُ بخليلي لكلِمَةٍ قالَتها امرأةٌ مِنَ الجاهلاتِ ؟ وما أدري لعلَّ جارتي قد خدَعَتني ، وكذَبَت بما روَت عَن الأطِبّاءِ !؟ فإنَّ الذَّهَبَ يُجرَبُ بالنّارِ ؛ والرِّجالَ بالأخذِ والعَطاءِ ؛ والدَّوابَّ بالحَملِ والجَري ؛ ولا يَقدِرُ أحدٌ أن يجرِّبَ مكرَ النِّساءِ ، ولا يقدِرُ على كيدِهنَّ وكثرةِ حِيَلِهنَّ .

فقالَ له القِردُ : ما لي أراكَ مُهتمًّا ؟ قالَ الغَيلَمُ : إنَّما هَمّي لأنّي ذكَرتُ أنَّ زوجتي شديدةُ المرَضِ ، وذلك يَمنَعُني من كثيرٍ ممّا أُريدُ أن أبلُغَه من كَرامتِكَ ومُلاطفتِكَ . قالَ القِردُ : إنَّ الذي أعرِفُ من حِرصِكَ على كَرامتي يَكفيكَ مَؤونَةَ[1] التكلُّفِ . قالَ الغَيلَمُ : أجَل[2] ! ومضى بالقِردِ ، ساعةً ، ثمَّ تَوَقَّفَ به ثانيةً ؛ فساءَ ظَنُّ القِردِ ، وقالَ في نفسِه : ما احتباسُ الغَيلَمِ ، وإبطاؤه ، إلّا لأمرٍ ! ولَستُ آمَنُ أن يكونَ قلبُه قد تغيَّرَ لي ، وحالَ عن مَودَّتي ، فأرادَ بي سُوءًا ؛ فإنَّه لا شيءَ أخفُّ وأسرعُ تقلُّبًا مِنَ القَلبِ ؛ وقد يُقالُ : يَنبغي للعاقلِ أن لا يَغفَلَ عَنِ النّاسِ ما في نفسِ أهلِه وولَدِه وإخوانِه وصديقِه عند كلِّ أمرٍ ، وفي كلِّ لحظةٍ وكلِمةٍ ، وعندَ القيامِ والقُعودِ ، وعلى كلِّ حالٍ ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يَشهَدُ على ما في القلوبِ . وقد قالتِ العُلَماءُ : إذا دخلَ قلبَ الصَّديقِ ، عن صديقِه ، رِيبةٌ[3] ، فليأخُذْ بالحَزمِ[4] في التَّحفُّظِ منه ، وليَتفقَّدْ[5] ذلك في لحَظاتِه وحالاتِه ؛ فإن كانَ ما يُظنُّ حقًّا ظَفِرَ بالسَّلامةِ ؛ وإن كانَ باطِلًا ظَفِرَ بالحَزمِ ، ولم يضُرَّه ذلك .

ثمَّ قالَ للغَيلَمِ : ما يحبِسُكَ ، وما لي أراكَ مُهتمًّا كأنَّكَ تُحدِّثُ نفسَكَ مَرَّةً أُخرى ؟ قالَ : يَهُمُّني أنَّكَ تأتي مَنزِلي ، فلا تَجِدُ أمري كما أُحبُّ ،

١ * مؤونة : ثقل وشدة .
٢ * اجل : حرف جواب بمعنى نعم .
٣ * ريبة : شك .
٤ * الحزم : ان يضبط المرء امره ويثق به .
٥ * يتفقد : مضارع تفقد الشيء : طلبه عند غيبته .

لأنَّ زوجتي مريضةٌ. قالَ القِردُ: لا تَغتَمَّ[1] ! فإنَّ الغَمَّ لا يُغني[2] عنك شيئاً ! ولكنِ التَمِسْ ما يُصلحُ زوجتَك مِنَ الأدويةِ والأغذيةِ ؛ فإنَّه يُقالُ : لِيَبذُلْ ذَوو المالِ مالَهم في أربعةِ مَواضعَ : في الصَّدَقةِ ، وفي وقتِ الحاجةِ ، وعلى البنينَ ، وعلى الأزواجِ ، ولا سيَّما إذا كنَّ صالحاتٍ . قالَ الغَيلَمُ : صدَقتَ ؛ وقد قالتِ الأطِبَّاءُ : إنَّه لا دَواءَ لها إلَّا قلبُ قِردٍ . فقالَ القِردُ في نفسِه : واسوءتاه[3] ! لقد أدركَني الحِرصُ والشَّرَهُ ، على كِبَرِ سِنّي ، حتَّى وَقعتُ في شَرِّ وَرطةٍ ؛ ولقد صَدقَ الَّذي قالَ : يعيشُ القانعُ الرَّاضي مستريحاً مَطمئِنّاً ، وذو الحِرصِ والشَّرَهِ يعيشُ ، ما عاشَ[4] ، في تَعَبٍ ونَصبٍ ؛ وإنّي قد احتَجتُ ، الآنَ ، إلى عقلي في التماسِ المَخرَجِ مِمّا وقعتُ فيهِ . ثمَّ قالَ للغَيلَمِ : وما مَنعَكَ ، أصلَحكَ اللهُ ، أن تُعلِمَني ، عند مَنزِلي ، حتَّى كنتُ أحمِلُ قلبي معي ؟ فإنَّ هذه سُنَّةٌ[5] فينا ، مَعاشرَ القِرَدَةِ[6] ، إذا خرَجَ أحدٌ لِزيارةِ صديقٍ له ، خلَّفَ قلبَه عندَ أهلِه ، أو في مَوضِعِه ، لِيَنظُرَ ، إذا نَظرنا الى حُرَمِ[7] المَزورِ ، وليسَ قلوبُنا معَنا . قالَ الغَيلَمُ : واينَ قلبُك الآنَ ؟ قالَ : خلَّفتُه في الشَّجرةِ ، فإن شِئتَ ، فارجِعْ بي إلى الشَّجرةِ ، حتَّى آتيَك بهِ . ففرِحَ الغَيلَمُ بذلِك وقالَ : لقد وافقَني صاحبي بدونِ أن أغدُرَ بهِ ؛ ثمَّ رجَعَ بالقِردِ الى مكانِه ؛ فلمَّا قاربَ السَّاحِلَ ، وثَبَ عن ظهرِه ، فارتقى الشَّجرةَ ؛ فلمَّا أبطأَ على الغَيلَمِ ناداه : يا خليلي ! احمِلْ قلبَكَ ، وانزِلْ ، فقد حَبستَني ! فقالَ القِردُ : هيهاتَ[8] ! لقدِ احتلتَ عليَّ وخدعتَني ، فخدعتُك بمثلِ خديعتِك ، واستدركتُ فارطَ[9] أمري ؛ وقد قيلَ : إنَّ الَّذي يُفسدُه الحِلمُ لا يُصلحُه إلَّا العِلمُ . قالَ الغَيلَمُ : صَدقتَ ! إلَّا أنَّ الرَّجلَ الصَّالحَ يَعترِفُ بزَلَّتِه ؛ وإذا أذنبَ ذَنباً

١ * تغتم : مضارع اغتمّ : حزن .

٢ * لا يغني : مضارع اغنى عنه : نفعه .

٣ * واسوءتاه : واحزني . الواو للندبة .

٤ * ما عاش : ما مصدرية ، والتقدير مدة عيشه .

٥ * سنّة : طريقة .

٦ * معاشر القردة : جماعات ، نصب بفعل الاختصاص ، اي اخصّ معاشر .

٧ * حرم : نساء .

٨ * هيهات : اسم فعل بمعنى بَعُدَ اي بَعُدَ تولّي اليك .

٩ * فارط الامر : ما فات منه .

لم يستحيِ أن يُؤدَّبَ لصدقه في قوله وفعله ؛ وإن وقعَ في وَرطةٍ أمكنه التخلُّصُ منها بحيلته وعقله، كالرَّجلِ الذي يعثُرُ على الأرضِ ، وعليها يَعتمِدُ[1] في نهوضه.

الأسدُ وابنُ آوى[2] والحمارُ

زعموا أنَّه كانَ أسدٌ في أَجَمةٍ[3] ، وكانَ معَه ابنُ آوى يأكلُ من فَضَلاتِ طعامِه ؛ فأصابَ الأسدَ جَرَبٌ ، وضَعُفَ شديدًا ، وجُهِدَ[4] فلم يستطعِ الصَّيدَ. فقالَ ابنُ آوى : ما بالُك يا سيِّدَ السِّباعِ قد تغيَّرَتْ أحوالُك ؟ قالَ : هذا الجربُ الَّذي جَهَدَني ، وليسَ له دواءٌ إلَّا قلبُ حمارٍ وأُذُناهُ ! قالَ ابنُ آوى : ما أيسرَ هذا ! وقد عرفتُ بمكانِ كذا، حمارًا ، مع قصَّارٍ[5] ، يَحمِلُ عليه ثيابَه ، وأنا آتيك به . ثمَّ دَلَفَ[6] الى الحمارِ ، فأتاه ، وسلَّمَ عليه ، وقالَ له : ما لي أراكَ مَهزولًا ؟ قال لسُوءِ تدبيرِ صاحبي ! فإنَّه لا يزالُ يُجيعُ بَطني ، ويُثقِلُ ظَهري ، وما تَجتمِعُ هاتانِ الحالتانِ على جسمٍ ، إلَّا أنحلتاه[7] ، وأسقمتاه! فقالَ له : كيفَ تَرضى المُقامَ ، معَه ، على هذا ؟ قالَ : ما لي حِيلةٌ للهربِ منه ، فلستُ أتوجَّهُ إلى جِهةٍ ، إلَّا أضرَّ بي إنسانٌ ، فكدَّني[8] وأجاعني . قالَ ابنُ آوى : فأنا أدُلُّك على مَكانٍ مَعزولٍ عنِ النَّاسِ ، لا يَمُرُّ به إنسانٌ ، خصيبِ المَرعى ، فيهِ عانةٌ[9] من الحُمُرِ[10] ترعَى آمنةً ، مُطمئِنَّةً . قالَ الحمارُ : وما يَحبِسُنا عنها ؟ فانطلِقْ بنا إليها ؛ فانطلَقَ به نحوَ الأسدِ. وتقدَّمَ ابنُ آوى ، ودخلَ الغابةَ على الأسدِ ، فأخبرَه بمكانِ الحمارِ ؛ فخرجَ الأسدُ إليه ، وأرادَ أن يَثِبَ عليهِ ، فلم يستطِعْ لضُعفِه ، وتخلَّصَ الحمارُ منه ، فأفلتَ هَلِعًا[11] على

١ * يعتمد : مضارع اعتمد عليه: اتَّكأ .
٢ * ابن آوى ما نسمّيه الواوي وجمعه بنات آوى .
٣ * أجمة : شجر كثيف . ملتفّ .
٤ * جُهد : مجهول جهده : التعبه .
٥ * قصّار : مُبيّض الثياب .
٦ * دلف اليه : اسرع .
٧ * انحلتاه : اهزلتاه .
٨ * كدّني : التعبني .
٩ * عانة : قطيع .
١٠ * حُمُر : جمع لحمار الوحش .
١١ * هلعاً : خائفاً . مضطرباً .

وجهه . فلمّا رأى ابنُ آوى أنّ الأسدَ لم يَقدِرْ على الحمارِ ، قال له : يا سيّدَ السِّباعِ ! أعجزتَ إلى هذه الغايةِ[1] ؟ فقال له : إن جئتني بهِ ، مَرّةً أُخرى ، فلن يَنجوَ منّي أبدًا . فمضى ابنُ آوى إلى الحمارِ ، فقال له : ما الّذي جرى عليكَ ؟ إنّ أحدَ الحُمُرِ رآكَ غريباً ، فخرجَ يَتلقّاكَ مُرحّباً بكَ ، ولو ثبتَ لآنَسَكَ ومضى بكَ إلى أصحابهِ . فلمّا سَمِعَ الحمارُ ذلكَ ، ولم يكُن رأى أسدًا ، قطُّ ، صدّقَ ما قالَه ابنُ أُوى ، وأخذَ طريقَه إلى الأسد ؛ فسبَقَه ابنُ آوى إلى الأسدِ ، وأعلمَه بمكانِه ، وقال له : استعدَّ له ، فقد خدَعتُه لكَ ، فلا يُدرِكنَّكَ الضّعفُ في هذه النَّوبةِ[2] ؛ فإنّه إن أفلتَ لن يعودَ معي أبـدًا ؛ والفُرَصُ لا تُصابُ في كلّ وقتٍ . فجاشَ جأشُ[3] الأسدِ لتحريضِ ابنِ آوى له ، وخرجَ إلى موضعِ الحمارِ ، فلمّا بَصُرَ به عاجَلَه بوَثبةٍ افترسَه بها . ثمّ قالَ : قد ذكرتِ الأطبّاءُ أنّه لا يُؤكَلُ إلّا بعدَ الاغتسالِ والطُّهورِ فاحتفِظْ به ، حتّى اعودَ ؛ فآكُلُ قلبَه وأُذُنيه ، وأترُكُ ، ما سِوى ذلكَ ، قوتاً لكَ . فلمّا ذهبَ الأسدُ ليغتسلَ عَمَدَ ابنُ آوى إلى الحمارِ ، فأكلَ قلبَه وأُذُنيه ، رجاءَ أن يَتطيّرَ[4] الأسدُ منه ، فلا يأكُلُ منه شيئاً . ثمّ إنّ الأسدَ رَجَعَ إلى مكانِه فقالَ لابنِ آوى : اينَ قلبُ الحمارِ وأُذُناه ؟ قال ابنُ آوى : ألم تَعلَمْ أنّه لو كانَ له قلبٌ يَعقِلُ به ، وأُذُنانِ يسمَعُ بهما ، لم يرجِعْ اليكَ بعدَ ما أفلتَ ونجا من المَلَكةِ ؟

النّاسكُ وابنُ عِرسٍ

وهو مَثَلُ مَن لا يَتثبّتُ[5] في أمرِه ، بل يفعَلُ أغراضَه بالسُّرعةِ .

زعموا أنّ ناسكاً من النُّسّاكِ كان بأرضِ جُرجانَ ، وكانَت له امرأةٌ صالحةٌ لها معَه صُحبةٌ ؛ فمكثا زماناً لم يُرزَقا ولَدًا ؛ ثم حَمَلَت بعدَ الإياس[6] ،

١ * الى هذه الغاية : الى هذا الحدّ .
٢ * النوبة : الفرصة .
٣ جاش جأشه : حميت نفسه ، مجاز عقلي لعلاقته المصدرية .
٤ * يتطير : مضارع تطيّر من الشيء : تشاءم منه .
٥ * يتثبت : مضارع تثبّت في الامر : تفكر فيه وتأمل .
٦ * الاياس : مصدر أيس من الشيء : قطع رجاءه منه .

فسُرَّت المرأةُ وسُرَّ النَّاسكُ بذلك ، وحمِدَ اللهَ تعالى ، وسأله أن يكونَ الحَمْلُ ذكرًا ؛ وقال لزوجته : أبشري[1] ، فإني أرجو أن يكونَ غُلاماً ، فيه لنا مَنافعُ وقُرَّةُ عَينٍ[2] ، أختارُ له أحسنَ الأسماء ، وأُحضِرُ له جميعَ المؤدبينَ . فقالتِ المرأةُ : ما يَحمِلُك ، أيُّها الرجلُ ! على ان تَتكلَّمَ بما لا تدري أيكون أم لا ؟ لا تَعجَلْ بذِكرِ ما لا يَنبغي ذِكرُه ، وما لا تدري أيَصِحُّ أم لا يَصِحُّ ؟ ولكن ادعُ ربَّك ، وتوسَّلْ إليه ، وتوكَّلْ عليه ؛ فإنَّ التَّصاويرَ في الحائطِ ، إنَّما هي ما دامَ بِناؤه قائمًا ، فإذا وقعَ وتهدَّمَ لم يُقدَرْ عليها . فاتَّعظَ النَّاسكُ بما حكَت زوجتُه . ثمَّ إنَّ المرأةَ ولدَت غُلاماً جميلًا ، ففَرِحَ به أبوه . وبعدَ أيَّام ، حانَ[3] لها أن تغتسلَ ؛ فقالتِ المرأةُ للنَّاسكِ : اقعُدْ عندَ ابنِكَ ، حتَّى أذهَبَ إلى الحَمَّامِ ، فأغتسلَ ، وأعودَ . ثمَّ إنَّها انطلَقَت إلى الحَمَّامِ ، وخلَّفَت زوجَها والغلامَ ؛ فلم يَلبَثْ أن جاء رسولُ الملكِ يستدعيه ، ولم يَجِد مَن يُخلِّفُه عندَ ابنِه ، غيرَ ابنِ عِرسٍ دلجنٍ[4] عندَه ، كان قد ربَّاه صغيرًا ، فهو ، عنـده ، عَديلُ[5] ولَده ؛ فتَركه النَّاسكُ عندَ الصَّبيِّ ، وأغلقَ عليهما البيتَ ، وذهب مع الرَّسولِ . فخرَجَ مِن بعضِ أجحارِ البيتِ حيَّةٌ سوداء ، فدنَت مِنَ الغُلامِ ، فضرَبها ابنُ عِرسٍ ، فوثَبَت عليه فقتَلها ؛ ثمَّ قطَّعها ؛ وامتلأَ فمُه مِن دمِها . ثمَّ جاء النَّاسكُ ، وفتَحَ البابَ ، فالتقاه ابنُ عِرسٍ كالمُشيرِ له بما صنَعَ مِن قتلِ الحيَّةِ ؛ فلمَّا رآه مُلوَّثًا بالدَّمِ ، وهو مذعورٌ ، طار عقلُه ، وظنَّ أنَّه قد خنَقَ ولدَه ، ولم يَتثبَّت في أمرِه ، ولم يَتروَّ[6] فيه ، حتَّى يَعلمَ حقيقةَ الحالِ ، ويَعمَلَ بغيرِ ما ظَنَّ مِن ذلك . ولكن عجَّلَ على ابنِ عِرسٍ بعُكَّازةٍ[7] كانت في يده ، على أمِّ رأسِه[8] ، فمات . ودخَل النَّاسكُ ،

١ * ابشري : أمر من أبشرَ فلان فرح .

٢ * قرة عين : من قرّت عينه تقرُّ وتَقَرُّ : بردَت سروراً ، وانقطع بكاؤها ، وخثَّ دمعها . وقيل إن بردَ الدمع كناية عن السرور ، لان دمع الفرح بارد ودمع الحزن سخن ؛ ومنه القول : اسخن الله عينه : اي ابكاه واحزنه .

٣ * حان : صار الوقت .

٤ * داجن : اسم فاعل من دجن الحيوان صار اليفا .

٥ * عديل : فعيل بمعنى الفاعل من عدله : شابهه وماثله .

٦ * يتروّى : يتأنى ويفكر .

٧ * العكازة : عصا طويلة لها حديدة في اسفلها .

٨ * أم الرأس : الدماغ .

فرأى الغُلامَ سليماً ، حيًّا ، وعندَه أسودُ مُقطَّعٌ ؛ فلمّا عرَف القِصّةَ ، وتبيَّن له سُوءَ فِعلِه ، في العجَلةِ ، لطَم على رأسِه ، وقال : ليتَني لم أُرزَقْ هذا الولدَ ، ولم أعدُدْ هذا الغدرَ . ودَخلتِ امرأتُه ، فوجَدَته على تلك الحالِ ، فقالَت له : ما شأنُك ؟ فأخبرها بالخَبرِ مِن حُسنِ فِعلِ ابنِ عِرسٍ وسُوءِ مكافأتِه له ؛ فقالتِ المرأةُ : هذهِ ثمَرةُ العجَلةِ لأنَّ الأمرَ ، اذا فرَط[1] ، مِثلُ الكلامِ ، إذا خرجَ ؛ والسَّهمُ ، إذا مرَق[2] ، لا مَردَّ له .

النّاسكُ وجَرّةُ السَّمنِ

زعموا أنَّ ناسكاً كان يَجري عليه ، مِن بيتِ رجلٍ تاجرٍ ، في كلِّ يومٍ ، رِزقٌ من السَّمنِ والعَسلِ ؛ وكان يأكُلُ مِنه قُوتَه وحاجتَه ، ويَرفَعُ الباقيَ ، ويَجعَلُه في جرّةٍ ، فيُعلِّقُها في وَتدٍ ، في ناحيةِ البيتِ ، حتّى امتلأت . فبينَما النّاسكُ ، ذاتَ يومٍ ، مُستلقٍ على ظهرِه ، والعُكّازةُ في يدِه ، والجرّةُ معلّقةٌ فوقَ رأسِه ، تفكّرَ في غَلاءِ السَّمنِ والعسَلِ ، فقال : سأبيعُ ما في هذه الجرّةِ بدينارٍ ، واشتري به عَشرَ أعنُزٍ[3] ، فيَحبَلنَ ، ويَلدنَ في كلِّ خمسةِ أشهرٍ مرّةً ؛ ولا تَلبَثُ ، إلّا قليلًا ، حتّى تَصيرَ مَعزًا كثيرًا ، إذا ولدَت أولادُها . ثمَّ حرَرَ[4] على هذا النَّحوِ بسِنينَ ، فوجَد ذلك أكثرَ من أربعمِئةِ عَنزٍ ؛ فقال : انا أشتري بها مِئةَ مِنَ البقَرِ ، بكلِّ أربعِ أعنُزٍ ثَورًا ، أو بقرةً ، وأشتري أرضاً وبَذرًا ، وأستأجرُ أكَرةً[5] ، وأزرَعُ على الثِّيرانِ ، وأنتفعُ بألبانِ الإناثِ ونَتائجِها[6] ؛ فلا تأتي ، عليَّ ، خمسُ سِنينَ ، إلّا وقد أصبتُ ، مِنَ الزَّرعِ ، مالًا كثيرًا ؛ فأبني بيتاً فاخرًا ، وأشتري إماءً[7] وعبيدًا ،

١ * فرط : سبق من غير رويّة .
٢ * مرق السهم : نفذ في الرّميّة .
٣ * اعنز : جمع عنز وهي الانثى من المعز .
٤ * حرّر : قوّم وضبط .
٥ * اكرة : ج أكّار : حارث الارض .
٦ * النتائج : الاولاد .
٧ * إماء : ج أمة : المرأة المستعبدة .

واتزوَّجُ امرأةً صالحةً ، جميلةً ، فتحمِلُ ، ثمَّ تأتي بغلامٍ سَرِيٍّ[1] ، نجيبٍ[2] ، فأختارُ له أحسنَ الأسماءِ . فإذا ترعرعَ[3] أدَّبتُه ، وأحسَنتُ تأديبَه ، وأشدَّدُ عليهِ في ذلكَ . فإن قَبِلَ منّي ، وإلَّا ضَربتُه بهذهِ العُكَّازةِ . وأشار بيدِه إلى الجرَّةِ ، فكسرَها ، فسال ما فيها على وجهه .

١ * سريّ : صاحب مروءة في شرف .
٢ * نجيب : كريم الحسب .
٣ * ترعرع : تحرّك ونشأ .



اللبوءةُ والإسوارُ والشَّهرُ

وهو مثلُ مَن ينصرفُ بضرٍّ يُصيبُه عن ضَرِّ الناسِ .

زعموا أنَّ لَبُوءةً كانَت في غَيضةٍ[٤] ، ولها شِبلانِ ؛ وإنَّها خرجَت في طلَبِ الصَّيدِ ، وخلَّفتهما في كهفِهما[٥] ؛ فمَرَّ إسوارٌ ، فحمَلَ عليهما ، ورماهما ، ففتلَها ، وسلَخَ جِلدَيهما ، فاحتقَبَهما[٦] وانصرفَ بهما الى منزِله . ثمَّ إنَّها رجَعَت ؛ فلمَّا رأت ما حَلَّ بهما ، مِنَ الأمرِ الفظيعِ ، اضطرَبت ، ظَهراً لبَطنٍ ، وصاحَت ، وضجَّت . وكانَ ، الى جَنبِها ، شَهرٌ ؛ فلمَّا سَمِعَ ذلك ، من صِياحِها ، قالَ لها : ما هذا الَّذي تَصنعينَ ، وما نَزَلَ بكِ ؟ أخبِريني به . قالت اللَّبوءةُ : شِبلايَ مَرَّ بهما إسوارٌ ، فقتلَهما ، وسلَخَ جِلدَيهما ، فاحتقَبَهما ، ونَبَذَهما[٧] في العَراء[٨] ! قال الشَّهرُ : لا تَضِجّي ، وأنصِفي من نفسِكِ ، واعلَمي أنَّ الدُّنيا دارُ مُكافأةٍ ؛ ففاعلُ الخَيرِ يَحمَدُه ؛ وفاعلُ الشَّرِّ يَجني ثمَرَه ؛ وإنَّ هذا الإسوارَ لم يأتِ إليكِ[٩] شيئاً ، إلَّا وقد كُنتِ تَفعلينَ بغيرِكِ مِثلَه ، وتأتينَ مِثلَ ذلكَ إلى غيرِ واحدٍ ممَّن كانَ يَجِدُ بحَميمِه[١٠] ، ومَن يَعِزُّ عليه ، مِثلَ

١ * اللبوءة : انثى الاسد .
٢ * الاسوار : الصيّاد الجيّد الرّمي بالسهام .
٣ * الشهر : ابن آوى هندي (واري)
٤ * غيضة : مجتمع شجر .
٥ * الكهف : المغارة وهنا بمعنى المأوى .
٦ * احتقبه : شدّه في مؤخر رحل ركوبته واحتمله .
٧ * نبذهما : طرحهما .
٨ * العراء : الفضاء .
٩ * لم يأتِ اليك : لم يفعل بك .
١٠ * بحميمه : بحزن لما يصيب قريبه بحميمه : يجد الذي يهتمّ بأمره .

ما تجدينَ بشِبلَيكِ ؛ فاصبري من غيرِكِ على ما صبرَ غيرُكِ عليه منكِ ؛ فإنه قد قيلَ : كما تدينُ تُدانُ ؛ ولكلِ عملٍ ثمرةٌ من الثوابِ والعقابِ ، وهما على قدرِه في الكثرةِ والقلةِ ؛ كالزرعِ ، إذا حضرَ الحصادُ ، أعطى على حسبِ بذرِه .

قالتِ اللبوءةُ : بيّن لي ما تقولُ ، وأفصِحْ لي عن إشارتِه ! قال الثعهرُ : كم أتى لكِ من العُمرِ ؟ قالتِ اللبوءةُ : كذا وكذا سنةً . قالَ الثعهرُ : ما كان قُوتُكِ فيه ؟ قالتِ اللبوءةُ : لحمَ الوحشِ . قال الثعهرُ : ومَن كان يُطعِمُكِ إياه ؟ قالتِ اللبوءةُ : كنتُ أصيدُ الوحشَ وآكلُه . قال الثعهرُ : أرأيتِ الوحوشَ التي كنتِ تأكلينَ ، أما كان لها آباءٌ وأُمّاتٌ ؟ قالت : بلى ! قال الثعهرُ : فما بالي[1] لا أرى ، ولا أسمعُ ، لأُولئكَ الآباءِ والأُمّاتِ ، من الجزعِ[2] ما أرى واسمعُ لكِ ؟ أما إنه لم يَنزِلْ بكِ ما نزلَ ، إلا لسوءِ نَظَرِكِ في العواقبِ ، وقلةِ تفكُّرِكِ فيها ، وجهالتِكِ بما يَرجِعُ عليكِ من ضَرِّها . فلمّا سمعتِ اللبوءةُ ذلك ، من كلامِ الثعهرِ ، عرفَت أنَّ ذلكَ مما جنَت[3] على نفسِها ، وأنَّ عملَها كان جورًا وظُلماً ؛ فتركتِ الصيدَ ، وانصرفَت عن أكلِ اللحمِ إلى أكلِ الثمارِ ، والنُسُكِ ، والعبادةِ . فلمّا رأى ذلك ورشانٌ[4] كان صاحبَ تلكَ الغيضةِ ، وكان عيشُه من الثمارِ ، قال لها : قد كنتُ أظنُّ أنَّ الشجرَ ، عامَنا هذا[5] ، لم تحمِلْ لقلةِ الماءِ ؛ فلمّا أبصرتُكِ تأكلينَها ، وأنتِ آكلةُ اللحمِ ، فتركتِ رزقَكِ وطعامَكِ ، وما قسمَ اللهُ لكِ ، وتحوّلتِ إلى رزقِ غيرِكِ ، فانتقصتِه[6] ، ودخلتِ عليه[7] فيه ، علمتُ أنَّ الشجرَ ، العامَ ، أثمرت كما كانَت تُثمِرُ ، قبلَ اليومِ ؛ وإنّما أتت قلةُ الثمرِ من

١ . فما بالي : ما شأني وما حالي .

٢ . الجزع : عدم الصبر .

٣ . جنت على نفسها : جرّت اليها من الذنوب .

٤ . الورشان : طائر يقال له : ساق حرّ . وهو ذكر القماري لان حكاية صوته : ساق حر : او الساق الحمام والحرّ فرخه ، يعني انه فرخ الحمام . ويقال انه الدلم ، وهو من الطيور التي تأتي الشام والعراق .

٥ . عامنا : في عامنا .

٦ . انتقصه : أخذ منه .

٧ . دخلت عليه : كنت دخيلةً على غيرك في اكل الثمر .

جِهَتِكِ ؛ فوَيلٌ للشَّجرِ ! وويلٌ للثِّمارِ ! ووَيلٌ لِمن عيشُهم منها ! ما اسرَعَ هَلاكَهم ، إذا دَخَلَ عليهم في أرزاقِهم ، وغَلَبَهم عليها مَن ليسَ له فيها حَظٌّ ولم يكُن مُعتادًا لأكلِها ! فلمَّا سمِعَتِ اللَّبوءةُ ذلك ، مِن كَلامِ الورَشانِ ، تَرَكَت أكلَ الثِّمار ، وأقبلَت على أكلِ العُشب ، والعِبادةِ .



باب الصائغ والحية

الصائغُ والحيَّةُ والقِردُ والبَبْر[1]

وهو مثلٌ من يضعُ المعروفَ والإحسانَ عند أهلِ الوفاء والكرم.

زعموا أنَّ جماعةً احتفروا رَكِيَّةً[2]، فوقَعَ فيها رجلٌ صائغٌ، وحيَّةٌ، وقِردٌ، وبَبْرٌ. ومَرَّ بهم رجلٌ سائحٌ، فأشرفَ على الرَّكيَّةِ، فبَصُرَ بالرَّجلِ والحيَّةِ والقِردِ والبَبرِ؛ ففكَّرَ في نفسِه، وقالَ: لستُ أعملُ، لآخرتي، عملًا أفضلَ مِن أن أخلِّصَ هذا الرَّجلَ من بينِ هؤلاءِ الأعداء؛ فقد قيل: لم يُؤجَرْ مأجورٌ بأعظمَ مِن أجرِ مَن استحيا نفساً هالكةً؛ ولا عوقِبَ مُعاقَبٌ بأشدَّ مِن عِقابِ مَن كفَّ عن ذلك، وهو قادرٌ عليه، ولو بمَشقَّةٍ، ثمَّ خلا ذَهابَ نفسِه. فأخذ حبلًا، وأدلاه إلى البئرِ، فتعلَّقَ به القِردُ لِخِفَّتِه، فخرَجَ؛ ثمَّ أدلاه ثانيةً، فالتفَّت به الحيَّةُ، فخرَجت؛ ثمَّ أدلاه، ثالثةً، فتعلَّقَ به البَبرُ، فاخرَجه. فشكَرنَ له صنيعَه، وقُلنَ له: لا تُخرِجْ هذا الرَّجلَ مِنَ الركيَّةِ، فإنَّه ليسَ شيءٌ أقلَّ مِن شُكرِ الإنسانِ. ثمَّ قال له القِردُ: إنَّ منزِلي في جبلٍ قريبٍ مِن مدينةٍ يقالُ لها: نُوادَرَخْتُ؛ فقال له البَبرُ: أنا ايضاً، في أجمةٍ[3] إلى جانبِ تلك المدينةِ؛ قالتِ الحيَّةُ: وانا في سُورِ تلك المدينةِ، فإن مررتَ بنا، يوماً من الدَّهرِ، واحتجتَ إلينا، فصوِّتْ علينا، حتَّى نأتيَكَ فنُجزيَكَ بما أسديتَ[4] الينا من المعروفِ. فلم يَلتفِتِ السَّائحُ إلى ما قالوا له من قِلَّةِ شُكرِ

١ * الببر: سبع هندي يعادل الاسد في عظم الجثة والقوة. الا انه اشد منه فتكا. وهو ابيض البطن والجانبين، مع صفرة، ومخطط بخطوط سود.

٢ * الركية: البئر ذات الماء.

٣ * الاجمة: الشجر الكثير الملتف.

٤ * اسدى اليه: احسن اليه.

الإنسانِ ، وأدلى الحبلَ ، فأخرجَ الصَّائغَ ، فسجَدَ له ، وقال : لقد أوليتَني[1] معروفاً ، فإن مررتَ يوماً من الدَّهر ، بمدينةِ نُوادَرْخَتَ ، فأسألْ عن منزِلي ، وأنا رجلٌ صائغٌ ، واسمي فلانٌ ، لعلِّي أُكافئُكَ بما صَنعتَ إليَّ مِنَ المعروفِ . فانطلقَ الصَّائغُ إلى مدينتِه ، وانطلقَ السَّائحُ إلى وجهتِه . فعرَضَ ، بعدَ ذلك ، أنَّ السَّائحَ اتَّفقَت له حاجةٌ إلى تلك المدينةِ ، فانطلقَ ، فاستقبَلَه القِردُ ، فسجَدَ له ، وقبَّلَ رجلَيه ، واعتذرَ اليه ، وقال : انَّ القرودَ لا يَملكون شيئاً ، ولكنِ اقعُد ، حتَّى آتيَكَ . وانطلقَ القِردُ ، وأتاه بفاكهةٍ طيِّبةٍ ، فوضعَها بينَ يَديهِ ، فأكلَ منها حاجتَه .

ثمَّ إنَّ السَّائحَ انطلقَ ، حتَّى دنا من بابِ المدينةِ ، فاستقبلَه البَرُ ، فخرَّ له ساجداً ، وقال له : إنَّكَ قد أوليتَني معروفاً ، فاطمئِنْ[2] ، ساعةً ، حتَّى آتيَكَ . فانطلقَ البَرُ ، فدخل ، في بعضِ الخِيطانِ ، الى بِنتِ الملكِ ، فقتَلها ، وأخذَ حَليَها[3] ، فأتاه بهِ مِن غيرِ أن يَعلَمَ السَّائحُ مِن اينَ هو ؟ فقال في نفسِه : هذهِ البَهائمُ قد أولَتني هذا الجَزاءَ ، فكيفَ لو أتيتُ الصَّائغَ ؟ فإنَّه وإن كان مُعسِراً[4] ، لا يَملكُ شيئاً ، فسَيبيعُ هذا الحَليَ ، فيستوفي ثمنَه ، فيُعطيني بعضَه ويأخُذُ بعضَه ، وهو أعرفُ بثمنِه . فانطلقَ السَّائحُ ، فأتى الصَّائغَ ؛ فلمَّا رآه رحَّبَ[5] بهِ ، وأدخلَه بيتَه . فلمَّا بَصُرَ بالحَليِ معَه عرَفَه ، وكان هو الَّذي صاغَه لابنةِ الملكِ . فقال الصَّائغُ : اطمئِنْ ، حتَّى آتيَكَ بطَعام ، فلستُ أرضى لكَ ما في البيتِ . ثمَّ خرج ، وهو يقولُ : قد أصبتُ فُرصتي[6] ؛ أُريدُ أن أنطلِقَ إلى الملكِ وأدُلَّه على ذلك ، فتَحسُنَ مَنزِلتي عندَه . فانطلقَ إلى بابِ الملكِ ، فأرسلَ إليه : أنِ الَّذي قَتلَ ابنتَكَ ، وأخذَ حَليَها ، عندي . فأرسلَ الملكُ وأتى بالسَّائحِ ؛ فلمَّا نظَرَ الحَليَ معَه لم يُمهِلْه ، وأمرَ بهِ أن يُعذَّبَ ،

١ . اولاه المعروف : صنعه اليه .
٢ . اطمئن : أمر من اطمأنَّ الى كذا : سكن واَمن له . والمراد به هنا : استرح .
٣ . الحلي : ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات والحجارة الكريمة
٤ . المُعسِر : الضيق الحال .
٥ . رحّب به : قال له مرحبا .
٦ . فرصتي : وقتي .

ويُطافَ[1] به في المدينةِ ، ويُصلَبَ . فلمَّا فعلوا به ذلك ، جعلَ السَّائحُ يبكي ، ويقول بأعلى صوته : لو أني أطعتُ القِرد والحيَّةَ والبَبرَ فيما أمرتني بهِ ، وأخبرتني مِن قِلَّةِ شُكرِ الإنسانِ ، لم يَصِر[2] أمري إلى هذا البَلاء[3] . وجعلَ يكرِّرُ هذا القولَ ؛ فسمِعَت مَقالَتَه الحيَّةُ ، فخَرجَت من جُحرِها ، فعرَفَته ، فاشتَدَّ عليها أمرُه ، فجعلَت تَحتالُ في خَلاصِه ؛ فانطلَقَت ، حتَّى لدَغَت[4] ابنَ الملكِ ؛ فدعا الملكُ أهلَ العِلمِ ، فرَقَوه[5] ليَشفُوه ، فلم يُغنُوا[6] عنه شيئاً .

ثمَّ مضت الحيَّةُ إلى أُختٍ[7] لها مِنَ الجنِّ ، فأخبرَتها بما صَنعَ السَّائحُ إليها مِنَ المعروفِ ، وما وقعَ له ؛ فرَقَّت له ، وانطلقَت إلى ابنِ الملكِ ، وتراءَت له[8] ، وقالَت : إنَّكَ لا تَبرأُ[9] ، حتَّى يَرقيَكَ هذا الرَّجلُ الَّذي عاقبتموه ظُلماً . وانطلقَتِ الحيَّةُ إلى السَّائحِ ، فدخلَت إليهِ السِّجنَ ، وقالَت له : هذا الَّذي كُنتُ نَهيتُكَ عنه مِنَ اصطناعِ المعروفِ إلى هذا الإنسانِ ، ولم تُطِعني . وأتَته بورَقٍ يَنفَعُ مِن سُمِّها ، وقالَت له : إذا جاؤوا بكَ لتَرقيَ ابنَ الملكِ ، فاسقِه مِن ماءِ هذا الورقِ ، فإنَّه يَبرأُ ؛ وإذا سألكَ الملكُ عن حالِكَ ، فاصدُقْهُ ، فإنَّكَ تَنجو ، إن شاءَ اللهُ . وإنَّ ابنَ الملكِ أخبرَ أباه : أنَّه سمِعَ قائلًا يقولُ : إنَّكَ لن تَبرأَ ، حتَّى يَرقيَكَ السَّائحُ الَّذي حُبِسَ ظُلماً . فدعا الملكُ بالسَّائحِ ، وأمرَه أن يَرقيَ ولدَه ؛ فقال : لا أُحسِنُ الرَّقيَ ، ولكنْ أسقيهِ مِن ماءِ هذهِ الشَّجرةِ ، فيَبرأُ بإذنِ اللهِ تعالى . فسقاه فبَرِئَ الغُلامُ . ففرِحَ الملكُ بذلك ، وسألَه عَن قِصَّتِه ، فأخبرَه ، فشكرَه الملكُ ، وأعطاه عَطيَّةً ، وأمرَ بالصَّائغِ أن يُصلَبَ ، فصلَبوه لكَذِبِه ، وانحرافِه عنِ الشُّكرِ ، ومُجازاتِه الفِعلَ الجميلَ بالقبيحِ .

١ * يطاف به : اي ان يُركب على حيوان ويدار به في المدينة .

٢ * يصر : مضارع صار اليه ، مجزوم بلم ، اي ينتهي اليه امري .

٣ * البلاء : الغم والمشقة .

٤ * لدغت : لسعت .

٥ * رقوه : عوّذوه ونفثوا في عوذته ، وهو ضرب من التخريف في معالجة الملسوعين .

٦ * يغنوا عنه : مضارع اغنى عنه : نفعه .

٧ * الاخت : هنا بمعنى الصديقة .

٨ * تراءى له : تظاهر له .

٩ * لا تبرأ : مضارع بَرَأَ ويُرى : شفي من داله ، اي لا تشفى ولا تتعافى .



باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين [1]

الحمامةُ والثَّعلبُ ومالِكُ الحزين

وهوَ مثلُ الَّذي يَرى الرأيَ لغيرِه ، ولا يَراه لنفسِه .

زعموا أنَّ حمامةً كانَت تُفرِخُ في رأسِ نَخلةٍ طويلةٍ ، ذاهبةٍ في السَّماءِ . فكانَتِ الحمامةُ تَشرَعُ في نَقلِ العُشِّ إلى رأسِ تلكَ النخلةِ ، فلا يُمكِنُها ما تَنقُلُ مِنَ العُشِّ ، وتَجعلُه تحتَ البيضِ ؛ إلَّا بعدَ شِدَّةٍ وتَعَبٍ ومَشقَّةٍ ، لطُولِ النخلةِ ، وسُحقِها [2] . وكانَت ، اذا فَرغَت مِنَ النَّقلِ ، باضَت ، ثمَّ حَضَنَت [3] بيضَها ؛ فإذا انقاضَ [4] ، وأدركَ [5] فِراخُها ، جاءها ثَعلبٌ قد تَعهَّدَ [6] ذلكَ منها ، لوقتٍ قد عَلِمَه ، رَيثَما [7] يَنهَضُ فِراخُها ، فوقَفَ بأصلِ النَّخلةِ ، فصاحَ بها ، وتَوعَدَها [8] أن يَرقى إليها ، أو تُلقِيَ إليه فِراخَها ، فتُلقيها إليه . فبينما هي ، ذاتَ يومٍ ، وقد أدركَ لها فِرخانِ ، إذ أقبلَ مالِكُ الحزينِ ، فوقَعَ [9] على النَّخلةِ ؛ فلمَّا رأى الحمامةَ كئيبةً حزينةً ، شديدةَ الهَمِّ ، قال لها : يا حمامةُ ! ما لي أراكِ كاسِفةَ البالِ ، [10] سيِّئةَ الحالِ ؟ فقالَت له : يا مالِكُ

١ * مالك الحزين : ويقال له : البلشون ، طائر من طيور الماء ، زعموا أنه دعي بذلك لأنه لا يزال يقعد بقرب الماء وهو اضعف نبعها من الانهار ، فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزينا كئيبا ، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشا خوفا من زيادة نقصها إذا شرب منها .

٢ * السُحق : البعد .

٣ * حضنت بيضها : ضمته تحت جناحيها ، ورخمت عليه للتفريخ . استعمل الماضي في « باضت وحضنت » للمضارع تبيض وتحضن ، وهو استعمال بليغ .

٤ * انقاض البيض : الكسر وخرجت منه الافراخ .

٥ * ادرك : بلغ .

٦ * تعهّد : تفقد وعرف .

٧ * ريثما : الى ان .

٨ * توعدها : تهددها .

٩ * وقع الطائر : سقط ونزل .

١٠ * كاسفة البال : متغيرة ، عابسة .

الحزينُ : إنَّ ثعلباً دُهِيتَ[1] بهِ ، كلَّما كانَ لي فرخانِ ، جاءني يتهدَّدُني ، ويَصيحُ في أصلِ النَّخلةِ ، فأفرَقُ[2] منه ، فأطرَحُ إليه فرخيَّ ! قال مالكٌ الحزينُ : إذا أتاكَ ليفعَلَ ما تقولين ، فقُولي له : لا أُلقي إليكَ فرخيَّ ! فارقَ إليَّ ، وغرِّرْ[3] بنفسِكَ ؛ فإذا فعلتَ ذلك ، وأكلتَ فرخيَّ ، طِرتُ عنكَ ، ونجوتُ بنفسي . فلمَّا علَّمَها مالكٌ الحزينُ هذه الحيلةَ ، طارَ ، فوقَعَ على شاطىءِ نهرٍ . وأقبلَ الثَّعلبُ ، في الوقتِ الذي عرفَ ، فوقفَ تحتَ النَّخلةِ ، ثمَّ صاحَ ، كما كانَ يفعَلُ ؛ فأجابَته الحمامةُ بما علَّمَها مالكٌ الحزينُ ؛ فقال لها : أخبريني مَن علَّمَكِ هذا ؟ قالت : علَّمَني مالكٌ الحزينُ . فتوجَّهَ الثَّعلبُ ، حتَّى أتى مالكاً الحزينَ ، على شاطىءِ النَّهرِ ، فوجَدَه واقفاً ؛ فقال له الثَّعلبُ : يا مالكُ الحزينُ ، إذا أتتكَ الرِّيحُ عن يمينِكَ فأينَ تجعَلُ رأسَكَ ؟ قال : عن شِمالي . قال : فإذا أتتكَ عن شِمالِكَ أينَ تجعَلُ رأسَكَ ؟ قال : عن يميني ، أو خلفي . قال : فإذا أتتكَ من كلِّ مكانٍ وكلِّ ناحيةٍ ، أين تجعَلُه ؟ قال : أجعَلُه تحتَ جَناحيَّ . قال : وكيفَ تستطيعُ أن تجعَلَه تحتَ جَناحيكَ ؟ ما أُراه[4] يتهيأُ لكَ[5] . قال : بلى ! قال : فأرِني كيفَ تصنَعُ ؟ فلَعَمري ، يا معشرَ الطَّيرِ ، لقد فضَّلَكمُ اللهُ علينا ! إنَّكنَّ تدرينَ ، في ساعةٍ واحدةٍ ، مثلَ ما ندري في سنةٍ ، وتَبلُغنَ ما لا نَبلُغُ ، وتُدخِلنَ رؤوسَكنَّ تحتَ أجنحتِكنَّ مِنَ البَردِ والرِّيحِ ، فهنيئاً لكنَّ ! فأرِني كيفَ تصنَعُ ؟ فأدخلَ الطَّائرُ رأسَه تحتَ جَناحيه ، فوثَبَ عليه الثَّعلبُ ، مكانَه[6] ، فأخذَه ، فهمَزَه[7] همزةً دقَّ[8] عُنُقَه ؛ ثمَّ قال : يا عدوَّ نفسِه ! ترى الرَّأيَ للحمامةِ ، وتُعلِّمُها الحيلةَ لنفسِها ، وتعجِزُ عن ذلك لنفسِك ، حتَّى يتمكَّنَ منك عدوُّكَ ؟ ثمَّ قتلَه وأكلَه .

١ * دهيتُ : بُليت واصبت منه بشر .

٢ * أفرق : مضارع فرق منه : خاف .

٣ * غرّر : امر من غرّر بنفسه . عرّضها للهلكة .

٤ * اراه : اظنه .

٥ * يتهيأ لك : مضارع توهأ له الامر : امكنه .

٦ * مكانه : اي في مكانه .

٧ * همزه : ضغطه وعصّه .

٨ * دقّ عنقه : كسره .

الجاحظ

٧٧٥؟ - ٨٦٨م

هو ابو عثمان عمر بن بحر من موالي كنانه . كان قصير القامة ، جهمَ الوجه ، مشوّهَه ، ناتئَ العينين ، فلقب بالجاحظ . على ان خفة روحه ، ولطيف نكتته كانتا تستران دمامة خلقه ، وتجملانه حسن المعاشرة ، ظريف المحادثة ؛ فيقصده الادباء ليتفكهوا باحاديثه ومازحته .

ولد في البصرة ، وثقف العلم فيها على شيوخه ، والادب على أئمته ؛ ثم ذهب الى بغداد وأخذ علم الكلام ، والاعتزال عن شيخ المعتزلة ابي اسحق ابرهيم النظّام ؛ واطّلع على كل العلوم المعروفة في عصره ، ونظر فيها ، فاتسعت ثقافته واجتمعت له علوم الدين والفلسفة ، والمنطق والطبيعيات ، والاجتماع والتاريخ ، والسياسة والفلك ، والحيوان والنبات ، والموسيقى والغناء . فجمع فيها بين دقة تعليلاته والنظريات القديمة ، يعتمد في ابحاثه كلها على عقله المتّزن ، وحرية فكره ، وذكائه الغريب ؛ فلا يقبل منها الا ما يوافق عقله ، وما تؤيده اختباراته .

وكان ذا شخصية مرحة ، مطبوعة على التهكم الناعم والسخر اللطيف . فصوّر احوال عصره ، وحياة اهل زمانه صورًا امتزج فيها الجد بالعبث ، والنقد للاخلاق والعادات بالفكاهة والدعابة ، والصور التامة المستوفية لدقائق مواضيعه بالاختراع والتوليد . كل ذلك في اسلوب رقيق ، مطبوع ، جمله رشيقة ، محرّرة من التصنّع والتكلّف ، مقطّعة احيانًا ومرسلة حينًا ، تدل على مقدرة صاحبها الانشائية ، وامامته في الادب . وتجمل ابحاثه العلمية لكتبه تلك الصفة التي وصفها بها ابن العميد بقوله :

« كتب الجاحظ تعلم العلم اولًا والادب ثانيًا . »

وقد اصيب الجاحظ ، في أواخر ايامه ، بالفالج والنِّقرس ، فعاد من بغداد الى البصرة ، مسقط رأسه ، ومات فيها .

آثاره

آثار الجاحظ كثيرة تناول فيها الحياة الدينية والفلسفية، والعلمية والادبية، والفنية والاجتماعية والاقتصادية، وكل ما كان من اغراض في عصره وفي العصور التي تقدمته.

واشهر هذه الاثار: الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء:

الحيوان

كتاب في سبعة اجزاء جمع فيها الجاحظ ما انتثر في كتب العلم والادب، وما تناقلته الالسنة من اقوال واحكام وامثال واشعار في الحيوانات والطيور والحشرات والهوامّ، وطبائعها، وعلاقتها بالانسان؛ واورد كثيراً من النوادر والاحاديث، ومما حكي عن نيران العرب والنار عندهم؛ وذكر «ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن وضع الله واحكامه وتدبيره».

البيان والتبيين

كتاب في ثلاثة أجزاء مجموعة في مجلد واحد، بحث فيه الجاحظ في البيان والخطابة والخطباء، والسّجع، والشعر والشعراء، والنسّاك والزهّاد، واللحن واللحّانين، وأورد كثيراً من الخطب والاحاديث والنوادر.

البخلاء

كتاب في جزئين وصف فيه الجاحظ البخلاء ونقل اقوالهم، وصوّر مختلف حالاتهم مما رآه بنفسه او سمعه بأذنه؛ واورد نوادر عن اصدقائه الموصوفين بالبخل من علماء وأدباء؛ وذكر احتجاجات البخل وعليه؛ وتكلم على مآدب العرب، وعلى ما حسن من مآكلهم وما خشن وقبح، وما قيل في ذلك من الشعر.

وقد اعتمدنا في كتاب الحيوان النسخة التي حققها وشرحها عبد السلام محمد هارون، وطبعت في مصر سنة ١٩٣٨ م. وفي البيان والتبيين النسخة التي حققها وشرحها حسن السندوبي وطبعت في مصر سنة ١٩٣٢ م. وفي البخلاء النسخة التي ضبطها وشرحها وصحّحها احمد العوامري وعلي الجارم وطبعت في مصر ١٩٣٨م.



أقسامُ الكائنات

واقولُ : إنَّ العالَمَ بما فيه منَ الاجسامِ على ثلاثةِ أنحاء: مُتَّفِقٍ ، ومُختَلِفٍ ومُتضادٍ ؛ وكلُّها في جملةِ القولِ جَمادٌ ونامٍ[1] . وكان حقيقةُ القولِ في الأجسام مِن هذهِ القسمةِ ، أن يقالَ : نامٍ وغيرُ نامٍ. ولو أنَّ الحكماءَ وضعوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعوا للنَّامي اسماً ، لاتَّبعنا أثرَهم ؛ وإنَّما ننتهي الى حيثُ انتهَوا . وما اكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهم : جَمادٌ ، كدلالةِ قولِهم : مَوَاتٌ[2] . وقد يفترقانِ في مواضعِ الافتراقِ . وإذا أخرجتَ ، من العالَمِ ، الافلاكَ والبروجَ والنُّجومَ والشَّمسَ والقمرَ ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تَجِدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَمادٍ ولا مَوَاتٍ . وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاءِ أنفُسِها لم تُسَمَّ مَوَاتاً ولا جماداً.

وناسٌ يجعلونها مُدبِّرةً[3] ؛ وناسٌ غيرَ مدبِّرةٍ ؛ ويَجعلونها مُسخَّرةً[4] وغيرَ مُسخَّرةٍ ؛ ويَجعلونها احياءً منَ الحيوانِ ، إذ كانَ الحيوانُ إنما يُحيا بإحيائِها له ، وبما تُعطيه وتُعيرُه . وإنَّما هذا منهم رأيٌ ؛ والأُممُ في هذا كلِّه على خلافِهم. ونحنُ في هذا الموضعِ إنَّما نُعبِّرُ عن أُمَّتِنا ، وليس في أُمَّتنا إلا ما ذكرنا.

والناسُ يُسمُّون الارضَ جَماداً ، وربَّما يَجعلونها مَواتاً إذا كانت لم تُنبِت قديماً ؛ وهي مَوَاتُ الأَرضِ ، وذاك كقولِهم : مَن أحيا ارضاً مَواتاً فهيَ لهُ .

١ * الجماد : ما لا نفس له ، او ما ليس بدارك ، وما ليس بنام كالحجر والتراب ◉ والنامي : ما وجدت فيه القوّة التي فعلها النموّ.

٢ * الموات : ما لا روح فيه . وارض موات : لا تنبت.

٣ * مدبّرة : مرتبة ومنظمة حظوظ الخلق.

٤ * مسخرة : اشارة الى قول الآية : وسخر لكم الشمس والقمر دائبين . والتسخير : ان تكلف احداً عملاً بلا اجرة.

وهم لا يجعلون الماء والنارَ والهواء جماداً ولا مواتاً ؛ ولا يُسمّونها حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لا تُضافُ الى النّماء والحِسّ .

والأرضُ هي أحدُ الاركانِ الاربعة ، الّتي هيَ : الماء والأرضُ والهواء والنّارُ ؛ والاسمان لا يتعاوران عندهم إلّا الارضَ .

تقسيمُ النّامي

ثمّ النّامي على قسمين : حيوانٌ ونباتٌ . والحيوانُ على أربعةِ أقسام : شيءٌ يَمشي ، وشيءٌ يَطيرُ ، وشيءٌ يَسبَحُ ، وشيءٌ يَنساحُ[1] . إلّا أنّ كلّ طائرٍ يمشي ، وليس الّذي يمشي ولا يَطيرُ يسمّى طائراً . والنّوعُ الّذي يَمشي على اربعةِ أقسام : ناسٌ ، وبَهائمُ[2] ، وسِباعٌ[3] ، وحشراتٌ[4] . على أنّ الحشراتِ راجعةٌ في المعنى الى مُشاكَلةِ[5] طِباعِ البهائمِ والسِّباعِ . إلّا أنّنا في هذا كلّهِ نَتبَعُ الاسماءَ القائمةَ المعروفةَ ، البائناتِ بأنفُسِها ، المُتميّزاتِ عند سامعيها ، من اهلِ هذهِ اللُّغةِ وأصحابِ هذا اللّسانِ . وإنّما نُفرِدُ ما أفرَدوا ، ونَجمَعُ ما جمَعوا .

أقسامُ الطّيرِ

والطّيرُ كلُّ سَبُعٍ وبَهيمةٍ وهَمَجٍ[6] ؛ والسّباعُ مِنَ الطّيرِ على ضربينِ : فمِنها العتاقُ[7] والأحرارُ[8] والجَوارحُ ؛ ومِنها البُغاثُ[9] ، وهو كلُّ ما عَظُمَ مِنَ الطّيرِ سَبُعاً كان أو بهيمةً ، إذا لم يكن من ذواتِ السِّلاحِ والمخالبِ[10] المُعقَّفةِ[11] ،

١ . ينساح : مضارع الساح : مشى على بطنه .

٢ . البهائم : ج البهيمة : كل حيوان لا عقل له ، وكل ما لا تطق له ، وذلك لما في صوته من الابهام ؛ وكل ذوات اربع قوائم ولو في الماء ، ما عدا السباع والطير .

٣ . سباع : ج سبع : المفترس من الحيوان مطلقاً .

٤ . حشرات : ج حشرة : وهي الهوام او صغار دواب الارض .

٥ . مشاكلة : مصدر شاكله : ماثله .

٦ . الهمج : ج الهمجة : ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وغيرها .

٧ . العتاق من الطير : الجوارح اي الصيادة .

٨ . الاحرار : ج الحر : خيار كل شيء .

٩ . البغاث : مثلثة الباء : طائر اغبر ، ج بغثان ، وشرار الطير .

١٠ . المخالب : ج المخلب : ظفر كل سبع من الماشي والطائر ، او هو لما يصيد من الطير ، والظفر لما لا يصيد .

١١ . المعقفة : اسم مفعول من عقف الشيء : عوّجه .

كالنُّسورِ والرَّخمِ[١] والغِربانِ ، وما أشبهها من لِئامِ السِّباعِ .

ثمَّ الخُشاشُ[٢] ، وهو ما لَطُفَ جِرمُه وصَغُرَ شخصُه ، وكانَ عديمَ السِّلاحِ ، لا كالزُّرَّقِ[٣] واليُؤيُؤِ[٤] والبادنجارِ[٥] .

فأمَّا الهَمَجُ فليسَ منَ الطَّيرِ ولكنَّه ممَّا يَطيرُ ؛ والهَمَجُ فيما يطيرُ كالحشراتِ فيما يَمشي .

والحيَّاتُ منَ الحشراتِ ؛ وأيُّ سَبُعٍ أدخلُ في معنى السَّبُعيَّةِ من الأفاعي[٦] والثَّعابينِ[٧] ؟ ولكنْ ليس ذلك مِن أسمائِها ، وإن كانَت من ذَواتِ الأنيابِ ، وأكَّالةِ اللُّحومِ ، وأعداءِ الإنسِ ، وجميعِ البهائمِ . ولذلك تأكُلُها الأوعالُ[٨] ، والخَنازيرُ ، والقنافذُ[٩] ، والعِقبانُ ، والشَّاهَمَرْكُ[١٠] ، والسَّنانيرُ ، وغيرُ ذلك منَ البهائمِ والسِّباعِ . فمَن جَعَلَ الحيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك ، عند بعضِ القولِ والسَّبَبِ ، فقد اصاب ؛ ومَن جعَلَ ذلك لها كالاسمِ ، الَّذي هو العلامةُ ، كالكلبِ والذِّئبِ والأسَدِ ، فقد أخطأ .

ومِن سِباعِ الطَّيرِ شَكلٌ يكونُ سِلاحُه المَخالبَ ، كالعُقابِ وما أشبهها ؛ وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المَناقيرَ ، كالنُّسورِ والرَّخمِ والغِربانِ ؛ وإنَّما جعلناها سِباعاً لأنَّها أكَّالةُ لُحومٍ .

ومن بَهائمِ الطَّيرِ ما يكونُ سِلاحُهُ المَناقيرَ ، كالكَراكيِّ[١١] وما أشبهها ؛

١ . الرخم : ج الرخمة : طائر ابقع ، اصلع الراس ، اصفر المنقار ، ويقال له الانوق ، ويسمى في لبنان الشوحة .

٢ . الخشاش : العصافير ونحوها ، وحشرات الارض . سميت كذلك لانها تخش اي تدخل في الشقوق والاجحار .

٣ . الزرق : طائر يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختل وخبث . وهو اسود الظهر ابيض البطن ، احمر العينين ، اصفر الرجلين .

٤ . اليؤيؤ : طائر كنيته ابو رياح ، من جوارح الطير ، ويشبه الباشق ، ويسمى في الشام الجلم لخفة جناحيه وسرعتهما .

٥ . البادنجار : لا وجود لهذه اللفظة في المعاجم .

٦ . الافاعي : ج الافعى : حية دقيقة العنق ، عريضة الراس ، قصيرة الذنب ، خبيثة جداً .

٧ . الثعابين : ج الثعبان : حية عظيمة الجرم بعضها غير سام وبعضها من اخبث الحيات كالاصلال .

٨ . الاوعال : ج الوعل : جنس من المعز الجبلية له قرنان قويان منحنيان كسيفين احدبين ، يلتقيان حول ذنبه من اعلاه .

٩ . القنافذ : ج قنفذ : حيوان من آكلات الحشرات اكبر من الجرذ قليلاً ، جسمه مغطى بشوك قصير .

١٠ . الشاهمرك : الفتي من الدجاج قبل ان يبيض بايام قلائل . وهو معرّب شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير .

١١ . الكراكي : ج الكركي : طائر كبير اغبر اللون ابتر الذنب طويل العنق والرجلين . ويعرف ايضاً بالرهو والغرنوق .

ومنهُ ما يكونُ سِلاحُهُ الأسنانَ ، كالبُومِ والوَطْواطِ وما أشبهها ؛ ومنهُ ما يكونُ سِلاحُهُ الصَّياصي[١] ، كالدِّيكَةِ ؛ ومنها ما يكونُ سِلاحُه السَّلَحَ[٢] ، كالحُبارى[٣] والثَّعلبِ.

والسَّبُعُ من الطَّيرِ ما أكلَ اللَّحمَ خالصاً ؛ والبهيمةُ ما أكلَ الحَبَّ خالصاً.

والمشتركُ ، عندَهم ، كالعُصفورِ ، فإنَّهُ ليسَ بذي مِخلَبٍ مُعقَّفٍ ولا مِنسَرٍ[٤].

وهو يَلقطُ الحَبَّ ، وهو ، مع هذا ، يَصيدُ النَّملَ ، إذا طارَ ، ويصيدُ الجَرادَ ، ويأكلُ اللَّحمَ ، ولا يَزُقُّ[٥] فِراخَهُ كما تَزُقُّ الحَمامُ ، بل يُلقِمُها كما تُلقِمُ السِّباعُ من الطَّيرِ فِراخَها ؛ وأشباهُ العَصافيرِ ، من المُشتركِ ، كثيرٌ.

وليسَ كلُّ ما طارَ بجناحينِ فهوَ منَ الطَّيرِ ؛ قد يَطيرُ الجُعلانُ[٦] والحَجَلُ واليَعاسيبُ[٧] ، والذُّبابُ والزَّنابيرُ والجَرادُ ، والنَّملُ والفَراشُ والبَعوضُ ، والأَرَضَةُ[٨] والنَّحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يُسمَّى طَيراً . وقد يُقالُ لها ذلك عندَ بعضِ الذِّكرِ والسَّبَبِ . وقد يُسمُّونَ الدَّجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجَرادَ ، والجَرادُ أطيَرُ ، والمَثَلُ المَضروبُ بهِ أشهرُ . والملائكةُ تَطيرُ ، ولها أجنحةٌ وليست من الطَّيرِ ؛ وجَعفَرُ بنُ ابي طالبٍ ذو جَناحَينِ يطيرُ بهما في الجَنَّةِ ، حيثُ شاءَ ، وليسَ جعفرٌ من الطَّيرِ.

واسمُ طائرٍ يقَعُ على ثلاثةِ أشياءَ : صورةٍ ، وطبيعةٍ ، وجَناحٍ . وليسَ بالرِّيشِ والقَوادمِ[٩] والأباهرِ[١٠] والخَوافي[١١] يُسمَّى طائراً ، ولا بعدمِهِ[١٢] يسقُطُ ذلك

١ * الصياصي : ج صيصة وصيصية : شوكة الديك.

٢ * السَّلح : مصدر سلح الطائر : أخرج حدثه من بطنه.

٣ * الحُبارى : طائر من طيور البر بعظم الدجاجة لا طويلة الرجلين ولا قصيرتهما ، طويلة العنق والذنب . ويقال لها ايضاً دجاجة البر . وتسمى ذكرها الخرب.

٤ * المنسر ، كمجلس ومنبر : منقار الطير.

٥ * يزق : مضارع زقّ الطائر فرخه : اطعمه بمنقاره.

٦ * الجعلان : ج جُعل : خنفسة سوداء مشهورة ، كنيتها ابو جعران وام جعران ، وام جعرانة.

٧ * اليعاسيب : ج اليعسوب : دويبة ذات اجنحة اربعة ترى واقفة على عود لا تطبق اجنحتها ابداً.

٨ * الارضة : حشرة بيضاء تبني لنفسها شبه دهليز ، لها مشفران تنقر بهما الخشب.

٩ * القوادم : ج القادمة : عشر ريشات في مقدم الجناح.

١٠ * الاباهر : ج الابهر : الجانب الاقصر من الريش.

١١ * الخوافي : ريشات اذا ضم الطائر ريشه خفيت . واحدتها خافية.

١٢ * بعدمه : اعاد الضمير مفرداً مذكراً الى لفظ الريش.

عنه. ألا ترى أنّ الخُفّاش[١] والوَطواط من الطير، وان كانا أمرَطين ليس لهما ريشٌ، ولا زَغَب[٢] ولا شكيرٌ[٣] ولا قصَبٌ[٤]؛ وهما مشهوران بالحَمل والولادة، وبالرَّضاع، وبظهور حجم الآذان وبكثرة الأسنان. والنَّعامة ذاتُ ريش ومِنقار وبَيض وجَناحين وليست من الطير.

وليس ايضاً كلُّ عائم سَمكةً، وان كانَ مُناسباً للسَّمك في كثير من معانيه. ألا ترى أنّ في الماء كلبَ الماء، وعنزَ الماء، وخنزيرَ الماء؛ وفيه الرَّقُّ[٥] والسُّلحفاةُ؛ وفيه الضِّفدَعُ؛ وفيه السَّرطانُ، والبَيْنيبُ[٦]، والسِّماحُ والدُّخس[٧] والدُّلفين[٨]، واللَّخم[٩] والبَنْبَك[١٠] وغيرُ ذلك من الأصناف. والكوسَجُ والدُّلخم، وليسَ للكوسج أبٌ يُعرفُ. وعامّةُ ذا يَعيشُ في الماء، ويَبيتُ خارجاً من الماء، ويَبيضُ في الشَّطّ، ويَبيضُ بيضاً له صُفرة، وقَيضٌ[١١]، وغِرقئٌ[١٢] وهو، مع ذلك، ممّا يكون في الماء مَعَ السَّمك.

فصيحُ الحيوان وأعجمُهُ

ثمّ لا يَخرُجُ الحيَوانُ، بعدَ ذلك، في لُغةِ العرب، من فصيحٍ وأعجمَ. كذلك يُقالُ في الجُملةِ، كما يقالُ الصّامتُ لِما لا يَصنَعُ صَمتاً قطّ، ولا يجوزُ عليه خِلافهُ؛ والناطقُ لِما لم يتكلّم قطّ فيحملونَ ما يَرغُو، ويثغُو، ويَنهَقُ، ويَصهَلُ، ويَشحَجُ، ويخورُ، ويَبغَمُ، ويَعوي، ويَنبحُ، ويَزقُو، ويضغُو،

١. الخُفاش: حيوان ليلون من رتبة مجنحة الايدي، يظهر في الليل، والكبير منه يسمى الوطواط.
٢. الزغب: الريش القصير.
٣. الشكير: صغار الريش بين كبارها.
٤. القصب: ضرب من صغار الريش.
٥. الرقّ: العظيم من السلاحف، وضرب من دواب الماء يشبه التمساح.
٦. البينيب: سمك بحري.
٧. الدخس: دابة بحرية تعرف بالدلفين.
٨. الدلفين: دابة بحرية قيل انها تنجي الغريق.
٩. اللخم: سمك ضخم لا يمر بشيء الا قطعه.
١٠. البنبك: دابة بحرية كالدلفين، او سمك يقطع الرجل نصفين.
١١. القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة.
١٢. الغرقئ: قشرة البيضة التي تحت القيض، او هي البياض الذي يؤكل.

ويهدِرُ ، ويَصفِرُ ، ويُصوصي ، ويُقوقي ، ويَنعَبُ ، ويَزأرُ ، ويَترُبُ ، ويَكِشُّ ، ويَعِجُّ[1] ، على نُطق الإنسانِ ، إذا جُمِعَ بعضُهُ على بعضٍ . ولذلك أشباهٌ ، كالذُّكورِ والإناثِ ، اذا اجتمعا ؛ وكالعِيرِ[2] التي تُسمَّى لَطِيمةً[3] ؛ وكالظُّعُنِ ؛ فإنَّ هذه الأشياء ، إذا وُجِدَ بعضُها إلى بعضٍ ، أو أخذَ بعضُها من بعضٍ سُمِّيت بأنبَهِ النَّوعينِ ذِكرًا ، وبأقواهما . والفصيحُ هو الإنسانُ ، والأعجمُ كلُّ ذي صوتٍ لا يَفهَمُ إرادتَهُ الَّا من كان مِن جنسه . ولَعَمري إنَّا نَفهمُ ، عن الفَرَسِ والحِمارِ والكلبِ والسِّنَّورِ والبَعيرِ ، كثيرًا مِن إرادته وحوائجه وقُصُودِه ، كما نَفهَمُ إرادةَ الصَّبيِّ في مَهدِه ؛ ونَعلَمُ ، وهو مِن جَليلِ العِلمِ ، أنَّ بُكاءه يَدُلُّ على خِلافِ ما يَدلُّ عليه ضَحِكُهُ ؛ وحَمْحَمَةُ[4] الفَرَسِ ، عندَ رؤية المِخلاةِ ، على خِلافِ ما يَدلُّ عليه حَمْحَمَتُه عندَ رؤيةِ الحِجرِ[5] ؛ ودُعاءُ الهِرَّةِ الهِرَّ خلافُ دُعائِها لولدِها ؛ وهذا كثيرٌ .

والإنسانُ فصيحٌ ، وان عبَّرَ عن نفسِهِ بالفارسيَّة ، أو بالهِندِيَّة ، أو بالروميَّة . وليسَ العربيُّ أسوأ فهماً لطَمطَمةِ[6] الروميِّ مِن الروميِّ لبَيانِ لِسانِ العربيِّ ؛ فكلُّ إنسانٍ ، من هذا الوجهِ ، يُقال له فصيحٌ ؛ فاذا قالوا : فصيحٌ وأعجمُ ، فهذا هو التَّأويلُ في قولِهم اعجَمُ ؛ واذا قالوا : العربُ والعَجَمُ ولم يلفظوا بفصيحٍ وأعجَمَ ، فليس هذا المَعنى يُريدونَ ، إنَّما يَعنونَ أنَّه لا يَتكلَّمُ بالعربيةِ ، وأنَّ العربَ لا تَفهَمُ عَنهُ . وقالَ كُثيِّرٌ :

فَبُورِكَ ما أعطى ابنُ ليلى بنيَّةٍ[7] ، وصامتُ ما أعطى ابنُ ليلى وناطِقُهْ

١ . الرغاء . للابل ◉ الثُّغاء للشاء ◉ النهيق للحمار ◉ الصَّهيل للخيل ◉ الشحيج للبغال ◉ الخوار للثيران ◉ البُغام للظباء ◉ النُّواء للذئاب ◉ النباح للكلاب ◉ الزَّقاء للديكة ◉ الطِّغاء للسنانير ◉ الهدير للفحول ◉ الصفير للفور ◉ الصوصأة للجراء ◉ القُوقأة للدجاج ◉ النعيب للغربان والبوم ◉ الزئير للأسد ◉ التَّريب للظباء او ذكورها خاصة ◉ الكشيش للأفاعي تحدثه بجلودها ، كما ان الفحيح ما تحدثه من الصوت بأفواهها ◉ العجيج : الصياح .

٢ . العير : القافلة ، مؤنثة ، او الابل التي تحمل الميرة ، بلا واحد من لفظها ، او كل ما اعتير عليه ابلا او حميرًا او بغالًا .

٣ . اللطيمة : العير التي تحمل الطيب وبزّ التجار .

٤ . حمحمة : مصدر حمحم الفرس : ردَّد صوته في صدره اذ رأى ما يأنس به .

٥ . الحِجر : انثى الخيل .

٦ . الطمطمة : العجمة ضد الافصاح .

٧ . بنيَّة : عن قصد .

ويقال « جاء بما صأى[1] وصمَتَ » فالصَّامتُ مثل الذَّهبِ والفِضَّةِ ؛ وقوله : صأى يعني الحيوانَ كلَّه ؛ ومعناهُ نطقَ وسكتَ ؛ فالصَّامتُ في كلِّ شيء سوى الحيوانِ .

ووجَدْنا كونَ العالمِ ، بما فيه ، حِكمةً ، ووجدنا الحكمةَ على ضربين : شيء جُعِلَ حِكمةً ، وهو لا يَعقِلُ الحِكمةَ ولا عاقِبةَ الحِكمةِ ؛ وشيء جُعِلَ حِكمةً ، وهو يَعقِلُ الحِكمةَ وعاقبةَ الحِكمةِ ؛ فاستوى بذاك الشيء العاقلُ وغيرُ العاقلِ في جِهةِ الدَّلالةِ على أنَّه حِكمةٌ ، واختلفا من جِهةِ أنَّ أحدَهما دليلٌ لا يَستَدِلُّ ، والآخرُ دليلٌ يستدلُّ ؛ فكلُّ مُستدِلٍّ دليلٌ وليسَ كلُّ دليلٍ مُستدِلًّا ، فشاركَ كلُّ حيوانٍ ، سوى الانسانِ ، جميعَ الجَمادِ في الدَّلالةِ ، وفي عدَمِ الاستدلالِ ، واجتمعَ للإنسانِ أنْ كانَ دليلًا مُستدِلًّا .

ثُمَّ جُعِلَ للمستدِلِّ سببٌ يدُلُّ به على وُجوهِ استدلاله ، ووجوهِ ما نتجَ له الاستدلالُ ، وسمَّوا ذلك بياناً .

اقسام البيانِ

وجُعِلَ البيانُ على أربعةِ اقسامٍ : لفظٍ ، وخطٍّ ، وعَقْدٍ[2] ، وإشارةٍ ؛ وجُعِلَ بيانُ الدليلِ ، الَّذي لا يَستدِلُّ ، تمكينَه المُستدِلَّ من نفسِه ، واقتيادَهُ كلَّ مَن فكَّرَ فيه إلى مَعرفةِ ما استُخزِنَ مِنَ البرهانِ ، وحُشِيَ من الدَّلالةِ ، وأُودِعَ من عجيبِ الحكمةِ ؛ فالاجسامُ الخُرسُ الصَّامتةُ ناطقةٌ من جِهةِ الدَّلالةِ ، ومعربةٌ من جِهةِ صِحَّةِ الشَّهادةِ . على أنَّ الَّذي فيها مِنَ التَّدبيرِ والحِكمةِ ، مُخبِرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لمن استنطَقَهُ ؛ كما خبَّرَ الهُزالُ وكُسوفُ اللَّونِ عن سُوءِ الحالِ ؛ وكما يَنطِقُ السِّمَنُ وحُسنُ النَّضرةِ[3] عن حُسنِ الحالِ . وقد قالَ الشاعر ، وهو نَصيبٌ :

١ . صأى : صاح .

٢ . العَقد : نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له : حساب اليد .

٣ . النضرة : النعمة ، والعيش ، والغنى ، والحسن ، والرونق ، واللطف .

فعاجوا، فأثنوا بالذي أنتَ أهلُه؛ ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ[1]

وقالَ آخرُ:

متى تكُ في عدوٍ، أو صديقٍ، تُخبِّرْكَ العيونُ عنِ القلوبِ

وقد قالَ العُكليُّ[2] في صدقِ شمِّ الذئبِ، وفي شدّةِ حسِّه واستِرواحِه:

يستخبرُ الرّيحَ، إذا لم يَسمعِ، بمثلِ مِقراعِ الصَّفا، المُوقَعِ[3]

وقال عنترةُ، وهو يَصِفُ نعيبَ الغُرابِ:

حرقُ الجناحِ، كأنّ لحيَيْ رأسِه جَلَمانِ، بالأخبارِ هشٌّ، مُولَعُ[4]

وقالَ الفضلُ بنُ عيسى بنِ أبانٍ في قصصِه: سَلِ الأرضَ، فقُلْ: من شقَّ أنهارَكِ، وغرسَ أشجارَكِ، وجنى ثمارَكِ؛ فإن لم تُجبْكَ حِوارًا، أجابتْكَ اعتبارًا.

فوضوعُ الجسمِ، ونِصبتُه[5]، دليلٌ على ما فيهِ، وداعيةٌ اليه، ومَنبهةٌ عليه؛ فالجمادُ الأبكمُ، الأخرسُ، من هذا الوجهِ، قد شاركَ، في البيانِ، الانسانَ الحيَّ الناطقَ. فمَنْ جعلَ أقسامَ البيانِ خمسةً، فقد ذهبَ، ايضاً، مذهباً له جوازٌ في اللُّغةِ، وشاهدٌ في العقلِ. فهذا أحدُ قسمَيِ الحِكمةِ، وأحدُ معنَيَيْ ما استخزنها الله تعالى من الوَديعةِ.

معارفُ الحيوان

والقسمةُ الأخرى ما أودعَ[6] صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوانِ من ضروبِ المعارفِ، وفطرَها عليه من غريبِ الهداياتِ، وسخَّرَ[7] حناجرَها له من ضروبِ

١ ـ عاجوا: من عاج السائر: وقف، وعاج على المكان: عطف ◎ اثنوا مدحوا ◎ الحقائب: ج الحقيبة: خريطة تُعلّق في الرحل. وكنى بثناء الحقائب على الممدوح عن كونه يملأها من عطاياه فتظهر للناس مكارمه وذلك يكون منها ثناء عليه.

٢ ـ العكلي: ابو الرديني الشاعر.

٣ ـ قال الجاحظ في البيان: المقراع: الفأس التي يكسر بها الصخر، والموقع المحدد. واراد بهذا الوصف انف الذئب.

٤ ـ حرق الغراب: اسوده. شبه لحيي رأسه بالجلمين اي المقصين لان الغراب يخبر بالغربة والفرقة: ويقطع كما يقطع الجلمان.

٥ ـ نصبته: نوع التصابه.

٦ ـ الضمير في اودع يعود الى الله تعالى.

٧ ـ سخّر: ذلل.

النَّغمِ الموزونةِ ، والاصواتِ المُلحَنةِ ، والمَخارجِ الشَّجيَّةِ ، والأغاني المُطربةِ ؛ فقد يقالُ إنَّ جميعَ أصواتِها مُعدَّلةٌ ، وموزونةٌ موقَّعةٌ . ثمَّ الَّذي سَهَّلَ لها مِنَ الرِّفقِ العجيبِ في الصَّنعةِ ، ممَّا ذَلَّلهُ اللهُ تعالى لمناقيرِها وأكُفِّها ، وكيفَ فتحَ لها من بابِ المعرفةِ على قدرِ ما هيَّأ لها من الآلةِ ؛ وكيفَ أعطى كثيرًا منها من الحِسِّ اللَّطيفِ ، والصَّنعةِ البديعةِ ، من غيرِ تأديبٍ وتثقيفٍ ، ومن غيرِ تقويمٍ وتلقينٍ ، ومن غيرِ تدريجٍ وتمرينٍ ؛ فبلَّغت بعفوها[1] ، وبمقدارِ قُوى فطرتِها ، من البَديهةِ[2] والارتجالِ[3] ، ومن الابتداءِ والاقتضابِ[4] ، ما لا يَقدِرُ عليه حُذَّاقُ رجالِ الرأيِ ، وفَلاسفةُ عُلَماءِ البشرِ ، بيدٍ ولا آلةٍ ؛ بل لا يبلُغُ ذلك من الناسِ أكملُهم خِصالًا وأتمُّهم خِلالًا[5] ، لا من جهةِ الاقتضابِ والارتجالِ ، ولا من جهةِ التعسُّفِ[6] والاقتدارِ ، ولا من جهةِ التَّقدُّمِ فيهِ ، والتَّأنِّي فيه ، والثَّانِي[7] له ، والترتيبِ لمُقدَّماتِه ، وتمكينِ الأسبابِ المُعينةِ عليه ؛ فصارَ جُهدُ الإنسانِ الثَّاقبِ الحِسِّ ، الجامعِ القُوى ، المُتصرِّفِ في الوجودِ ، المُقدَّمِ في الأُمورِ ، يَعجزُ عن عَفوِ كثيرٍ منها ؛ وهو ينظرُ الى ضروبٍ ما يجيءُ منها ، كما أُعطيَت العَنكبوتُ ، وكما أُعطيَتِ السُّرفةُ[8] ، وكما عُلِّمَ النَّحلُ ، بل وعُرِّفَ التُّنوطُ[9] من بديعِ المعرفةِ ، ومن غريبِ الصَّنعةِ ، في غيرِ ذلك من أصنافِ الخَلقِ . ثمَّ لم يُوجِبْ لهمُ العَجزَ في أنفُسِهم[10] ، في اكثرِ ذلك ، إلَّا بما قَوِيَ عليه الهَمَجُ والخَشاشُ وصِغارُ الحشراتِ ؛ ثمَّ جعلَ الإنسانَ ذا العَقلِ

١ . بعفوها : بطبيعتها .

٢ . البديهة : في عرف العلماء ، هي المعرفة الحاصلة ابتداء في النفس لا بسبب الفكر ، وتعمل شيئًا على البديهة اي دون توقف وتفكر ، ورويّة .

٣ . الارتجال : من ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه ، او ابتدأ به من غير فكر .

٤ . الاقتضاب : القطع ، الارتجال .

٥ . الخلال : جمع خلة : الخصلة .

٦ . التعسف : مصدر تعسف في الكلام اخذه على غير هداية ولا دراية ، وتكلف فيه وحمله على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة .

٧ . التأتي : مصدر تأتى له : ترفق والتاء من وجهه ؛ وللامر تهيأ .

٨ . السرفة : دويبة كثيرة الارجل تسمّى في لبنان خاتم سليمان

٩ . التنوط : طائر صغير ينسج عشه من لحاء الاشجار كهيئة القفة ، ويفتل خيطًا يشد به تلك القفة ويدليها من بعض الاغصان ثم يبيض فيها .

١٠ . الضمير للناس .

والتَّمكين ، والاستطاعةِ والتَّصريفِ ، وذا التَّكلُّفِ والتَّجربةِ ، وذا التَّأني والمُنافسةِ ، وصاحبَ الفَهم والمسابقةِ ، والمُتبَصِّرَ شأنَ العاقبةِ ، مَتى أحسنَ شيئاً كانَ كلُّ شيءٍ ، دونَهُ في النُّهوضِ ، عليهِ أسهلَ ؛ وجعَلَ[1] سائرَ الحيوانِ وإن كانَ يُحسِنُ أحدُها ما لا يُحسِنُ أحذقُ النَّاسِ ، متى أحسنَ شيئاً عجيباً لم يُمكِنْهُ أن يُحسِنَ ما هو اقربُ منه في الظنِّ ، وأسهلُ منه في الرَّأيِ ؛ بل لا يُحسِنُ ما هو أقربُ منه في الحقيقةِ . فلا الانسانُ جعَلَ نفسَه كذلك ؛ ولا شيءٌ من الحيوانِ اختارَ ذلك ؛ فأحسَنَت هذهِ الاجناسُ ، بلا تعلُّمٍ ، ما يَمتنِعُ على الانسانِ ، وان تعلَّمَ ، فصارَ لا يُحاوِلُه ، إذ كانَ لا يَطمَعُ فيه ولا يحسُدُها ؛ اذ لا يؤمِّلُ اللَّحاقَ بها . ثمَّ جعَلَ تعالى وعزَّ هاتينِ الحِكمتينِ بإزاءِ عيونِ النَّاظرينَ ، وتُجاهَ أسماعِ المُعتبرينَ ؛ ثم حثَّ على التَّفكيرِ والاعتبارِ ، وعلى الاتِّعاظِ والازدجارِ[2] ، وعلى التَّعرُّفِ والتَّبيُّنِ ، وعلى التَّوقُّفِ والتَّذكُّرِ ، فجعَلَها مُذكِّرةً مُنبِّهةً ، وجعَلَ الفِطَرَ[3] تُنشِئُ الخواطِرَ ، وتجولُ بأهلِها في المَذاهبِ . ذلك اللهُ ربُّ العالمينَ ، فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ

حيوان سفينة نوح

وزعَمَ بعضُ المُفسِّرينَ ، وأصحابُ الأخبارِ ، أنَّ أهلَ سفينةِ نُوحٍ كانوا تأذَّوا بالفأرِ . فعطَسَ الاسدُ عطسةً فرمى من منخَرَيْهِ بزوجِ سنانيرَ ، فلذلك السِّنَّورُ أشبهُ شيءٍ بالأسدِ ؛ وسلَحَ الفيلُ زوجَ خنازيرَ ، فلذلك الخِنزيرُ أشبهُ شيءٍ بالفيلِ . قالَ كيسان[4] : فينبَغي أن يكونَ ذلك السِّنَّورُ آدمَ السَّنانيرِ ، وتلك السِّنَّورةُ حوَّاءَها . قالَ أبو عُبيدةَ لكيسانَ : أوَ لم تعلَمْ أنتَ أنَّ لكلِّ جنسٍ من الحيوانِ آدمَ وحوَّاءَ ؟! وضحكَ فضحكَ القومُ .

١ ـ جعل : الضمير للخالق تعالى .

٢ ـ الازدجار : مصدر ازدجر : ارتدع وكفَّ عن الشيء .

٣ ـ الفِطَر : ج الفطرة : الصفة التي يتصف بها كل موجود في اول زمان خلقته : والخلقة التي خلق عليها المولود في رحم امه .

٤ ـ كيسان : لقب المختار بن ابي عبيد المنسوب اليه الكيسانية من الرافضة .

حُمُق النَّعامة[1]

ويقولونَ: أحمقُ من نَعامةٍ، كما يقولون: أشردُ من نَعامةٍ. قالوا: ذلك لأنها تدَعُ الحضنَ على بيضِها ساعةَ الحاجةِ إلى الطُّعمِ؛ فإن هي، في خروجها ذلك، رأت بيضَ أُخرى قد خرَجت للطُّعمِ، حضَنَت بيضَها ونَسيَت بيضَ نَفسِها؛ ولعلَّ تلك أن تُصادَ، فلا تَرجعُ الى بيضِها بالعَراء حتّى تَهلكَ. قالوا: ولذلك قالَ ابن هَرْمةَ[2]:

فإنّي وتَركي نَدَى الأكرمينَ، وقدْحي بكَفَّيَ زَنْدًا شَحاحا[3]
كتاركةٍ بَيضَها بالعَراء، ومُلبسةٍ بيضَ أُخرى جَناحا

وقد تحضُنُ الحَمامُ بيضَ الدَّجاجِ، وتحضُنُ الدَّجاجةُ بيضَ الطَّاوُسِ؛ فأمّا ان يدَعَ بيضَه ويحضُنَ بيضَ الدّجاجةِ، أو تدَعَ الدّجاجةُ بيضَها وتحضُنَ بيضَ الطاوُسِ، فلا. فأمّا فَرُّوجُ الدجاجةِ، إذا خرجَ من تحت الحَمامةِ، فإنّهُ يكونُ أكيسَ[4]؛ وأمّا الطّاوُسُ، الّذي يخرُجُ من تحتِ الدّجاجةِ، فيكونُ أقلَّ حُسناً، وأبغضَ صَوتاً.

الإنسانُ عالمٌ صَغيرٌ

أو ما علمتَ أنَّ الإنسانَ، الّذي خُلِقَتِ السَّمواتُ والأرضُ وما بَينَهما من أجلِه، كما قال عزّ وجلّ: «سَخَّرَ لَكُم ما في السَّمواتِ وما في الأرض

١ ـ النعامة: للذكر والانثى، والذكر ظليم والانثى ربداء.

٢ ـ ابن هرمة: هو ابو اسحاق ابرهيم بن هرمة من الخلج من قيس عيلان؛ وهو آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم. كان من مخضرمي الدولتين؛ مدح الوليد بن يزيد ثم ابا جعفر المنصور. كان مولعاً بالشراب، فجلده في الخمر والي المدينة زياد بن عبيدالله الحارثي: فلما ولي المنصور شخص اليه ابن هرمة ومدحه. فقال له المنصور سل حاجتك. قال: تكتب الى عامل المدينة ان لا يحدني في الخمر. قال: هذا حدّ من حدود الله، وما كنت لاعطله. قال: فاحتل لي فيه، يا امير المؤمنين. فكتب الى عامله من اتاك بابن هرمة سكران فاجلده مئة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين. فكان الناس يمرون به، وهو سكران، فيقولون: من يشتري مئة بثمانين؟.

٣ ـ الزند الشحاح: الذي لا يوري.

٤ ـ اكيس: اظرف.

جميعاً منه » إنما سمّوه العالَمَ الصَّغيرَ ، سليلَ العالَمِ الكبيرِ ، لِما وجدوا فيه من جمعِ أشكالِ ما في العالَمِ الكبيرِ. ووجدنا له الحواسَّ الخمسَ ؛ ووجدوا فيه المحسوساتِ الخمسَ ؛ ووجدوه يأكلُ اللحمَ والحبَّ ، ويجمعُ بينَ ما تقتاتُه البهيمةُ والسَّبُعُ ؛ ووجدوا فيه صولةَ[1] الجملِ ، ووثوبَ الأسدِ ، وغدرَ الذئبِ ، وروَغانَ الثعلبِ ، وجُبنَ الصِّفردِ[2] ، وجمعَ الذَّرَّةِ ، وصَنعةَ السُّرفةِ[3] ، وجُودَ الديكِ ، وإلفَ الكلبِ ، واهتداءَ الحَمامِ ؛ وربّما وجدوا فيه ، ممّا في البهائمِ والسِّباعِ ، خُلُقَينِ ، أو ثلاثةً ؛ ولا يَبلُغُ أن يكونَ جمَلًا بأن يكونَ فيه اهتداؤه ، وغَيرتُهُ ، وصَولتُه ، وحِقدُه ، وصَبرُه على حَمل الثِّقلِ ؛ ولا يَلزَمُ شِبهُ الذئبِ بقَدرِ ما يتهيّأُ فيه من مِثلِ غَدرِه ، ومَكرِه ، واستِرواحِه[4] ، وتَوحُّشِه ، وشِدَّةِ نُكرِه[5] . كما أنَّ الرَّجلَ يُصيبُ الرأيَ الغامضَ المَرَّةَ والمَرَّتينِ والثَّلاثَ ، ولا يَبلُغُ ذلك المقدارُ به أن يقالَ له داهيةٌ ، وذو نَكراءَ[6] ، أو صاحبُ بَزلاءَ[7] . وكما يُخطئُ الرَّجلُ فيَفحُشُ خَطأُه في المَرَّةِ والمَرَّتينِ والثَّلاثِ ، فلا يَبلُغُ الأمرُ به أن يقالَ له غَبيٌّ ، وأبلهُ ، ومَنقوصٌ .

وسمّوه العالَمَ الصَّغيرَ لأنّهم وجدوه يصوِّرُ كلَّ شيءٍ بيدِه ، ويَحكي كلَّ صوتٍ بفَمِه . وقالوا : ولأنَّ أعضاءَه مقسومةٌ على البُروجِ الاثني عشرَ ، والنُّجومِ السَّبعةِ ؛ وفيه الصَّفراءُ ، وهي من نِتاجِ النارِ ؛ وفيه السوداءُ ، وهي من نتاجِ الارضِ ؛ وفيه الدمُ ، وهو من نِتاجِ الهواءِ ؛ وفيه البَلغَمُ ، وهو من نِتاجِ الماءِ . وعلى طَبائعِه الأربعِ وُضِعَتِ الأوتادُ[8] الأربعةُ . فجعلوه العالَمَ

١ * الصولة : السطوة والقدرة والقهر.

٢ * الصفرد : طائر من القواطم يأتي مع السُّماني في زمن واحد ويعرف في لبنان وبعض الحاء الشام بالسُّلوى.

٣ * السُّرفة : خاتم سليمان ، دويبّة سوداء الرأس وسائرها احمر ، وصفتها انها تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثال النواوس ، ثم تدخل فيه وتموت (الدميري).

٤ * الاسترواح : مصدر استروحه: تشمّمه.

٥ و ٦ * النكر ، والنكراء : الدهاء والفطنة.

٧ * البزلاء : الراي الجيد.

٨ * الاوتاد : الاربعة: المنازل الاربع الرئيسية بين الاثني عشرة منزلة من منطقة البروج ، وهي : الوتد الطالع ، والوتد الغائب ، ووتد السماء ، ووتد الارض. وسميت اوتاداً لانها اقوى منازل منطقة البروج ، وهي التي تقرر المصير في التنجيم . ولهذا سمّي كل منها برج السعادة ، واصل الكائن.

الصَّغيرَ ، إذ كانَ فيه جميعُ أجزائه ، وأخلاطه ، وطَبائعه ؛ ألا تَرى أنَّ فيه طَبائعَ الغضبِ والرِّضا ، وآلةَ اليَقينِ والشَّكِّ والاعتقادِ والوَقفِ[1] ؛ وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوةِ ، والسَّلامةِ والمَكرِ ، والنَّصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاءِ والغَدرِ ، والرِّياءِ والإخلاصِ ، والحُبِّ والبُغضِ ، والجِدِّ والهَزلِ ، والبُخلِ والجودِ ، والاقتصادِ والسَّرفِ ، والتَّواضُعِ والكِبرِ ، والأُنسِ والوَحشةِ ، والفِكرةِ والإهمالِ ، والتَّمييزِ والخَبطِ ، والجُبنِ والشَّجاعةِ ، والحَزمِ والإضاعةِ ، والتَّبذيرِ والتَّقديرِ ، والتَّبَذُّلِ والتَّعَزُّزِ ، والادِّخارِ والتَّوكُّلِ ، والقَناعةِ والحِرصِ ، والرَّغبةِ والزُّهدِ ، والسُّخطِ والرِّضا ، والصَّبرِ والجَزَعِ ، والذِّكرِ والنِّسيانِ ، والخَوفِ والرَّجاءِ ، والطَّمَعِ واليأسِ ، والتَّنَزُّهِ والطَّمَعِ ، والشَّكِّ واليَقينِ ، والحَياءِ والتَّحَةِ ، والكِتمانِ والإشاعةِ ، والإقرارِ والإنكارِ ، والعِلمِ والجَهلِ ، والظُّلمِ والإنصافِ ، والطَّلَبِ والهَرَبِ ، والحِقدِ وسرعةِ الرِّضا ، والحِدَّةِ وبُعدِ الغَضَبِ ، والسُّرورِ والهَمِّ ، واللَّذَّةِ والألمِ ، والتَّأميلِ والتَّمَنِّي ، والإصرارِ والنَّدَمِ ، والجِماحِ والبَدَوات[2] ، والعِيِّ والبَلاغةِ ، والنُّطقِ والخَرَسِ ، والتَّصميمِ والتَّوَقُّفِ ، والتَّغافُلِ والتَّفاطُنِ ، والعَفوِ والمكافأةِ ، والاستطاعةِ والطبيعةِ ، وما لا يُحصى عددُه ، ولا يُعرفُ حدُّه .

الجنُّ والجنُّ

وقالَ صاحبُ الدِّيك : روى إسماعيلُ المكيُّ عن ابي عطاء العُطارديِّ قال : سمعتُ ابنَ عَبَّاسٍ يقولُ : السُّودُ منَ الكلابِ الجِنُّ ، والبُقعُ منها الجِنُّ . ويُقالُ : إنَّ الجِنَّ ضَعَفَةُ الجِنِّ ، كما أنَّ الجِنِّيَّ إذا كفَرَ ، وظَلَمَ ، وتَعدَّى ، وأفسدَ ، قيلَ شَيطانٌ ؛ وإن قَوِيَ على البُنيانِ والحِملِ الثَّقيلِ ، وعلى استراقِ السَّمعِ[3] ، قيلَ مارِدٌ[4] ؛ فإن زادَ ، فهو عِفريتٌ[5] ؛ فإن زادَ ، فهو

١ * الوقف : من معانيه حبس الدار او العقار في سبيل الله ، ولعله المراد هنا .

٢ * البدوات : ج بَداة ، وهو ما بدا من الرأي ؛ وفلان ذو بدوات ، اي اراء مختلفة .

٣ * استراق السمع : كان في اعتقاد العرب ان الجن ترتفع حتى تلتصق بالسماء لتسترق السمع من الملائكة ، اي تسمع خفية ما يقولون .

٤ * المارد : العاتي والعاصي .

٥ * العفريت : من الانس والجن والشياطين : الفائق ، المائم ، الرئيس . وقيل : هو النافذ الامر المبالغ فيه من خبث ودهاء .

عَبقَري[1] . كما أنَّ الرَّجلَ ، إذا قاتلَ في الحربِ ، وأقدمَ ولم يُحجِم ، فهو الشُّجاعُ ؛ فإن زادَ ، فهو البَطَلُ ؛ فإن زادَ ، قالوا : بُهمةٌ[2] ؛ فإن زادَ ، قالوا : أليَس[3] ؛ فهذا قولُ ابي عبيدة .

وبعضُ النَّاسِ يَزعُمُ أنَّ الجنَّ والجنَّ صِنفانِ مختلفان ؛ وذهبوا إلى قولِ الأعرابيِّ حينَ أتى بعضَ أبوابِ الملوكِ ليُكتَبَ في الزَّمنَى[4] ، فقالَ في ذلك :

إن تَكتُبوا الزَّمنَى ، فإنِّي لَزَمِنْ من ظاهرِ الدَّاءِ ، وداءٍ مُستَكِنْ
أبيتُ هوياً في شياطينَ تُرُنْ[5] مُختلِفِ نجارُهم جنٌّ وجِنْ

المسوخُ[6] من الحيوانِ

ورويتُم في الجريِّ[7] والضِّبابِ أنَّهما كانتا أمَّتَينِ مُسِختا . وروى بعضُهم في الإربيانةِ[8] أنَّها كانت خياطةً تَسرِقُ السُّلوكَ[9] ، وأنَّها مُسِخَت وتُرِكَ عليها بعضُ خيوطِها ، لتكونَ علامةً لها ، ودليلاً على جِنسِ سرقتِها . ورويتم في الفأرةِ أنَّها كانت طحَّانةً ؛ وفي سُهيلٍ[10] أنَّه كان عَشَّاراً[11] باليمنِ ؛ وفي الحيَّةِ أنَّها كانت في صورةِ جَملٍ ، وأنَّ اللهَ عاقبَها ، حتَّى لاطَها[12] بالأرضِ ، وقسَمَ عِقابَها على عشرةِ أقسامٍ ، حينَ احتَمَلَت دُخولَ إبليسَ في جوفِها ، حتَّى وَسوسَ[13] إلى

١ * العبقري : كل جليل فاخر من النساء والرجال وغيرهم ، لزعم العرب ان العبقر قرية تسكنها الجن وينسب اليها كل فائق جليل ، كأن الجن صنعته لغرابته وحسنه .

٢ * البهمة : الشجاع الذي لا يُدرى من اين يؤتى لشدة بأسه ، او كيف يؤتى لاستبهام حاله .

٣ * الاليس : من الليس : الشجاعة .

٤ * الزَّمنى : ج الزمن : الذي طال مرضه ، او هو ذو الزمانة ، وهي العاهة ، وعدم بعض الاعضاء وتعطيل القوى .

٥ * ترن : مضارع ارنَّ : صاح .

٦ * المسوخ : ج المسخ وهو ما تحول من صورته الى صورة اخرى اقبح .

٧ * الجريّ : سمك يعيش في المياه العذبة ، وصفه الادريسي ، في نزهة المشتاق ، بانه اسود الظهر له شوارب ، كبير الرأس دقيق الذنب .

٨ * الاربيانة : واحدة الاربيان وهو ما يسمّى بالقريدس ، وبرغوث البحر .

٩ * السلوك : ج السلك ، الخيط من القطن .

١٠ * سهيل : نجم قيل ان عند طلوعه تنضج الفواكه ، وينتهي القيظ ، وهو عند العرب نجم يماني .

١١ * العشار : جابي العشور .

١٢ * لاطها : الصقها .

١٣ * وسوس : حدثه بما لا نفع فيه اليه : وسوس ولا خير .

آدمَ من فيها. وقُلتُم في الوزَغةِ[1] وفي الحُكأةِ[2] ما قُلتم. وزَعمتم أنَّ الإبلَ خُلقت من أعنانِ[3] الشياطينِ، وتأوَّلتم[4] في ذلك أقبحَ التأويلِ. وزعمتم أنَّ الكلابَ أُمَّةٌ من الجنِّ مُسِخت؛ والذئبُ احقُّ بأنْ يكونَ شيطاناً منَ الكلبِ، لأنَّه وَحشيٌّ وصاحبُ قِفارٍ، وبهِ يُضرَبُ المثَلُ في التَّعدّي؛ والكلبُ ألوفٌ وصاحبُ ديارٍ، وبهِ يُضرَبُ المَثلُ؛ والذئبُ خَتورٌ[5] غدّارٌ، والكلبُ وفيٌّ مُناصِحٌ؛ وقد أقامَ النَّاسُ، في الدِّيار، الكلابَ مُقامَ السَّنانيرِ للفأرِ. والذئبُ مَضرَّةٌ كلُّه، والكلبُ مَنافعُه فاضلةٌ على مَضارِّه، بل هي غالبةٌ عليها، وغامرةٌ لها. وهذهِ صِفَةُ جميعِ هذهِ الاشياءِ النَّافعة.

وفاء الكلب

وأنشدَ أبو الحسَنِ بنُ خالَوَيهِ[6] عن أبي عبيدَةَ[7] لبعض الشعراء:

يُعرِّدُ[8] عنه جارُه وشقيقُه؛ ويَنبِشُ عنه كلبُهُ، وهو ضاربُهْ

قال أبو عبيدَةَ: قيلَ ذلك لأنَّ رجلاً خرجَ الى الجبَّانِ[9] يَنتظرُ ركابَه[10]، فاتَّبعَه كلبٌ له، فضَربَ الكلبَ وطردَه، وكرهَ ان يَتبعَه، ورماه بحجرٍ، فأبى الكلبُ إلَّا أن يتبعَه؛ فلمَّا صارَ الى الموضعِ الَّذي يُريدُ فيه الانتظارَ، رَبضَ الكلبُ قريباً. فبينما هو كذلك إذ أتاه أعداءٌ يطلبونه بطائلةٍ[11] لهم عنده. وكانَ معه جارٌ له، واخوه دنيّاً[12]، فأسلماه وهَربا عنه؛ فجُرِحَ جراحاتٍ، ورُمِيَ به في بئرٍ غيرِ بعيدةٍ

١ * الوزغة: واحدة الوزغ، سام ابرص (ابو بريص).

٢ * الحُكأة: والحكأة: عظاءة مخططة بخمس خطوط، والعظاء انواع كثيرة تشمل الوزغ والضباب وغيرهما.

٣ * اعنان الشياطين: اخلاقها، جوانبها.

٤ * تأول الكلام: دبره وقدره وفسّره، تأوله.

٥ * الختور: الخبيث، الغدّار.

٦ * خالويه: احد علماء اللغة كان في بلاط سيف الدولة.

٧ * ابو عبيدة: احد رواة الاخبار المشهورين.

٨ * يعرّد: مضارع عرد: احجم وفرّ.

٩ * الجبّان: الصحراء.

١٠ * الركاب: الابل.

١١ * الطائلة: الترة، الثأر.

١٢ * دنيّاً: قال ابو بكر البطليوسي: اذا كسر اوله جاز فيه التنوين، واذا ضمّ لم يجز فيه الا ترك الصرف، لان فعلى لا يكون الّا للمؤنث. وهو منصوب على المصدر اذا نون كما تقول: هذا درهم ضربَ الامير؛ وعلى الحال اذا كان الفه للتأنيث، اه. ودنيا بمعنى الادنى من القرابة.

القعر، ثمَّ حُثِيَ[1] عليه التراب، ثمَّ غُطِّيَ رأسُه، ثمَّ كُتِمَ[2] فوقَ رأسِه منه، والكلبُ في ذلك يرخم[3] ويهر[4]؛ فلمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئرِ، فما زالَ يَعوي ويَنبشُ عنه، ويحثو التُّرابَ بيدِه، ويكشفُه عن رأسِه، حتَّى أظهرَ رأسَه فتنفَّسَ، ورُدَّت اليه الروحُ، وقد كادَ يموتُ، ولم يَبقَ منه الا حُشاشةٌ[5] فبينما هو كذلك إذ مرَّ ناسٌ، فانكروا مكانَ الكلبِ، ورأوه يَحفِرُ عن قبرٍ، فنظروا، فإذا هم بالرَّجلِ على تلك الحالِ، فاستشالوه[6]، فأخرجوه حيًّا، وحمَلوه، حتَّى أدَّوه إلى أهلِه. فزعمَ أن ذلك الموضعَ يُدعى ببئرِ الكلبِ، وهو مُتيامنٌ عن النَّجَفِ[7].

وهذا العملُ يَدلُّ على وفاءٍ طبيعيٍّ، وإلفٍ غريزيٍّ، ومُحاماةٍ شديدةٍ؛ وعلى مَعرفةٍ وصبرٍ؛ وعلى كرمٍ وشكرٍ؛ وعلى غناءٍ عجيبٍ، ومنفعةٍ تفوقُ المنافعَ، لأنَّ ذلك كلَّه كان من غيرِ تكلُّفٍ ولا تصنُّعٍ.

الرَّجلُ النبَّاحُ

ابو الحسنِ عن ابي مريمَ قالَ: كانَ عندنا بالمدينةِ رجلٌ قد كثُرَ عليه الدَّينُ، حتَّى توارى من غُرمائِه، ولزمَ منزلَه؛ فأتاه غريمٌ له عليه شيءٌ يسيرٌ، فتلطَّفَ حتى وصلَ إليه، فقالَ له: ما تجعلُ لي إن أنا دلَلتُك على حيلةٍ تصيرُ بها لي الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائِك؟ قالَ: أقضيكَ حقَّكَ، وأزيدُك مما عندي مما تقرُّ به عينُك. فتوثَّقَ[8] منه بالأيمانِ، فقالَ له: إذا كانَ غدًا قبلَ الصَّلاةِ مُرْ خادمَك يكنُسْ بابَك وفِناءَك، ويَرُشَّ، ويَبسُطْ على دُكَّانِك حُصرًا، ويضَعْ لك مُتَّكأً؛ ثم أمهِل حتَّى تُصبِحَ ويَمُرَّ النَّاسُ؛ ثمَّ تَجلِسُ، وكلُّ من

١. حثي: مجهول حثا التراب: قبضه ورماه او صبّه.

٢. كتم: مجهول كممه: غطاه.

٣. يرخم: يصوت ويعوي.

٤. يهر: يصوت دون نباح.

٥. الحشاشة: بقية الروح.

٦. استشالوه: رفعوه.

٧. النجف: يظهر الكوفة كالمشاة — اي الغرم الذي يبقى ليرد الماء — تمشه الماء ان يملو الكوفة ومقابرها، وبالقرب منها قبر الامام علي بن ابي طالب؛ وهو اليوم احد اقضية العراق.

٨. توثق: تثبّت.

يَمُرُّ عليكَ ويُسلِّمُ انبَحْ له في وجهِهِ، ولا تَزيدنَّ على النُّباحِ احدًا كائنًا من كانَ؛ ومن كلَّمكَ مِن أهلِكَ أو خَدَمِكَ، أو من غيرِهم، أو غريمٍ، أو غيرِهِ، حتى تَصيرَ إلى الوالي، فإذا كلَّمكَ فانبَحْ له؛ وإيَّاكَ أن تزيدَه، أو غيرَه، على النُّباحِ، فإنَّ الوالي، إذا أيقنَ أنَّ ذلك منكَ جِدٌّ، لم يشُكَّ أنَّه قد عَرَضَ لكَ عارضٌ، من مَسٍّ[1]، فيُخلِّي عنكَ، ولا يَغرى[2] عليكَ. قال: ففعلَ. فمَرَّ به بعضُ جيرانِهِ، فسلَّمَ عليه، فنبحَ في وجهِهِ؛ ثمَّ مرَّ آخرُ، ففعلَ مثلَ ذلك، حتى تَسامعَ[3] غرماؤه، فأتاه بعضُهم، فسلَّمَ عليه فلم يَزِدْه على النُّباحِ؛ ثمَّ آخرُ، فتعاوَنوا به، فرفعوه إلى القاضي، فلم يزِدْه على ذلك؛ فأمرَ بحبسه أيامًا، وجَعلَ عليه العُيونَ، وملَّكَ نفسَه[4]، وجعلَ لا ينطِقُ بحرفٍ سوى النُّباحِ؛ فلمَّا رأى القاضي ذلك أمرَ بإخراجه، ووضعَ عليه العُيونَ في مَنزِلِه، وجعلَ لا ينطِقُ بحرفٍ إلَّا النُّباحَ؛ فلمَّا تقرَّرَ ذلكَ عند القاضي، أمرَ غرماءَه بالكَفِّ عنه، وقال: هذا رجلٌ به لَمَمٌ[5]؛ فمكثَ ما شاءَ اللهُ تعالى. ثمَّ إنَّ غريمَهُ الَّذي كانَ علَّمه الحيلةَ أتاه مُتقاضيًا[6] لعِدَتِه[7]، فلمَّا كلَّمه جعلَ لا يَزيدُه على النُّباحِ، فقالَ له: وَيلَكَ يافلانُ! وعليَّ أيضًا؟، وأنا علَّمتُكَ هذه الحيلةَ؟! فجعلَ لا يزيدُه على النُّباحِ؛ فلمَّا يَئِسَ منه انصرفَ يائسًا مما يُطالبُهُ به.

سُكرُ الحيوانِ

وأمَّا السُّكرُ، فليسَ شيءٌ مِنَ الحيوانِ إلَّا وهو يَسكرُ، واختلافُ سُكرِهِ كاختلافِ سُكرِ الإنسانِ؛ فإنَّ من الناسِ مَن تَراه يَتحدَّثُ، وهو يَشربُ، فلا تُنكرُ عليهِ شيئًا، حتَّى يَغلِبَ عليه نومُ السُّكرِ ضربةً واحدةً؛ ومنهم مَن تَراه، والنَّبيذُ يأخذُ منه الأوَّلَ فالأوَّلَ، وتَراه كيفَ تثقُلُ حركتُه،

١. المسّ: الجنون.

٢. يغرى: مضارع غري: غضب.

٣. تسامع غرماؤه: سمع الخبر بعضهم من بعض وتناقلوه.

٤. ملك نفسه: الضمير عائد على الرجل المتباله.

٥. لمم: جنون خفيف، أو طرف من الجنون.

٦. متقاضياً: اسم فاعل من تقاضى الدين طالب به.

٧. العِدَة: ما وعد به.

ويغلُظُ حِسُّه ، ويتمحَّق[1] ، حتَّى يَطِيشَ[2] عليه السُّكرُ بالعَبثِ ، ويُطبِقُ عليه النَّومُ ؛ ومنهم مَن يأخُذُهُ بالعبثِ لا يَعدوه[3] ، ومنهم مَن لا يَرضى بدونِ السَّيفِ ، وإلَّا بأن يَضربَ أمَّه ، ويطلِّقَ امرأته ؛ ومنهم من يعتريه البُكاء ؛ ومنهم مَن يَعتريه الضَّحِكُ ؛ ومنهم مَن يَعتريه الملقُ[4] والتَّفدية ، والتَّسليمُ على المَجالس ، والتَّقبيلُ لرؤوسِ النَّاس ؛ ومنهم مَن يرقُصُ ويَثِبُ ، ويكونُ على ضربين : أحدُهما من العَرَضِ[5] ، وفضل الأَشَرِ[6] ، والآخرُ تحريكُ المَرارة ، وهي عِلَّةُ الفسادِ ، وهيَجانِ الآفةِ .

وكلُّ هـذه الحالاتِ والصُّورِ ، والنُّعوتِ ، والأَجناسِ ، والتَّوليدِ[7] الَّذي يَختلفُ في طبائعِ النَّاسِ ، وطبائعِ الأَشربة ، وطبائعِ البُلدانِ والأَزمانِ والأَسنانِ[8] ، وعلى قدر الأَعراقِ[9] والأخلاق ، وعلى قدر القِلَّةِ والكَثْرةِ ، وعلى قدر التَّصريفِ[10] والتَّوفيقِ ، قد وَجدوه في جميع أصنافِ النَّاسِ والحيوانِ .

خبثُ الثعلب

وحدَّثني صديقٌ لي ، قالَ : تعجَّبَ أخٌ لنا من خُبثِ الثَّعلبِ ، وكان صاحبَ قَنصٍ ، وقالَ لي : ما أعجبَ أمرَ الثَّعلبِ ! يَفصِلُ بينَ الكلبِ والكَلَّابِ ، فيحتالُ للكَلَّابِ بما يَعلَمُ أنَّه يجوزُ عليه ، ولا يحتالُ مثلَ تلك الحيلةِ للكلبِ ؛ لأنَّ الكلبَ لا يَخفى عليه الميتُ من المَغشيِّ عليه ، ولا ينفعُ عندَه التَّماوتُ . ولذلك لا يُحمَلُ من ماتَ مِنَ المَجوسِ[11] إلى النَّارِ ، حتَّى يُدنى منه كلبٌ ؛

١ * يتمحَّق : يمحي ويضمحل .

٢ * يطيش : مضارع طاش : خفَّ وذهب عقله ، وهنا بمعنى غلب عليه السكر وحمله على العبث .

٣ * يعدوه : يتجاوزه .

٤ * الملق : التودد .

٥ * العرض : الجنون وذهاب العقل .

٦ * الاشر : المرح .

٧ * التوليد : مصدر ولّد الشيء من الشيء ، والمقصود هنا ما يولده السكران من الاحوال التي ذكرت .

٨ * الاسنان : ج سن : العمر .

٩ * الاعراق : ج عرق : الاصل .

١٠ * التصريف : مصدر صرّف : بيّن وكرّر وقرّر : وصرّف الامور : قلّبها ، وصرّف الخمرة : شربها صرفاً اي غير ممزوجة .

١١ * المجوس : امة تعبد النار .

لأنّه لا يَخفى عليه مغمورٌ[1] الحِسِّ أحيٌّ هو أم ميتٌ؟ وللكلبِ عند ذلكَ عملٌ يَستدِلُّ به المَجوسُ.

قالَ: وذلك أنّي هجَمتُ على ثعلبٍ في مَضيقٍ، ومعي بُنَيٌّ لي؛ فإذا هو مَيتٌ مُنتفِخٌ، فصَدَدْتُ عنه؛ فلم ألبَثْ أن لحِقَتني الكِلابُ، فلمّا أحسَّ بها وَثَبَ كالبَرقِ، بعد أن تحايدَ عنِ السَّنَنِ[2]؛ فسألتُ عن ذلك، فإذا ذلك من فعله معروفٌ، وهو أن يستلقيَ ويَنفُخَ خواصرَه، ويَرفَعَ قوائمه، فلا يشكُّ مَن رآه مِنَ النّاسِ أنّه ميتٌ منذُ دهرٍ، وقد تَرَكَّرَ[3] بالانتفاخِ بَدَنُه؛ فكنتُ أتعجَّبُ من ذلكَ، إذ مررتُ في الزُّقاقِ الّذي في أصلِ دارِ العبّاسيةِ ومَنفَذُه الى مازنَ، فإذا جَروُ كلبٍ مَهزولٌ، سَيِّءُ الغَذاءِ، قد ضربه الصِّبيانُ، وعقَروه، ففرَّ منهم ودخَلَ الزُّقاقَ، فرمى بنفسِه في أصلِ أُسطُوانةٍ[4]، وتبِعوه، حتّى هجَموا عليه، فاذا هو قد تماوتَ، فضربوه بارجلهم، فلم يَتحرَّكْ، فانصرفوا عنه. فلمّا جاوزوا، تأمّلتُ عينَه فإذا هو يَفتَحُها ويُغمِضُها؛ فلمّا بعُدوا عنه، وأمِنَهم، عدا، وأخذَ في غيرِ طريقِهم، فأذهبَ الّذي كان في نفسي للثَّعلبِ، إذ كان الثعلبُ ليس فيه إلّا الرَّوَغانُ والمَكرُ، وقد ساواه الكلبُ في أجودِ حِيَلِه.

انواع الغربانِ

ومِنَ الغِربانِ غُرابُ اللَّيلِ، وهوَ الّذي تَركَ أخلاقَ الغِربانِ، وتَشبَّه باخلاقِ البومِ.

ومنها غرابُ البَينِ[5]؛ وغرابُ البَينِ نَوعانِ: أحدُهما غِربانٌ صِغارٌ، معروفةٌ بالضَّعفِ واللُّؤمِ؛ والآخرُ كلُّ غرابٍ يُتشاءَمُ به. وإنّما لَزِمَه هذا الاسمُ لأنَّ الغرابَ، إذا بانَ أهلُ الدّارِ للنُّجعةِ[6]، وقَعَ في مَرابضِ بيوتِهم يَلتمِسُ[7]،

١. مغمور: خفيّ.
٢. السنن: الطريق.
٣. تركّر: عظم.
٤. اسطوانة: العمود والساريةُ.
٥. البين: الفراق.
٦. النجعة: طلب الماء والعشب.
٧. يلتمس: يطلب طعاماً.

ويَتقمَّم[1]، فيتشاءمونَ به، ويتطيَّرونَ[2] منه؛ إذ كانَ لا يَعتري منازلَهم إلَّا إذا بانوا، فسمَّوه غرابَ البينِ. ثمَّ كرهوا إطلاقَ ذلك الاسمِ له مخافةَ الزَّجرِ[3] والطِّيرةِ[4]، وعلموا أنَّه نافذُ البَصرِ صافي العَينِ، حتَّى قالوا: «أصفى من عينِ الغُرابِ»، كما قالوا: «أصفى من عينِ الدِّيكِ» فسمَّوه الأعورَ كنايةً، كما كنَوا[5] طِيرةً، عن الاعمى، فكنَوه أبا بَصيرٍ، وبها اكتنَى الأعشى بعد ان عَمِيَ. ولذلك سمَّوُا الملدوغَ[6]، والمَنهوشَ[7] سَليماً، وقالوا للمَهالكِ[8]، من الفَيافي[9]، المَفاوزَ[10]؛ وهذا كثيرٌ.

والغِدفانُ[11] جنسٌ من الغِربانِ، وهي لئامٌ جدًّا.

أحاديث العرب

وفي كثيرٍ منَ الرِّواياتِ، من احاديثِ العربِ، أنَّ الدِّيكَ كانَ نديماً للغُرابِ، وأنَّهما شَربا الخمرَ عند خَمَّارٍ ولم يُعطياه شيئاً. وذهبَ الغرابُ ليأتيهُ بالثَّمنِ حينَ شربَ، ورَهنَ الدِّيكَ، فخاسَ[12] بهِ، فبقيَ محبوساً.

وأنَّ نوحاً، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، حينَ بَقيَ في اللُّجَّةِ، ايَّاماً بَعثَ الغرابَ، فوقَعَ على جِيفةٍ ولم يَرجِعْ، ثمَّ بَعثَ الحمامةَ لتَنظُرَ هل تَرى في الأرضِ مَوضعاً يكونُ للسَّفينةِ مَرفأً، واستَجعلَت[13] على نوحٍ الطَّوقَ الَّذي في عُنقِها، فرشاها بذلك، اي فجعلَ ذلك جُعلًا لها.

١ * يتقمَّم: مضارع تقمم: طلب الكناسات.

٢ * يتطيَّرون: يتشاءمون.

٣ * الزَّجر: من زجر فلان الطائر رماه بحصاة، او صاح به ليطير فاذا ولاه ميامنه تفاءل به، وان ولاه مياسره تطير منه.

٤ * الطِّيرة: التشاؤم.

٥ * كنى عليه: تكلم بما يستدل به: سماه به دون ان يصرح. وكناه

٦ * الملدوغ: مفعول من لدغته الحية، والعقرب لسعته. قال الازهري: اللدغ يكون بالناب.

٧ * المنهوش: مفعول من نهشته الحية: لسعته. قال ثعلب: النهش يكون بالاسنان والاضراس.

٨ * المهالك: ج مهلكة: الارض التي تهلك السائر فيها.

٩ * الفيافي: ج فيفاء: المفازة لا ماء فيها.

١٠ * المفاوز: ج مفازة، من الفوز، سميت كذلك تفاؤلًا.

١١ * الغِدفان: ج غُداف بضم اوله، وهو الاسود الضخم من الغربان

١٢ * خاس به: غدر به.

١٣ * استجعلت: طلبت الجُعالة وهي الرشوة، والرشوة الجعل، العطاء في مقابل نفع.

ومَن لا عِلمَ عندَه يروي أيضاً: أنَّ إبليسَ قد دَخلَ جَوفَ الحمارِ مرةً؛ وذلك أنَّ نوحاً لمَّا دَخل السَّفينةَ تمنَّعَ الحمارُ بعُسره، ونَكَدِه، وكانَ إبليسُ قد أخذَ بذَنبِه. وقال آخرون: بل كانَ في جوفِه، فلمَّا قال نوحٌ للحمارِ: ادخُل يا ملعونُ! ودخلَ الحمارُ، دَخلَ إبليسُ معَه، إذ كانَ في جوفِه. قال: فلمَّا رآه نوحٌ في السَّفينةِ قال: يا ملعونُ من ادخلَكَ السَّفينةَ؟ قال: أنتَ أمرتَني؛ قال: ومَتى أمرتُكَ؟ قالَ: حين قلتَ ادخُل يا ملعونُ، ولم يكن ثمَّ ملعونٌ غيري.

عضُّ ذوات الخراطيم

والذِّئابُ والبَعوضُ من ذواتِ الخَراطيمِ، ولذلك اشتدَّ عضُّها، وقويَت على خَرقِ الجلودِ الغِلاظِ. وقال الرَّاجزُ في وصفِ البعوضةِ:

مِثلُ السَّفاةِ[1]، دائمٌ طَنينُها، رُكِّبَ في خُرطومِها، سِكِّينُها

وقالوا: ذواتُ الخراطيمِ من كلِّ شيءٍ أقوى عضًّا ونابًا وفكًّا: كالذِّئبِ، والخِنزيرِ، والكلبِ. وأمَّا الفيلُ فإنَّ خرطومَه هو أنفُه، كما أنَّ لكلِّ شيءٍ من الحيوانِ أنفاً؛ وهو يدُه، ومنه يُغنّي، وفيه يُجري الصَّوتَ، كما يُجري الزَّامرُ الصَّوتَ، في القَصَبةِ، بالنَّفخِ، ومتى تضاغطَ الهواءُ صوَّتَ على قَدرِ الضَّغطِ، او على قدرِ الثَّقبِ.

الوالغُ[2] من الحيوانِ

قال: وليسَ شيءٌ ممَّا يطيرُ يَلَغُ في الدَّمِ؛ وانَّما يَلَغُ في الدِّماءِ، من السِّباعِ، ذواتُ الأربعِ. واما الطَّيرُ فإنَّها تشربُ حَسْوًا، أو عَبَّةً بعدَ عَبَّةٍ، ونُغبَةً بعدَ نُغبةٍ. وسباعُ الطَّيرِ قليلةُ الشُّربِ للماءِ، والأسدُ كذلك. قال ابو زُبيدٍ الطَّائيُّ:

١ * السفاة: واحدة السفا وهو كل شوك.
٢ * الوالغ: اسم فاعل من ولغ لحق بلسانه.

تَذُبُّ عنه كَفٌّ ، بها رَمَقٌ ، طَيرًا عُكوفًا ، كزُوَّرِ العُرُسِ[1]
إذا وَنَى ونِيـةً دَلَفْنَ له ، فهنَّ من والغٍ ومُنتَهِسِ[2]

قال : والطَّيرُ لا تَلَغُ ، وإنَّما يلَغُ الذِّبابُ . وجعلَه مِنَ الطَّيرِ ، وهو وإن كان يطيرُ فليسَ ذلك من أسمائه . فإذ قد جازَ ان يستعيرَ له اسمَ الطَّائرِ ، جازَ ان يستعيرَ للطَّيرِ وَلَغَ السِّباعِ فيجعَلَ حَسْوَها وَلْغًا . وقال الشَّاعرُ :

سراعٌ إلى ولغِ الدِّماء رِماحُهم ، وفي الحربِ والهيجاء أُسدٌ ضَراغمُ

خَصلتانِ محمودتانِ

قال : وفي الذِّبابِ خَصلتانِ منَ الخِصالِ المحمودةِ : أمَّا إحداهما فقُربُ الحِيلةِ لصَرفِ أذاها ، ودَفعِ مَكروهِها ؛ فمَن أرادَ إخراجَها من البيتِ ، فليسَ بينَه وبينَ أن يكونَ البيتُ على المِقدارِ الاوَّلِ منَ الضِّياءِ والكِنِّ[3] ، بعدَ إخراجِها ، معَ السَّلامةِ منَ التأذِّي بالذِّبانِ ، إلَّا ان يُغلَقَ البابُ ، فإنَّهنَّ يتَبادرنَ إلى الخروجِ ، ويَتسابَقنَ في طَلبِ الضَّوءِ والهَربِ منَ الظُّلمةِ ؛ فإذا أُرخيَ السِّترُ ، وفُتِحَ البابُ عادَ الضَّوءُ ، وسَلِمَ أهلُهُ من مَكروهِ الذِّبابِ . فإن كان في البابِ شَقٌّ جافٍ[4] أغلقَ أحدَ البابينِ عن صاحبِه[5] ، ولم يُطبِقْه عليه إطباقًا . وربَّما خرَجنَ منَ الفَتحِ الَّذي يكونُ بينَ اسفلِ البابِ والعَتَبةِ . والحِيلةُ في إخراجِها ، والسَّلامةِ من أذاها ، يسيرةٌ . وليسَ كذلكَ البَعوضُ ، لأنَّ البَعوضَ إنَّما يَشتدُّ أذاه ، ويقوى سُلطانُه ، ويَشتدُّ كَلَبُه ، في الظُّلمةِ ، كما يَقوى سُلطانُ الذِّبَّانِ في الضِّياءِ ؛ وليسَ يُمكِنُ النَّاسَ أن يُدخِلوا منازِلَهم ، مِنَ الضِّياءِ ما يَمنَعُ عَمَلَ البَعوضِ ؛ لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلَّا بإدخالِ الشَّمسِ ، والبَعوضُ لا يكونُ إلَّا في الصَّيفِ ، وشَمسُ الصَّيفِ لا صَبرَ عليها . وليسَ في الارضِ ضِياءٌ

١ * تذب : تدفع ◎ الرمق : بقية الحياة ◎ العكوف : جمع عاكف اسم فاعل من عكف على الشيء : اقبل عليه ولزمه ◎ زوّر : جمع زائر ◎ العرس : وليمة الزواج وضم الراء للشعر .

٢ * ونى : ابطأ ◎ دلفن : مشين مشية المقيد ◎ المنتهس : اسم فاعل من النهس اللحم : اخذه بمقدم اسنانه ونتفه .

٣ * الكن : الستر .

٤ * جافٍ : ابعد .

٥ * احد البابين عن صاحبه : اي احد مصراعي الباب عن المصراع الاخر .

انفصلَ من الشَّمسِ إلّا ومعَه نصيبُه منَ الحرّ. وقد يفارقُ الحرُّ الضّياءَ في بعض المَواضع، والضّياءُ لا يفارقُ الحرَّ في مكانٍ من الاماكن.

فإمكانُ الحيلةِ في الذُّبابِ يسيرٌ، وفي البعوضِ عسيرٌ.

والفضيلةُ الأُخرى: أنّه لولا أنَّ الذُّبابةَ تأكلُ البعوضةَ، وتَطلُبُها وتلتمسُها على وُجوهِ حيطانِ البيوتِ، وفي الزّوايا، لما كان لأهلِها فيها قرارٌ.

عُمرُ الذّبّانِ

وقالَ لي المَكّيُّ مرّةً: إنّما عُمرُ الذّبانِ أربعون يوماً. قلتُ: هكذا جاء في الأثَرِ. وكُنّا، يومئذٍ، بواسطٍ[1]، في أيّامِ العَسكَرِ؛ وليسَ بعدَ أرضِ الهندِ، اكثرُ ذُباباً مِن واسطٍ؛ ولرُبّما رأيتَ الحائطَ وكأنَّ عليه مِسحاً[2] شديدَ السَّوادِ من كثرةِ ما عليهِ منَ الذّبّانِ. فقلتُ المكّيّ: أحسِبُ الذّبّانَ يموتُ في كلِّ اربعينَ يوماً، وإن شِئتَ ففي أكثرَ، وإن شِئتَ ففي أقلّ؛ ونحنُ، كما ترى، نَدوسُها بأرجلِنا؛ ونحنُ هاهنا مقيمونَ مِنذ اكثرِ مِن اربعين يوماً، بل منذُ أشهُرٍ وأشهُرٍ، وما رأينا ذُباباً واحداً ميتاً؛ فلو كان الأمرُ على ذلكَ، لرأينا المَوتى كما رأينا الاحياء. قالَ: إنَّ الذُّبابةَ إذا ارادت أن تموتَ ذهبت إلى بعضِ الخَرائب[3]. قلتُ: فإنّا قد دخلنا كلَّ خَربةٍ في الدُّنيا، ما رأينا فيها قطُّ ذُباباً ميتاً.

وكانَ المَكّيُّ طَيّباً[4]، طَيّبَ الحُجَجِ، ظَريفَ الحِيَلِ، عجيبَ العِللِ، وكانَ يدّعي كلَّ شيءٍ على غايةِ الإحكامِ، ولم يُحكِم شيئاً قطّ، لا منَ الجليلِ، ولا منَ الدّقيقِ.

أذى الذّبّانِ

وقال مُحمّدُ بنُ حربٍ: يَنبغي أن يكونَ الذّبّانُ سُمّاً ناقِعاً[5]؛ لأنَّ كلَّ

١. واسط: مذكر، مصروف، وقد يمنع من الصرف. بلد في العراق اختطه الحجاج بن يوسف الثقفي في سنتين.

٢. المسح: كساء من الشعر جمعه: أمساح ومسوح.

٣. الخرائب: جمع خربة بفتح فكسر وهي موضع الخراب.

٤. طيباً: ظريفاً فكهاً. ووردت في غير نسخة: طبيباً.

٥. الناقع: الماء الثابت.

شيء يشتدُّ أذاه باللَّمس من غيره، فهو بالمُداخلة والمُلابسة أجدرُ أن يُؤذي. وهذه الأفاعي والثَّعابينُ والجرَّارات[1] قد تَمَسُّ جلودها ناسٌ، فلا تضرُّهم إلَّا بأن تُلابسَ إبرةُ العقرب، ونابُ الافعى، الدَّمَ. ونحنُ قد نَجدُ الرَّجلَ يَدخُلُ في خَرقِ أنفه ذُبابٌ، فيجولُ في أوَّله من غيرِ أن يُجاوزَ ما حاذى رَوثَةَ[2] أنفه وأَرنَبَتَه[3]، فيُخرِجُه الإنسانُ من جَوفِ أنفه بالنَّفخِ وشِدَّةِ النَّفَس، ولم يكن له هنالك لَبْثٌ[4]، ولا كانَ منهُ عَضٌّ، وليسَ إلَّا ما مَسَّ بقوائمه وأطرافِ جَناحيه؛ فيَقعُ في ذلك المَكانِ، من أنفه، من الدَّغدَغَة[5]، والأُكالِ[6]، والحكَّة، ما لا يَصنَعُ الخَردَلُ، وبَصَلُ النَّرجس، ولَبَنُ التِّين. فليسَ يكونُ ذلك منه إلَّا وفي طبعه من مُضادَّةِ طِباعِ الإنسانِ ما لا يَبلُغُه مُضادَّةُ شيء، وإن أفرَطَ.

قال: وليسَ الشَّأنُ في أنَّه لم يَنخَس[7]، ولم يَجرَح، ولم يَخزْ، ولم يَعَضَّ، ولم يَغمِز[8]، ولم يَخدُشْ؛ وإنَّما هو على قَدرِ مُنافرةِ الطِّباعِ للطِّباعِ، وعلى قَدرِ القَرابةِ والمُشاكلةِ.

قاضي البَصرة والذُّباب

كان لنا، بالبَصرة، قاضٍ يقالُ له عبدُالله بنُ سَوَّار، لم يرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ، ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً[9]، ولا وَقوراً حليماً، ضَبطَ من نفسه، ومَلَكَ من حَركَتِه، مثلَ الَّذي ضَبطَ ومَلَك. كان يُصلِّي الغَداةَ في مَنزِله، وهو قريبُ الدَّارِ من مَسجِده؛ فيأتي مجلِسَه، فيَحتَبي[10] ولا يتَّكئُ، فلا يَزالُ

١ * الجرارات: ضرب من العقارب صفار، تجرر أذنابها وهي اشد العقارب فتكا.

٢ * روثة الانف: طرف الارنبة.

٣ * الأرنبة: طرف الانف.

٤ * لبث: بقاء، اقامة.

٥ * الدغدغة: غمز يحدث عنه الفعال مزعج؛ وهو ما تسميه العامة زكزكة.

٦ * الأكال: الحكة.

٧ * ينخس: مضارع نخسه: غرزه بشيء يحدث هياجا.

٨ * يغمز: مضارع غمزه: نخسه ووخزه.

٩ * الزميت: العظيم الوقار الركين: الرزين.

١٠ * يحتبي: مضارع احتبى: جمع القاعد بين ظهره وساقيه بعمامة او نحوها.

مُنتَصِباً ، لا يَتحرَّكُ له عُضوٌ ، ولا يَلتفِتُ ، ولا يَحُلُّ حُبوَتَه[١] ، ولا يُحوِّلُ رِجلًا عن رِجلٍ ، ولا يَعتمِدُ على أحد شِقَّيه[٢] ، حتَّى كأنَّهُ بِناءٌ مَبنيٌّ ، أو صَخرةٌ مَنصوبة . فلا يَزالُ كذلك ، حتَّى يقومَ إلى صلاةِ الظُّهرِ ؛ ثمَّ يعودُ الى مَجلِسِه فلا يَزالُ كذلك ، حتَّى يقومَ إلى صلاةِ العَصرِ ؛ ثمَّ يَرجِعُ لمَجلِسِه ، فلا يَزالُ كذلك ، حتَّى يقومَ لصلاةِ المَغرِبِ ؛ ثمَّ ربَّما عادَ إلى مَحلِّه ، بل كثيرًا ما كانَ يكونُ ذلك إذا بقيَ عليه من قراءةِ العهودِ والشُّروطِ والوثائق ؛ ثم يُصلِّي العِشاءَ الأخيرةَ[٣] وينصرِفُ . فالحقُّ يُقالُ : لم يَقُمْ في طولِ تلكَ المُدَّةِ والولايةِ مَرَّةً واحدةً الى الوُضوءِ[٤] ، ولا احتاجَ إليه ، ولا شَربَ ماءً ولا غيرَه من الشَّرابِ . كذلك كانَ شأنُـهُ في طولِ الأيّامِ وفي قصارِها ، وفي صيفِها وفي شِتائِها . وكانَ معَ ذلك لا يُحرِّكُ يَدَه ، ولا يُشيرُ برأسِه . وليس إلَّا أن يتكلَّمَ ، ثمَّ يُوجِزَ ، ويَبلُغَ بالكلامِ اليسيرِ المَعانيَ الكثيرةَ . فبينما هو كذلك ، ذاتَ يومٍ ، وأصحابُه حوالَيه ، وفي البَلاطَينِ[٥] بينَ يدَيه ، إذ سقَطَ على أنفِه ذُبابٌ فأطالَ المُكثَ[٦] ، ثمَّ تحوَّلَ إلى مُؤقِ[٧] عينِه . فرامَ الصَّبرَ في سُقوطِه على المُؤقِ ، وعلى عَضِّهِ ونَفاذِ خُرطومِه ، كما رامَ مِنَ الصَّبرِ على سُقوطِه على أنفِه من غيرِ أن يحرِّكَ أرنبَتَه ، أو يُغضِّنَ[٨] وجهَه ، أو يذُبَّ بإصبعِه ؛ فلمَّا طالَ ذلك عليه منَ الذُّبابِ ، وشغَلَه وأوجَعَه وأحرَقَه ، وقصدَ إلى مَكانٍ لا يَحتمِلُ التَّغافُلَ ، أطبَقَ جَفنَه الأعلى على جَفنِه الأسفَلِ فلم يَنهَضْ ؛ فدعاه ذلكَ إلى أن والى بين الإطباقِ والفتحِ ، فتَنحّى رَيثَما[٩] سكَنَ جَفنُه ؛ ثمَّ عادَ إلى مُؤقِه

١ * الحبوة : الاسر من الاحتباء .

٢ * الشق من الانسان : جانبه الواحد .

٣ * العشاء الاخيرة : خلاف الأولى والاولى هي المغرب .

٤ * الوضوء : بفتح الواو وضمّها ، الغسل .

٥ * البلاطين : شق البساط : الصف .

٦ * المكث : بفتح الميم وضمّها ، الاقامة .

٧ * المؤق : طرف العين مما يلي الانف .

٨ * يغضّن : يشنج ، يقبض

٩ * ريثما سكن جفنه : مقدار الزمان الذي سكن فيه جفنه . وريث في الاصل ، مصدر أجروه ظرفاً ، كما أجروا مقدم الحجّ وخفوق النجم في قولهم : جئت مقدم الحجّ وذهبت خفوق النجم ، اي في وقتهما . واكثر ما يستعمل مستثنى مفرغاً في كلام منفي نحو : ما ريث عنده الا ريثما فرغ من السلام .

بأشدَّ من مرَّتِه الأُولى. فغمَسَ خُرطومَه في مكانٍ كانَ قد أوهاه[1] قبلَ ذلكَ فكانَ احتمالُه له أضعفَ، وعَجزُه عن الصَّبرِ في الثَّانية أقوى، فحرَّكَ أجفانه، وزادَ في شِدَّةِ الحركةِ، وفي فتحِ العينِ، وفي تَتابُعِ الفَتحِ والإطباقِ، فتنحَّى عنه بقدرِ ما سكنت حركتُه، ثمَّ عادَ الى موضعِه. فما زالَ يُلِحُّ عليه، حتَّى استفرغَ صبرَه، وبلَغَ مجهودَه، فلم يَجِدْ بُدًّا من أن يذُبَّ عن عينيهِ بيدِه، ففعلَ، وعيونُ القومِ إليه تَرمُقُه[2]، وكأنَّهم لا يرَوْنَه. فتنحَّى عنهُ بقدرِ ما ردَّ يدَه وسكنَت حركتُه، ثمَّ عادَ إلى موضعِه، ثمَّ ألجأه الى أن ذَبَّ عن وجهِه بطرَفِ كُمِّه؛ ثمَّ ألجأه إلى ان تابعَ بينَ ذلك. وعلِمَ أنَّ فعلَه كلَّهُ بعينِ من حضَرَه من أُمنائِه وجُلسائِه. فلمَّا نظروا إليه قالَ: أشهَدُ أنَّ الذُّبابَ ألَجُّ[3] من الخُنفَساء[4]، وأزهى[5] منَ الغُرابِ! واستغفرُ اللهَ، فما اكثرَ من اعجبَتْه نفسُه، فأرادَ اللهُ، عزَّ وجلَّ، أن يُعرِّفَه، من ضُعفِه، ما كانَ مستوراً! وقد علِمتُ أنِّي عندَ النَّاسِ من أزمَتِ النَّاسِ[6]، فقد غلَبَني وفضَحَني أضعفُ خلقِه! ثمَّ تلا قولَه تعالى: «وإنْ يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يستَنقِذُوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطلُوبُ».

وكانَ بيِّنَ اللِّسانِ، قليلَ فُضولِ الكلامِ؛ وكان مَهيباً في أصحابِه؛ وكان أحدَ مَن لم يُطعَنْ عليه في نفسِه، ولا في تعريضِ أصحابِه للمَنالةِ[7].

الجاحظُ والذِّبَّانُ

فأمَّا الَّذي أصابني أنا منَ الذِّبَّانِ، فإنِّي خرَجتُ أمشي في المُبارَكِ[8]، أريدُ

١ * اوهاه: اضعفه.

٢ * ترمقه: تنظر اليه.

٣ * الج: افعل تفضيل من لجّ في الامر لازمه وواظب عليه.

٤ * الخنفساء: دويبة سوداء منتنة الريح.

٥ * ازهى: افعل تفضيل من زُهيَ الرجل على المجهول: تكبّر وأعجب بنفسه.

٦ * ازمت الناس: اشدهم وقاراً وسكوناً.

٧ * المنالة: مصدر من نال منه: بلغ مقصوده

٨ * المبارك: نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبدالله القسري ◉ وقوله: امشي فيه: اراد امشي في شاطئه ◉ وورد في غير نسخ: امشي من عند ابن المبارك.

دَيرَ الرَّبيعِ ، ولم اقدِرْ على دابةٍ ؛ فمررتُ في عُشبٍ أَشِبٍ[١] ، ونباتٍ مُلتفٍّ كثيرِ الذِّبانِ ، فسقطَ ذُبابٌ من تِلكَ الذِّبانِ على أنفي ، فطردتُه ؛ فتحوَّلَ الى عيني ، فطردتُه ؛ فعادَ الى مُوقِ عيني ، فزدتُ في تحريكِ يدي ، فتنحَّى عني بقَدرِ شِدَّةِ حركتي وذَبّي عن عيني ؛ ولِذِبّانِ الكَلَإِ والغياضِ والرِّياضِ وَقعٌ ليسَ لغيرِها . ثمَّ عادَ اليَّ فعُدتُ عليهِ ؛ ثمَّ عادَ إليَّ فعُدتُ باشدَّ من ذلكَ ؛ فلمَّا عادَ استعملتُ كُمّي فذَبَبتُ به عن وجهي ؛ ثمَّ عادَ ، وانا في ذلكَ أحثُّ السَّيرَ ، أوْمِلُ ، بسرعتي ، انقطاعَه عنّي ؛ فلمَّا عادَ نزعتُ طَيلسانيَ[٢] من عُنقي ، فذببت به عنّي بدَلَ كُمّي ؛ فلمَّا عادَ ولم أجدْ له حيلةً ، استعملتُ العَدْوَ ، فعدَوتُ منه شوطاً تامّاً لم اتكلَّفْ مِثلَه مُذ كنتُ صبيّاً ؛ فتلقّاني الاندلسيُّ ، فقالَ لي : ما لكَ يا أبا عُثمانَ ! هَل مِن حادثةٍ ؟ قُلتُ : نعم ! اكبرُ الحوادثِ : أريدُ أن أخرُجَ من موضعٍ للذُّبّانِ عَليَّ فيه سُلطانٌ ! فضَحِكَ ، حتّى جلَسَ . وانقطعَ عنّي[٣] ، وما صدَّقتُ بانقطاعِه ، حتّى تباعَدَ جدّاً .

الذَّرَّةُ وخصائصُها

قد عَلِمنا أن ليس عندَ الذَّرَّةِ غَناءٌ[٤] الفَرَسِ في الحربِ ، والدَّفعِ عن الحريمِ . ولكنَّا إذا اردنا مَوضِعَ العَجبِ والتَّعجيبِ ، والتَّنبيهِ على التَّدبيرِ ، ذكَرنا الخسيسَ القليلَ ، والسَّخيفَ المهينَ ، فأريناكَ ما عندَه من الحِسِّ اللَّطيفِ والتَّقديرِ الغريبِ ؛ ومنَ النَّظرِ في العواقبِ ، ومُشاكلةِ الإنسانِ ومُزاحمتِه .

والإنسانُ هو الذي سُخِّرَ له هذا الفَلَكُ بما يَشتمِلُ عليهِ . وقد عَلِمنا أنَّ الذَّرَّةَ تَدَّخِرُ للشِّتاءِ في الصَّيفِ ، وتتقدَّمُ في حالِ المهلةِ ، ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكانِ الحَزمِ . ثمَّ يَبلُغُ من تفقُّدِها وحُسنِ خُبرِها ، والنَّظرِ في عواقبِ أمرِها ، أنَّها تَخافُ على الحُبوبِ ، الَّتي ادَّخرَتها للشِّتاءِ في الصَّيفِ ، أن تعفَنَ وتُسوِّسَ ،

١ . أَشِب : ملتفّ .

٢ . الطيلسان : كساء مدوّر ، اخضر ، لحمته او سداه من صوف ، يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم . واصل اللفظة في الفارسية تاسان .

٣ . انقطع عني : يريد الذباب

٤ . غناء : نفع .

ويقبلها بطنُ الارضِ ، فتُخرِجها الى ظَهرها لتُيبِّسَها وتعيدَ إليها جُفوفَها ، وليَضرِبها النَّسيمُ ، وينفي عنها اللَّخَنَ[1] والفَسادَ .

ثُمَّ ربَّما كانَ — بل يكونُ اكثرَ ، — مكانُها نَديًّا ؛ وإن خافَت أن تنبُتَ نقرَت مَوضِعَ القِطمِيرِ[2] من وسَطِ الحَبَّةِ ، وتعلَمُ أنها من ذلك الموضِعِ تَبتدِئُ وتَنبُتُ وتنقلِبُ ؛ فهي تفلِقُ الحَبَّ كلَّه أنصافاً . فأمَّا إذا كان الحَبُّ من حَبِّ الكُزبُرةِ ، فلَقَتْه أرباعاً ، لأنَّ أنصافَ حَبِّ الكُزبُرةِ يَنبُتُ من بينِ جميعِ الحُبوبِ . فهي ، على هذا الوجه ، مُجاوِزةٌ لفِطنةِ جميعِ الحيوانِ ، حتَّى رُبَّما كانت ، في ذلك ، أحزَمَ من كثيرٍ منَ النَّاسِ .

ولها ، مع لطافةِ شخصِها ، وخِفَّةِ وَزنِها ، في الشَّمِّ والاسترواح[3] ، ما ليسَ لشيءٍ .

ورُبَّما أكلَ الإنسانُ الجَرادَ ، أو بعضَ ما يُشبِهُ الجَرادَ ، فتسقُطُ ، من يدِه ، الواحدةُ ، أو صدرُ الواحدةِ ، وليسَ يَرى بقُربِه ذَرَّةً ، ولا له بالذَّرِّ عهد في ذلك المنزِلِ . فلا يَلبَثُ أن تُقبِلَ ذرَّةٌ قاصدةٌ الى تلك الجرادةِ ، فتروِمَها ، وتُحاوِلَ قلبَها ونقلَها ، وسَحبها وجرَّها ، فإذا أعجَزَتها ، بعدَ أن بلَغَت عُذرًا ، مضَت الى جُحرِها راجعةً ، فلا يَلبَثُ ذلك الإنسانُ أن يراها قد أقبَلَت ، وخلفَها صُويحباتُها كالخيطِ الأسودِ الممدودِ ، حتَّى يتعاوَنَّ عليها ، فيَحمِلنَها .

فأوَّلُ ذلك صِدقُ الشَّمِّ لما لا يَشُمُّه الإنسانُ الجائعُ ؛ ثُمَّ بُعدُ الهِمَّةِ والجَراءةُ على مُحاوَلةِ نَقلِ شيءٍ في وَزنِ جِسمِها مائةَ مَرَّةٍ ، وأكثرَ من مائةِ مَرَّةٍ .

وليسَ شيءٌ من الحيوانِ يقوَى على حَملِ ما يكونُ ضُعفَ وزنِه مِرارًا غيرَها ، وعلى أنَّها لا تَرضى بأضعافِ الأضعافِ ، إلَّا بعدَ انقطاعِ الانفاسِ .

١ . اللَّخن : النتانة وخبث الرائحة .
٢ . القطمير : شق النواة ، واراد هنا شق كل حبة
٣ . الاسترواح : التشمم .

تأديب الحيوان

فالخِنزيرُ يكونُ أهليًا ووحشيًا، كالحميرِ والسَّنانيرِ، مما يُعايشُ النَّاسَ، وكلُّها لا تَقبَلُ الآدابَ. وإنَّ الفُهودَ[1]، وهيَ وحشيَّةٌ، تقبلُ كلُّها، كما تقبلُ البوازي، والشَّواهينَ[2]، والصُّقورةَ[3]، والزُّرَقَ، واليُوْيُوْ، والعُقاب[4]، وعَناقَ الأرضِ[5]، وجميعَ الجَوارحِ الوحشيَّاتِ. ثمَّ يَفضُلُها الفهدُ بخَصلةٍ غريبةٍ: وذلكَ أنَّ كبارها ومسانَّها أقبلُ للآدابِ، وإن تقادَمَت في الوَحشِ، من اولادِها الصِّغار، وإن كانَت تقبلُ الآدابَ؛ لأنَّ الصَّغيرَ، إذا أُدِّبَ، فبلَغَ، خرجَ جَبيناً[6] مُواكِلاً[7]، والمُسِنُّ الوحشيُّ يخلُصُ لك كلُّه، حتَّى يصيرَ أصيدَ وأنفعَ. وصِغارُ سِباعِ الطَّيرِ وكبارُها على خلافِ ذلك، وإن كان الجميعُ يقبلُ الآدابَ. والخِنزيرُ، وإن كان أهليًا، فإنه لا يقبلُ الادبَ على حالٍ، حتَّى كأنَّه، وإن كان بهيمةً، في طباعِ ذئبٍ.

وذلك أنَّ أعرابياً أخذَ جَروَ ذئبٍ، وكان التقطَه التقاطاً، فقال: أخذتُه وهو لا يعرفُ ابوَيهِ ولا عَمَلها، وهو غِرٌّ[8] لم يَصِدْ شيئاً، فهو إذا ربَّيناه وألَّفناه[9] أنفعُ لنا من الكلبِ. فلمَّا شَبَّ عَدَا على شاةٍ له فقتَلَها، وأكلَ لحمَها فقال الأعرابيُّ:

اكلتَ شُوَيهتي، وَرَبَيتَ فينا؛ فمن أنبأكَ أنَّ أباكَ ذيبُ؟

١ * الفهود: واحدها فهد: سبع بين الكلب والنمر، مرقَّط كالنمر، ولكن رقطه متفرقة لاتجتمع كالحلق كما في النمر، وليس لمخالبه اكمام كما لمخالب النمر.

٢ * الشواهين: واحدها شاهين، طائر من الجوارح بين الصقر والحرّ، طويل الجناحين لون رأسه وذنبه اسود ضارب الى الزرقة، اما صدره فابيض ضارب الى الشوشيرى.

٣ * الصقورة: واحدها صقر، جنس من الجوارح مجدول البدن، مستدير المنخرين، طويل الجناحين والذنب، عاري المنخرين، قصير الشعر معقَّفه، له سنّ في كل من شدقيه.

٤ * الزرق واليوْيو والعقاب تقدم وصفها في «اقسام الطير».

٥ * عناق الارض: حيوان من آكلات الاجور، ومن فصيلة السنانير، اكبر من القط قليلاً، لونه احمر وفي اعلى كل من اذنيه شعرات سود.

٦ * الجبين: الجبان.

٧ * المواكل: العاجز.

٨ * الغرّ: من لا تجربة له.

٩ * ألفه: جعله اليفاً.

فالذئبُ وجَروُ الذئبِ ، إذ كانا سَبُعَينِ وحشيَّينِ ، كانا ثمَّ من أشدِّ الوَحشِ توحُّشاً ، والزمِها للقفار ، وابعدِها من العمران .

والذئبُ أغدرُ من الخِنزيرِ والخَنوصِ ، وهما بهيمتانِ .

حيّة تصيد العصافير

حدَّثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ[1] النَّحويُّ ، العَنبريُّ ، وأخوهُ رَوحٌ الكاتبُ ، ورجالٌ من بني العَنبرِ : أنَّ ، عندَهم ، في رِمالِ بَلعنبرِ ، حيَّةً تَصيدُ العَصافيرَ وصِغارَ الطَّيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنَّها ، إذا انتصفَ النَّهارُ ، واشتدَّ الحرُّ في رمالِ بلعنبرِ ، وامتنعَت الأرضُ على الحافي والمُنتعلِ ، ورمِضَ[2] الجُندَبُ ، غمسَت هذه الحيَّةُ ذنبَها في الرَّملِ ، ثمَّ انتصبَت كأنَّها رُمحٌ مَركوزٌ ، أو عُودٌ ثابتٌ ، فيَجيءُ الطائرُ الصَّغيرُ أو الجَرادةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً ، وكرهَ الوُقوعَ على الرَّملِ لشدَّةِ حرِّه ، وقعَ على رأسِ الحيَّةِ ، على أنَّها عودٌ ، فإذا وقعَ على رأسِها قبضَت عليه . فإن كان جرادةً ، أو جُعَلاً ، أو بعضَ ما لا يُشبعُها مثلُه ، ابتلعَتهُ وبَقيت على انتصابِها ؛ وإن كان الواقعُ على رأسِها طائراً يُشبعُها مثلُه أكلَته وانصرفَت ؛ وأنَّ ذلك دأبُها ما منعَ الرَّملُ جانبَه في الصَّيفِ والقيظِ ، في انتصافِ النهارِ والهاجرةِ ؛ وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عودٌ ، وأنَّه سيقومُ له مَقامَ الجِذلِ[3] للجرباء[4] ، إلى أن يسكنَ الحرُّ ووَهجُ الرَّملِ .

وفي هذا الحديثِ من العَجَبِ أن تكونَ هذه الحيَّةُ تَهتدي لمثلِ هذه الحيلة ؛ وفيه جهلُ الطَّائرِ بفَرقِ ما بينَ الحيوانِ والعود ؛ وفيه قِلَّةُ اكتراثِ الحيَّةِ بالرَّملِ الَّذي عادَ كالجمرِ ، وصلُحَ أن يكونَ مَلَّةً[5] ، ومَوضِعاً للخُبزَةِ[6] ؛

١ . المكفوف : الاعمى .

٢ . رمض : آلمه الرَّمض واحرقه ، والرَّمض شدّة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

٣ . الجذل : ما عظم من اصول الشجر .

٤ . الجرباء : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتاون بلون الجدل الذي تقف عليه فيظنها راتبها فتنوء فيه لا شيئاً غريباً فتحفظ نفسها بذلك .

٥ . المَلَّة : الرماد الحار .

٦ . الخُبزة : عجين يوضع فى الملة حتى ينضج .

ثمّ أن يشتمل ذلكَ الرّملُ على ثُلثِ الحيّة ساعاتٍ من النهارِ ، والرملُ على هذه الصّفةِ . فهذه أعجوبةٌ من اعاجيبِ ما في الحيّاتِ.

حيّاتٌ ترضعُ البقر

وزعمَ لي رجالٌ منَ الصّقالبةِ ، خصيانٌ وفحولٌ ، أنَّ الحيّةَ ، في بلادِهم ، تأتي البَقرةَ المُحفّلة[1] ، فتنطوي على فخذَيها ورُكبَتيها إلى عَراقيبها ، ثمّ تُشخِصُ صدرَها نحوَ أخلافِ ضرعِها[2] ، حتّى تلتقمَ الخِلفَ ، فلا تستطيعُ البقرةُ ، مع قوّتِها ، أن تترمرم[3] ؛ فلا تزالُ تمُصُّ اللّبنَ ، وكلّما مصّت استرخت ، فاذا كادَت تتلفُ أرسلَتها

وزعموا أنَّ تلك البقرةَ إمّا أن تموتَ ، وإمّا أن يُصيبَها في ضرعِها فسادٌ شديدٌ تعسُرُ مُداراته.

والحيّةُ تُعجبُ باللّبنِ ؛ وإذا وجدتِ الافاعي الإناءَ غيرَ مُخمَّرٍ[4] كرَعَت[5] فيه ، وربّما مجّت[6] فيه ما صارَ في جوفِها ، فيُصيبُ شاربَ ذلك اللّبنِ أذىً ومكروهٌ كثيرٌ.

ويُقالُ : إنَّ اللّبنَ مُحتضَرٌ[7] ، فظنَّ كثيرٌ من العُلماء أنَّ المعنى في اللّبنِ إنّما رجعَ إلى الحيّاتِ.

والحيّةُ تُعجبُ باللُّفّاحِ[8] ، والبطّيخِ ، وبالحُرفِ[9] ، والخَرْدَلِ المرخوفِ[10] ،

١ . المحفّلة : التي لم تحلب خلال ايام حتى يجتمع لبنها في ضرعها.

٢ . الاخلاف : واحدها خِلف ، وهو حلمة الضرع او طرفه. والضرع للبقرة كالثدي للمرأة.

٣ . تترمرم : تتحرك.

٤ . مخمّر : من خمّر الاناء غطاه.

٥ . كرع في الاناء او في الماء : تناوله بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا بانائه.

٦ . مجّت : بصقت.

٧ . محتضر : تحضره الجن فيما يزعمون قالوا : ولذلك يسرع اليه الفساد.

٨ . اللّفاح : نبت عريض الورق وله ثمر بحجم التفاح الا انه اصفر شديد العفوصة والقبض ، فاذا نضج مال الى الحلاوة . ويسمى تفاح الجنّ.

٩ . الحرف : حب الرشاد.

١٠ . المرخوف : الذي وضع عليه الماء فاسترخى.

وتكرهُ ريحَ السَذابِ[١]، والشيحِ[٢]، كما تكرهُ الوَزَغَ[٣] ريحَ الزَعفرانِ[٤].

قوةُ بَدنِ الحيَّةِ

وليسَ في الأرضِ شيءٌ جِسمُه مثلُ جسمِ الحيَّةِ، إلَّا والحيَّةُ أقوى بدناً منه أضعافاً. ومن قُوَّتِها أنها إذا أدخلت رأسَها في جُحرِها، أو في صدعٍ، إلى صَدرِها، لم يستطعْ أقوى النَاسِ وهو قابضٌ على ذَنَبِها بكلتا يديه، أن يُخرجَها، لشِدَّةِ اعتمادِها[٥]، وتعاوُنِ أجزائِها. وليست بذات قوائمَ لها أظفارٌ، أو مخالبُ، أو أظلافٌ، تُنشبُها في الارضِ، وتَتشبَّثُ بها، وتَعتمِدُ عليها. وربَّما انقطعَت في يدَيِ الجاذبِ لها، مع أنَّها لَدِنَةٌ[٦]، مَلساءُ، عَلِكَةٌ[٧] فيحتاجُ الرَّفيقُ في أمرِها، عند ذلك، أن يُرسِلَها من يدَيهِ بعضَ الارسالِ، ثمَّ يَنشُطُها[٨] كالمُختَطِفِ، والمُختَلِسِ، وربَّما انقطعَ ذنبُها في يدِ الجاذبِ لها؛ فأمَّا أذنابُ الأفاعي فإنَّها تَنبُتُ.

ومن عجيبِ ما فيها، من هذا البابِ: أنَّ نابَها يُقطَعُ بالكازِ[٩]، فينبُتُ، حتَّى يَتِمَّ نباتُه في أقلَّ من ثلاثِ ليالٍ.

علَّة قوَّة بدنها

قال: وربَّما قبضَ الرَّجلُ الشَّديدُ الأسرِ[١٠] والقوَّةِ القَبضةَ على قَفا الحيَّةِ، فتَلتفُّ عليه فتَصرعُه، وفي صُعودِها، وفي سعيِها خلفَ الرَّجلِ الشَّديدِ الحُضرِ[١١]،

١ * السذاب : نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر وزهره اصفر ورائحته مكروهة وتسميه العامة النيجم

٢ * الشيح : نبات على نوعين : اصفر يشبه السذاب في ورقه وهو الأرمني، واحمر غليظ الورق وهو التركي وكله طيب الرائحة. ومنه عربي ينبت في بلاد العرب وترعاه المواشي.

٣ * الوزغ : سام ابرص (ابو بريص).

٤ * الزعفران : نبت له اصل كالبصل وزهره احمر الى الصفرة.

٥ * اعتمادها : استنادها مع حسن الركون.

٦ * لدنة : لينة.

٧ * علكة : تتلزج كالعلك.

٨ * ينشطها : يزعجها في اختلاس.

٩ * الكاز : المقص بالفارسية.

١٠ * الأسر : القوة، والشدة.

١٢ * الحضر : الجري.

أو عندَ هربها حتى تفوتَ وتسبقَ ، وليست بذاتِ قوائمَ ، وإنما تنسابُ على بطنِها ؛ وفي تدافعِ اجزائها وتعاونِها ؛ وفي حركةِ الكلِ من ذاتِ نفسِها ، دليلٌ على إفراط قوةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغُ ، وإنما تبتلعُ ؛ فربما كانَ في البضعةِ[1] ، أو في الشيء الذي ابتلعته عظمٌ ، فتأتي جذمَ[2] شجرةٍ ، أو حجرًا شاخصاً ، فتنطوي عليه انطواء شديدًا ، فيتحطمُ ذلك العظمُ حتى يصيرَ رُفاتاً .

ثمَّ يقطعُ ذنبُها فينبتُ ؛ ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعدَ أن كانت برّيةً ؛ وتعيشُ في البرِ ، بعدَ أن طالَ مُكثُها في الماء وصارت مائيةً .

قالَ : وإنما أتتها هذه القوةُ ، واشتدَّت فقرُ ظهرِها هذه الشدةَ ، لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أنَّ لها مِنَ الأضلاعِ عددَ أيامِ الشهرِ ؛ وهي ، معَ ذلك ، أطولُ الحيوانِ عمرًا .

زَرَادُشت[3] والفأرةُ والسَّنَّورُ

ويَزْعُمُ زَرَادُشتُ ، وهو مَذهبُ المَجوسِ[4] ، أنَّ الفأرةَ من خلقِ اللهِ ؛ وأنَّ السِّنَّورَ من خلقِ الشَّيطانِ ، وهو إبليس[5] ، وهو أهرمن . فإذا قيلَ له : كيفَ تقولُ ذلك والفأرةُ مُفسدةٌ ، تجذبُ فتيلةَ المِصباحِ ، فتحرقُ بذلك البيتَ ، والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العظامَ ، والأرباضَ[6] الواسعةَ ، بما فيها منَ النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ؛ وتقرضُ دفاترَ العلمِ ، وكُتبَ اللهِ ، ودقائقَ

١ * البضعة : القطعة من اللحم .

٢ * الجذم : الأصل .

٣ * زرادشت : رجل ظهر في عهد كيشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا الى دين المجوسية ، ويقال انه ظهر قبل الاسكندر بنحو ثلثماية سنة .

٤ * المجوس : فرقة من الثنوية ، اي انهم يقولون بالهين اثنين: اهرمن وهو رمز لقوة الشر ، وارموزد وهو رمز لقوة الخير ؛ وكان زرادشت يرى ان هذين الالهين يظلان في نزاع دائم حتى يتغلب ارموزد على اهرمن في نهاية الامر .

٥ * ابليس : علم جنس للشيطان ، قيل هو من أبلس بمعنى يئس وتحيّر ؛ وعند صاحب محيط المحيط انه معرّب ذيافوليس باليونانية ومعناه قاذف ، ومُجرّب .

٦ * الارباض : ج الربض وهو ما حول المدينة من بيوت ومساكن .

الحِسابِ ، والصِّكاكَ[١] والشُّروطَ[٢] ؛ وتَقرِضُ الثِّيابَ ، وربَّما طَلَبتَ القُطنَ لتَاكُلَ بزرَه ، فتَدَعُ اللِّحافَ غِربالًا ؛ وتَقرِضُ الجُربَ[٣] ، وأوكِيَةَ[٤] الأَسقِيَةِ[٥] والأزقاقِ[٦] والقِرَبِ[٧] ، فتُخرِجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقَعُ في الآنيةِ ، وفي البئرِ ، فتموتُ فيها ، وتُحوِجُ النَّاسَ إلى مُؤنِ عِظامٍ ؛ وربَّما عضَّت رِجلَ النَّائمِ ؛ وربَّما قَتَلتِ الإنسانَ بعضَّتِها . والفأرُ يخرِسانَ ربَّما قطَعَت أُذنَ الرَّجُلِ . وجِرذانُ أنطاكيةَ تَعجِزُ عنها السَّنانيرُ ، وقد جلا عنها قومٌ وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرذانِها . وهي الَّتي فجَّرتِ المُسَنَّاةَ[٨] ، حتَّى كان ذلك سببَ الحَسرِ[٩] بأرضِ سَبَأ ، وهي المضروبُ بها المَثَلُ . وسيلُ العَرِمِ ممَّا تؤرِّخُ بزمانِه العربُ . والعَرِمُ : المُسَنَّاةُ . وإنَّما كانَ جُرَذًا .

وتقتُلُ النَّخلَ والفَسيلَ[١٠] ، وتخرِبُ الضَّيعةَ ، وتأتي على أزمَّةِ الرِّكابِ والخُطُمِ[١١] ، وغيرِ ذلك منَ الأموالِ .

والنَّاسُ ربَّما اجتلبوا السَّنانيرَ ليَدفعوا بها بَوائقَ[١٢] الفأرِ . فكيفَ صارَ خَلقُ الضَّارِّ المُفسِدِ من الله ، وخَلقُ النَّافعِ من الضَّرَرِ من خَلقِ الشَّيطانِ ؟ !

والسِّنَّورُ يُعدَى به[١٣] على كلِّ شيءٍ خلَقَه الشَّيطانُ من الحيَّاتِ ، والعَقاربِ ، والجِعلانِ ، وبَناتِ وَردانَ[١٤] . والفأرةُ لا نَفعَ لها ، ومُؤنُها عظيمةٌ .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ في البَحرِ لقتَلَ عشرةَ آلافِ سمكةٍ .

١ ـ الصكاك : ج الصك ، الوثيقة .

٢ ـ الشروط : ج شرط ، ما يكتب من التزام الشيء والتزامه في البيع او غيره .

٣ ـ الجرب : ج جراب ، وعاء زاد المسافر .

٤ ـ الاوكية : ج وكاء ، الرباط .

٥ ـ الاسقية : ج السقاء ، وهو جلد ولد الشاة ويكون للماء واللبن

٦ ـ الازقاق : ج الزق ، السقاء ويكون للخمر .

٧ ـ القرب : ج قربة ، سقاء مخروز من جانب ، ويكون للماء واللبن .

٨ ـ المسناة : السد الذي يعترض الوادي لتنظيم تدفق المياه .

٩ ـ الحسر : مصدر جسر الماء نضب حتى بدا ما تحته .

١٠ ـ الفسيل : ج فسيلة ، النخلة الصغيرة .

١١ ـ الركاب : الابل ® الازمة : جزمام مقود البعير ® والخطم : ج خطام ، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به .

١٢ ـ بوائق : ج بائقة ، الداهية والشر .

١٣ ـ يعدى به : يستعان به .

١٤ ـ بنات وردان : الصراصير .

فهل سَمِعتَ بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأُضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ، يَبلُغُ مُؤَنَ هذا الاعتلال ؟ ! فالحمدُ للهِ الَّذي كانَ هذا مِقدارَ عقولهم واختيارَهم

حنان العصافير على فراخها

وليسَ في الأَرضِ طائرٌ ، ولا سَبُعٌ ، ولا بهيمةٌ ، أحنى على ولدٍ ، ولا أشدَّ به شَغَفاً[1] ، وعليه إشفاقاً ، منَ العصافيرِ ؛ فإذا أُصيبَت بأولادِها ، أو خافَت عليها العطَبَ ، فليسَ بينَ شيءٍ ، من الأجناسِ ، من المُساعدةِ ، مثلُ الَّذي معَ العَصافيرِ ؛ لأنَّ العُصفورَ يَرى الحيَّةَ قد أقبلَت نحوَ جُحرِه وعُشِّه ووَكْرِه ، لتأكُلَ بيضَه ، أو فِراخَه ، فيَصيحُ ، ويُرنِّق[2] ، فلا يسمَعُ صوتَه عُصفورٌ إلا أقبلَ إليهِ ، وصنَعَ مثلَ صَنيعِه ، بتَحرُّقٍ ، ولَوعةٍ ، وقلَقٍ ، واستغاثةٍ وصُراخٍ . وربَّما أفلتَ الفَرخُ ، وسقطَ إلى الأَرضِ ، وقد ذهبَتِ الحيَّةُ ، فيَجتَمِعنَ عليهِ ، إذا كان قد نَبتَ ريشُه أدنى نَباتٍ ؛ فلا يزَلنَ يُهيِّجنَه ويَطِرنَ حولَه ، لعِلمِها أن ذلكَ يُحدِثُ للفَرخِ قوَّةً على النُّهوضِ ؛ فإذا نهَضَ طِرنَ حَوالَيه ودونَه ، حَتَّى يحتَثَّنَه[3] بذلكَ العملِ .

أنواع الفأر

قال : والفأرُ ضروبٌ : فمنها الجُرذانُ والفأرُ المعروفانِ ، وهما كالجواميسِ والبَقرِ ، وكالبُختِ[4] والعِرابِ[5] ؛ ومنها الزَّبابُ[6] ؛ ومنها الخُلْدُ . واليَرابيعُ شَكْلٌ منَ الفأرِ . واسمُ ولدِ اليَربوعِ دِرصٌ ، مثلُ ولدِ الفأرِ .

ومنَ الفأرِ فأرةُ المسكِ ، وهي دُويبَّةٌ تكونُ من ناحيةِ تُبَّتَ[7] ، تُصادُ

١ * الشغف : كالشغف ان يذهب الحب بفؤاد المحب .

٢ * يرنق : مضارع رنَّق الطائر اذا خفق بجناحيه في الهواء وثبت فلم يطر .

٣ * يحتثثنه : مضارع احتثه : دفعه على الاسراء في سيره .

٤ * البخت : الابل الخراسانية .

٥ * العِراب : الخيل والابل الكرائم السالمة من الوهنة .

٦ * الزباب : ج زبابة : فأر عظيم أصم او احمر الشعر أو بلا شعر تضرب العرب فيه المثل بالسرقة ، فتقول : فلان اسرق من زبابة .

٧ * تبت : بلاد جبلية من اسيا الوسطى واقعة غربي الصين وتابعة لها .

لنوافجها[١] ، وسُررها ؛ فإذا اصطادَها صائدٌ عصَبَ[٢] سُرَّتَها بعصابٍ شديدٍ ، وسُرَّتُها مُدَلَّاةٌ ، فيجتمعُ فيها دمُها ؛ فإذا أحكمَ ذلك ذبحها ، وما أكثرَ من يأكلُها ؛ فإذا ماتت قوَّرَ السُّرَّةَ ، التي كان عصَبَها له والفأرةُ حيَّةٌ ، ثمَّ دفَنَها في الشَّعيرِ حتَّى يَستحيلَ ذلك الدَّمُ المُحتقِنُ هناك ، الجامدُ ، بعدَ موتِها ، مسكاً ذَكيًّا ، بعدَ أن كان ذلك الدَّمُ لا يُرامُ نَتْناً .

قال : وفي البيوتِ أيضاً قد يوجدُ فأرٌ ممَّا يُقالُ له : فأرُ المِسكِ ، وهي جُرذانٌ سودٌ ليسَ عندها إلَّا تلك الرَّائحةُ اللَّازمةُ له .

قال : وفي الجرذانِ جِنسٌ لها عَبَثٌ بالعُقودِ والشُّنوفِ[٣] ، والدراهمِ والدَّنانيرِ ، على شبيهٍ بالَّذي عليه خُلقُ العَقعقِ[٤] ؛ إلَّا أنَّ هذه الجرذانَ تَفرَحُ بالدَّنانيرِ والدَّراهمِ ، وبخُشْخاشِ الحَلْيِ ؛ وذلك أنَّها تُخرِجُها من جُحرِها ، في بعضِ الزَّمانِ ، فتَلعَبُ عليها وحواليها ، ثمَّ تنقُلُها واحداً واحداً ، حتَّى تُعيدَها عن آخرِها إلى مَوضِعِها .

فزعمَ الشَّرقيُّ بنُ القُطاميِّ[٥] ، وقد رَوَوْه عن شَوْكَرٍ[٦] : أنَّ رجلاً من أهلِ الشَّامِ اطَّلعَ على جُرَذٍ يُخرِجُ من جُحرِه ديناراً ، ديناراً ، فلمَّا رآه أخرجَ مالاً صالحاً استخفَّه الحِرصُ ، فهَمَّ أن يأخُذَه ، ثمَّ أدركَه الحَزمُ ، وفَتحَ له الرِّزقُ المَقسومُ باباً من الفِطنةِ ، فقالَ : الرأيُ أن أُمسِكَ عن أخذِه ما دامَ يُخرِجُ ، فإذا رأيتُه يُدخِلُ ، فعندَ أوَّلِ دينارٍ يُغَيِّبُه ويُعيدُه إلى مكانِه أثِبُ عليه ، فأجترِفُ المالَ .

قال : ففَعلتُ ، وعُدتُ إلى موضِعي الَّذي كُنتُ أراه منه فبينما هو يُخرِجُ إذ تَرَكَ الإخراجَ ، ثمَّ جعَلَ يَرقُصُ ويَثِبُ إلى الهواءِ ، ويَذهَبُ يَمنَةً

١ * النوافج : ج النافجة ، وهي وعاء المسك ، اي الجلدة التي يجتمع فيها المسك .

٢ * عصب : ربط .

٣ * الشنوف : ج الشنف ، القرط يلبس في اعلى الاذن .

٤ * العقعق : غراب ابقع طويل الذنب ، سمي بحكاية صوته ، وهو ولوع بالسرقة .

٥ * هو الوليد بن الحصين احد النسّابين والرواة للأخبار والانساب والدواوين ، والقطامي لقب والده الحصين ، هو من الشعراء المحسنين . كان في ايام المنصور العباسي .

٦ * شوكر : اخباري مؤرخ كان في المئة الثانية للهجرة ، ولا يعتمد على روايته لانه كان يضع الاخبار .

ويَسْرَةً ، ثمَّ اخذَ ديناراً فولّى به ، فأدخلَه الجُحرَ ؛ فلمّا رأيتُ ذلك قُمتُ إلى الدَّنانيرِ فأخذتُها ؛ فلمّا عادَ ليأخذَ ديناراً آخرَ فلم يَجِدِ الدَّنانيرَ ، أقبلَ يَثِبُ في الهواء ، ثمَّ يَضربُ بنفسِه الأرضَ ، حتّى ماتَ .

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النِّساء وأشباهِ النِّساء .

نَسجُ العَنكبوت

قال : ومن أجناسِ العَنكَبُوتِ جِنسٌ رَدِيءُ التَّدبيرِ ، لأنَّه يَنسِجُ سِترَه على وجهِ الأرضِ والصُّخورِ ، ويجعلُه على ظهرِ الارضِ خارجاً ، وتكونُ الأطرافُ داخلةً ؛ فإذا وقعَ عليه شيءٌ مما يغتذيه من شكلِ الذِّبانِ ، وما أشبهَ ذلك ، أخذَه .

وأمّا الدَّقيقُ الصَّنعةِ فإنَّه يُصعِدُ بيتَه ، ويُمِدُّ الشَّعرةَ ناحيةَ القرونِ والأوتادِ ، ثمَّ يُسدِّي منَ الوسطِ ، ثمَّ يُهيِّئُ اللُّحمةَ ، ويُهيِّئُ مِصيَدَتَه في الوسطِ ؛ فإذا وقعَ عليها ذُبابٌ وتحرَّكَ ما هناك ، ارتبطَ ونَشِبَتْ[1] به ، فيتركُه على حالِه ، حتّى إذا وثِقَ بوَهْنِه وضَعفِه ، غَلَّه[2] وأدخلَه إلى خِزانتِه ؛ وإن كانَ جائعاً مَصَّ من رُطوبتِه ورمى به ؛ فاذا فَرغَ رَمَّ[3] ما تشعَّثَ[4] من نَسجِه .

واكثرُ ما يَقعُ على تلك المِصيَدَةِ من الصَّيدِ عندَ غَيبوبةِ الشَّمس .

وإنَّما تنسِجُ الأنثى ؛ فأمّا الذكرُ فإنَّه ينقُضُ ويُفسِدُ .

وولدُ العنكبوتِ أعجبُ من الفروجِ الَّذي يَظهرُ الى الدُّنيا كاسباً ، مُحتالاً مكتفياً .

قالَ : وولدُ العنكبوتِ يقومُ على النَّسجِ ساعةَ يولدُ .

قالَ : والَّذي يَنسِجُ به لا يخرُجُ من جَوفِه ، بل من خارجِ جسدِه .

ومنَ العَناكبِ جنسٌ يَصيدُ الذُّبابَ صيدَ الفُهودِ ، وهو الَّذي يُسمَّى اللَّيثُ ، وله ستُّ عيونٍ ؛ وإذا رأى الذُّبابَ لَطِئَ بالارضِ ، وسكَّنَ أطرافَه ؛ وإذا وثَبَ لم يُخطِئْ . وهو من آفاتِ الذبّانِ ، ولا يصيدُ إلّا ذِبانَ النَّاسِ .

١ ـ نشبت به : علقت به والضمير عائد الى المصيدة.
٢ ـ غلّه : اوثقه وقيّده.
٣ ـ رمّ : اصلح.
٤ ـ تشعث : تفرق.



الحروف التي تدخلها اللثغة

وهي أربعةُ حروفٍ : القافُ والسينُ واللامُ والرّاء. فأمّا التي هي على الشّينِ المُعجَمةِ فذلك شيءٌ لا يُصوّرهُ الخطُّ لأنّه ليس من الحروفِ المعروفةِ ، وإنّما هو مخرَجٌ من المخارجِ ، والمخارجُ لا تُحصى ولا يُوقفُ عليها وكذلك القولُ في حروفٍ كثيرةٍ من حروفِ لغاتِ العجمِ ، وليسَ ذلك في شيءٍ اكثرَ منها في لُغةِ الخُوزِ[1] . وفي سواحلِ البحرِ من اسيافِ[2] فارسَ ناسٌ كثيرٌ ، كلامُهم شبيهٌ بالصّفيرِ . فمن يستطيعُ أن يُصوّرَ كثيرًا من حروفِ الزّمزمةِ ، وهي الحروفُ الّتي تظهرُ من فمِ المَجوسيّ إذا تركَ الإفصاحَ عن مَعانيه ، واخذَ في بابِ النِّكايةِ وهو على الطّعامِ ؟ .

فاللّثغةُ الّتي تكونُ للسينِ تكونُ ثاء ، كقوله لأبي يكسومَ : ابي يكثومَ ، وكما يقولون : بُثرةٌ إذا أرادوا بسرةً ، وباثمِ اللهِ اذا ارادوا بسم اللهِ.

والثّانيةُ اللّثغةُ الّتي تَعرضُ للقافِ ، فإنّ صاحبَها يَجعَلُ القافَ طاء ، فاذا أرادَ أن يقولَ : قُلتُ له ، قالَ : طُلتُ له ؛ وأرادَ ان يقولَ : قالَ لي ، قال : طالَ لي.

واما اللّثغةُ الّتي تقعُ في اللّامِ ، فإنّ من أهلها من يجعَلُ اللّامَ ياءً ، فيقولُ بَدلَ قولِه : اعتَلَلتُ ، اعتَيَيتُ ؛ وبَدلَ جمل جَمي . وآخرون يجعلون اللّامَ كافًا ، كالّذي عَرضَ لعُمَرَ أخي هِلالٍ فإنّه كان ، اذا أرادَ ان يقولَ : ما العِلّةُ في هذا ؟ قال : ما اكِعّكَةُ في هذا ؟ .

١ * الخوز : جيل من الناس يوصفون بالنجسة والدناءة الواحد منهم خوزي وهو مما كان يشتم به . والخوز ايضا اسم لجميع بلاد خوزستان وهي الاهواز ، والنسبة اليها خوزي .

٢ * الاسياف : ج سيف ساحل البحر .

فأمّا اللّثغةُ الّتي تقعُ في الرّاء ، فإنّ عَدَدها يَضعُفُ على عددِ لثغةِ اللامِ، لأنّ الّذي يعرضُ لها اربعةُ أحرفٍ: فمنهم من إذا ارادَ أن يقولَ: عمروٌ، قال: عَمْيٌ، فيجعلُ الرّاء ياء ؛ ومنهم من إذا أرادَ ان يقولَ عمروٌ، قال: عَمغٌ فيجعلُ الرّاءَ غيناً ؛ ومنهم من إذا أرادَ ان يقولَ : عمروٌ، قال : عَمذٌ، فيجعلُ الرّاء ذالاً ، وإذا أنشدَ قولَ الشاعر[1]:

واستبدَّت مَرَّةً واحِدةً ، إنّما العاجزُ من لا يَستبِدّ

قال:

واستبدَّت مذَّةً واحدةً إنّما العاجزُ من لا يَستبدّ

ومنهم من يجعلُ الرّاءَ ظاء فيقولُ ، إذا انشدَ هذا البيتَ:

واستبدَّت مرةً واحدة انما العاجز من لا يستبدّ

قال:

واستبدَّت مظةً واحدةً إنّما العاجزُ من لا يستبدّ

ومنهم من يجعلُ الرّاءَ غيناً مُعجمةً، فإذا أرادَ ان يُنشِدَ هذا البيت:

واستبدَّت مرَّةً واحدةً انّما العاجز من لا يستبدّ

قال:

واستبدَّت مغَّةً واحدةً انّما العاجزُ من لا يستبدّ

كما أن الّذي لثغته بالياء ، إذا أرادَ أنْ يقولَ : واستبدَّت مرّةً واحدةً، قال : واستبدَّت ميَّةً واحدةً .

الأسنانُ والكلامُ

وقالَ اهلُ التّجربةِ :إذا كانَ في اللّحم الّذي فيه مَغارزُ الأسنانِ تشمّرٌ وقِصَرُ سَمْكٍ[2] ، ذهبتِ الحروفُ وفسدَ البيانُ ؛ وإذا وجدَ اللّسانُ من جميعِ جِهاتِهِ شيئاً يَقرَعُه ، ويصكُّهُ ، ولم يَمُرَّ في هواءٍ واسعِ المجالِ ، وكان لسانُه

١ ، هو عمر بن ابي ربيعة .

٢ ، السَّمك : السقف ومقدار الارتفاع .

يَملأُ جَوبَةَ[1] فمِه لم يَضِرْه سُقوطُ أسنانِه ، إلَّا بالمقدارِ المُغتَفَرِ ، والجزءِ المُحتَمَلِ . ويؤكِّدُ ذلك قولُ صاحبِ المَنطِقِ[2] ، فإنَّه زَعَمَ في « كتابِ الحيوان » أنَّ الطَّائرَ ، والسَّبُعَ ، والبَهيمةَ كلَّما كانَ لسانُ الواحدِ منها أعرضَ ، كانَ أفصَحَ ، وأبينَ ، وأحكى لما يُلقَنُ ، ولما يَسمَعُ ، كنَحوِ الببَّغاءِ ، والغُدافِ[3] وغُرابِ البينِ ، وما أشبهَ ذلك ؛ وكالَّذي يَتهيَّأُ من أفواهِ السَّنانيرِ ، إذا تجاوبَت ، من الحروفِ المقطَّعةِ ، المُشاركةِ لمَخارجِ حروفِ النَّاسِ . فأمَّا الغَنَمُ فليسَ يُمكنُها أن تقولَ إلَّا « ما » والميمُ والباءُ أوَّلُ ما يَتهيَّأُ في أفواهِ الأطفالِ ، كقولِهم : ماما ، وبابا ، لأنَّهما خارجان من عملِ اللِّسانِ ، وإنَّهما يَظهرانِ بالتقاءِ الشَّفَتَينِ .

أحسن الكلام

وأحسنُ الكلامِ ما كانَ قليلُه يُغنيكَ عن كثيرِه ، ومَعناه في ظاهرِ لفظِه ، وكانَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، قد ألبسَه من الجَلالةِ ، وغشَّاه من نورِ الحِكمةِ على حسَبِ نِيَّةِ صاحبِه ، وتَقوى قائلِه . فإذا كانَ المَعنى شريفاً ، واللَّفظُ بَليغاً ، وكانَ صحيحَ الطَّبعِ ، بعيداً من الاستكراهِ ، مُنزَّهاً عنِ الاختلالِ ، مَصوناً عن التكلُّفِ ، صَنعَ ، في القَلبِ ، صَنيعَ الغَيثِ في التُّربةِ الكريمةِ . ومتَى فَصلَتِ الكلمةُ على هذه الشَّريطةِ ، ونَفذَت من قائلِها على هذه الصِّفةِ ، أصحبَها اللهُ من التَّوفيقِ ، ومنَحها من التَّأييدِ ، ما لا يمتنعُ من تعظيمِها به صدورُ الجبابرةِ ، ولا يَذهَلُ عن فَهمِها عقولُ الجَهلةِ .

وقد قالَ عامرُ بن عبد القيسِ[4] : الكلمةُ إذا خرجَت من القلبِ وقعَت في القلبِ ؛ وإذا خرجَت من اللِّسانِ لم تُجاوزِ الآذانَ .

١ * الجوبة : الفرجة ، الفجوة .

٢ * صاحب المنطق : ارسطو .

٣ * الغداف : نوع من الغربان .

٤ * عامر بن عبد القيس العنبري ، هو وكان من افاضل الناس وخيارهم ، فصيحا مبينا ، كان في ايام عثمان بن عفان .

المعنى الحقير

ثُمَّ اعلموا أنَّ المَعنى الحقيرَ الفاسدَ ، والدنيءَ السَّاقطَ ، يُعشِّشُ في القلبِ ، ثُمَّ يَبيضُ ، ثمَّ يُفرِّخُ ؛ فإذا ضَربَ بجرانِه[1] ، ومكَّنَ لعروقِه ، استفحلَ الفسادُ ، وبزَلَ[2] ، وتمكَّن الجهلُ وقَرِحَ[3] ، فعندَ ذلك يَقوى داؤُه ويَمتنِعُ دواؤُه . ولأنَّ اللَّفظَ الهجينَ[4] الرَّديَّ ، والمُستكرَهَ الغبيَّ ، أعلَقُ باللِّسانِ ، وآلفُ للسَّمعِ ، وأشدُّ التحاماً بالقلبِ منَ اللَّفظِ النَّبيهِ الشَّريفِ ، والمَعنى الرَّفيعِ الكريمِ . ولو جالَستَ الجُهَّالَ والنَّوكى[5] ، والسُّخفاءَ والحَمقى شَهرًا فقط لم تُنقِّ[6] من أوضارِ كلامِهم ، وخَبالِ معانيهم ، بمُجالسةِ أهلِ البيانِ والعقلِ دهرًا ؛ لأنَّ الفَسادَ اسرعُ إلى النَّاسِ ، وأشدُّ التحاماً بالطَّبائعِ . والإنسانُ باتِّعلُّمِ والتَّكلُّفِ ، وبطُولِ الاختلافِ[7] إلى العُلَماءِ ، ومُدارسةِ كُتبِ الحُكَماءِ ، يجودُ لفظُه ، ويحسُنُ أدبُه . وهو لا يَحتاجُ ، في الجهلِ ، إلى أكثرَ من تَركِ التَّعلُّمِ ، وفي فسادِ البَيانِ ، إلى اكثرَ من تركِ التَّخيُّرِ .

البلاغة

قيلَ للفارسيِّ : ما البلاغةُ ؟ قال : مَعرفةُ الفَصلِ والوَصلِ[8] . وقيلَ لليونانيِّ : ما البلاغةُ ؟ قالَ : تصحيحُ الأقسامِ[9] ، واختيارُ الكلامِ . وقيلَ للرومي : ما البلاغةُ ؟ قال : حُسنُ الاقتضابِ[10] عندَ البَداهةِ[11] ، والغزارةُ يومَ

١ * ضرب بجرانه : ثبت واستقر ؛ مستعارة من قولهم : القى البعير جرانه اذا برك ، وهو من باب الكناية كما في قولهم : القى المسافر عصاه ، اذا وصل الى مكان قصده .

٢ * بزل : استحكمت قوته .

٣ * قرح : بلغ اشده .

٤ * الهجين : المستقبح .

٥ * النوكى : الحمقى ، الجهال .

٦ * تنقّى : تطهر وتنظف .

٧ * الاختلاف : مصدر اختلف اليه : تردد اليه .

٨ * الفصل : عدم العطف بين الجملتين ، والوصل : العطف بالواو بين الجملتين .

٩ * تصحيح الاقسام : اي اقسام الكلام في الجمل .

١٠ * الاقتضاب : الاختصار

١١ * البداهة : اول كل شيء .

الإطالةِ . وقيلَ الهنديّ : ما البلاغةُ ؟ قال : وضوحُ الدَّلالةِ ، وانتهازُ الفرصةِ ، وحُسنُ الإشارةِ وقالَ بعضُ أهلِ الهندِ : جِماعُ البلاغةِ البَصَرُ بالحُجَّةِ[1] ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرصةِ . ثمَّ قالَ : ومنَ البَصَرِ بالحُجَّةِ ، والمعرفةِ بمواضعِ الفُرصةِ ، أن تدعَ الإفصاحَ بها إلى الكِنايةِ عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعرَ طريقةٍ ؛ وربَّما كانَ الإضرابُ عنها صَفحاً أبلغُ في الدَّرَكِ[2] ، وأحقُّ بالنَّظرِ . وقالَ مرةً : جِماعُ البَلاغةِ التماسُ حُسنِ المَوقعِ ، والمعرفةُ بساعاتِ القولِ ، وقِلَّةِ الحَرفِ[3] ، بما التبسَ منَ المعاني ، أو غمَضَ ، وبما شردَ عليكَ من اللَّفظِ ، أو تعذَّرَ . ثمَّ قالَ : وزَينُ ذلكَ كلِّه ، وبَهاؤُه ، وحلاوتُه ، وسناؤُه ، أن تكونَ الشَّمائلُ موزونةً ، والألفاظُ مُعدَّلةً ، واللَّهجةُ نقيَّةً ، فإن جامعَ[4] ذلك ، السِّنُّ والسَّمتُ[5] ، والجَمالُ وطولُ الصَّمتِ ، فقد تمَّ كلَّ التَّمامِ ، وكمَلَ كلَّ الكَمالِ .

لغة الكتّاب

قالَ أبو عُثمانَ : أمَّا أنا فلم أرَ قوماً ، قطُّ ، أمثَلَ طريقةً ، في البلاغةِ ، منَ الكُتَّابِ ؛ فإنَّهم قد التمسوا من الألفاظِ ، ما لم يكن مُتوعِّرًا ، وَحشيًّا ، ولا ساقطاً ، سُوقيًّا . واذا سمِعتُموني أذكرُ العوامَّ ، فإنِّي لستُ أعني الفلَّاحين ، والحِشوةَ[6] ، والصُّنَّاعَ ، والباعةَ ؛ ولستُ أعني الأكرادَ في الجبالِ ، وسكَّانَ الجزائرِ في البحارِ ؛ ولستُ أعني من الأُممِ مثلَ البربرِ والطَّيلسانِ ، ومثلَ موقانَ وجيلانَ[7] ، ومثلَ الزَّنجِ وأمثالَ الزَّنجِ ؛ وإنَّما الأُممُ المذكورون من جميعِ النَّاسِ اربعٌ : العَربُ ، والفُرسُ ، والهندُ ، والرُّومُ ، والباقون هَمَجٌ وأشباهُ الهَمَجِ . واما العوامُّ من اهلِ مِلَّتنا ، ودَعْوتنا ، ولُغتِنا ، وأدبنا ، واخلاقِنا ، فالطَّبقةُ الَّتي عقولُها ،

١ . الحُجَّة : البرهان والدليل .

٢ * الدرك : اللحاق ، وادراك الشيء ؛ تقول : فرس درَكُ الطرائد ، اي يدركها ، يصل اليها .

٣ . الحرف : هنا بمعنى الكلمة .

٤ * جامع : وافق .

٥ * السَّمت : جمال الهيئة .

٦ * الحشوة : رذال الناس .

٧ * هذه الامم الاربع التي ذكرها ربما كانت في ايامه ، أو تغيرت اليوم اسماؤها .

وأخلاقها فوقَ تلكَ الأُمم ، ولم يَبلُغوا مَنزلةَ الخاصّةِ منّا ؛ على أنَّ الخاصّةَ تتفاضلُ في الطَّبقاتِ أيضاً .

اقدار المعاني ، واقدار المستمعين

وقال : يَنبغي للمتكلّمِ أن يعرفَ أقدارَ المعاني ، ويُوازنَ بينَها وبينَ اقدار المُستمعين ، وبينَ أقدارِ الحالاتِ ، فيجعلَ لكلِّ طَبقةٍ كلاماً ، ولكلِّ حالةٍ ، من ذلكَ ، مقاماً ، حتّى يَقسِمَ أقدارَ الكلامِ على أقدارِ المعاني ، ويقسِمَ أقدارَ المعاني على أقدارِ المَقاماتِ ، وأقدارَ المُستمعينَ على أقدارِ تلكَ الحالاتِ . فإن كانَ الخطيبُ مُتكلّماً[1] تجنَّبَ ألفاظَ المُتكلّمين ، كما إنه إن عبَّرَ عن شيءٍ من صِناعةِ الكلامِ ، واصفاً أو مُجيباً او سائلاً ، كانَ أولى الألفاظِ به الفاظُ المُتكلّمينَ ، إذ كانوا لتلكَ العباراتِ أفهمَ ، وإلى تلكَ الألفاظِ أميلَ ، وإليها أحنَّ ، وبها اشغفَ ؛ ولأنَّ كِبارَ المُتكلّمينَ ، ورؤساءَ النَّظّارين[2] ، كانوا فوقَ اكثرِ الخُطباءِ ، وأبلغَ من كثيرٍ من البُلَغاءِ ؛ وهم تَخيَّروا تلكَ الالفاظَ لتلكَ المعاني ؛ وهم اشتقُّوا لها من كلامِ العربِ تلكَ الاسماءَ ؛ وهم اصطلحوا على تَسميةِ ما لم يكن لـه في لغةِ العربِ اسمٌ ، فصاروا في ذلكَ سلَفاً لكلِّ خلَفٍ ، وقدوةً لكلِّ تابعٍ . ولذلكَ قالوا : العَرَضُ والجوهرُ ، وأيسَ وليسَ[3] ، وفرَّقوا بينَ البُطلانِ والتَّلاشي ، وذكروا الهَذيَّةَ ، والهُويَّةَ ، والماهيَّةَ[4] ، واشباهَ ذلكَ .

١ * المتكلّم : الواحد من علماء الكلام .
٢ * النظّارين : اصحاب العلوم النظرية .
٣ * أيس : موجود ◉ ليس غير موجود .
٤ * الهذيّة : نسبة الى هذا ، اي هذا الشكل الذي عليه الشيء ◉ هوية : نسبة الى هو ، وهي حقيقة الشيء المطلقة ◉ ماهية : نسبة الى ما هو ، اي الحالة التي عليها الشيء .



بخلُ أهلِ مَرْوَ

ومِن أعاجيبِ أهلِ مَرْوَ ما سمِعناهُ مِن مشايخِنا على وَجهِ الدَّهرِ[1]. وذلك أنَّ رجلا، من أهلِ مَرْوَ، كان لا يزالُ يحُجُّ ويتَّجِرُ، ويَنزِلُ على رجلٍ من أهلِ العِراقِ، فيُكرِمُه ويَكفِيه مُؤْنَتَه[2]. ثمَّ كانَ كثيرًا ما يقولُ لذلك العِراقيِّ: ليتَ أنِّي قد رأيتُك بمَرْوَ، حتَّى أُكافِئَك لقديمِ إحسانِك، وما تُجدِّدُ لي من البِرِّ في كلِّ قَدْمَةٍ[3]. فأمَّا هاهنا، فقد أغناكَ اللهُ عنِّي.

قال: فعَرَضت لذلك العِراقيِّ، بعدَ دَهرٍ طويلٍ، حاجةٌ في تلك النَّاحية. فكانَ مِمَّا هوَّنَ عليه مُكابَدَةَ السَّفَرِ، ووَحشةَ الاغترابِ، مَكانُ[4] المَرْوَزِيِّ هناك. فلمَّا قَدِمَ مضى نحوَه في ثيابِ سفَرِه، وفي عِمامتِه وقَلَنْسُوتِه وكسائِه، ليَحُطَّ رَحلَه[5] عندَه، كما يَصنَعُ الرَّجلُ بثِقَتِه[6] وموضِعِ أُنسِه.

فلمَّا وجَدَه قاعدًا في أصحابِه أكَبَّ عليه وعانَقَه، فلم يَرَه أثبَتَه[7]، ولا سألَ به[8] سؤالَ مَن رآه قطُّ. قالَ العِراقيُّ في نفسِه: لَعلَّ إنكارَه إيَّايَ لمَكانِ[9] القِناعِ، فرَمى بقِناعِه وابتَدأَ مَسْأَلَتَه[10]، فكانَ له أنكَرَ[11]. فقالَ: لعلَّه أن

١ * على وجه الدهر: قديمًا.

٢ * مؤنته: ما يحتاج اليه.

٣ * قدمة: اسم مرة من قدم.

٤ * مكان: مصدر ميمي من كان، اي كون.

٥ * رحله: امتعته.

٦ * ثقته: من يوثق به.

٧ * اثبته: عرفه.

٨ * سأل به: سأل عنه، الباء بمعنى عن.

٩ * لمكان القناع: لكون القناع على راسه.

١٠ * مسألته: اراد انه سأله هل عرفه

١١ * انكر: افعل تفضيل من لكره، وهو كالكره.

يكونَ إنَّما أُتِيَ[1] من قِبَلِ العِمامةِ ، فنزَعَها . ثُمَّ انتَسَبَ وجدَّدَ مَسألَتَه[2] ، فوَجدَه أشدَّ ما كانَ[3] إنكارًا . قال : فلعلَّه إنَّما أُتِيَ من قِبَلِ القَلَنْسُوة .

وعَلِمَ المَرْوَزيُّ أنَّه لم يَبقَ شيءٌ يتعلَّقُ به المُتغافِلُ والمُتجاهِلُ[4] ، قال : لو خرَجتَ من جِلدِك لم أعرِفْكَ .

مريمُ الصَّنَّاعُ

قالَ أصحابنا من المَسجِدِيِّين[5] : اجتمعَ ناسٌ في المَسجِدِ ممن يَنتحِلُ الاقتصادَ في النَّفَقَةِ ، والتَّنمِيَةِ للمالِ ، من اصحابِ الجَمعِ والمَنعِ[6] . وقد كان هذا المذهبُ صارَ عندَهم كالنَّسبِ الَّذي يَجمَعُ على التَّحابِّ ، وكالحِلْفِ[7] الَّذي يَجمَعُ على التَّناصُرِ . وكانوا إذا التَقَوا في حَلَقِهم[8] تَذاكروا هذا البابَ[9] ، وتَطارَحوه[10] وتَدارَسُوه .

فأقبلَ عليهم شَيخٌ فقالَ : هلْ شَعَرتم بموتِ مريمَ الصَّناعِ[11] ؟ فإنَّها كانت من ذواتِ الاقتصادِ ، وصاحبةَ إصلاحٍ . قالوا : فحدِّثْنا عنها ! قال : نَوادرها كثيرةٌ ، وحديثُها طويلٌ . ولكنِّي أُخبِرُكم عن واحدةٍ فيها كِفايةٌ . قالوا : وما هيَ ؟ قالَ : زوَّجت ابنتَها ، وهي بنتُ اثنتي عَشرَةَ ، فحلَّتها[12] الذَّهبَ

١ * أُتِيَ : اي اتاه الجهل به من قبل العمامة .

٢ * انتسب وجدّد مسألته : ذكر نسبه وجدّد سؤاله اياه .

٣ * ما كان النكارًا : ما نكرة بمعنى شيء . مضاف الى اشد ◉ كان تامة ◉ النكارًا تمييز .

٤ * تغافل وتجاهل الشيء : عن الشيء : تعمد الغفلة عنه ◉ أرى من نفسه انه يجهله ، وهو ليس يجهله .

٥ * المسجديين : لعلهم طائفة من البخلاء كانوا يجتمعون في المساجد .

٦ * الجمع والمنع : جمع المال ، ومنعه من الذهاب من ايديهم .

٧ * الحلف : العهد ، يقال : تحالفوا اذا تعاقدوا على ان يكون امرهم واحدًا في النصرة والحماية .

٨ * حلقهم : جمع حلقة .

٩ * هذا الباب : اي البخل ، او الاقتصاد .

١٠ * تطارحوه : طرح كل منهم ما عنده من الاراء على اصحابه .

١١ * الصناع : الماهرة بعمل اليدين . ويظهر ان مريم هذه كانت مشهورة بهذا اللقب .

١٢ * حلّتها : البستها حلي الذهب والفضة .

والفضة ، وكستها المروي[١] والوشي[٢] والقز[٣] والخز[٤] ؛ وعلقت المعصفر[٥] ، ودقت الطيب ؛ وعظمت مرها في عين الختن[٦] ، ورفعت من قدرها عند الأحماء[٧] .

فقال لها زوجها : أنى[٨] هذا يامريم ؟ قالت : هو من عند الله . قال : دعي عنك الجملة ، وهاتي التفسير . والله ما كنت ذات مال قديماً ، ولا ورثته حديثاً ؛ وما انت بخائنة في نفسك ، ولا في مال بعلك . إلا أن تكوني قد وقعت على كنز ! وكيف دار الأمر ، فقد اسقطت عني مؤنة ، وكفيتني هذه النائبة[٩] .

قالت : اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها ، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة ، وكنا ، كما علمت ، نخبز في كل يوم مرة ، فإذا اجتمع من ذلك مكوك[١٠] بعته .

قال زوجها : ثبت الله رأيك وأرشدك ! ولقد أسعد الله من كنت له سكناً[١١] ، وبارك لمن جعلت له إلفاً[١٢] ! ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الذود إلى الذود إبل[١٣] . وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح ، وعلى مذهبك المحمود .

وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية .

١ . المروي : كالمرزوزي : نسبة الى مرو .

٢ . الوشي : النقش والتهنمة بالالوان الحسنة .

٣ . القز : الحرير .

٤ . الخز : وبر ولد الارنب ، وهو الخزز . والظاهر انه نوع خاص من الارانب كانوا يتخذون منه الثياب .

٥ . المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو نبات تصبغ به الثياب .

٦ . الختن : من كان من قبل المرأة كالاب والاخ والعم والخال .

٧ . الاحماء : جمع ، وهو من كان من قبل الزوج كأبيه وأخيه وعمه .

٨ . أنى : من اين .

٩ . اراد بالنائبة هنا الامر المهم .

١٠ . المكوك : مكيال ، قيل انه يسع صاعاً ونصفاً ، والصاع اربعة امداد وكل مد رطل وثلث .

١١ . السكن : ما يسكن اليه من اهل ومال وغير ذلك .

١٢ . إلف : هو من تألفه .

١٣ . الذود : من الابل ما بين الثلاث إلى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وجمع الجمع اذواد . والمعنى اذا جمعت القليل هم القليل صار كثيراً ◎ والى : بمعنى مع .

فنهض القومُ بأجمعهم إلى جنازتها وصلّوا عليها . ثمّ انكفأوا[1] إلى زوجها فعزّوه على مُصيبتهِ ، وشاركوه في حُزنه .

زُبَيدَةُ بنُ حُمَيدٍ

وأمّا زُبَيدَةُ بنُ حُمَيدٍ الصَيْرَفيُّ ، فإنّه استلفَ من بَقّالٍ كانَ على بابِ دارِه دِرهَمَينِ وقيراطاً . فلمّا قضاه بعدَ ستّةِ أشهُرٍ ، قضاه درهمينِ وثلاثَ حبّاتِ شعيرٍ . فاغتاظ البَقّالُ ، فقالَ : سُبحانَ اللهِ ! أنتَ ربٌّ مائةِ ألفِ دينارٍ ، وأنا بقّالٌ لا أملكُ مائةَ فَلسٍ[2] ، وإنّما أعيشُ بكَدّي ، واستفضالُ[3] الحَبّةِ والحبّتَينِ . صاحَ على بابك حَمّالٌ ، والمالُ لم يَحضُرك ، وغابَ وكيلُك ، فنَقَدتُ عنك دِرهمينِ واربعِ شعيراتٍ فقضيتَني ، بعدَ ستّةِ أشهرٍ ، دِرهمَينِ وثلاثَ شعيراتٍ ؟! فقالَ زُبَيدَةُ : يامجنونُ ! أسلفتَني في الصَيفِ ، فقَضيتُكَ في الشِتاءِ ، وثلاثُ شعيراتٍ شَتْوِيّةٌ نَديّةٌ ، أرزنُ[4] من أربعِ شعيراتٍ يابسةٍ صَيفيّةٍ ؛ وما أشُكُّ أنّ معكَ فَضْلاً .

وسكِرَ زُبَيدةُ ليلةً ، فكسا صديقاً له قميصاً . فلمّا صارَ القميص على النديم خافَ البَدَواتِ[5] ، وعَلِمَ أنّ ذلكَ من هَفواتِ السُكرِ . فمضى من ساعتِه إلى مَنزِله ، فجعلَه بُرْنُكاناً[6] لامرأته .

فلما أصبحَ[7] سألَ عن القميصِ ، وتفقّدَه ، فقيلَ له : إنك قد كسَوتَه فُلاناً . فبَعثَ اليه ، ثمّ أقبلَ عليه ، فقالَ : ما علمتَ أنّ هِبَةَ السَكرانِ وشراءَه وبَيعَه وصَدَقتَه وطَلاقَه لا يجوزُ ؟ .

وبَعدُ ، فإنّي أكرَهُ ألّا يكونَ لي حَمدٌ ، وأن يُوجَهَ النّاسُ هذا مني على السُكرِ . فرُدَّه عليّ ، حتّى أهَبَه لك صاحياً عن طِيبِ نفسٍ ؛ فإني أكرَهُ أن

١ * انكفأوا : رجعوا .

٢ * الفلس : عملة قديمة من نحاس ، دليئة القيمة . وهو جزء من من ٩٦ جزءاً من الدرهم . قال في اللسان : أفلس فلان ، صار ذا فلوس بعد ان كان ذا دراهم .

٣ * استفضال : مصدر استفضل الشيء : أبقاه ، ادّخره .

٤ * ارزن : اثقل .

٥ * البدوات : ج البداة ، وهي الاراء التي تبدو ، اي تظهر ، واراد هنا ما يعرض لزبيدة من رأي مخالف .

٦ * البرنكان : ضرب من الثياب .

٧ * الضمير في اصبح يعود الى زبيدة .

يَذهَبَ شيءٌ من مالي باطلاً.

فلمّا رآه[1] قد صمَّمَ، أقبلَ عليه فقال: يا هَنَاه[2]! إنّ النّاسَ يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيءٍ من ذلك. فردَّ القميصَ، عافاكَ اللهُ! قالَ له الرّجلُ: إني واللهِ قد خِفتُ هذا بعينه؛ فلم أضع جَنبي إلى الأرضِ حتّى جيَّبتُه[3] لامرأتي؛ وقد زِدتُ في الكُمَّين، وحذَفتُ المَقاديمَ[4]؛ فإن أردتَ، بعدَ هذا كلّه، أن تأخُذَه، فخُذه. فقالَ: نعم آخُذُه لأنّه يصلُحُ لامرأتي كما يصلُحُ لامرأتِك. قال: فإنّه عند الصّبّاغِ. قالَ: فهاتِه. قالَ: ليسَ أنا أسلَمتُه إليه[5].

فلمّا عَلِمَ أنّه قد وقَعَ، قالَ: بأبي وأمي رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ حيثُ يقولُ: جُمِعَ الشّرُّ كلّه في بيتٍ، وأُغلِقَ عليه، فكانَ مِفتاحهُ السُّكرُ.

اصنافُ المتسوّلين وخِدَعهم

المَخطرانيُّ الذي يأتيكَ في زيِّ ناسكٍ، ويُريكَ أنَّ بابَكَ[6] قد قوَّرَ لسانَه من أصلِه، لأنّه كانَ مؤذّناً هناك. ثمّ يَفتَحُ فاهُ، كما يصنعُ من يَتشاءبُ فلا ترى له لساناً البتّةَ! ولسانُه في الحقيقةِ كلسانِ الثّورِ! وأنا أحدُ من خُدِعَ بذلك. ولا بدَّ للمخطرانيِّ أن يكونَ معَه واحدٌ يُعبّرُ عنه، او لَوحٌ، أو قِرطاسٌ قد كتبَ فيه شأنَه وقصّتَه.

والكاغانيُّ الذي يَتَجَنَّنُ[7]، ويتصارعُ[8]، ويُزبِدُ[9]، حتّى لا يُشكَّ أنّه مجنونٌ، لا دواءَ له، لشدّةِ ما يُنزِلُ بنفسِه، وحتّى يُتعجَّبُ من بقاءِ مثلِه على مثلِ علّتِه.

١ * رآه: ضمير الفاعل يعود الى زبيدة، ويعود ضمير المفعول الى التدبير.

٢ * ياهناه: بسكون الهاء، وتضم، اي يا رجل، وهي لفظة تختص بالنداء، وتنقلب الهاء الاخيرة تاء في الوصل.

٣ * جيَّبتُهُ: جعلت له جيباً، والجيب ما يفتح من الثوب على النحر.

٤ * المقاديم: ج مقدم، ما استقبلت من الشيء، ومنه مقاديم الوجه.

٥ * ليس انا اسلمته، اسم ليس ضمير الشأن، وجملة انا اسلمته خبر ليس.

٦ * بابك: هو بابك الخرّمي، ملك فارسي.

٧ * يتجنّن: يري من نفسه انه مجنون.

٨ * يتصارع: يري من نفسه انه مصروع.

٩ * يزبد: يخرج من فمه رغوة.

والبانوانُ الذي يَقِفُ على البابِ ويسُلُّ الغَلَقَ[١] ويقولُ: بانوا ! وتفسيرُ ذلكَ بالعربيَّة : يامولايَ !

والقَرَميُّ الذي يعصِبُ ساقَه وذِراعَه عَصباً شديداً ، ويَبيتُ على ذلكَ ليلةً . فإذا تورَّمَ واختنقَ الدَّمُ ، مَسَحه بشيءٍ من صابونٍ ودَمِ الأَخَوينِ[٢] ، وقطَرَ عليه شيئاً من سمن ، وأطبقَ عليه خرقةً ، وكشفَ بعضَه . فلا يشُكُّ من رآه أنَّ به الإكلةَ[٣] ، أو بَلِيَّةً شِبهَ الإكلةِ .

والمُشَعِّبُ الذي يَحتالُ للصَّبيِّ ، حينَ يُولدُ ، بأن يُعمِيَه ، أو يَجعَلَه أعسَمَ[٤] ، أو أعضَدَ[٥] ، ليسألَ النَّاسَ به أهلُه . وربَّما جاءَت به أُمُّه وأبوه ، ليَتَوَلَّى ذلكَ منه بالغُرمِ الثَّقيلِ[٦] . لأنَّه يصيرُ[٧] حينئذٍ عُقدةً وغَلَّةً[٨] ، فإمَّا أن يكتَسِبا به ، وإمَّا أن يُكرِياه بِكِراءٍ معلومٍ . وربَّما اكرَوا أولادَهم ممَّن يَمضي إلى إفريقيةَ ، فيسألُ بِهِمُ الطَّريقَ أجمعَ ، بالمالِ[٩] العظيمِ . فإن كانَ ثِقةً مَليئاً ، وإلا أقامَ بالأولادِ والأجرةِ كفيلاً .

والعَوَّاءُ الذي يَسألُ بينَ المَغربِ والعِشاءِ . وربَّما طَرَّبَ[١٠] ، إن كانَ له صَوتٌ حَسَنٌ وحَلقٌ شَجِيٌّ[١١] .

والإسطيلُ هو المُتَعامي : إن شاءَ أراكَ أنَّه مُنخَسِفٌ[١٢] العينينِ ، وإن شاءَ أراكَ أنَّه لا يُبصِرُ ، للخَسفِ ولريحِ السَّبَلِ[١٣] .

والمَزيديُّ الذي يدورُ ومعَه الدُّرَيهماتُ ، ويقولُ : هذه دَراهِمُ قد جُمِعَت لي

١ * الغلق : انتزعه من موضعه لينفتح سل الباب ● والغلق ما يغلق به الباب .

٢ * دم الاخوين : لبث احمر يسمى بالمندم ويقال له ايضاً دم التنين ودم الثعبان .

٣ * الإكلة والأكال : الحكة والجرب .

٤ * الاعسم : من العسم وهو يبس في مفصل الرسغ تعوج منه اليد او القدم .

٥ * الاعضد : الدقيق العضد والذي احدى يديه قصيرة .

٦ * الغرم الثقيل : اراد به الاجر الكبير .

٧ * الضمير في يصير يعود الى الصبي .

٨ * العقدة : الضيعة والعقار ● والغلة كل شيء يحصل من ريع الارض او اجرتها .

٩ * بالمال : متعلق باكروا .

١٠ * طرَّب : غنَّى .

١١ * الشجيّ : المطرب .

١٢ * منخسف : من الخسفت العين : ذهبت او ساخت .

١٣ * ريح السبل : داء يصيب العين .

في ثمنِ قَطيفةٍ[1]. فزِيدوني فيها، رَحِمَكم اللهُ! وربّما احتَمَلَ صَبيًّا على أنّه لَقيطٌ. وكأنّه قد هابَ من الحياء، ويخافُ أن يَراه معرفةٌ[2]، ثمّ يَعترِضُك اعتراضاً، ويُكلّمكَ خفيًّا[3].

والمُعدِسُ الذي يَقِفُ على المَيتِ يسألُ في كفنِه؛ ويقِفُ في طريقِ مَكّةَ على الحِمارِ المَيتِ، يَدّعي أنّه كانَ له، ويَزْعُمُ أنّه قد أُحصِرَ[4]؛ وقد تعلّمَ لُغةَ الخُراسانيّةِ واليَمانيّةِ والإفريقيّةِ، وتَعرّفَ تلك المُدُنَ والسِّكَكَ والرِّجالَ. وهو متى شاء كانَ من إفريقيّةَ، ومتى شاءَ كانَ من أهلِ فَرغانةَ[5]، ومتى شاءَ كانَ من أيِّ مخاليفِ[6] اليَمَنِ شاءَ!.

ابو عبد الرحمن الثَّوري والرؤوس

ثمّ رَجَعَ الحديثُ إلى اعاجيبِ ابي عبد الرحمن:

وكانَ أبو عبدِ الرحمنِ يُعجَبُ بالرؤوسِ، ويَحمَدُها ويَصِفُها. وكانَ لا يأكُلُ اللّحمَ إلّا يومَ أضحى[7]، أو من بقيّةِ أُضحيّتِه، أو يكونُ في عُرسٍ، أو دَعوةٍ، أو سُفرةٍ. وكانَ سمّى الرأسَ عُرساً، لما يَجتمِعُ فيهِ من الألوانِ الطَّيّبةِ. وكانَ يُسمّيه مرّةً الجامِعَ، ومرّةً الكاملَ.

وكانَ يقولُ: الرأسُ شيءٌ واحِدٌ، وهو ذو ألوانٍ عَجيبةٍ، وطُعومٍ مُختلِفةٍ. وكلُّ قِدرٍ[8] وكلُّ شِواءٍ[9] فانّما هو شيءٌ واحدٌ.

والرأسُ فيه الدِّماغُ، فطَعمُ الدِّماغِ على حِدَةٍ. وفيه العينان، وطعمُهما

١ * القطيفة : دثار يُحمل ليلقيه الرجل على نفسه عند النوم.

٢ * اراد بالمعرفة شخصاً ممن يعرفهم.

٣ * خفياً : اي كلاماً خفياً.

٤ * أُحصر : عيق عن المضيّ في سفره بسبب موت الحمار.

٥ * فرغانة : من بلاد العجم بناها افشروان، ونقل اليها من كل بيت قرمًا وسماها ازهرخانه اي من كل بيت، ثم عربت.

٦ * المخاليف : ج المخلاف، وهو الكورة، اي المدينة، الصقع.

٧ * الاضحى : ج اضحاة، وهي شاة يضحّى بها، ومثلها الاضحية والضحية، وبهذا الجمع سمي يوم النحر عند المسلمين.

٨ * اراد بالقدر ما يطبخ فيها من الطعام.

٩ * الشواء : فعال بمعنى مفعول، المشوي من اللحم.

على حِدَةٍ . وفيه الشَّحمةُ التي بينَ أصلِ الأُذنِ ومؤخرِ العَينِ[١] ، وطعمُها على حِدةٍ . على أنَّ هذه الشَّحمةَ خاصَّةً أطيبُ من المخِّ ، وأنعمُ من الزُّبدِ ، وأدسمُ من السِّلاءِ[٢] .

وفي الرأسِ اللِّسانُ ، وطعمهُ شيءٌ على حدةٍ . وفيه الخَيشومُ[٣] ، والغُضروفُ[٤] الَّذي في الخَيشومِ ، وطعمُهما شيءٌ على حدةٍ . وفيه لحمُ الخدَّينِ ، وطعمُه شيءٌ على حدةٍ . حتَّى يُقسِّمَ أسقاطَه[٥] الباقية .

ويقولُ : الرأسُ سيِّدُ البدَنِ ، وفيه الدِّماغُ ، وهو مَعدِنُ[٦] العَقلِ ، ومنه يتفرَّقُ العَصَبُ الذي فيه الحِسُّ ، وبه قوامُ[٧] البدَنِ . وإنَّما القلبُ بابُ العقلِ ، كما أنَّ النفسَ هي المُدركةُ ، والعينَ هي بابُ الألوانِ ، والنفسَ وهي هي السَّامعةُ الذَّائقةُ . وإنَّما الأنفُ والأُذُنُ بابان .

ولولا أنَّ العقلَ في الرأسِ لما ذهبَ العقلُ من الضربةِ تُصيبُه .

وفي الرأسِ الحواسُّ الخمسُ .

ابنُ جُذامٍ والسائلُ

وروى أصحابنا عن عبدِاللهِ بنِ المقفعِ ، قال : كانَ ابنُ جُذامٍ السَّبيُّ يجلِسُ إليَّ . وكانَ ربَّما انصرفَ معي إلى المنزلِ ، فيتغدَّى معنا ، ويُقيمُ الى أن يُبرِدَ[٨] .

وكنتُ أعرفُه بشِدَّةِ البُخلِ وكثرةِ المالِ . فألحَّ عليَّ في الاستزارةِ[٩] ، وصمَّمتُ عليه[١٠] في الامتناعِ . فقال : جُعلتُ فِداكَ ! أنتَ تظنُّ أني ممَّن يتكلَّفُ

١ * مؤخر العين : ما يلي الصدغ منها ؛ ومُقدَّمها : ما يلي الانف .

٢ * السلاء : السمن ذهب ما فيه من آثار اللبن .

٣ * الخيشوم : اقصى الانف ، والمراد هنا الانف كله .

٤ * الغضروف : كل عظم رخص يؤكل .

٥ * الاسقاط : جمع سقط ، وهو ما يسقط من الشيء . ويطلق على الردي من كل شيء ، واريد هنا الاشياء غير الجيدة .

٦ * معدن الشيء : اصله .

٧ * قوام البدن : ما يقوم ويصلح به .

٨ * يبرد : مضارع ابرد ؛ دخل في آخر النهار .

٩ * الاستزارة : مصدر من استزاره ، طلب زيارته له .

١٠ * صممت عليه : مضيت عليه بالامتناع وعدم تلبية دعوته .

وأنتَ تُشفِقُ عليَّ ! لا واللهِ ! إن هي إلّا كُسَيراتٌ يابسةٌ ومِلحٌ وماءُ الحُبِّ[١] . فظَننتُ أنّه يُريدُ اختلابي[٢] بتهوينِ الأمرِ عليه . وقلتُ : إنّ هذا كقولِ الرجلِ ياغُلامُ ، أطعِمْنا كِسرةً ، وأطعِمِ السّائلَ خمسَ تمَراتٍ . ومَعناه أضعافُ ما وقعَ اللّفظُ عليه .

وما أظُنُّ أنَّ أحدًا يدعو مثلي إلى الحَربيّةِ[٣] من الباطنةِ[٤] ، ثمّ يأتيهِ بكِسراتٍ ومِلحٍ .

فلمّا صِرتُ عندَه وقرّبه[٥] إليَّ ، إذ وقفَ سائلٌ بالبابِ ، فقالَ : أطعِموني مما تأكلون ، أطعَمَكم اللهُ من طَعامِ الجَنّةِ ! قالَ : بورِكَ فيك ! فأعادَ الكلامَ ، فأعادَ عليه مِثلَ ذلك القولَ . فأعادَ عليه السّائلُ ، فقالَ : اذهب ، ويلَكَ ، فقد ردُّوا[٦] عليك . فقال السائلُ ، سُبحانَ اللهِ ! ما رأيتُ كاليومِ أحدًا يَرُدُّ[٧] من أقمَتِهِ ، والطّعامُ بينَ يدَيه ! قالَ : اذهب ، ويلكَ ! وإلّا خرَجتُ اليكَ واللهِ ، فدقَقتُ ساقيكَ ! قالَ السائلُ : سُبحانَ اللهِ ! يَنهى اللهُ أن يُنهَرَ السائلُ ، وأنتَ تدُقُّ ساقيه ؟! فقلت للسائلِ : اذهبْ وأرِح نفسَك ، فإنّك لو تَعرِفُ من صِدقِ وعيدِه[٨] مثلَ الذي أعرِفُ ، لما وقفتَ طرفةَ عينٍ بعدَ ردّهِ إيّاكَ .

الشيخ الاهوازي

وقالَ رمضانُ : كُنتُ معَ شيخٍ أهوازيٍّ[٩] في جَعفَريّةٍ[١٠] . وكنتُ في الذَّنَبِ ، وكانَ في الصَّدرِ . فلمّا جاءَ وقتُ الغَداءِ ، أخرَجَ من سَلّةٍ له دَجاجةً ،

١ * الحُبّ : الخابية والجرة الضخمة يبرد فيها الماء .

٢ * اختلابي : خداعي واستمالتي .

٣ * الحربية : محلة في الجانب الغربي من بغداد ، بناها حرب بن عبدالله الراوندي ، قائد الخليفة المنصور .

٤ * الباطنة : قال في اللسان : « الباطنة من البصرة والكوفة مجتمع الدور والأسواق في قصبتها » وهنا اطلقه الجاحظ على بغداد .

٥ * ضمير المفعول في قرّبه يعود الى الطعام .

٦ * ردّوا ، اي اهل الدار .

٧ * يردّ ، اي يرد السائل .

٨ * الوعيد : مصدر وعد : ويكون في الشرّ وحده ١٠اما الوعد ، والعدة ، فيكونان في الخير والشرّ .

٩ * اهوازي : نسبة الى الاهواز ، وهي تسم كوّر بين البصرة وفارس ، وليس لها مفرد .

١٠ * الجعفرية : السفينة ، وربما كانت منسوبة الى الجعفر وهو النهر ، فيكون المقصود بها سفينة نهرية .

وفرخاً واحداً مبرَّداً ؛ وأقبلَ يأكلُ ويتحدَّثُ ، ولا يَعرِضُ عليَّ ؛ وليسَ في السَّفينةِ غيري وغيرُه . فرآني أنظرُ اليهِ مرَّةً ، وإلى ما بين يديه مرَّةً ، فتوهَّمَ أني أشتهيهِ واستبطئُه . فقالَ لي : لِمَ تُحدِّقُ النَّظرَ ؟ من كانَ عندَه ، أكلَ مثلي ، ومن لم يكن عنده ، نظرَ مثلَك .

قالَ : ثمَّ نظرَ اليَّ وانا انظرُ اليه ، فقالَ : ياهناهْ ! أنا رجلٌ حسَنُ الاكلِ . لا آكلُ إلَّا طيِّبَ الطَّعام ؛ وأنا أخافُ ان تكونَ عينُك مالحةً[1] ، وعينُ مثلِكَ سريعةٌ ، فاصرِف عني وجهَكَ .

قالَ : فوثبتُ عليه ، فقبَضتُ على لحيتِهِ بيدي اليُسرى ، ثمَّ تناولتُ الدَّجاجةَ بيدي اليُمنى ، فما زلتُ أضربُ بها رأسهُ ، حتى تقطَّعت في يدي .

ثمَّ تحوَّلَ الى مكاني فمسَحَ وجهَهُ ولحيتَه ؛ ثمَّ أقبلَ عليَّ ، فقالَ : قد اخبرتكَ أنَّ عينَك مالحةٌ ، وأنَّك ستُصيبُني بعينٍ ! قلتُ : وما شبَهُ هذا من العينِ ؟ قالَ : انما العينُ مكروهٌ يحدُثُ ؛ فقد أنزلَت بنا عينُكَ أعظمَ المكروهِ .

فضحكتُ ضحكاً ما ضحكتُ مثلَه ، وتكالَمنا حتى كأنَّه لم يقُل قبيحاً ، وحتَّى كأني لم أفرُطْ[2] عليه .

طعام العرب المذموم

والطَّعامُ المذمومُ عندهم ضربانِ : أحدُهما طعامُ المجاوعِ[3] والحُطَماتِ[4] ، والضَّرائكِ[5] والسَّباريتِ[6] ، واللِّئامِ[7] والجُبناء ، والفُقَراء والضُّعفاء . من ذلك

١ . اراد بمالحة شريرة سريعة التأثير السيء .

٢ . لم افرط عليه : لم اعجل عليه بالعقوبة .

٣ . المجاوع : ج المجاعة .

٤ . الحطمات : ج الحطمة : السنة الشديدة الجدب .

٥ . الضرائك : ج الضريكة : الفقيرة السيئة الحال .

٦ . السباريت : ج السبروت : المحتاج المقل المفلس .

٧ . اللئام : ج اللئيم : الدني الاصل ، الشحيح النفس ، المهين

الغَثُّ[١] والدُّعاعُ[٢] والهَبيدُ[٣] والقُرامةُ[٤] والقُرَّةُ[٥] والعُسومُ[٦]، ومُنقَعُ البَرَمِ[٧] والقَصيدُ[٨] والقَدُّ[٩] والحيّاتُ.

فأمّا الفَظُّ، فإنّه وإن كان شَراباً كريهاً فليسَ يدخُلُ في هذا الباب، وكذلك المجدوحُ. فأمّا الفَظُّ فإنّه عُصارةُ الفَرْثِ[١٠]، إذا أصابَهم العَطَشُ في المَفاوز. وأمّا المجدوح فانهم اذا بلغ العطش منهم المجهودَ، نحَروا الإبلَ، وتلقَّوا ألبابَها[١١] بالجِفانِ، كي لا يضيعَ من دمائها شيءٌ؛ فإذا بَرَدَ الدَّمُ ضَربوه بأيديهم، وجَدَحوه[١٢] بالعيدانِ جَدحاً، حتّى ينقطِعَ فينْعزلَ ماؤه من ثُفلِه[١٣]، كما يخلُصُ الزُّبدُ بالمَخيضِ[١٤] والجُبنُ بالإنفَحَةِ[١٥]، فيتَصافنون[١٦] ذلك الماء، ويتبلّغون به حتّى يخرجوا من المفازة.

...

والقَرامةُ ونُحاتةُ القُرونِ والاظلافِ والمَناسِمِ وبُرادتُها. والعِلهِزُ[١٧] والقِردانُ[١٨] تُرَضُّ وتُعجَنُ بالدَّمِ. والقُرَّةُ الدقيقُ المُختلطُ بالشَّعرِ. كانَ الرَّجلُ منهم لا يَحلِقُ رأسهُ إلّا وعلى رأسه قُبضَةٌ من دقيقٍ للأكلِ. فهو مَعيبٌ.

...

وقد يُضيّقون في شَرابِ غيرِ المَجدوحِ والفَظِّ، في المَغازي والأسفارِ،

١ * الغث : نبت يختبز حبه ويؤكل في الجدب، وخبزته غليظة.

٢ * الدعاع : ج الدعاعة، حبة سوداء يأكلها فقراء البادية اذا اجدبوا.

٣ * الهبيد : الحنظل يكسر ويستخرج حبه ويطبخ لتذهب مرارته.

٤ و ٥ القرامة والقرة فسّرهما الجاحظ فيما بلي.

٦ * العسوم : ج العسم الخبز اليابس.

٧ * البرم : ج الارمة ثمرة العضاه، او السلم، والعضاة كل شجر له شوك.

٨ * القصيد : اللحم اليابس.

٩ * القد : جلد السخلة وهي ولد الضأن او المعز ساعة يولد، ذكراً كان او انثى.

١٠ : الفرث : السرجين، الاقذار في الكرش.

١١ * البابها : ج لبب، المنحر.

١٢ * جدحوه : حركوه بسادة كما يحرك اللبن.

١٣ * ثفله : الثفل: ما استقر تحت الشيء من كدرة (التفل).

١٤ * المخيض : اللبن الممخوض المستخرج زبده.

١٥ * الإنفحة : شيء اصفر يخرج من بطن الجدي، وهو ما يجمد به الجبن.

١٦ * فيتصافنون : يتقسمون بالحصص.

١٧ * العلهز : وبر يخلط بالدم ويؤكل في المجاعات.

١٨ * القردان : ج قُراد: دويبة تكون في وبر الابل.

فيمدحون من آثرَ صاحبَه ، ولا يذمّون من أخذَ حقَّه منه . وهو ماء المُصافَنة ، والمُصافَنةُ مُقاسَمةُ هذا الماء بعينه . وذلك أنَّ الماء ، إذا نقصَ عن الرِّيِّ ، اقتسموه بالسَّواء . ولم يكن للرئيس ، ولا لصاحب المِرباع[1] والصَّفيّ[2] وفُضول المَقاسم[3] ، فَضلٌ على أخسِّ القوم . وهذا خُلُقٌ عامٌّ ، ومَكرُمةٌ عامّةٌ في الرؤساء .

...

وقالَ مَدينيٌّ لأعرابي : أيَّ شيءٍ تدعونَ ، وأيَّ شيءٍ تأكلونَ ؟ قالَ : نأكلُ ما دبَّ ودرَجَ ، إلّا أمَّ حُبَين[4] . فقالَ المدينيّ : لتَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العافية .

وقالَ الاصمعي : تعرّقَ[5] أعرابيٌّ عظماً ، فلمّا أرادَ ان يُلقيَه ، وله بنونَ ثلاثةٌ ، قالَ له احدُهم : أعطِنيه . قالَ : وما تصنعُ به ؟ قالَ : أتعرَّقُه حتّى لا تَجِدَ فيه ذرَّةً[6] مَقيلاً[7] . قالَ : ما قُلتَ شيئاً ! قالَ الثاني : أعطنيه . قالَ : وما تَصنَعُ به ؟ قالَ : أتعرَّقُه ، حتّى لا تَدري أيُّ لعامِه ذلك هو أم للعامِ الذي قبله . قالَ : ما قلتَ شيئاً ! قالَ الثالثُ : أعطنيه . قالَ : وما تصنَعُ به ؟ قالَ أجعلُه مُخَّةَ إدامٍ[8] . قالَ : أنتَ له .

طعام العرَب الممدوح

وإذا نظَرتَ في أشعارِهم ، علمتَ أنّهم قد أكلوا الطَّيِّبَ وعرَفوه ، لأنّ النّاعمَ من الطعامِ لا يكونُ إلّا عندَ أهلِ الثَّراء ، واصحابِ العيشِ .

...

ومن أشرفِ ما عرفوه من الطَّعامِ ، ولم يُطعِم الناسَ احدٌ منهم ذلك

١ . صاحب المرباع : الرئيس الذي يأخذ ربع الغنيمة .

٢ . الصفي : ما يصطفيه ، يختاره الرئيس من الغنيمة .

٣ . فضول المقاسم : ما لا يستطاع تقسيمه ويختص بالرئيس ◉ والمقاسم جمع مقسم ، حصة الشريك من القسمة .

٤ . ام حبين : دويبة على قدر الخنفساء .

٥ . تعرق العظم : اكل ما عليه من اللحم .

٦ . الذرة : مفرد الذر ، صغار النمل .

٧ . المقيل : المكان يقال ، يقعد فيه ، اراد ان الذرة لا تجد موضعاً من هذا العظم تلتمس فيه غذاء .

٨ . مخة إدام : يريد انه يضعه في الماء حتى يغلي فيخرج ما يمكن ان يكون فيه من دسم .

الطعامَ الا عبدُ اللهِ بنُ جُدعانَ[١] ، وهو الفالوذَق[٢] ، مدحه بذلك أُميّةُ بن ابي الصَّلتِ[٣] ، فقالَ :

إلى رُدُحٍ من الشِيزى ، عليها لُبابُ البُرِ يُلبَكُ بالشِهادِ[٤]

ولهمُ الثَّريدُ[٥] ، وهو في أشرافهم عامٌ ، وغلبَ على هاشم حين هشَمَ الخُبزَ لقومهِ ؛ وقد مُدحَ به في شِعرٍ مشهورٍ ، وهو قولُه:

عَمرُو العَلا هشَمَ الثَّريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مُسنِتون عِجافُ[٦]

ومن الطَّعامِ الممدوحِ الحَيْس[٧] . وتزعُمُ مَخزومٌ أنَّ أوَّلَ من حاسَ الحيسَ سويدُ بنُ هَرمِيّ . وقالَ الشاعرُ:

وإذا تكونُ شديدةٌ أُدعى لها ، وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جُندَبُ

والخُبزُ عندَهم ممدوحٌ . وكانَ عبدُ اللهِ بنُ حبيبٍ العَنبَريُّ ، أَحدُ بني سَمُرَةَ ، يُقالُ له آكلُ الخُبزِ ، لانه كانَ لا يأكلُ التَّمرَ ، ولا يَرغَبُ في اللَّبن ، وكانَ سيِّدَ بني العَنبَرِ في زمانه ؛ وهم ، اذا فخَروا ، قالوا : منَّا آكلُ الخُبزِ ، ومنَّا مُجيرُ الطَّيرِ ، يعني ثَوبَ بنَ شَحمةَ العنبريَّ .

وهم يقدِّمونَ اللَّحمَ على التَّمرِ ، ألا تراه يقولُ :

قرَنتني عُبَيدٌ تَمرَها ، وقَريتُها سَنامَ مُصرَّاةٍ قليلٍ رُكوبُها ؛[٨]

فهل يستوي شَحمُ السَّنام ، إذا شتا ، وتَمرُ جُوانى حين يُلقى عَسيبُها .[٩]

وليسَ يكونُ فوقَ عَقرِ الابلِ وإطعامِ السَّنامِ شيءٌ . والعقرُ هو النجدةُ ؛[١٠]

١ * عبدالله بن جدعان : احد اجواد العرب.

٢ * الفالوذق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

٣ * امية بن ابي الصلت الثقفي كان شاعرًا الا متألهًا ، حرّم الخمر ، وشك في الاوثان .

٤ * الردح : ج رداح ، وهي العظيمة ، واراد الجفان العظيمة ◎ الشيزى : خشب الابنوس ◎ البُرّ : القمح ◎ الشهاد : ج شهد ، العسل في شمعه .

٥ * الثريد : خبز يفت بمرق اللحم .

٦ * مسنتون : مجدبون ◎ عجاف : ج عجف ، هزيل .

٧ * الحيس : تمر ينزع نواه ، ويدق مع اقط ، اي جبن متخذ من اللبن الحامض ، ويعجنان بالسمن .

٨ * المصراة : الكثيرة اللبن ، واراد ناقة مصراة .

٩ * جوانى : حصن في البحرين ، اراد تمر الجهة التي فيها هذا الحصن ◎ العسيب : النخلة سقط خوصها فهي وتمرها في غاية الضعف .

١٠ * النجدة : الشدة ، يريد ان عقر الابل يكون في زمان الشدة الذي يتجلى فيه كرم الكريم .

واللَّبنُ هو الرِّسْلُ[١] . قالَ الهُذَلِيُّ :

لَو أنَّ عندي من قُرَيمٍ رجلًا ، لمنعوني نَجدَةً ورِسْلا[٢]

أكل لحوم الناس والكلاب

وتُهجى أَسَدٌ بأكل الكلاب وأكل لحومِ النَّاسِ . والعربُ ، اذا وجدَت رجلًا من القبيلةِ أتى قبيحاً ، الزَمت ذلك القبيلةَ كلَّها ؛ كما تَمدحُ القبيلةَ بفعلٍ جميلٍ ، وإن لم يكن ذلك إلَّا بواحدٍ منها ؛ فتهجو قريشاً بالسَّخينةِ[٣] ، وعبد القيس بالتَّمرِ ، وذلك عامٌّ في الحيَّينِ جميعاً ، وهما من صالح الاغذيةِ والاقواتِ . كما تهجو بأكلِ الكلابِ والنَّاسِ ، وإن كانَ ذلك إنَّما كان من رجلٍ واحدٍ ، فلعلَّكَ إذا اردتَ التَّحصيلَ ، تجدُه معذورًا .

قال في ذلك مُساوِرُ بنُ هندٍ (الورّاق ، شاعر كوفي)

إذا أَسَديَّةٌ ولدَت غُلاماً ، فبشِّرها بلؤمٍ في الغلامِ
تُخرِّسُها نساءُ بني دُبَيرٍ بأخبثِ ما يجِدن من الطَّعامِ[٤]
تَرى أظفارَ أعقدَ مُلفياتٍ براثنُها على وَضمِ الثُّمامِ[٥]

وقالَ الفرزدق :

إذا اسديٌّ جاعَ يوماً ببلدةٍ ، وكانَ سميناً كلبُه ، فهو آكلهْ

وتُهجى أَسَدٌ وهُذَيلٌ والعَنبَرُ بأكلِ لحومِ النَّاسِ .

وقالَ حسَّانُ[٦] فيهم (أي هُذَيل) :

إن سَرَكَ الغَدرُ صِرفاً ، لا مِزاجَ له ، فأتِ الرَّجيعَ وسَل عن دارِ لَحيانِ[٧]

١ . الرِّسْل : الخصب .

٢ . الهذلي : هو صخر الغي . قال هذا وقد احاطت به اعداؤه ، ويئس من لحاق اصحابه به ، وايقن بالقتل . اراد : لمنعوني بالنجدة وهي القتال ، او بغير قتال وهو الرسل . (اللسان)

٣ . السخينة : طعام يتخذ من الدقيق يلقى على ماء او لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر . وقيل ان العرب كانت تأكله في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال .

٤ . تخرِّسها : تطعمها الخُرسة ، وهي طعام النفساء ◉ دبير : ابو قبيلة من اسد .

٥ . الاعقد : الكلب ، والذئب الملتوي الذَّنَب ◉ البراثن : ج برثن ، المخلب ◉ الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم ◉ الثمام : نبت .

٦ هو حسَّان بن ثابت الانصاري .

٧ الرجيع : ماء لهذيل .

قومٌ تواصَوا بأكلِ الجارِ بينهمُ ، فالشاةُ والكلبُ والانسانُ سِيانِ.

وهجا شاعرٌ بلعنبر[١] ، وهو يريدُ ثوبَ بنَ شَحْمَةَ[٢] وفيه حديثٌ :

عَجِلتُمُ ، ما صَدَّكم عِلاجي مِنَ العُنوقِ ومِنَ النِّعاجِ ،
حتّى أكلتم طِفلَةً كالعاجِ[٣]

فهجا ثوبَ بنَ شَحمةَ بأكلِ لحومِ امرأةٍ . وكان ثوبٌ هذا اكرمَ نفساً عندهم من ان يَطعَمَ[٤] طعاماً خبيثاً ، ولو ماتَ عندهم جوعاً .

وقال الشاعرُ يهجو باهلةَ بمثلِ ذلكَ

إنَّ عِفاقاً أكلَتْه باهِلَه ، تمشَّشوا عظامَه وكاهِلَه ،
وأصبحت أمُّ عِفاقٍ ثاكله[٥] .

وهُجيَت بذاك أسدٌ جميعاً ، بسببِ رَمْلَةَ بنت فائدِ بنِ حبيبِ بن خالدِ ابنِ نَضْلَةَ ، حينَ أكلَها زوجُها وأخوها أبو أَرَبٍ . وقد زعموا أن ذلك إنّما كان منهما من طريقِ الغيظِ والغَيْرَةِ . فقالَ ابنُ دارَةَ[٦] ينعى ذلك عليهم :

أفي أن رويتم ، واحتلبتم شُكيَّكم فَخِرتم ، وفيمَ الفَقْسيُّ من الفخرِ ؟[٧]
ورَمْلَةُ كانت زوجةَ لفريقكم ، وأختَ فريقٍ ، وهيَ مَخزيَةُ الذِّكرِ ؟
أبا أَرَبٍ كيفَ القَرابةُ بينكم ، وإخوانُكم من لحمِ أكفالِها العُجرِ ؟[٨]

وقالَ :

عدِمتُ نِساءً بعدَ رَملةِ فائدٍ ، بني فَقْعَسٍ ، تأتيكمُ بأمانِ ،
وباتت عروساً ، ثمَّ أصبحَ لحمُها جِلاً في قُدورٍ بينكم ، وجِفانِ .[٩]

١ * بلعنبر : لفظة منحوتة من بني العنبر ، والعنبر ابو حيّ من تميم .

٢ ثوب : بن شحمة التميمي ، وكان يلقب مجير الطير ، وهو الذي أسر حاتم طيء . ولقب مجير الطير لانه كان يضع سهمه في الارض ، فلا يصاد من تلك الارض شيء .

٣ العنوق : ج عناق ، وهي الانثى من ولد الماعز ◎ الطفلة : الرخصة الناعمة . يقول : عجلتم بأكل لحوم البشر ، ولم يصدكم ما عالجتكم به من اولاد المعز والنعاج حتى اكلتم شابة رخصة ناعمة بيضاء كالعاج .

٤ * يطعم : يأكل .

٥ * عفاق بن مُرّي اخذه الاحدب بن عمرو الباهلي في قحط فشواه واكله ◎ تمششوا : مصوا اطراف العظام ◎ الكاهل : مقدم اعلى الظهر مما يلي العنق .

٦ * ابن دارة : هو سالم بن مسافع الحبشي الشاعر المخضرم .

٧ * شكيّكم : تصغير شُكا : ج شكوة : جلد صغير يحلب فيه اللبن .

٨ * الاخوان : الخوان ، ما يوضع عليه الطعام ◎ العجر : ج اعجر الغليظ السمين .

٩ * جلا : مقصور جلاء ، وجلاء العروس : زفها الى زوجها .

ابن قُتَيْبَة

٨٢٨ - ٨٨٩م

هو ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه ، لُقّب بالدِينَوريّ ، نسبةً الى دِينَور ، بلدة من بلاد الجبل تولّى قضاءها زمناً . ولد في الكوفة ، ونشأ فيها ، وتثقّف على اهلها ؛ ثم انتقل إلى بغداد ، وهي يومئذٍ مهد العلم والادب والحضارة ، فأخذ عن شيوخها وأئمتها العلومَ والآداب والرواية ، وكان قويَّ الحافظة عظيم الذكاء ، فخرج لغوياً أديباً ، عالماً بأخبار الناس وأيامهم ، وبكثير من علوم ايامه .

وقد اشتهر بصدق روايته ، واستقلاله الفكري ، وصراحته في النقد . نقد الشعراء ، وبيّن ما في شعرهم من طبع وتكلّف ، وصحّة وخطأ ، وابتكار وتقليد ، وما فيه من حسن الالفاظ وقبيحها ، وجميل المعاني ورديئها . وإن من احكامه ما هو شخصيٌّ ، وما جارى فيه من تقدموه دون ان يدقق فيه . على ان هذه الاحكام ، وان تكن سريعة ، اجمالية ، لا تحليل فيها ولا تعمّق ، تدل على دقّة احساسه الفني ، وتذوّقه الادبي ، وجرأته في قول الحق ، وعدم محاباته .

وابن قتيبة من كبار المنشئين الادباء في الدولة العباسية ، انشاؤه بليغ ، مطبوع ، انيق الصياغة ، أدبيّ الروعة ، قصصي الاسلوب ، على قوة ووضوح في التعابير . على ان في بعض ضمائر جمله ، احياناً ، شيئاً من التداخل يدعو الى التأمل لربطها بما تعود اليه .

آثاره

لابن قتيبة مؤلفات كثيرة في العلوم والآداب قيل انها تبلغ الستين ، وقيل الثلاثمائة. ومهما يكن الامر فان كتبه الادبية تعد في أمّات الكتب المفيدة.

وقد اقتصرنا على قطعة من مقدمة كتاب « الشعر والشعراء ». وعلى مختارات من كتاب « عيون الاخبار » وهو يُعدّ اول كتاب من نوعه في الادب.

وعيون الاخبار في عشرة كتب:

كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب الوُدد - كتاب الطبائع والاخلاق - كتاب العلم باخبار العلم والعلماء - كتاب الزهد - كتاب الاخوان - كتاب الحوائج - كتاب الطعام - كتاب النساء.

وقد اعتمدنا فيما اخترناه منه النسخة المطبوعة في دار الكتب المصرية لما فيها من حسن التدقيق ، والتصحيح.



من مقدّمة كتاب الشعر والشعراء

ولم أقصدْ ، فيما ذكرتُه من شعرِ كلِّ شاعر ، مختارًا له سبيلَ من قلَّدَ ، أو استحسَنَ باستحسانِ غيرِه ؛ ولا نظرتُ الى المُتقدِّمِ منهم بعينِ الجلالةِ لتقدُّمِه ، ولا إلى المُتأخِّرِ بعينِ الاحتقارِ لتأخُّرِه ؛ بل نظرتُ بعينِ العدلِ الى الفريقَين ، وأعطيتُ كلاً حقَّهُ ، ووفَّرتُ عليه حظَّهُ . فإني رأيتُ من علمائِنا من يستجيدُ الشعرَ السَّخيفَ لتقدُّمِ قائلِه ، ويضعُهُ موضعَ مُتخيَّرِه ، ويَرذُلُ[1] الشعرَ الرَّصينَ ، ولا عيبَ لهُ عندَه إلَّا أنَّهُ قيلَ في زمانِ ورأى قائلَه . ولم يَقصُرِ اللهُ الشعرَ والعلمَ والبلاغةَ على زمنٍ دونَ زمنٍ ، ولا خصَّ به قوماً دونَ قومٍ ؛ بل جعَلَ ذلك مُشتَرَكاً مقسوماً بينَ عبادِه ، وجعَلَ كلَّ قديمٍ حديثاً في عصرِه ، وكلَّ شريفٍ خارجيّاً[2] في أوَّلِه . فقد كانَ جريرٌ ، والفرزدَقُ والأخطَلُ يُعَدُّونَ مُحدَثينَ ؛ وكانَ ابو عمرو بنُ العَلاءِ يقولُ : قد نبَغَ هذا المُحدَثُ وحسُنَ ، حتَّى لقد هَمَمتُ بروايتِه ؛ ثم صارَ هؤلاءِ قُدَماءَ عندَنا ببُعدِ العهدِ منهم ؛ وكذلكَ يكونُ من بعدهم لمن بعدَنا : كالحُزَيميِّ ، والعَتَّابيِّ ، والحُسينِ بنِ هانىءٍ . فكلُّ من أتى بحَسَنٍ ، من قولٍ أو فعلٍ ، ذكرناه له ، وأثنَينا عليه به ، ولم يَضَعْهُ عندنا تأخُّرُ قائلِه ، ولا حداثةُ سِنِّه ؛ كما أنَّ الرَّديءَ ، إذا وردَ علينا للمُتقدِّمِ او الشَّريفِ ، لم يَرفَعْه عندنا شَرَفُ صاحبِه ولا تقدُّمُهُ .

١ : يرذل : مضارع رذل الشيء : اهمله ولم ينتقه .

٢ . الخارجي : من يسود بنفسه من غير ان يكون له قديم .



مَناقِبُ العَصا

قالَ الشَّرقيُّ بنُ القَطاميِّ : خرَجتُ من المَوصِلِ أُريدُ الرَّقَّةَ ، فصَحِبَني فتًى من أهلِ الجزيرةِ ، وذكرَ أنَّه من وَلَدِ عَمرِو بنِ كُلثومٍ ، ومعَه مِزوَدٌ[١] ورَكوةٌ[٢] وعصاً ؛ ورأيتُه لا يُفارِقُها مُشاةً كُنَّاً أو رُكباناً ، وهو يقولُ : إنَّ اللهَ جعَلَ جِماعَ أمرِ مُوسى ، وأعاجيبَه وبَراهينَه ومآرِبَه في عَصاه ؛ ويُكثِرُ من هذا . وأنا أضحَكُ مُتَهاوناً بما يقولُ . فتَخلَّفَ المُكاري ، فكانَ حمارُ الفتى ، إذا وَقَفَ ، اكرَهَه بالعَصا ، ويَقِفُ حماري ، ولا شيءَ في يَدي ، فيَسبِقُني إلى المَنزِلِ ، فيَستريحُ ويُريحُ ، ولا أقدرُ على البَراحِ[٣] ، حتَّى يُوافيَني المُكاري . فقلتُ : هذه واحدةٌ . ثمَّ خرجنا من غدٍ مُشاةً ، فكانَ إذا أعيا توكَّأَ على العصا ، وربَّما أحضرَ[٤] ، ووضَعَ طرفاً على الارضِ ، فاعتمَدَ عليها ، ومرَّ كأنَّه سَهمٌ زالِجٌ[٥] ، حتَّى انتَهَينا ، وقد تفسَّختُ من الكَلالِ[٦] ، وإذا فيهِ فَضلٌ[٧] كثيرٌ . فقلتُ : وهَذه أُخرى . فلمَّا كانَ في اليومِ الثالثِ هَجَمنا على حيَّةٍ مُنكَرَةٍ ، فسارَت إلينا ، فأسلَمتُه اليها ، وهرَبتُ عنها ، فضَرَبَها بالعصا حتى قتَلَها . فقلتُ : هذه ثالثةٌ ، وهي أعظَمُهنَّ . وخرجنا في اليومِ الرابعِ وبنا قَرَمٌ[٨] الى اللَّحمِ

١ . المزود : وعاء للزاد .
٢ . الركوة : ابريق للقهوة .
٣ . البَراح : مصدر برح مكانه ، زال عنه .
٤ . احضر : عدا ، يعدو ، في سيره .
٥ . سهم زالج : سريع الانزلاق عن القوس .
٦ . الكلال : مصدر كلّ : تعب .
٧ . الفضل : ضد النقص ، والبقية والزيادة .
٨ . القَرم : الشهوة الشديدة .

فاعترضتنا أرنبٌ ، فحذفها بالعصا ، وأدركنا ذكاتها[1] . فقلتُ : هذه رابعةٌ . فأقبلتُ عليه فقلتُ : لو أنَّ عندنا نارًا ما أخرتُ أكلها الى المنزل . فأخرج عُويدًا من مِزْوَدِه ، ثم حكه بالعصا ، فأورت[2] إيراء المَرخِ والعَفارِ[3] ، ثمَّ جمع ما قدرَ عليه من الغُثاء[4] والحشيشِ وأوقدَ نارًا ، وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لزق بها من الرَّمادِ والتُّرابِ ما بَغَضها إليَّ ؛ فعلَّقها بيده اليسرى ، ثمَّ ضربَ جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضرباً رقيقاً ، حتى انتثرَ كلُّ شيءٍ عليها ، فأكلناها ، وسكنَ القرمُ ، وطابتِ النفسُ . فقلتُ : هذه خامسةٌ . ثم نزلنا بعضَ الحاناتِ ، واذا البيوتُ مَلآنةٌ رَوثاً وتُراباً ، فلم نَجِد موضعاً نظلُّ فيه ، فنظرَ الى حديدةٍ مطروحةٍ في الدارِ ، فأخذها ، فجعل العصا نِصاباً[5] لها ، ثمَّ قامَ فجرفَ جميعَ ذلكَ الروثِ والترابِ ، وجرَدَ الأرضَ ، حتى أظهرَ بياضها ، وطابَت ريحُها . فقلتُ : وهذه سادسةٌ . ثم نزعَ العصا من الحديدةِ ، فأوتدها[6] في الحائطِ ، وعلَّقَ عليها ثيابَه وثيابي . فقلتُ : هذه سابعةٌ . فلما صرنا إلى مفرقِ الطريقين ، وأردتُ مُفارقتَه ، قالَ لي : لو عدلتَ معي ، فبتَّ عندي ! فعدلتُ معه ، فأدخلني منزلاً يتصل ببيعةٍ ، فما زالَ يُحدِّثني ، ويُطرِفني الليلَ كلَّه ؛ فلمَّا كانَ السَّحَرُ أخذَ العصا بيمينها ، وأخذَ خشبةً أخرى ، فقرَعَ بها العصا ، فإذا ناقوسٌ ليسَ في الدُّنيا مثلُه ، واذا هو أحذقُ الناسِ به . فقلتُ له : ويحكَ ! أما انتَ بمسلمٍ ؟ قالَ : بلى . قلتُ : فلِمَ تضربُ بالناقوس ؟ قالَ : لأنَّ ابي نصرانيٌّ ، وهو شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ ، فاذا شهدتُ بِرَّتَهُ[7] بالكفايةِ . وإذا شيطانٌ[8] ماردٌ ، وأظرفُ الناسِ ، وأكثرُهم أدباً ؛ فخبَّرتُه بالذي أحصيتُ من خصالِ العصا ، فقالَ : واللهِ لو حدَّثتُكَ عن مناقبِ العصا ليلةً الى الصَّباحِ ما استنفدتُها .

١ . ذكاتها : مصدر ذكا الذبيحة : ذبحها .

٢ . اورت : اخرجت نارها .

٣ . المرخ والعفار : نوعان من الشجر السريع الوري يقتدح بهما فيكون الزند الاعلى من العفار والاسفل من المرخ .

٤ . الغثاء : والغثاء بالتخفيف : الهالك من ورق الشجر المختلط زبد السيل .

٥ . النصاب : المقبض .

٦ . اوتدها : رزّها في الحائط كالوتد .

٧ . يريد : اذا كنت موجوداً عنده قمت بما يجب عليَّ من البرّ به ، اي الاحسان اليه .

٨ . الضمير يعود الى الشيخ .

مذاهب العجم في العيافة[١]

كانت العَجَمُ تقولُ : إذا تحوَّلت السِباعُ والطَّيرُ الجبَليَّةُ عن أماكنها ، ومَواضِعها ، دلَّت بذلك على أنَّ المَشْتَى سيَشتدُّ ويَتفاقمُ ؛ وإذا نقلَت الجُرذانُ بُرًّا وشعيرًا ، او طعاماً ، إلى ربِّ البيتِ رُزِقَ الزِّيادةَ في مالِه وولَده ؛ وإن هي قرَضَت ثيابَه دلَّت بذلك على نَقصِ مالِه وولَده ، فينبغي أن يُقطَعَ ذلك القَرْضُ ويُصلحَ . وإذا شبَّت النَّارُ شُبوباً كالصَّخَبِ دلَّت على فرحٍ شديدٍ ؛ واذا شبَّت كالبُكاء دلَّت على حُزنٍ ؛ واما النَّارُ الَّتي تَشتعِلُ في أسفلِ القُدورِ فإنَّها تَدِلُّ على أمطارٍ تَكثُرُ ، أو ضَيفٍ يَحضُرُ . واذا فشا الموتُ في البقرِ وقعَ المُوتانُ[٢] في البشرِ ؛ وإذا فشا الموتُ في الخَنازيرِ عمَّ النَّاسَ السلامةُ والعافيةُ ؛ وإذا فشا الموتُ في السِّباعِ والوحوشِ أصابَ النَّاسَ ضيقةٌ ؛ وإذا فشا الموتُ في الجُرذانِ أخصبَ النَّاسُ ؛ وإذا أكثرتِ الضَّفادعُ النَّقيقَ دلَّت على مَوتانٍ يكون . وإذا أنَّ ديكٌ في دارٍ فشا فيها مرَضُ الرِّجالِ ؛ وإذا أنَّت دَجاجةٌ فشا فيها مرَضُ النِّساء ؛ وإذا صَرخَت ديوكٌ صُراخاً كالبُكاء فشا الموتُ في النِّساء ؛ وإذا صَرخَ الدَّجاجُ مثلَ ذلك الصُّراخِ فشا الموتُ في الرِّجال ؛ واذا نعَبَ غُرابٌ اسودُ ، فجاوبَته دَجاجةٌ دلَّ ذلك على خَرابٍ يُعمَرُ ؛ وإذا قوَّقَت دَجاجةٌ ، وجاوبَها غُرابٌ دلَّ على عُمرانٍ يَخرَبُ . واذا غطَّ[٣] الرَّجلُ الحَسيبُ في نَومِه بلغَ سِنًا[٤] ورِفعةً ؛ ومن نَفخَ في نومِه أفسدَ مالَه ؛ ومن صرَّت أسنانُه في نومِه دلَّ ذلك منه على نَميمةٍ ، وينبغي أن يُضرَبَ على فيه بخُفٍّ[٥] متخرِّقٍ . ومن سقطَت قُدَّامَه حيَّةٌ من جُحرٍ أصابَته مَعرَّةٌ[٦] ومَضرَّةٌ ؛ واذا رُئِيَ في الهواء دُخنَةٌ[٧] وظُلمَةٌ من غيرِ عِلَّةٍ تُخوِّفَ على النَّاسِ الوَباءُ والمَرَضُ .

١ . العيافة : زجر الطير ، وهي ان تعتبر الطيور باسمائها ومساقطها واصواتها فتتسد او تتشأم .

٢ . المَوتان بتثليث الميم : موت يقع في المواشي .

٣ . غط النائم : نخر وتردد نفسه صاعدًا الى حلقه حتى يسمعه من حوله .

٤ . السنا : الرفعة في القدر والمنزلة .

٥ . الخف : ما يلبس في الرجل ، كالحذاء سمي كذلك لخفته .

٦ . المعرَّة : الاذى .

٧ . الدخنة : الكدرة في سواد .

وإذا رُئِيَ في آفاقِ السَّماء، في لَيلةٍ مُضحِيةٍ ، كاختلافِ النيرانِ غَشِيَ البلادَ التي رُئِي فيها ذلك عَدوٌ ؛ فإن رُئِيَ ذلك ، وفي البلاد عدوٌ انكشفَ عنها ؛ وإذا نَبَحَ كلبٌ بعدَ هَدأةٍ[1] نَبحةً بَعْتةً دَلَّ على أنَّ السُّرَّاقَ قد اجتمعُوا بالغارةِ على بعضِ ما في تلك الدَّارِ ، أو ما جاورَها؛ واذا صَفَّقَ ديكٌ بجَناحيهِ ولم يَصرُخْ دَلَّ على أنَّ الخيرَ مُحتبِسٌ عن صاحبِهِ؛ واذا أكثرَ البُومُ الصُّراخَ في دارٍ بَرِئَ مَريضٌ إن كانَ فيها . وإذا سُمِعَ لِبَيتٍ تَنَقُّضُ[2] شَخْصٍ[3] من فيه عنه ؛ واذا عوَتْ ذِئابٌ من جِبالٍ ، وجاوَبَتها كِلابٌ من قُرى تفاقَمَ الأمرُ في التَّحارُبِ وسَفكِ الدِّماء ؛ وإذا عوَتِ كِلابٌ وجاوَبَتها ذئابٌ كانَ وباءٌ ومُوتانٌ جارفٌ؛ وإذا أكثَرَتِ الكِلابُ ، في البَغَتاتِ[4] ، الهريرَ[5] دلَّت بذلك على إتيانِ العَدوِّ البلادَ التي هيَ فيها . واذا صرَخَ ديكٌ في دارٍ قبلَ وقتِ صُراخِ الدُّيوكِ كان ذلكَ مُحاولةً لدَفعِ بَليَّةٍ قد شارَفَت تلكَ الدَّارَ ؛ وإذا صرَخَت دَجاجةٌ في دارٍ كصُراخِ ديكٍ كانَ ذلكَ تحذيراً لمن فيها من آفةٍ قد أشرفوا عليها ؛ واذا أكثرَ ديكٌ التَّزوانَ[6] على تُكَأَةِ[7] ربِّ الدَّار نالَ شرفاً ونباهةً ، وإن فعلَت ذلك دَجاجةٌ نالهُ خمولٌ وضِعَةٌ[8] . وإذا زَرَقَ[9] ديكٌ على فِراشِه نالَ مالاً رَغيباً وخيراً كثيراً ، وذلك إذا كانَ من غيرِ تضييعٍ من حشمِهِ لفِراشه ؛ فإن زَرَقَت دَجاجةٌ نالَت زوجتُه منه خيراً كثيراً . وكانوا يقولون : إنَّ الموتَ من المريضِ الشَّبيهِ بالصحيحِ قريبٌ ، وإنَّ الصحيحَ الشَّبيهَ بالمريضِ مُستشعرٌ[10] للشرِّ ، وينبغي مُباعدَته . وينبغي ان يُعرَفَ كُنهُ[11] من كانَ مِنطيقاً[12] لعلَّه

١ . الهدأة : الهزيع من الليل ، او من اول الليل الى ثلثه .
٢ . تنقُّض : مصدر تنقَّض البيت ، تشقق وسمع له صوت .
٣ . شخص : رحل ، ذهب .
٤ . البغتات : مفاجآت العدو .
٥ . الهرير : صوت الكلب دون نباح .
٦ . التزوان : مصدر من زا ، تقفز .
٧ . التُّكأة : المكان يتكأ فيه .
٨ . الضعة : انحطاط المقام والمنزلة .
٩ . زرق الطائر : سلح .
١٠ . مستشعر للشر : مضمر له .
١١ . كنه : حقيقته .
١٢ . المنطيق : البليغ .

لا يُجيدُ العملَ، وحالُ من كانَ سِكّيتاً مُتَرَمِّتاً لعلّه بعيدُ الغَورِ[١]. وكانوا يكرهونَ استقبالَ المولودِ ساعةَ يُوضَعُ إلّا أن يكونَ ناقصَ الخَلقِ، فإنّ بليّته وآفته قد صارتا على نفسه؛ ويكرهون استقبالَ الزَّمِنِ[٢]، والكريهِ الاسمِ، والجاريةِ البكرِ، والغُلامِ الذاهبِ الى المكتبِ؛ وكانوا يكرهون الثِّيرانَ المقرونةَ بقِرانٍ[٣]، والحيوانَ المُوتِقَ والدّابّةَ المقودةَ، وحاملةَ الشَّرابِ والحَطَبِ، والكَلبَ، ويَستحبّون الصَّحيحَ البَدَنِ، الرَّضيَ الاسمِ، والمرأةَ الوسيمةَ، الثَّيِّبَ[٤]، والغُلامَ المُنصرفَ من المكتبِ، والدَّوابَّ التي عليها حُمولةٌ من طَعامٍ، أو تِبنٍ، أو زِبلٍ. وكانوا لا يُنحُونَ عن سَمعِ الملكِ ألحانَ المُغنّياتِ، ونقيضَ[٥] الصَّواري، وصَهيلَ الخيلِ والبراذينِ[٦]، ويتّخذونَ في مَبيتِه ديكاً ودَجاجةً. وإذا أُهديت له خيلٌ سُنِحَ بها عليه من يَسارِه إلى يمينه، وكذلك الغَنمُ والبَقرُ؛ امّا الرَّقيقُ، والسِّباعُ، وما اشبهها، فكانَ يُبرَحُ بها من يَمينه الى يَسارِه.

أبو الاغرّ والكلب

كانَ بالبَصرةِ شيخٌ من بني نَهشَلٍ يقالُ له عُروةُ بنُ مَرثَدٍ، ويُكنى أبا الأغرِّ، يَنزِلُ ببني أختٍ له في سِكّةِ بني مازنٍ؛ وبنو أختِه من قُريشٍ. فخَرَجَ رجالهم إلى ضياعِهم، في شهرِ رمضانَ، وخرجَ النِّساءُ يُصلّينَ في مَسجِدِهم، فلم يبقَ، في الدارِ، إلّا الإماءُ؛ فدخلَ كلبٌ يَعتَسُّ[٧]، فرأى بيتاً، فدخلَه، وانصفقَ البابُ، فسمعَ الحركةَ بعضُ الإماءِ فظنّوا[٨] أن لصّاً دخلَ الدّارَ؛ فذهبت إحداهنّ إلى ابي الأغرِّ، فأخبرَته، فقالَ ابو الأغرِّ: ما يَبتَغي اللّصُّ؟ ثمّ اخذ

١ * الغور: العمق، ورجل بعيد الغور، كناية إما عن الحقد، او عن المعرفة بالامور.

٢ * الزَّمِن: من كان فيه عاهة.

٣ * المقرونة بقران: المشدودة بحبل واحد.

٤ * الثيب: المراة فارقت زوجها بموت او طلاق

٥ * النقيض: الصوت ◎ الصواري ج صاري: عمود يركز قائما في وسط السفينة يعلق به الشراع.

٦ * البراذين: ج برذون: دابة الحمل او الفرس غير الاصيل.

٧ * يعتسّ: مضارع اعتسّ، طاف في الليل يطلب حاجة، طعاما.

٨ * فظنوا: هكذا وردت، والوجه: فظنّ.

عصاه ، وجاء فوقفَ على بابِ البيتِ ، وقالَ : إيه يا مَلْأمان[1] ! أما واللهِ إنَّكَ لي لعارفٌ ، فهل أنتَ إلّا من لُصوصِ بني مازنٍ ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتّى إذا دارت القداحُ في رأسكَ ، منّتكَ نفسُكَ الأماني ، وقلتَ : أطرُقُ ديارَ بني عمرٍو ، والرّجالُ خُلوفٌ[2] ، والنّساءُ يُصلّينَ في مَسجدِهم ، فأسرقهم .سَوءةً[3] لكَ ! واللهِ ما يفعَلُ هـذا ولَدُ الأحرارِ ! وأيمُ اللهِ ، لتَخرُجنَّ ، أو لأهتِفنَّ هَتفةً مشؤومةً يلتقي فيها الحيّانِ عمرٌو وحنظلةُ ، وتجيءُ سَعدٌ بعددِ الحصى ، وتَسيلُ عليكَ الرّجالُ من ها هُنا ومن ها هُنا ، ولَئن فعلتُ لتكوننَّ أشأمَ مولودٍ . فلمّا رأى أنه لا يُجيبُه أحدٌ أخذَ باللّينِ ، فقالَ : اخرُج ! بأبي وأمّي أنتَ مستورٌ . إنّي واللهِ ، ما أراكَ[4] تعرفُني ، ولو عَرفتني لقَنِعتَ بقولي ، واطمأننتَ اليَّ . أنا ، فَديتُكَ ، أبو الأغرّ النّهشَليّ ، وأنا خالُ القومِ ، وجِلْدَةُ[5] بينَ أعينِهم لا يَعصُونني ، ولن تُضارَّ اللّيلةَ ، فاخرج فانتَ في ذِمّتي ، وعندي قوصَرتانِ[6] أهداهما إليَّ ابنُ أختي البارُّ ، الوَصولُ ، فخُذ إحداهما ، فانتبِذْها[7] حلالاً من اللهِ ورسولِه . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكتَ وثَبَ يُريغُ[8] المَخرجَ ؛ فتهاتَف[9] أبو الأغرِّ ، ثمّ تضاحكَ ، وقالَ : يا ألأمَ النّاسِ وأوضعَهم ، لا أرى إلّا أنّي لكَ الليلةَ في وادٍ وأنتَ لي في وادٍ ؛ أُقلّبُ السوداءَ والبيضاءَ فتُصيخُ[10] وتُطرقُ ؛ وإذا سَكتُّ عنك وثَبتَ تُريغُ المَخرجَ ؛ واللهِ لتَخرُجنَّ أو لأُلجِنَّ[11] عليكَ البيتَ . فلمّا طالَ وُقوفُه ، جاءت إحدى الإماء ، فقالت : أعرابيٌّ مجنونٌ ! واللهِ ما أرى في البيتِ شيئاً ؛ فدَفعتِ البابَ ، فخرجَ الكلبُ

١ * يامَلْأمان : يا لئيم .

٢ * خلوف : غائبون .

٣ * السوءة : الفاحشة والخلة القبيحة .

٤ * أراك : اظنك .

٥ * يقال : فلان جلدة بين العين والانف اي هو مثل تلك الجلدة في العزة والقرب .

٦ * القوصرة : وعاء للتمر يؤخذ من قصب تسمى بها ما دام فيها تمر والا يقال زنبيل .

٧ * انتبذها : يقال انتبذ مكانا اي اتخذه بمعزل يكون بعيدا عن القوم .

٨ * يريغ : يطلب ويريد .

٩ * تهاتف : تصايح .

١٠ * تصيخ : مضارع اصاخ له استمع وأصغى .

١١ * ألجنّ : ادخلنّ .

شَدًّا ، وحادَ عنه أبو الأغرّ ساقطاً على قفاه ، ثمّ قالَ : يا لَهْفِ ، ما رأيتُ كاللّيلة ! واللهِ ما أُراه إلّا كلباً . أما واللهِ لو عَلمتُ بحالِه لولجتُ عليه .

حديثُ أبي حيّةَ النُّميري

وشَبيهٌ بهذا حديثٌ لأبي حيّةَ النُّمَيْرِيّ ، وكانَ له سَيفٌ ليسَ بينه وبينَ الخشَبةِ فُرقٌ ، وكانَ يُسمّيه لُعابَ المنيّةِ . قالَ جارٌ له : أشرَفتُ عليه ليلةَ وقدِ انتضاه وشمَّرَ ، وهو يقولُ : أيُها المُغترُّ بنا ، المُجترئُ علينا ، بِئسَ واللهِ ما اخترتَ لنفسكَ ، خيرٌ قليلٌ وسيفٌ صقيلٌ ، لُعابُ المنيّةِ ، الّذي سَمِعتَ به ، مَشهورٌ ضَربتُه ، لا تُخافُ نَبوَتُه[1] . اخرُج بالعَفو عنكَ ، وإلّا دخلتُ بالعُقوبةِ عليكَ . إنّي واللهِ إن أدعُ قيساً تَملأ الأرضَ خيلًا ورَجلًا[2] . يا سُبحانَ اللهِ ، أكثَرَها وأطيبَها ! ثمّ فتحَ البابَ ، فإذا كلبٌ قد خرَجَ ، فقالَ : الحمدُ للهِ الّذي مَسَخَكَ كلباً وكفاني حرباً ! .

الأعرابيُّ اللصُّ والشيخُ الكريمُ العفو

قالَ سَهلٌ[3] : وحدَّثني العُتبيُّ ، قالَ : حدَّثني رجلٌ من بني تميمٍ عن بعضِ أشياخِه من قومِه ، قالَ : كنتُ عندَ المُهاجرِ بنِ عبدِ اللهِ والي اليمامةِ فأتى أعرابيٌّ قد كانَ معروفاً بالسَّرقِ ، فقالَ له أخبِرني عن بعضِ عجائبِك ! قالَ : إنّها لكثيرةٌ ! ومِن أعجَبِها أنّه كانَ لي بَعيرٌ لا يُسبَقُ ، وكانت لي خيلٌ لا تُلحَقُ ، فكنتُ لا اخرُجُ فأرجعَ خائباً ، فخرجتُ يوماً فاحتَرَشتُ[4] ضَبًّا فعلّقتُه على قَتَبي[5] ، ثمّ مررتُ بخِباءِ سَرِيٍّ[6] ليسَ فيهِ إلّا عَجوزٌ ، فقلتُ :

١ ـ نَبوته : من نبا السيف لم يقطع .

٢ ـ الرَّجل : الرجال .

٣ ـ هو سهل بن محمد من رواة الاخبار .

٤ ـ احترش الضب وحرشه : صاده .

٥ ـ القتب : إكاف يوضع على سنام البعير .

٦ ـ السري : الجيد من كل شيء ، والسري صاحب المروءة في شرف ، والسخاء في مروءة .

أخلق بهذا الخباء أن يكونَ له رائحةٌ من غنمٍ وإبلٍ ؛ فلمّا أمسيتُ إذا بإبلٍ مائةٍ ، فيها شيخٌ عظيمُ البطنِ ، مُثدَّنٌ[1] اللحمِ ، ومعه عبدٌ أسودُ وَغْدٌ[2] ؛ فلمّا رآني رحّبَ بي ، ثمّ قامَ إلى ناقةٍ ، فاحتلبَها ، وناولني العُلبةَ فشربتُ ما يَشربُ الرَّجلُ ، فتناولَ الباقيَ ، فضربَ به جبهتَه ؛ ثمّ احتلبَ تِسعَ أينُقٍ فشربَ ألبانَهنّ ؛ ثمّ نحرَ حُوارًا[3] ، فطبخَه ، ثمّ ألقى عِظامَه بيضاً[4] ، وحثا[5] كُومةً من بَطحاءَ[6] ، وتوسّدَها ، وغطّ غطيطَ البكرِ[7] . فقلتُ : هذه واللهِ الغنيمةُ ! ثمّ قُمتُ الى فحلِ إبلِه فحطَمْتُه[8] ، ثمّ قرنتُه إلى بعيري ، وصحتُ به ، فاتّبعني الفحلُ ، واتّبعَته الإبلُ إرباباً[9] به ، فصارت خلفي كأنها حبلٌ ممدودٌ ؛ فمضيتُ أبادرُ ثنيّةً[10] بيني وبينها مَسيرةُ ليلةٍ للمُسرعِ ، فلم أزل أضربُ بعيري بيدي مرّةً ، وأقرعُه برجلي أخرى ، حتّى طلعَ الفجرُ ؛ فأبصرتُ الثنيّةَ فاذا عليها سوادٌ[11] ، فلمّا دنوتُ إذا أنا بالشّيخِ قاعدًا ، وقوسُه في حُجرِه ، فقالَ : أضيفُنا ؟ قلتُ : نعم ! قالَ : أتسخو نفسُكَ عن هذه الإبلِ ؟ قُلتُ لا ! فأخرجَ سهماً كأنّ نصلَهُ لسانُ كلبٍ ، ثمّ قالَ : أبصِر بينَ أذُني الضّبِ ! ثمّ رماه فصدَعَ عظمَه عن دماغِه ، ثمّ قالَ : ما تقولُ ؟ قلتُ : أنا على رأيي الأوّلِ . قالَ : انظر هذا السّهمَ الثانيَ في فِقرةِ ظَهرِه الوُسطى ؛ ثمّ رمى به فكأنّما قدّره بيدِه ، ثمّ وضعَه بإصبعِه ؛ ثمّ قالَ : أرأيتَ ؟ فقلتُ إنّي أُحبُّ أن استثبتَ . قالَ : انظر هذا السّهمَ الثّالثَ في عُكوةِ[12] ذنبِه ، والرّابعَ في بطنِكَ ! ثمّ رماه فلم يُخطىء العُكوةَ ؛ فقلت : أنزِلُ آمناً ؟ قالَ : نعم . فنزلتُ فدفعتُ إليه خِطامَ فحلِه ،

١ * المثدّن : الكثير اللحم ، الثقيله .

٢ * الوغد : الاحمق ، الضعيف ، الرذل ، الدنيء ، والخادم الذي يخدم بطعام نفسه .

٣ * الحوار : ولد الناقة .

٤ * القى عظامه بيضا : كناية عن انه اكل كل ما عليها من لحم .

٥ * حثا التراب : رماه ، صبه .

٦ * البطحاء : مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى .

٧ * البكر : ولد الناقة الفتيّ .

٨ * خطم البعير : وضع له الخطام ، وهو الحبل يوضع في عنق الجمل .

٩ * إرباباً به : ملازمة له ، من أربّ بالمكان لازمه واقام به .

١٠ * ثنيّة : الطريق في الجبل .

١١ * سواد الانسان : شخصه .

١٢ * العكوة : اصل الذنب .

وقلتُ: هذه إبلُكَ لم يَذهَب منها وَبَرةٌ ، وأنا انتظرُ أن يَرميني بسهمٍ ينتظمُ[١] به قلبي . فلمّا تنحّيتُ ، قالَ لي : أقبلْ ! فأقبلتُ واللهِ خوفاً من شرّه لا طمَعاً في خيرِه ؛ فقالَ : أيْ هذا ! ما أحسِبُكَ جَشِمتَ[٢] الليلةَ ما جَشِمتَ إلّا من حاجةٍ . قلت : أجَلْ . قالَ : فاقرُن من هذه الإبلِ بعيرَين ، وامضِ لطِيَّتِكَ[٣] ! قلتُ : أما واللهِ حتّى أُخبِرَكَ عن نفسِكَ قبلاً ؛ ثمّ قلتُ : واللهِ ما رأيتُ أعرابيّاً قطُّ أشدَّ ضِرساً ، ولا أغدى رِجلاً ، ولا أرمى يداً ، ولا أكرمَ عفواً ، ولا أسخى نفساً منكَ .

بَهرامُ جورَ والقَينة

وقرأتُ في كتابِ سِيَرِ العَجمِ أنَّ بَهرامَ جُورَ خرَجَ ، ذاتَ يومٍ ، الى الصَّيدِ ، ومعهُ جاريةٌ له ، فعَرَضت له ظِباءٌ ، فقالَ للجاريةِ : في أيِّ موضعٍ تُريدين أن أضَعَ السَّهمَ من الوحشِ ؟ فقالت : أُريدُ ان تُشبِهَ ذُكرانَها بالإناثِ وإناثَها بالذكران . فرمى تيساً من الظِّباءِ بِنُشّابةٍ ذاتِ شُعبتينِ فاقتلعَ قرنَيهِ ، ورمى عَنزاً منها بنُشّابتينِ فأثبتَهما في موضعِ القرنينِ . ثمّ سألَته أن يجمَعَ أُذنَ الظَّبيِ وظِلفَه بنُشّابةٍ واحدةٍ ؛ فرمى أصلَ أُذنِ الظبيِ بِبُندُقةٍ ، فلمّا أهوى بيده إلى أذنِه ليَحتكَّ ، رماه بنُشّابةٍ ، فوصلَ ظِلفَه بأُذنِه ؛ ثمّ أهوى إلى القينةِ فضرَبَ بها الارضَ وقالَ : شدَّ ما اشتَطَطتِ[٤] عليَّ ، وأردتِ إظهارَ عَجزي .

المَرْزَوانُ وأهلُ المَصانعِ

وقرأتُ في كُتبِهم أن كِسرى استعملَ قَرابةً له على اليمنِ يقالُ له المَرزَوانُ ، فأقامَ بها حيناً . ثمّ خالفَه أهلُ المَصانعِ — والمصانعُ جبلٌ باليمنِ مُمتنعٌ طويلٌ ، ووراءَه جبلٌ آخر بينهما فَصلٌ إلّا أنّه متقاربٌ ما بينَهما - فسارَ اليهم

١ ـ ينتظم : يختل ، ينفذ .
٢ ـ جشمت : تكلفت على مشقة .
٣ ـ مضى لطيّته : اي للنية التي التواها .
٤ ـ اشتط عليه : ظلم وجاوز الحد .

المرزوانُ ، فنظرَ إلى جبلٍ لا يطمَعُ أحدٌ أن يدخُلَه ، إلّا من بابٍ واحدٍ ، يَمنَعُ ذلك البابَ رجلٌ واحدٌ. فلمّا رأى أن لا سبيلَ إليهم ، صَعِدَ الجبلَ ، الّذي هو وراءَ المصانعِ ، من حيثُ يُحاذي حِصنَهم ، فنظرَ إلى أضيقِ مكانٍ فيهِ ، وتحته هَواءٌ[1] لا يُقدَرُ قدرُه ، فلم يرَ شيئاً أقربَ إلى افتتاحِ ذلك الحصنِ من ذلك الجبل ؛ فأمرَ أصحابَه أن يقوموا في صَفَّينِ ثمّ يَصيحوا بهِ صَيحةً واحدةً ؛ ثمّ ضربَ فرسَه ، حتّى إذا استجمعَ حُضرًا ، رمى بهِ أمامَ الحِصن ، وصاحَ بهِ أصحابُه ، فوَثَبَ الفَرسُ الواديَ ، فإذا هو على بابِ الحِصنِ . فلمّا نظرَت حِميرُ قالوا : هذا أيمٌ ! والأيمُ بالحِميَريّةِ شَيطانٌ ؛ فانتهَرَهم بالفارسيّةِ ، وأمرَهم أن يربطَ بعضُهم بعضاً ، ففعلوا ؛ واستنزلَهم من حِصنِهم ، فقتَلَ طائفةً ، وسبى طائفةً . وكتبَ بما كانَ منه إلى كِسرى ، فتعجّبَ كِسرى ، وأمرَه بالاستخلافِ على عملِه والقُدومِ إليه ، وأرادَ ان يُسامِيَ به أساوِرَتَه[2] . فاستخلَفَ المَرزَوانُ ابنَه ، ثمّ توجّه نحوَه[3] . فلمّا صارَ ببعضِ بلادِ العَربِ هلَكَ ، فوضعوه في تابوتٍ ، ثمّ حملوه حتّى قَدِموا به على كِسرى ، فأمرَ كسرى بذلكَ التّابوتِ ، فوُضِعَ في خِزانته ؛ فكانَ يُخرَجُ في كلِّ عامٍ إليه وإلى من عنده من أساورتِه ، فيقول : هذا الّذي فعلَ كذا وكذا .

القِردُ والمالُ الحرامُ

كانَ رجلٌ يتّجِرُ في البحرِ ، ويَحمِلُ الخَمرَ يأتي بها قوماً ؛ فعمد اليها فمزَجها نِصفَينِ ، وأتاهم بها ، فباعها بحسابِ الصّرفِ ، واشترى قِردًا ، فحملَه معَه في السَّفينةِ ؛ فلمّا لَجَجَ[4] في البحرِ ، لم يَشعر إلّا وقد أخذَ القِردُ الكيسَ وعلا على الصّاري ، وجعَلَ يُلقي دينارًا في البحرِ ودينارًا في السَّفينةِ ، حتّى قسَمَه قِسمَينِ .

١ * الهواء : الفراغ .
٢ * الاساورة : أسوار ، القائد عند الفرس .
٣ * نحوه : اي نحو كسرى .
٤ * لَجَج : خاض اللجة ، معظم ماء البحر .

من حمقى قريش

ومن حمقى قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان. بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان، نظر الى حمار الطحان يدور الرحى، وفي عنقه جلجل[1]، فقال للطحان: لم جعلت في عنق الحمار جلجلا؟ فقال: ربما أدركتني سأمة[2]، أو نعسة، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قام[3]، فصحت به. فقال معاوية: أرأيت[4]، إن قام، وحرك رأسه، ما علمك أنه قائم؟ قال الطحان: ومن لحماري بمثل عقل الأمير.

التشادق[5] والغريب

أتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه، فقال: أصلح الله الأمير! إن لي على هذا حقا قد غلبني عليه؛ فقال له الآخر: أصلح الله الأمير! إن هذا باعني عنجدا[6]، واستنسأته[7] حولا، وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة، فهو لا يلقاني في لقم[8] إلا اقتضاني. فقال له الهيثم: أمن بني أمية انت؟ قال: لا؛ قال: فمن بني هاشم؟ قال: لا؛ قال: فمن أكفائهم من العرب؟ قال: لا؛ قال: ويلي عليك! انزع ثيابه يا جلواز[9]! فلما أرادوا نزع ثيابه، قال: أصلحك الله! إن إزاري مرعبل[10]؛ قال: فدعوه، فلو ترك الغريب، في وقت، لتركه في هذا الوقت.

...

ومر أبو علقمة ببعض الطرق بالبصرة فهاجت به مرة فسقط؛ ووثب

١. الجلجل: جرس صغير.
٢. سأمة: ملل.
٣. قامت السدابة: كلت فلم تبرح مكانها.
٤. أرأيت: أخبرني.
٥. التشادق: من تشادق الرجل في كلامه لوى شدقه للتفاصح اي تكلف الفصاحة.
٦. العنجد: الزبيب.
٧. استنسأه: سأله ان ينسئه دينه اي يؤخره.
٨. اللقم: الطريق او وسطه.
٩. الجلواز: الشرطي.
١٠. المرعبل: المزق.

عليه قومٌ ، فأقبلوا يعصرونَ إبهامَه ، ويُؤذِنون في أُذُنه ؛ فأفلَتَ من أيديهم ، وقالَ : ما لكم تَتَكأكأ كثون[1] عليَّ كما تتكأكأ كثون على ذي جِنَّةٍ[2] ! افرَنْقِعوا[3] عنّي ! فقالَ رجلٌ منهم : دَعُوه ، فإنَّ شيطانَهُ هِندِيٌّ ، أما تسمعُونه يتكلَّمُ بالهِندِيَّةِ . وقالَ لحَجّامٍ[4] يحجِمُهُ : انظُر ما آمرُك بهِ ، فاصنَعْه ، ولا تكن كمن أُمِرَ بأمرٍ فضَيَّعه أَنْقِ[5] غسلَ المَحاجِمِ[6] ، واشدُد قُضُبَ المَلازِمِ[7] ، وأرهِف[8] ظُباتِ[9] المشارطِ ، وأسرِعِ الوَضعَ ، وعَجِّلِ النَّزعَ ، وليَكُن شَرْطُك وَخزًا ، ومَصُّك نَهزًا[10] ، ولا تُكرِهَنَّ آبيًا ، ولا تَرُدَّنَّ آتيًا . فوضَعَ الحَجّامُ محاجِمَهُ في جُونَتِهِ[11] ومضَى .

. . .

سَمِعَ أعرابيٌّ أبا المكنون النَّحويَّ في حَلْقَتِه ، وهو يقولُ في دعاء الاستسقاء : اللَّهُمَّ ربَّنا وإلهَنا ، ومولانا ! صَلِّ على مُحَمَّدٍ نبيِّنا ؛ اللَّهمَّ ! ومن أرادَ بنا سُوءًا فأَحِطْ ذلكَ السُّوءَ به كإحاطةِ القلائدِ على تَرائِبِ[12] الوَلائدِ[13] ، ثُمَّ أَرْسِخْه[14] على هامتِه كرُسُوخِ السِّجِّيلِ[15] ، على هامِ أصحابِ الفيلِ[16] ؛ اللَّهمَّ أَسقِنا غَيثًا

١ . تتكأكأ كثون : تجتمعون .

٢ . الجنة : اسم من الجنون .

٣ . افرنقعوا : تفرّقوا .

٤ . الحجام : المصّاص والذي يحجم المريض . والحجم هو أن يشرط الجلد بالمشراط ثم يلقى في المحجمة ' مكأس الحجام ' قرطاس ملتهب ' او قطن ونحوه ويُلزم بها مكان الشرط ' فتجذب الدم بقوة . وفائدتها جذب المادة الى جهتها واستفراغ الدم بقوة الامتصاص .

٥ . أنقِ : نظّف .

٦ . المحاجم : ج المحجمة : مكأس الحجام .

٧ . الملازم : ج ملزم : خشبتان مشدود اوساطهما بحديدة تجعل في طرفها قُناة (مفتاح معوج طويل) فتلزم ما فيها لزومًا شديدًا ' تكون مع الصياقلة والابارين ومجلدي الكتب وغيرهم .

٨ . ارهف : حدّد .

٩ . ظبات : ج ظُبة وهي حد السيف او السنان ونحوه .

١٠ . النهز : الضرب والدفع .

١١ . الجونة : سُلَيلة مغشاة جلدًا تكون مع العطارين .

١٢ . الترائب : عظام الصدر .

١٣ . الولائد : ج الوليدة : الجارية .

١٤ . ارسخه : أثبته .

١٥ . السجّيل : حجارة كالمدر ' وهو التراب المتلبد او قطع الطين اليابس ' او الطين المطبوخ الذي لا يخالطه رمل ' وقيل هي حجارة من طين .

١٦ . اصحاب الفيل : جنود أبرهة بن الاشرم الحبشي . كان عنده فيل عظيم يقال له محمود قصد به مكة يريد ان يهدم البيت الحرام فارتد عنه خائبًا .

مُغيثاً ، مَريئاً[١] ، مَريعاً[٢] ، مُجَلجِلاً[٣] ، مُسْحَنْفِراً[٤] ، هَزِجاً[٥] ، سَحّاً[٦] ، سَفُوحاً[٧] ، طَبَقاً[٨] ، غَدَقاً[٩] ، مُثْعَنْجِراً[١٠] ! فقالَ الأَعرابيُّ : ياخليفةَ نوحٍ ! هذا هو الطُّوفانُ وربِّ الكعبةِ ! دَعني آوي إلى جبَلٍ يَعصِمُني من الماءِ .

الحجّاجُ وهندُ

أمرَ الحَجّاجُ ابنَ القِرِّيَةِ أن يأتيَ هِندَ بنتَ أسماءَ ، فيطلّقَها بكَلِمتَينِ ، ويُمتِّعَها بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ ؛ فأتاها ، فقالَ لها : إنَّ الحجّاجَ يقولُ لكِ : كُنتِ فبِنتِ[١١] ! وهذه عشرَةُ آلافٍ مُتعةٌ لكِ ؛ فقالت : قُل له : كُنّا فما حَمِدنا ، وبِنّا فما نَدِمنا ؛ وهذه العشرَةُ الآلافِ لكَ ببشارتِكَ إيّايَ بطَلاقي .

سيّدُ الخُطباءِ

اجتمعَ الناسُ عندَ مُعاويةَ ، وقامَ الخُطَباءُ لبَيعةِ يَزيدَ ، وأظهرَ القومُ الكَراهةَ . فقامَ رجلٌ من عُذرَةَ يقالُ له يَزيدُ بنُ المُقَنَّعِ ، واختَرطَ من سيفِهِ شِبرًا ، ثم قالَ : أميرُ المؤمنينَ هذا ! وأشارَ الى معاويةَ ؛ فإن يَهلِك فهذا ! واشارَ الى يزيد ؛ فمن أبى فهذا ! وأشارَ إلى سيفِه . فقال معاويةُ : أنتَ سيّدُ الخُطباءِ .

قصورُ الجنّةِ

قالَ رجلٌ من العرب : أُريتُ ، البارحةَ ، في مَنامي كأنّي دَخلتُ الجَنّةَ ، فرأيتُ جميعَ ما فيها من القصور ، فقُلتُ : لمن هذه ؟ فقيل : للعرَبِ . فقالَ له رجلٌ عنده من الموالي : أَصعِدتَ الغُرَفَ ؟ قالَ : لا ! قال : فتلكَ لنا .

١ ، المريءُ : ما تحمد عاقبته .

٢ ، المطر المريع : ما يعطي الخصب .

٣ ، المجلجل من السحاب : الذي فيه صوت الرعد .

٤ ، المسحنفر : الكثير الصب الواسع .

٥ ، الهزج : من الهزيج صوت الرعد .

٦ ، السحّ : الشديد السيلان من فوق .

٧ ، السفوح : المنصب .

٨ ، الطبق : العام الواسع .

٩ ، الغدق : المطر الكثير .

١٠ ، المثعنجر : السيل الكثير .

١١ ، بانت المرأة : انفصلت عن زوجها بطلاق .

ابو العبّاسِ السَّفاحُ وابو دُلامةَ

قالَ أبو العبّاسِ لأبي دُلامـةَ : سَلْ حاجَتَكَ ! قال : كلبٌ ؛ قالَ : لكَ كلبٌ . قالَ : ودابّةٌ اتصيّدُ عليها ؛ قال : ودابّةٌ . قالَ : وغلامٌ يركبُ الدّابّةَ ويَصيدُ ؛ قالَ : وغلامٌ . قالَ وجاريةٌ تُصلحُ لنا الصّيدَ وتُطعِمُنا منه ؛ قال : وجاريةٌ . قالَ : يا أميرَ المؤمنين : هؤلاء عيالٌ ، ولا بُدَّ من دارٍ ؛ قالَ : ودارٌ . قالَ : ولا بُدَّ من ضَيعةٍ لهؤلاء ؛ قالَ : قد أقطعتُك مائةَ جَريبٍ[1] عامرةً ومائةَ جَريبٍ غامرةً . قالَ : وأيُّ شيءٍ الغامرةُ ؟ قالَ : ليسَ فيها نباتٌ . قالَ : فأنا أقطعُكَ الفاً وخمسمائةَ جريبٍ من فيافي بني أسَدٍ ؛ قالَ : قد جعلتُها كلَّها لكَ عامرةً . قالَ : أُقبّلُ يَدَكَ ؛ قالَ : أمّا هذه فدَعْها . قالَ : ما منَعتَ عيالي شيئاً أهونَ عليهم فَقْدًا منها .

الأعرابيُّ وكسرى

أُدخِلَ أعرابيٌّ على كِسرى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهله ؛ فقالَ له : أيُّ شيءٍ أطيبُ لحماً ؟ قالَ : الجَملُ . قالَ : فأيُّ شيءٍ أبعدُ صوتاً ؟ قالَ الجملُ . قالَ : فأيُّ شيءٍ أنهضُ بالحملِ الثّقيل ؟ قال : الجملُ . قالَ كِسرى : كيفَ يكونُ لحمُ الجَملِ أطيبَ من البَطِّ والدّجاجِ والفِراخِ والدُّرّاجِ[2] والجداءِ ؟ قالَ : يُطبخُ لحمُ الجملِ بماءٍ وملحٍ ، ويُطبخُ ما ذكرتَ بماءٍ وملحٍ ، حتّى يُعرفَ فضلُ ما بينَ الطَّعمين . قالَ : كيفَ يكونُ الجملُ أبعدَ صوتاً ، ونحنُ نَسمعُ الصّوتَ من الكُرْكيِّ[3] من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابيُّ : ضَعِ الكُرْكيَّ في مكانِ الجملِ وضعِ الجملَ في مَكانِ الكُركيِّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتاً . قال كِسرى : كيفَ تَزْعمُ أنَّ الجملَ أحملُ للحِملِ الثّقيلِ والفيلُ يَحمِلُ

١ * الجريب : المزرعة .

٢ * الدرّاج : طائر يطابق على الذكر والانثى ، جميل المنظر ، ملوّن الريش .

٣ * الكركي : طائر يقرب من الاوز ، ابتر الذنب ، رمادي اللون ، في خده لمعات سود ، قليل اللحم ، صلب العظم ، يأوي الماء احيانا .

كذا وكذا رطلًا ؟ قالَ : ليُبْرَكِ الفيلُ ويُبرَكِ الجملُ وليُحْمَلْ على الفيلِ حِملُ الجملِ ، فإن نَهضَ به فهو أحملُ للأثقالِ .

سُليمانُ وعفريتُهُ

عن طارقِ بن شهابٍ ، قالَ : بَعثَ سليمانُ النبيُّ ، عليه السَّلامُ ، بعضَ عفاريتِهِ وبَعثَ معه رجلًا ، وقال : رُدَّه إليَّ وانظر الى صنيعِه . فمَرَّ على أهلِ بيتٍ يَبكون فضحِكَ ؛ ودَخلَ إلى السُّوقِ ، ونظَرَ إلى النَّاسِ فرفعَ رأسه إلى السَّماءِ وهزَّه ؛ ونظَرَ إلى الثُّومِ ، وهو يُكالُ كيلًا ، والفُلفُلِ ، وهو يُوزَنُ وزنًا ، فضَحِكَ . فلمَّا رَدَّه إلى سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، وأخبرَه بما جرى منه ، قالَ : لِمَ ضَحِكتَ من أهلِ البيتِ ؟ ولِمَ هززتَ رأسَكَ حينَ نظَرتَ إلى السُّوقِ ؟ ولِمَ ضَحِكتَ من الثُّومِ والفُلفلِ ؟ قالَ : أمَّا أهلُ البيتِ فإنَّ اللهَ أدخلَ ميِّتَهم الجَنَّةَ ، وهم يبكونَ عليه ؛ ونظَرتُ إلى النَّاسِ في السُّوقِ ، والملائكةُ من فوقِ رؤوسِهم ، والنَّاسُ يُملونَ والملائكةُ سِراعًا يكتبون ، فهززتُ رأسي ؛ ونظرتُ إلى الثُّومِ ، وهو شِفاءٌ ، يُكالُ كيلًا ، والى الفُلفلِ ، وهو داءٌ ، يُوزَنُ وَزنًا ، فضَحِكتُ .

وعن وَهبٍ : أنَّ سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، قالَ : مِمَّ كُنتَ تَضحَكُ ؟ قالَ : إنِّي مررتُ برجلٍ يشتري خُفَّينِ ، ويقولُ لصاحبِها : شَرطي عليكَ أن ألبَسَها عَشرَ سنينَ لا يَتخرَّقانِ ؛ فعجِبتُ كيفَ شرطَ أمَلَه ونَسيَ أجَلَه . ومَررتُ بعجوزٍ دُهريَّةٍ[1] تَتكهَّنُ ، وتُخبرُ النَّاسَ بما لا يعلمون ؛ والَّذي سخَّرَ لكِ الرِّيحَ ، وأذلَّ لكِ الجنَّ ، وعبَّدَ لكِ الشَّياطينَ ، إنِّي لأعلمُ في بيتِها ، تحتَ فِراشِها ، مطمورةً[2] فيها قناطيرُ من ذهبٍ وفضَّةٍ ، وهي لا تدري ما تحتَها ، وقد ماتَت هَزلًا[3] وجوعًا وحاجةً . ومررتُ بأخرى دُهريَّةٍ تتطبَّبُ[4] ، وكانَ بها ، مرَّةً ، داءٌ ، فأكلتِ البَصلَ ، فصادفَت منه بُرءًا ، فظنَّت أنَّه حسَمَ داءَها وشفاها ،

١ * الدهرية : التي اتى عليها الدهر وطال عمرها .
٢ * المطمورة : الحفيرة تحت الارض .
٣ * هزلًا : ضعفًا .
٤ * تتطبَّب : تتعاطى الطبَّ .

فهي تَصِفُه للنَّاسِ من كلِّ داء . وقد كانت في ظَهرِها ريحٌ حُبِست منذُ زمانٍ ، فأكلَتِ الثُّومَ أحدًا وعشرين يوماً فشُفِيت منه ؛ فعَجِبتُ لها كيفَ تَدَعُ أن تَصِفَه . ومرَرتُ برجلٍ على شاطىءِ نَهرٍ يَستقي منه في قُلَّةٍ[1] له ومعه بغلةٌ ، فلمَّا سقى البغلةَ مَلأَ القُلَّةَ ، ورَبطَ البغلةَ بأذنِ القُلَّةِ وذهبَ لبعضِ حاجتِه ، فنَفَرتِ البغلةُ وكسَرتِ القُلَّة ؛ فجعلَ يَلعَنُ الشَّيطانَ ، ويرَأَ عقلَه ، ونسيَ فِعلَه . ومرَرتُ بقومٍ يَذكرون اللهَ ، فاجتهدوا ، ونَصبوا[2] ، وابتهلوا[3] ؛ فلمَّا أظلَّتِ الرَّحمةُ مَلَّ رجلٌ منهم ، فقامَ ، وجاءَ آخرُ لم يَنصَب معهم فجلَسَ مَجلِسَه ، فنزلَتِ الرَّحمةُ ، فدخلَ فيها معهم وحُرِمها الأوَّلُ ؛ فعَجِبتُ من سعادةِ هذا وشقاوةِ هذا .

المرأة الأكول

وعن خالدِ الحَذَّاء ، قالَ : خطَبتُ امرأةً من بني أَسدٍ ، فجئتُ لأنظُرَ إليها ، وبيني وبينها رواقٌ يَشِفُّ ؛ فدَعَت بجَفنةٍ مملوءةٍ ثَريدًا ، مكلَّلةٍ باللَّحمِ ، فأتَت على آخرِها ؛ وأتَت بإناءٍ مملوءٍ لَبَنًا ، أو نَبيذًا ، فشَربَته ، حتى كَفأته على وجهه ؛ ثمَّ قالت : يا جاريةُ ارفَعي السَّجفَ ! فإذا هي جالسةٌ على جِلدِ أَسدٍ ، وإذا شابَّةٌ جميلةٌ ؛ فقالَت : يا عبدَالله ! أنا أَسَدَةُ ، من بني أسدٍ ، على جِلدِ أَسدٍ ، وهذا مَطعَمي ومَشرَبي ، فإن أحبَبتَ أن تَتقدَّمَ فافعَل . فقُلتُ : أَستخيرُ اللهَ وأَنظُرُ ؛ فخرَجتُ ولم أَعُد .

١ ـ القُلَّة : الجرة العظيمة والكوز الصغير ضدّ .

٢ ـ نصبوا : تعبوا .

٣ ـ ابتهلوا : تضرّعوا .

جود حاتم الطائي

قالت نَوارُ امرأةُ حاتمٍ : أصابتْنا سَنَةٌ اقشعرَّت لها الأرضُ ، واغبرَّ أفقُ السَّماءِ[١] ، وراحتِ الإبلُ حذباءَ حدابيرَ[٢] ، وضنَّتِ المراضعُ على أولادها فما تَبضُّ بقطرةٍ[٣] ، وأيقنَّا بالهلاكِ . فوَاللهِ إنَّا لَفي ليلةِ صِنَّبرٍ ، بعيدةِ ما بينَ الطَّرفَيْنِ[٤] ، إذ تَضاغى[٥] صِبيَتُنا جوعاً : عبدُاللهِ وعَدِيٌّ وسَفَّانةُ[٦] ؛ فقامَ حاتمٌ إلى الصَّبيَّيْنِ ، وقُمتُ أنا إلى الصَّبيَّةِ ، فوَاللهِ ما سَكتُوا إلَّا بعدَ هَدأةٍ من الليلِ . وأقبلَ يُعلِّلُني بالحديثِ ، فعرَفتُ ما يُريدُ فتَناومتُ . فلمَّا تهوَّرَتِ النُّجومُ[٧] ، إذا شيءٌ قد رَفعَ كِسرَ البيتِ ثُمَّ عادَ[٨] ؛ فقالَ : مَن هذا ؟ قالَت : جارَتُكَ فُلانةُ أتَيتُكَ من عندِ صِبيةٍ يَتعاوَونَ عُواءَ الذِّئابِ ، فما وَجدتُ مُعوَّلاً إلَّا عليكَ ، يا أبا عَدِيٍّ ! فقالَ : أعجِليهِم فقد أشبَعَكِ اللهُ وإيَّاهُم . فأقبلَتِ المرأةُ تَحمِلُ اثنَينِ ، ويَمشي جَنابَتَيها أربَعةٌ ، كأنَّها نَعامةٌ[٩] حولَها رِئالُها ؛ فقامَ إلى فرسِه فوَجأ لَبَّتَهُ[١٠] بمُديةٍ فخرَّ ؛ ثُمَّ كَشَطَه عن جِلدِه ، ودَفعَ المُديةَ إلى المرأةِ ، فقالَ لها : شأنَكِ . فاجتَمَعنا على اللَّحمِ نَشوي ونأكُلُ . ثم جعلَ يَمشي في الحيِّ يأتيهِم بَيتاً بَيتاً ، فيقولُ : هُبُّوا أيُّها القومُ عليكُم بالنَّارِ . فاجتَمَعوا ، والتَفَعَ

١ * سنة اقشعرّت الارض لها واغبر افق السماء : اي مجاعة ارجفت الارض وايبستها وأكمدت السماء بحبسها الماء عنها .

٢ * الحذباء : الامور الشاقة ◉ والحدابير : ج حدبار : الناقة الضئيلة وقوله : ذهبت النياق حذباء حدابير : اي هزلت وضمُرت وذهب سنامها .

٣ * (ضنّت المراضع ... فما تبض بقطرة) اي بخلت الامهات بحليبهنّ لضعف جسمهنّ . يقال : بض الماء والحليب سال قليلاً .

٤ * ليلة بين الطرفين : يريد التصاف الليل . صنبر : اي شديدة البرد ◉ وبعيدة ما بين الطرفين

٥ * تضاغى صبيتنا جوعاً : تضوروا وصاحوا من الجوع .

٦ * عبدالله وعدي وسفانة : هم اولاد حاتم الطائي ابنان وبنت .

٧ * تهورت النجوم : دار اكثرها .

٨ * كسر البيت ثم عاد : اي رفع جانب الخيمة ثم رده .

٩ * نعامة : حيوان كبير يشبه الطائر تبيض ولها جناح وريش . وللنعامة سمع ضعيف ولكن لها شم قوي فهي تدرك بأنفها ما تحتاج فيه الى السمع وهي تبتاع العظم الصلب والحجر المدر . وبها يضرب العرب المثل في الحمق لانها تنسى بيضها وتحضن بيض غيرها . وصغار النعامة تسمى بالرئال .

١٠ * وجأ لبته : ضرب اوداجه ومنحره .

في ثوبه ناحيةَ يَنظُرُ إلينا ؛ فلا واللهِ إن ذاقَ منه مُزعةً[1] ، وإنّه لأحوَجُ اليه منّا . فأصبحْنا وما على الأرضِ من الفَرَسِ إلّا عَظمٌ وحافِرٌ ؛ فأنشأ حاتمٌ يقولُ :

مَهلًا نَوارُ ! أقِلّي اللَّومَ والعَذَلا ، ولا تقولي لشيءٍ فاتَ ، مـا فَعَلا ؟
ولا تقولي لمالٍ كُنتُ مُهلِكَه ، مَهلًا ، وإنْ كُنتُ أُعطي الإنسَ والجبلا[2] ؛
يرى البَخيلُ سَبيلَ المالِ واحِدَةً ؛ إنَّ الجوادَ يَرى في مالِه سُبُلا .

ايثار ابن مامة الايادي

خَرَجَ كَعبُ بنُ مامةَ[3] الإيادِيُّ في قَفْلٍ معهم رجلٌ من بَني النَّمِرِ[4] ؛ وكان ذلك في حَرِّ الصَّيفِ ، فضَلُّوا ، وشَحَّ ماؤُهم ، فكانوا يَتَصافَنونَ الماءَ : وذلك أن يُطرَحَ في القَعبِ[5] حصاةٌ ، ثُمَّ يُصَبَّ فيه من الماءِ بقَدرِ ما يَغمُرُ الحَصاةَ ، فيَشرَبَ كُلُّ واحِدٍ قَدرَ ما يَشرَبُ الآخَرُ . ولمّا نَزَلوا للشُّربِ ، ودارَ القَعبُ بينَهم ، حتّى انتهى إلى كَعبٍ ، رأى الرَّجُلَ النَّمَرِيَّ يُحِدُّ نَظَرَه إليه ، فآثَرَه بمائِه ، وقالَ للسّاقي : اسقِ أخاكَ النَّمَرِيَّ ! فشَرِبَ النَّمَرِيُّ نَصيبَ كَعبٍ من الماءِ ذلك اليومَ . ثُمَّ نَزَلوا من الغَدِ مَنزِلَهم الآخَرَ ، فتَصافَنوا بَقيّةَ مائِهم ؛ فنَظَرَ إليه كنَظَرِه أمسِ ، وقالَ كَعبٌ كقَولِه أمسِ . وارتَحَلَ القَومُ وقالوا : يا كَعبُ ارتَحِل ! فلم يكن له قُوَّةٌ للنُّهوضِ ، وكانوا قد قَرُبوا من الماءِ ؛ فقالوا له : رِدْ يا كَعبُ إنَّكَ وارِدٌ[6] ! فعَجَزَ عن الجوابِ . ولمّا أيِسوا منه خَيَّمُوا عليه بثَوبٍ يَمنَعُه من السَّبُعِ أن يأكُلَه ، وتَرَكوه مَكانَه فماتَ . فذَهَبَ ذلك مَثَلًا في تَفضيلِ الرَّجُلِ صاحِبَه على نَفسِه .

١ * المُزعة القطعة . وان لافية ، في معنى ما .
٢ * الجبل : البخيل وكأنّ حاتماً استثناه من عدد الإنس .
٣ * كعب بن مامة : هو كعب بن مامة بن ثعلبة الايادي الذي يُضرب المثل بجوده وكان ابوه مامة ملك اياد .
٤ * بنو نمر : بطن من ربيعة بن نزار ومن الازد ومن قضاعة .
٥ * القعب : قدح الماء .
٦ * رد يا كعب انك وارد : اي انهض للمياه فانك ادركتها .

يزيد وبدوية

كانَ يَزيدُ بنُ المُهَلَّبِ[1]، عندَ خُروجِه من سِجْنِ عُمَرَ بنِ عَبدِ العزيزِ، يُسافِرُ، في البَرِّيَّةِ، معَ ابنه مُعاويةَ؛ فمَرَّ بامرأةٍ بَدَويَةٍ، فذَبَحت لهما عَنْزَةً، فلمّا أكَلا، قالَ يَزيدُ لابنِه: ما يكونُ معَكَ منَ النَّفَقةِ؟ قالَ: مِائة دينارٍ قال: أعطِها إيّاها. قالَ: هذه فقيرةٌ يُرضيها القليلُ، وهيَ ما تَعرِفُك. قال: إن كانَ يُرضيها القليلُ، فأنا لا يُرضيني إلّا الكثيرُ، وإن كانت لا تَعرِفُني، فأنا أعرِفُ نفسي.

الحجّاج والشيخ

حُكيَ أنَّ الحجّاجَ خَرجَ، في بعضِ الايّامِ، للتَّنزُّهِ، فصَرَفَ عنه أصحابَهُ، وانفَرَدَ بنَفسِه؛ فلاقى شَيخًا من بني عِجْلٍ[2]، فقالَ له: من أينَ أنتَ يا شَيخُ؟ قالَ: من هذه القريةِ. قالَ: ما رأيُكم بحُكّامِ البلادِ؟ قالَ: كُلُّهم أشرارٌ يَظلِمونَ النّاسَ، ويَختلِسونَ أموالَهم. قالَ: وما قَولُك في الحجّاجِ؟ قالَ: هذا أنجسُ الكُلِّ سَوَّدَ اللهُ وَجهَهُ، ووجهَ منِ استَعمَلَه على هذه البلادِ! فقالَ الحجّاجُ: تَعرِفُ مَن أنا[3]؟ قالَ: لا واللهِ! قالَ: أنا الحجّاجُ. قالَ: أنا فِداكَ! وأنتَ تَعرِفُ من أنا؟ قالَ: لا. قالَ: أنا زَيدُ بنُ عامِرٍ، مَجنونُ بني عِجلٍ، أُصرَعُ كُلَّ يومٍ مَرَّةً، في مِثلِ هذه السّاعةِ. فضَحِكَ الحجّاجُ وأجازَه.

١ * يزيد بن المهلب: (٦٧٤ - ٧٢١م) هو ابو خالد ابن صاحب حروب الازارقة.

٢ * بنو ابنا: بكر بن وائل. وهي قبيلة مشهورة من بني ربيعة الفرس. وعجل بن لجيم يُعدّ من حمقى العرب.

٣ * تعرف: من هي مفعول تعرف وانا مبتدا حذف خبره. والتقدير تعرف من انا هو.

ابو العبّاس المبرّد

٨٢٥ - ٨٩٨م

هو أبو العبّاس محمدُ بنُ يزيدَ الاكبر الثُمالي ، نسبةً إلى ثُمالةَ ، قبيلةٍ من الازدِ ؛ ويُعرَفُ بالمبرِّدِ . وُلدَ في البصرةِ ، ونشأ فيها ؛ ثم انتقلَ إلى بغداد . أخذَ اللغةَ والادب عن أشهر الأئمة : كعُمر الجرميّ ، وابي عُثمانَ المازنيّ ، وتبحّر فيهما ، حتى عُرف بشيخ أهل النحو والعربية . ويُعد كتابه « الكامل » من الكتب اللغويّة التي مهّدت الطريق للمعاجم ، لما فيه من تفسير للالفاظ ،وتعداد للمصادر ، والمشتقّات ، وترجيح لبعض الاراء اللغوية على بعض ، واعرابٍ للمشاكل النحوية.

كان ذا ذاكرة قوية ، كثيرَ الحفظ ، حسن العبارة ، فصيح اللسان ؛ وقد تغلّبت عليه ، في اسلوبه الانشائي ، صفة اللّغوي والمؤرخ ،فلا ترى عنده طلاوة انشاء الاديب وروعته. كان كثير الاستطراد ، فبينا تراه يسرد رواية ، او حدثًا تاريخيًا ، اذا به ينقطع عنه ليستطرد الى تفسير الكلام الغريب ، والإعراب ، وشرح المعاني المغلقة ، فيفلّي كل ذلك تفلية عالم قدير ، مدقّق ، مطلع على كلام العرب ومذاهبهم . وكثيرًا ما يستطرد في اثناء شرحه الى سرد القصص ، او الاستشهاد بالآيات والاحاديث تأييدًا لرأيه اللغويّ ، او النحويّ ، فينقطع ما بينك وبين ما كان فيه من كلام ، حتى يخيّل اليك انه أهمله ؛ واذا به يعود اليه اما قفزًا دون تمهيد ، أو تمهدًا له بقوله :«رجع» او «قال» أو « رجع الحديث إلى كذا » أو ثم «نرجع الى تفسير قول فلان » . وفي ضمائره تداخل كثير يتعذر احيانًا ردّها الى أصحابها الا بمد اجهاد . وهو في نقده الشعر والنثر يسير على الطرق المعروفة في أيّامه ، فيحصر نقده في تبيان الخطإ اللغوي او النحوي ؛ واذا اراد المعنى أجمل ، فقال : « احسن فلان كل الاحسان » أو « عابوا على فلان قوله كذا » او « وممّا لم يعب في هذا المعنى قول فلان » وهلمّ جرًا ، وهي احكام مقتضبة ، سريعة ليس فيها كبير غناء .

آثارُه

للمبرِّد آثارٌ كثيرة في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة ؛ أهمها «الكامل» وهو كتاب في اللغة والادب ؛ وصفه مؤلفه بقوله : «هذا كتاب الغَنَاء يجمع ضروباً من الاداب بين منثور ، ومنظوم ، وشعر ، ومثل سائر ، وموعظةٍ بالغةٍ ، واختيار خطبة شريفة ؛ والنيَّةُ ان يُفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب أو معنى مغلق».

وقد رتب السباعي فيومي هذا الكتاب في كتاب سماه «تهذيب الكامل» طبع في مصر سنة ١٩٢٣ ، فرد ما فيه من متناسب الكلام وضروب القول الى ابواب جعلته قريب المتناول ، ولكنَّ فيه خطأً كثيرًا ، وقلةَ تدقيق ، وعدم ضبطٍ للالفاظ.

وطبع الكامل في لبسيك سنة ١٨٦٨ وفي الاستانة سنة ١٨٦٩ ، وفي مصر سنة ١٨٩٠.



قالَ مُعاويةُ لعَرابةِ بن أوسِ بنِ قَيظيّ الانصاريّ : بِمَ سُدتَ قومَك ؟ فقالَ : لستُ بسيّدِهم ، ولكنّي رجلٌ منهم . فعزَمَ[1] عليه ؛ فقالَ : أعطيتُ في نائبتِهم ، وحلُمتُ عن[2] سفيهِهم ، وسُدتُ على يدَي[3] حليمِهم ؛ فمَن فعَلَ منهم مِثلَ فِعلي ، فهو مثلي ؛ ومن قصَّرَ عنه ، فأنا أفضلُ منه ؛ ومن تجاوَزَه ، فهو أفضلُ مني . وكانَ سببُ ارتفاعِ عَرابةَ أنّه قَدِمَ من سفَرٍ ، فجمعه الطريقُ والشمّاخَ بنَ ضِرارِ المُرّيّ[4] ، فتحادثا ، فقالَ له عرابةُ : ما الّذي أقدمَك المدينةَ ؟ قالَ : قَدِمتُ لأمتارَ[5] منها ؛ فمَلأَ له عرابةُ رَواحلَه[6] بُرًّا وتمرًا ، وأتحفَه[7] بغيرِ ذلكَ ؛ فقالَ الشمّاخُ :

رأيتُ عَرابةَ الأوسيَّ يسمو ... إلى الخيراتِ ، منقطعَ القرينِ ؛
إذا ما رايةٌ رُفِعَت لمجدٍ ، ... تلقّاها عرابةُ باليمينِ .
إذا بلّغتني ، وحملتِ رَحلي ، ... عرابةَ ، فاشرقي بدمِ الوتينِ ![8]
ومثلُ سَراةِ قومِك لم يجارَوا ... إلى رُبعِ الرّهانِ ، ولا الثمينِ .[9]

قولُه : تلقّاها عرابةُ باليمينِ ؛ قالَ أصحاب المعاني : معناه بالقوّةِ ؛ وقالوا :

١ * عزم عليه : اقسم عليه .

٢ * حلمت : اراد صفحت ، ولذلك عداه بعن حملًا على صفحت .

٣ * شدَّ على يده : قوّاه .

٤ * شاعر من شعراء صدر الاسلام .

٥ * لامتار : لآتي عيالي بالميرة اي الطعام .

٦ * رواحله : أراد اعداله .

٧ * واتحفه : اهدى له هدايا .

٨ * التفت بالكلام الى ناقته ◉ الشرق : الغصة بالماء ◉ الوتين : عرق في القلب متى انقطع مات صاحبه . وقوله : فاشرقي بدم الوتين ، معناه ، موتي .

٩ * عاد الى مخاطبة عرابة . يقول : ان ساداة قومك لا يمكن احدًا ان يجري معهم الى ربع الرهان ، ولا الى ثمنه . واستعار الرهان هنا لغايات المجد والشرف .

مِثلُ ذلكَ في قوله عَزَّ وجَلَّ : (والسَّمواتُ مَطويّاتٌ بيَمينِهِ) . وقد أحسَنَ كلَّ الإحسان في قولِه :

إذا بلّغتني ، وحملتِ رَحلي ، عَرابةَ فاشرقي بدمِ الوتينِ

يقولُ : لستُ احتاجُ إلى ان أرحلَ إلى غيره . وقد عابَ بعضُ الرُّواةِ قولَه : « فاشرقي بدم الوتينِ » وقالَ : كانَ يَنبغي أن يَنظُرَ لها مع استغنائه عنها ؛ فقد قالَ رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، للأنصاريّةِ المأسورةِ بمكّةَ ، وقد نَجت على ناقتِه ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، فقالت : يارسولَ اللهِ ! إني نذَرتُ ، إن نَجوتُ عليها ، أن أنحرَها . فقالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ ، لبئسَ ما جزيتِها . وقال : لا نَذرٌ في مَعصيةٍ ، ولا نظرٌ للإنسانِ في غيرِ مِلكِه .

ظُلمُ الحجّاج

يُروى عن محمّد بن المُنتشر بن الأجدعِ الهمدانيِّ ، قالَ : دفَعَ إليَّ الحجّاجُ أزاذَ مرذَ بنَ الهُرمُزِ[1] ، وأمرَني أن استخرجَ منه[2] ، وأغلظَ عليه . فلمّا انطلقتُ به ، قالَ لي : يا محمدُ ! إنَّ لكَ شرَفاً ودِيناً ، وإنّي لا أُعطي على القَسرِ[3] شيئاً ، فاستأدِني[4] وارفِق بي . قالَ : ففعلتُ ، فأدّى إليَّ في أسبوعٍ خمسمائةِ ألفٍ . فبلَغَ ذلك الحجّاجَ ، فأغضَبه ، وانتزَعه من يدي ، ودفَعه إلى رجلٍ كانَ يتولّى لـه العذابَ ، فدقَّ يديهِ ورجليه ، ولم يُعطِهم شيئاً . قالَ محمّدُ بن المُنتشرِ : فإني لأمُرُّ ، يوماً ، في السُّوقِ ، إذا صائحٌ بي : يامحمّدُ ! فالتفتُّ فإذا به مُعرَّضاً[5] على حمارٍ ، مدقوقَ اليدينِ والرِّجلينِ ، فخِفتُ الحجّاجَ إن أتيتُه ، وتذمّمتُ[6] منه ، فمِلتُ اليه . فقالَ لي : إنّك وَلِيتَ مِني ما وَلِيَ هؤلاء ، فأحسنتَ ، وإنّهم صَنعوا بي ما ترى ، ولم أُعطهم شيئاً . وها هنا خمسُمائةِ الفِ

١ * الهرمز ، والهرمزان : الكبير من ملوك العجم .

٢ * استخرج منه : اي اخذ منه اموالاً .

٣ * القسر : الارغام .

٤ * استأداه المال : صادره واخذه منه .

٥ * معرّضاً : معروضاً لأعين الناس .

٦ * تذمّمتُ من الشيء : استنكفتُ وجانبتُ الذمّ .

عندَ فلانٍ ، فخُذها ، فهي لك . قالَ : فقلتُ له : ما كُنتُ لآخذَ منك على معروفٍ أجرًا ، ولا لأرزأكَ على هذه الحالِ شيئاً . قالَ : فأمَّا إذ أبيتَ ، فاسمَعْ أحدِّثْك ! حدَّثني بعضُ أهلِ دينِكَ عن نبيكَ ، صلَّى الله عليه وسلَّمَ ، أنَّه قال : إذا رَضِيَ اللهُ عن قومٍ أمطَرَهمُ المطرَ في وَقتِه ، وجعَلَ المالَ في سُمَحائِهم ، واستعمَلَ عليهم خِيارَهم ؛ وإذا سخِطَ عليهم استعمَلَ عليهم شِرارَهم ، وجعَلَ المالَ عندَ بُخلائِهم ، وأمطَرَهمُ المطرَ في غيرِ حينِه . فانصرفتُ ، فما وضَعتُ ثوبي ، حتَّى أتاني رسولُ الحجَّاجِ ، فأمرَني بالمسيرِ إليه ؛ فألفيتُه جالساً على فَرْشِه ، والسيفُ مُنتضى في يدِه ، فقالَ لي : ادنُ ! فدَنوتُ شيئاً ؛ ثمَّ قال : ادنُ ! فدَنوتُ شيئاً ؛ ثمَّ صاح الثَّالثة : ادنُ ، لا أبالَكَ ! فقلتُ ما بي إلى الدُّنوِّ من حاجةٍ ، وفي يدِ الأميرِ ما أرى ؛ فأضحَكَ اللهُ سِنَّه ، وأغمدَ سيفَه عنِّي ، فقالَ لي : اجلس ! ما كانَ من حديثِ الخبيثِ ؟ فقلتُ له : أيُّها الأميرُ ! واللهِ ما غشَشتُك ، ولا كَذَبتُكَ منذُ استخبرتَني ، ولا خُنتُكَ منذ ائتمنتَني . ثمَّ حدَّثتُه الحديثَ فلمَّا صِرتُ الى ذِكرِ الرجلِ الَّذي المالُ عندَه أعرَضَ عنِّي بوجهِه ، وأومأَ إليَّ بيده ، وقالَ : لا تُسَمِّه ! ثمَّ قالَ : إنَّ للخبيثِ نفساً ، وقد سَمِعَ الأحاديثَ .

مقتل عليّ بن ابي طالب

ولمَّا انقضى الحجُّ نظَرَ الخوارجُ في أمرِهم ، فقالوا : إنَّ عليًّا ومُعاويةَ قد أفسدا أمرَ هـذه الأُمَّة ، فلو قتَلناهما لعادَ الأمرُ إلى حقِّه . وقالَ رجلٌ من أشجَعَ : واللهِ ما عَمرو دونَهما ، وإنَّه لأصلُ هذا الفسادِ . فقالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ مُلجمٍ : أنا أقتُلُ عليًّا . فقالوا : وكيفَ بِه ؟ قالَ : اغتالُه . وقالَ الحجَّاجُ بنُ عبدِاللهِ الصَّريميُّ ، وهو البَرَكُ : وأنا أقتُلُ معاوية . وقالَ زاذُويه مولى بني العَنبَرِ بن عَمرو بنِ تَميمٍ : وأنا أقتُلُ عَمرًا . وقد ذكَروا أنَّ القاصدَ إلى معاوية يزيدُ بنُ مُلجمٍ ، والقاصدَ إلى عمرٍو آخرُ من بني ملجمٍ ، وأنَّ أباهم نَهاهم ، فلمَّا عَصَوه ، قالَ : استعدُّوا للموتِ ؛ وأنَّ أُمَّهم حَضَّتهم على ذلك . والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أوَّلَ مرَّةٍ . فأجمعوا أمرَهم على أن يكونَ قتلُهم في

ليلةٍ واحدةٍ ، فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ من شهرِ رمضانَ سنة أربعينَ من الهجرةِ . فخرجَ كلُّ واحدٍ منهم إلى ناحيةِ صاحبِهِ ؛ فأتى ابنُ ملجمٍ الكوفةَ ، فأخفى نفسَه ، وتزوّجَ امرأةً يقالُ لها قطامِ بنتُ علقمةَ من تيمِ الرّبابِ ، وكانت ترى رأيَ الخوارجِ . والأحاديثُ تختلفُ ، وإنّما يُؤثرُ صحيحُها . فيُروى في بعضِ الأحاديثِ : أنّها قالت : لا اقنعُ منكَ إلّا بصداقٍ لك ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ، وعبدٌ وأمةٌ ، وأن تقتلَ عليًا . فقالَ لها : لكِ ما سألتِ ، فكيفَ لي به ؟ قالت : تَرومُ ذلكَ غِيلةً[1] ، فإن سَلِمتَ أرحتَ النّاسَ ، وأقمتَ معَ أهلِكَ[2] ؛ وإن أُصبتَ سِرتَ إلى الجنّةِ ونعيمٍ لا يزولُ ، فأنعِمْ بها . وفي ذلك يقولُ :

ثلاثةُ آلافٍ ، وعبدٌ ، وقَينةٌ ، وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المُسَمَّمِ ؛
فلا مَهرَ أغلى من عليٍّ ، وان غلا ، ولا فتكَ إلّا دونَ فتكِ ابنِ مُلجمِ

فأقامَ ابن ملجم ؛ فيقالُ إنَّ امرأته قطامِ لامَته ، وقالت : ألا تمضي لما قصدتَ ؟ لشدَّ[3] ما أحببتَ أهلَكَ ! فقالَ : إني قد وعدتُ صاحبي وقتاً بعينه . وكانَ هنالك رجلٌ من أشجَعَ يقالُ له شَبيبٌ ، فواطأه[4] عبدُ الرّحمنِ . ويُروى أنَّ الأشعثَ نظرَ إلى عبدِ الرّحمنِ مُتقلّدًا سيفاً في بني كِندةَ ، فقالَ : يا عبدَ الرّحمنِ ! أرِني سيفَك . فأراه إيّاه ؛ فرأى سيفاً حديدًا ، فقالَ : ما تقلّدُكَ السّيفَ ، وليسَ بأوانِ حربٍ ؟ فقال : إني أردتُ أن انحرَ به جزورَ القريةِ . فركبَ الأشعثُ بغلتَه ، وأتى عليًا ، صلواتُ اللهِ عليه ، فخبّره ، وقالَ له : قد عرفتَ بسالةَ ابنِ ملجمٍ ، وفتكه . فقالَ عليٌّ : ما قتلني بعدُ . ويُروى أنَّ عليًا ، رضوانُ اللهِ عليه ، كان يخطبُ مرّةً ، ويذكرُ أصحابَه ، وابنُ ملجمٍ تلقاءَ المنبرِ ، فسُمِعَ ، وهو يقول : واللهِ لأُريحَنّهم منك ! فلمّا انصرفَ عليٌّ ، صلواتُ اللهِ عليه ،

١ * الغيلة : الاحتيال والاغتيال
٢ * الاهل : الزوجة
٣ * لشدَّ : اي ما اشدّ ، تقال في التعجب .
٤ * واطأه : وافقه ، اتفق واياه .

إلى بيته ، أُتِيَ به مُلبَّباً[1] ، فأشرفَ عليهم ، فقالَ : ما تُريدون ؟ فخبَّرُوه بما سمِعوا ؛ فقال : ما قتلني بعدُ ، فخلُّوا عنه . ويُروى أنَّه أُتِيَ به ، وقيلَ له : إنَّا سمِعنا من هذا كلاماً ، فلا نأمَنُ قتلَه لك ! فقالَ : ما أصنَعُ به ؟ ثمَّ قالَ :

أشدُدْ حيازيمَك للموتِ ؛ فإنَّ الموتَ لاقيكا[2]
ولا تجزَع من الموتِ ، إذا حلَّ بواديكا

والشِّعرُ إنَّما يَصِحُّ بأن تَحذِفَ اشدُدْ ، فتقولُ :

حيازيمَكَ للموتِ ، فإنَّ الموتَ لاقيكا

ولكنَّ الفُصحاءَ من العربِ يُريدون ما عليه المعنى ، ولا يَعتدُّون به في الوزنِ ، ويَحذِفونَ منه ما يُريدون علماً بأنَّ المُخاطَبَ يعلَمُه ؛ فهو إذا قالَ : حيازيمَك للموتِ ، فقد أضمرَ : اشدُدْ ؛ فأظهره ولم يَعتدَّ به . قالَ : وحدَّثني أبو عُثمانَ المازنيُّ ، قالَ : فُصحاءُ العربِ يُنشِدون كثيراً :

لسعدُ بنُ الضِّبابِ ، إذا عدا ، أحبُّ الينا منكَ فا فَرَسِ حِمِرِ[3]

وإنَّما الشِّعرُ : لعَمري ! لسَعدُ بنُ الضِّبابِ اذا عَدا ويُروى ان عليّاً كانَ يتمثَّلُ ، إذا رأى ابن مُلجِمٍ ، ببيتِ عمرو بنِ معدي كَربَ في قيسِ بن مكشوحٍ المُراديّ ، والمكشوحُ هُبَيرةُ ، وانَّما سُمِّيَ بذلكَ لأنَّه ضُربَ على كَشحِه[4] :

أُريدُ حياتَه ، ويُريدُ قتلي ؛ عذيرُكَ من خليلِكَ من مُرادِ !

فينتفي من ذلك[5] . حتَّى أكثرَ عليه ، فقال له[6] : إن قُضِيَ شيءٌ كانَ . فقيلَ

١ * ملبباً : اسم مفعول من لبّه ، اخذ بتلبيبه ، اي جمع ثيابه عند صدره ونحره ، في الخصومة ، وجرّه.

٢ * الحيازيم : ج الحيزوم : الصدر لانه موضع الحزم ، او وسطه او ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر ◎ وشد الحيازيم كناية عن الصبر.

٣ * قاله امرؤ القيس يخاطب فرسه: ومعناه ان سعد بن الضباب اذا جرى هو احب الينا منك ايها الفرس الذي اصاب فمه الحمر . يريد ان سعداً اسرع جرياً من هذا الفرس ◎ وفا : فم ◎ الحمر : الذي اصابه الحمر ، اي سنق ، اتخمه ، من اكل الشعير وتغيرت رائحته.

٤ * الكشح : الخاصرة.

٥ * هكذا وردت ، ولعله يريد: انّ تمثل عليّ ببيت عمرو بن معد يكرب يعني تمثله ببيت اشدد حيازيمك للموت ، فينتفي ايراده للشعر الذي يبيّن المبرّد ما فيه من علّة.

٦ * حتّى اكثر عليه ، فقال له : الوجه أن يقول: حتى اكثروا عليه فقال لهم ، لان الضمير يجب ان يعود الى الذين أتوه بابن ملجم.

لعليٍ : كأنّكَ قد عرَفته ، وعرفتَ ما يُريدُ بكَ ، أفلا تقتُله ؟ فقالَ : كيفَ أقتُلُ قاتلي ؟ ويُروى من حديثِ محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ قالَ :

قالَ عمّارُ بنُ ياسرٍ : خرَجنا مع رسول اللهِ ، صلى اللهُ عليه وسلّمَ ، في غزوةِ ذاتِ العُشَيْرةِ[١] ، فلمّا قفَلنا نزَلنا مَنزِلًا ، فخرَجت أنا وعليُّ بنُ أبي طالبٍ ، صلَواتُ اللهِ عليهِ ، ننظُرُ إلى قومٍ يعتمِلون ، فنَعسنا فنِمنا ، فسفَت علينا الرّيحُ التُّراب ، فما نبّهنا إلّا كلامُ رسول اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، ، فقالَ لعليٍ : يأبا تُرابٍ ، لما عليه منَ التّرابِ ، أتعلَمُ من أشقى النّاسِ ؟ فقالَ : خبّرني يارسولَ اللهِ ! فقالَ : أشقى النّاسِ اثنانِ : أحمرُ ثمودَ الّذي عقَرَ النّاقةَ[٢] ، وأشقاها الّذي يَخضِبُ هذه ، ووضعَ يدَه على لحيةِ عليٍ ، مِن هذا ، ووضعَ يدَه على قَرنِه[٣] . ويُروى عن عياضِ بنِ خليفةَ الخُزاعيِ ، قالَ : تلقّاني عليٌ ، صلواتُ اللهِ عليه ، في الغَلَسِ[٤] ، فقالَ : من انتَ ؟ قلت : عِياضُ بنُ خليفةَ الخُزاعيُّ ؛ فقالَ : ظَننتُك أشقاها الّذي يَخضِبُ هذه من هذا ، ووضعَ يدَه على لحيتِه ثمّ على قَرنِه . وروِيَ عن عليٍ ، صلواتُ اللهِ عليه ، أنّه خرَج ، في غَداةٍ ، يُوقِظُ النّاسَ للصّلاةِ في المسجدِ ، فمَرَّ بجماعةٍ تتحدّثُ ، فسلّمَ وسلّموا عليه ، فقالَ : وقبَضَ على لحيته : ظَننتُ أنّ فيكم أشقاها الّذي يَخضِبُ هذه من هذا ؛ وأومأ بيدِه إلى هامتِه[٥] ولحيتِه . ويُروى أنّه كان يقولُ كثيرًا ، قال ابو العبّاسِ : أحسِبُهُ عند الضّجَرِ بأصحابه : ما يمنَعُ أشقاها ان يَخضِبَ هذه من هذا؟ .

قالَ : فلمّا كانَ ليلةُ إحدى وعشرين من شهرِ رمضانَ ، خرَجَ ابنُ ملجم وشبيبُ الأشجعيُّ ، فاعتوروا[٦] البابَ الّذي يدخُلُ منه عليٌ ، رَضيَ اللهُ عنه ، وكانَ مُغلّسًا[٧] ، ويُوقِظُ النّاسَ للصّلاةِ . فخرَجَ ، كما كانَ يفعلُ ، فضربه

١ * عين ماء في ناحية ينبع.

٢ * اراد لاقة صالح التي كان عقرها سبب هلاك قوم ثمود.

٣ * القرن : الجانب الاعلى من راس الانسان.

٤ * الغلس : ظلمة آخر الليل.

٥ * الهامة : الراس.

٦ * اعتوروا الباب : تداولوه.

٧ * المغلّس : السائر في الغلس

شبيبٌ فأخطأه ، وأصابَ سيفُه البابَ ؛ وضربه ابن ملجمٍ على صلعته ، فقالَ عليٌّ : فزتَ ، وربِّ الكعبةِ ! شأنكم بالرَّجلِ . فيُروى عن بعضِ من كانَ بالمسجدِ منَ الأنصارِ ، قالَ : سمعتُ كلمةَ عليٍّ ، ورأيتُ بريقَ السَّيفِ . فأمَّا شبيبٌ فانتزعَ السَّيفَ منه رجلٌ من حضرَموتَ ، وصرعَه ، وقعَدَ على صدره . وكثُرَ النَّاسُ فجعلوا يَصيحون : عليكم صاحبَ السَّيفِ ! فخافَ الحضرَميُّ أن يُكبُّوا[1] عليه ، ولا يَسمعوا عُذرَه ، فرمى السَّيفَ ، وانسلَّ شبيبٌ بين النَّاسِ ؛ وأما ابن ملجمٍ فحمَلَ على النَّاسِ بسيفه ، فأفرجوا له ، وتلقَّاه المُغيرةُ بنُ نوفلِ ابنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ بقَطيفةٍ[2] ، فرمى بها عليه ، واحتملَه ، فضربَ به الأرض ؛ وكانَ المغيرةُ أيِّدًا[3] فقعَدَ على صدره . ثمَّ أُدخِلَ على عليٍّ ، رضوانُ اللهِ عليه ، فأومرَ[4] فيه ، فاختلفَ النَّاسُ في جوابه ؛ فقالَ قوم : قالَ : إن أعِش فالأمرُ إليَّ ؛ وإن أُصَب فالأمرُ لكم ؛ فإن آثرتُم[5] أن تقتصُّوا[6] ، فضَربةٌ بضَربةٍ ؛ وأن تعفُوا أقربُ للتَّقوى ؛ وقال آخرون : بل قالَ : وإن أُصبتُ ، فاضربوه ضربةً في مَقتَله . ثمَّ نُقلَ عليٌّ إلى مَنزلِه ، فاعتَرَته غَشيةٌ ، ثمَّ أفاقَ ، فدعا الحسَنَ والحُسينَ ، فقال : أوصيكما بتَقوى اللهِ ، والرَّغبةِ في الآخرةِ ، والزُّهدِ في الدُّنيا ؛ ولا تأسَفا على شيءٍ فاتَكما منها . اعمَلا الخيرَ ، وكونا للظَّالمِ خَصماً ، وللمظلومِ عَوناً . ثمَّ دعا محمَّدًا ، فقالَ : أما سمِعتَ ما أوصيتُ به أخويك ؟ قالَ : بَلى ! قالَ : فإني أُوصيكَ به ؛ وعليك ببرِّ أخويك وتوقيرهما ومَعرفةِ فضلِهما ، ولا تَقطَعْ أمرًا دونَهما . ثمَّ اقبلَ عليهما فقالَ : أُوصيكما به خيرًا ، فإنَّه شقيقُكما وابنُ ابيكما ، وانتما تعلَمانِ أن اباكما كانَ يُحبُّه فأحِبَّاه .

ويُروى أن ابنَ ملجمٍ باتَ تلك اللَّيلةَ[7] عندَ الأشعثِ بنِ قيس بنِ

١ * يكبوا عليه : يقعوا عليه .
٢ * القطيفة : دثارٌ مخمل يلتحف الرجل على نفسه عند النوم .
٣ * الأيد : القوي .
٤ * أومر فيه : طلب منه ان يأمر بما يريد ان يصنع به .
٥ * آثرتم : فضلتم .
٦ * الاقتصاص ، كالقصاص : قتل القاتل .
٧ * تلك : الليلة : اي الليلة التي قتل في غلسها علي .

معدِ يكربَ ، وأنَّ حِجرَ بنَ عديٍ سمعَ الأشعثَ يقولُ له : فضَحَكَ الضُبحُ ؛ فلمّا قُتلَ أميرُ المؤمنينَ قالَ حِجرٌ للأشعثِ : أنتَ قتلتَه يا اعورُ ! ويُروى أنَّ الذي سمعَ ذلك عفيفُ بنُ قيسٍ أخو الأشعثِ ، وأنه قالَ له : عن أمرِك كانَ هذا يا أعورُ !.

وأمّا الحَجّاجُ بنُ عبدِالله الصَّريميُّ ، وهو البَرَكُ ، فإنّه ضَربَ معاويةَ مُصلّياً ، فأصابَ مأكَمَتَه[1] ، وكان مُعاويةُ عظيمَ الأوراكِ ، فقطَعَ منه عِرقاً يُقالُ له عِرقُ النِّكاحِ ، فلم يُولد لمعاويةَ ، بعدَ ذلك ، ولدٌ . ولمّا أُخِذَ قالَ : الأمانَ[2] ، والبشارةُ ! قُتِلَ عليٌ في هذه الصَّبيحةِ . فاستُؤنِيَ[3] به حتى جاءَ الخبرُ ، فقطَعَ معاويةُ يدَه ورجلَه ، وقيلَ يَديه ورجليه ، وأمرَ باتّخاذِ المقصورةِ[4] . فقيلَ لابنِ عبّاسٍ ، بعدَ ذلك ، ما تأويلُ المقصورةِ ؟ فقالَ : يخافونَ أن يَبهَظَهم[5] النّاسُ . ثمَّ إنَّ البركَ أقامَ بالبصرةِ ، فبلَغَ زياداً أنّه وُلِدَ له ولدٌ ، فقالَ : أيُولَدُ له ولا يولد لأميرِ المؤمنينَ ؟ ثم قتلَه .

امّا زاذُويه ، فإنه أرصدَ[6] لعَمرٍو ، وقد اشتكى عَمرُو بَطنَه ، فلم يَخرُجْ للصّلاةِ ؛ وخرَجَ خارجةُ ، وهو رجلٌ من بني سَهمِ بنِ عمرِو بنِ هُصيصٍ ، رَهطِ عمرِو بنِ العاصِ ، فضَربَه زاذويه ، فقتلَه ؛ فلمّا دُخِلَ به على عمرٍو ، فرآهم يخاطبونه بالإمرةِ ، قالَ : أوَ ما قتلتُ عَمرًا ؟ قيلَ لا ! إنّما قتلتَ خارجةَ ؛ فقالَ ، أردتُ عمرًا ، وأرادَ اللهُ خارجةَ !

«رجعَ» ثم إنّ عليًّا أقامَ بمَنزِلِه ، بعدَ الضَّربةِ ، يومينِ ، ثمَّ قضى ، كرَّمَ اللهُ وجهَه ، في آخرِ اليومِ الثّالثِ . فسَمِعَ ابنُ ملجمٍ الرَّنّةَ[7] من الدارِ ، فقالَ له من حضَرَ : أيْ عدوَّ اللهِ ! إنّه لا بأسَ على أميرِ المؤمنينَ . فقالَ : أعلى

١ . المأكمة : لحمة اصل الورك.

٢ . الامان والبشارة : الرفع على الابتداء والتقدير : منكم الامان ، ومني البشارة لكم . ويجوز النصب على المفعولية : والتقدير اعطوني الامان اعطيكم البشارة.

٣ . استؤني به : تُمهِّلَ في امره.

٤ . المقصورة : الدار الواسعة ، المحصّنة ، او هي اصغر من الدار ولا يدخلها الا صاحبها والحَجَلة.

٥ . بهظه : غلبه وثقل عليه.

٦ . ارصد له : وقف له بالمرصاد ، ترقبه.

٧ . الرنّة : البكاء.

من تَبكي أمُّ كُلثوم ، أعليَّ ؟ واللهِ لقد اشتَريتُ سيفي بألفِ درهم ، وما زلتُ أعرِضُه ، فما يَعيبُه أحدٌ إلَّا أصلحتُ ذلك العيبَ ، ولقد أسقيتُه السُّمَّ ، حتَّى لَفظَه ، ولقد ضربتُه ضربةً لو قُسِمَت على مَن بالمشرقِ لأتَت عليهم . ثمَّ دعا الحسَنَ بنَ عليٍّ ، رضي الله عنهما ، فقالَ : إنَّ لَكَ عندي سِرًّا . فقالَ الحسنُ ، رُضوانُ الله عليه : أتدرونَ ما يُريدُ ؟ يُريدُ أن يقرُبَ من وجهي فيَعَضَّ أُذني فيقطَعَها . فقالَ : واللهِ لو أمكنتَني منها لاقتلعتُها من أصلها . فقالَ الحسنُ : كلَّا ! واللهِ لأضربنَّك ضربةً تُؤدَيك إلى النارِ . فقالَ : لو عَلِمتُ أنَّ هذا في يدَيك ما اتَّخذتُ إلهًا غيرَك . فقالَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ : يا أبا محمدٍ ! ادفعْه إليَّ أشفِ نفسي منه . قالَ : فاختَلفوا في قتلِه ، فقالَ قومٌ : احمِ له ميلَينِ وكحِّله بهما . فجَعَلَ يقولُ : يا ابنَ اخي : لتُكحِّلَ عَمَّكَ بمَلمولين[1] مَضاضَين[2] ؟ وقالَ قومٌ : بل قطِّعَ يديه ورجليه ، وهو ، في ذلك ، يذكُرُ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ؛ ثم عمَدَ إلى قطعِ لسانِه ، فشقَّ ذلك عليه ، فقيلَ له : لا تجزَعْ من قطعِ يديك ورجليك ، وزالَكَ قد جزِعتَ من قطعِ لسانِك ؟ فقالَ : نعَم ! احبَبتُ إلَّا يزالَ في بذكرِ اللهِ رطبًا ، ثمَّ قتلَه .

الفتك بالأمويين

دخلَ سَديفٌ مولى ابي العبَّاسِ على أبي العبَّاسِ ، أميرِ المؤمنين ، وعندَه سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ المَلكِ ، وقد أدناه وأعطاه يدَه فقبَّلها ؛ فلمَّا رأى ذلك سديفٌ أقبلَ على أبي العبَّاسِ ، وقالَ :

لا يَغُرَّنك ما تَرى من أُناسٍ ، إنَّ تحتَ الضُّلوعِ داءً دَوِيًّا[3]
فضَعِ السَّيفَ ، وارفعِ السَّوطَ حتَّى لا تَرى ، فوقَ ظهرِها[4] ، أُمويًّا

١ ، الملمول : المكحال ، الميل يكحل به .
٢ ، المضاض : المؤلم .
٣ ، الدوي : الشديد ، وكل داء الدوي عن الضغينة والحقد .
٤ ، الضمير في ظهرها يعود الى البسيطة ، الارض .

فأقبلَ عليه سليمانُ ، فقالَ : قتلتني أيها الشَّيخُ ، قتلَكَ اللهُ . وقامَ ابو العبّاسِ ، فدخلَ ، فإذا بالمِنديلِ[1] قد أُلقيَ في عُنقِ سليمانَ ، ثمَّ جُرَّ فقُتِلَ .

ودخلَ شِبلُ بنُ عبدِاللهِ ، مَولى بني هاشمٍ ، على عبدِاللهِ بنِ عليٍّ ، وقد أجلسَ ثمانين رجلًا من بني أُميّة على سُمُطِ[2] الطَّعامِ ، فمَثَلَ بينَ يديه ، فقالَ :

أصبحَ المُلكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ من بني العبّاسِ ،
طلَبُوا وِترَ هاشمٍ ، فشَفَوها ... بعدَ مَيلٍ من الزَّمانِ وياسِ.[3]
لا تُقيلنَّ عبدَ شمسٍ عِثارًا ... واقطَعَنْ كلَّ رَقلةٍ وأواسي ؛[4]
ذِلُّها أظهرَ التَّودُّدَ منها ... وبها منكُمُ كحَزِّ المَواسي.
ولقد غاظَني ، وغاظَ سَوائي ... قُربُهم من نَمارقٍ وكراسي ؛
أنزِلُوها ، بحيثُ أنزَلَها اللهُ ... بدارِ الهَوانِ والإتعاسِ ،
واذكرُوا مَصرعَ الحُسينِ ، وزيدًا ... وقتيلًا بجانبِ المِهراسِ ،
والقتيلَ الذي ، بحَرّانَ ، أضحى ... ثاويًا بينَ غُربةٍ وتناسي.
نِعمَ شِبلُ الهِراشِ مَولاكَ شِبلٌ ... لو نجا من حبائلِ الإفلاسِ.[5]

فأمرَ بهم فشُدِخُوا بالعَمَدِ ، وبُسِطَت عليهم البُسُطُ ، وجلسَ عليها ، ودعا بالطَّعامِ ، وإنَّه ليَسمَعُ أنينَ بعضِهم ، حتَّى ماتوا جميعًا . ثم قالَ لشبلٍ : لولا أنَّك خلَطتَ كلامَك بالمسألةِ لأغنَمتُك جميعَ اموالِهم ، ولعَقَدتُ[6] لك على جميعِ موالي بني هاشمٍ .

قولُه . الآساسِ ، واحدُها أُسٌّ ، وتقديرُه : فَعلٌ وأفعالٌ . وقد يقالُ :

١ * القاء المنديل : كناية عن الامر بالقتل
٢ * سُمُط : ج سماط ، وهو ما يبسط ليوضع عليه الطعام.
٣ * الوتر : الثأر ◎ وقوله: فشفوها ، يريد شفوا انفسهم بالثأر .
٤ * اقوله عثرته : رفعه من سقطته ◎ عبد شمس : بنو أمية.
٥ * الهراش : الخصام.
٦ * عقد له عليه : عاهده عليه ، والمراد هنا ولاه وسلطه.

للواحدِ أساسٌ ، وجَمعُه أُسسٌ . والبُهلولُ : الضَّحَّاكُ[١] . وقولُه : بعدَ مَيلٍ من الزمانِ وياسِ ، يُقالُ : فيكَ مَيلٌ علينا ، وفي الحائطِ ميلٌ ، وكذلكَ كلُّ مُنتصِبٍ . وقولُه : واقطعن كلَّ رَقلةٍ : الرَّقلةُ النَّخلةُ الطَّويلةُ . ويُقالُ إذا وُصِفَ رجلٌ بالطُّولِ : كأنه رقلةٌ . والأواسيُّ : ياؤُه مُشدَّدةٌ في الأصلِ ، وتخفيفُها يجوزُ ، ولو لم يجُز في الكلامِ لجازَ في الشِّعرِ ، لأن القافيةَ تقتطِعُه[٢] ، وكلُّ مُثقَّلٍ فتخفيفُه في القوافي جائزٌ ، كقولِه :

أصحوتَ اليومَ أم شاقَتكَ هرُ[٣] . وواحِدُها آسيَّةٌ ، وهي أصلُ البناءِ بمنزلةِ الأساسِ وقولُه وغاظَ سَوائي : تقولُ : ما عندي رجلٌ سوى زيدٍ ، فتقصُرُ إذا كسَرتَ أوَّلَه ، فإذا فتَحتَ أوَّلَه على هذا المعنى[٤] مدَدتَ . قالَ الأعشى :

تجانَفُ عن جَوِّ اليَمامةِ ناقتي ، وما قصَدَت ، من اهلِها ، لسَوائكا[٥]

والسَّواءُ ممدودٌ في كلِّ موضعٍ ، وإن اختلَفَت معانيه ، فهذا واحدٌ منه . والسَّواءُ : الوَسَطُ ، ومنه قولُه ، عَزَّ وجَلَّ : فاطَّلعَ فرآه في سَواءِ الجحيمِ . وقالَ حسَّانُ :

يا ويحَ أنصارِ النَّبيِّ ورَهطِه ، بعدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ المَلحَدِ[٦]

والسَّواءُ : العدلُ والاستواءُ ، ومنه قولُه ، عَزَّ وجَلَّ : إلى كَلِمةٍ سَواءٍ بيننا وبينكم . ومن ذلكَ : عمرٌو وزيدٌ سواءٌ والسَّواءُ : التَّمامُ ، يُقالُ هذا درهمٌ سواءٌ ، وأصلُه من الأوَّلِ ؛ وقولُه ، عَزَّ وجلَّ : في أربعةِ أيامٍ سواءً للسائلين ، معناه : تماماً ؛ ومن قرأ سواء فإنَّما وضَعَه في موضعِ مُستوياتٍ . والنارقُ : واحدتها نُمرُقةٌ ، وهي الوَسائدُ . قالَ الفرزدقُ :

١ * والبهلول ايضاً السيد الجامع لكل خير.

٢ * تقتطعه : من اقتطع من الشيء : اخذ منه قطعة.

٣ * وعجز هذا البيت : ومن الحبِّ جنون مستعر . والبيت لطرفة ، وهرّ : اسم صاحبته.

٤ * اراد بعلى هذا المعنى ، غير هذا المعنى .

٥ * تجانف : اصلها تتجانف : تتمايل ، وتعدل.

٦ * الملحد : اللحد ، القبر.

و إنّا لتجري الكأسُ، بين شُروبِنا، وبينَ ابي قابوسَ، فوقَ النّمارقِ.[1]

وقالَ نُصَيبٌ:

إذا ما بِساطُ اللّهو مُدَّ، وقُرِّبَت، لِلذّاتِهِ، أنماطُه، ونَمارقُه[2]

وقولُه: مَصرَعَ الحسينِ، وزيدًا: يعني زيدَ بنَ عليِّ بنِ الحُسَين، كانَ خرجَ على هِشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ، وقتلَه يوسُفُ بن عُمرَ الثَّقَفيُّ، وصلبه بالكُناسةِ[3] عُريانًا هو وجماعةٌ من أصحابِه...

وقولُه: وقتيلًا بجانبِ المِهراسِ: يعني حمزةَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ. والمِهراسُ ماءٌ بأُحُدٍ.. وإنّما نسَبَ شِبلٌ قتلَ حمزةَ الى بني أُميّةَ لأنَّ أبا سُفيانَ بنَ حربٍ كانَ قائدَ النّاسِ يوم أُحُدٍ. والقتيلُ الّذي بحَرّانَ هو ابرهيم بن محمّدِ ابنِ عليٍّ، وهو الّذي يقالُ له الإمامُ. وكانَ يُقالُ: ضحّى بنو حربٍ بالدّين يومَ كَربَلاءَ، وضحّى بنو مَروانَ بالمُروءةِ يومَ العَقرِ. فيومُ كربلاءَ[4] يومُ الحسين ابن عليِّ بنِ ابي طالبٍ وأصحابِه؛ ويومَ العَقرِ[5] قُتِلَ يزيدُ بنُ المُهلَّبِ وأصحابُه.

عُمَرُ الوادي والأسود المغنّي

حُدِّثتُ أنَّ عُمَرَ الوادي قالَ: أقبلتُ من مكّةَ أريدُ المدينةَ، فجعلتُ أسيرُ في صَرْدٍ[6] من الأرضِ، فسمعتُ غِناءً من القَرارِ[7] لم اسمع مثلَه، فقلتُ: واللهِ! لأتوصّلنَّ اليه ولو كانَ بذهابِ نفسي! فانحدرتُ إليه، فإذا عبدٌ أسودُ، فقلتُ: أعِد عليَّ ما سمعتُ! فقالَ لي: واللهِ! لو كانَ عندي قِرىً أقريكَ ما فعلتُ، ولكنّي أجعلُه قِراكَ، فإنّي ربّما غنّيتُ هذا الصّوتَ، وأنا جائعٌ، فاشبعُ؛ وربّما

١. الشروب: ج شَرِب، وشرب ج شارب ويجوز ان تكون شَروب، فعول بمعنى فاعل، اي الكثير الشرب ◉ وابو قابوس: النعمان بن المنذر.

٢. انماط: واحدها نمط، ضرب من البسط.

٣. الكناسة: موضع في الكوفة.

٤. كربلاء: بلدة في العراق.

٥. العقر: مكان في بابل.

٦. صرد: المكان المرتفع من الجبال، جمعها صرود.

٧. القرار: المطمأن من الارض.

غنيتُه ، وأنا كسلانُ ، فأنشطُ ؛ وربَّما غنيتُه ، وانا عَطشانُ ، فأروى . ثمَّ انبرَى يُغنّيني :

وكُنتُ ، إذا ما زُرتُ سُعدى بأرضها ، أرى الأرضَ تُطوى لي ، ويَدنو بعيدُها ،
منَ الخَفِراتِ البيضِ ودَّ جَليسُها ؛ إذا ما انقضَت أحدوثَةٌ لو تُعيدُها .

قالَ عمرُ : فحفِظتُه عنه ، ثمَّ تغنّيتُ به على الحالاتِ الّتي وَصفَ ، فاذا هو كما ذكر .

كلُّ كريمٍ طروب

حُدِّثتُ أنَّ معاويةَ قال لعمرٍو : امضِ بنا الى هذا الّذي تَشاغلَ باللّهو ، وسعى في هدمِ مُروءتِه ، حتّى ننعى عليه « أي نَعيبُ عليه فِعلَه » يُريدُ عبدَالله ابن جعفرِ بنِ ابي طالبٍ ؛ فدَخلا إليه ، وعندَه سائبُ خاثرٍ ، وهو يُلقي[1] على جَوارٍ لعبدِ الله ، فأمرَ عبدُالله بتَنحيةِ الجواري لدُخولِ معاويةَ ، وثَبتَ سائبٌ مَكانَه ، وتَنحّى عبدُالله عن سريرِه لمعاويةَ . فرفعَ معاويةُ عَمرًا ، فأجلَسَه إلى جانبِه ؛ ثمَّ قالَ لعبدِ الله : أعِد ما كُنتَ فيه ! فأمرَ بالكراسي فأُلقيَت ، وأخرجَ الجواري ، فتغنّى سائبٌ بقولِ قَيسِ بنِ الخَطيمِ :

ديارُ الّتي كادَت ، ونحنُ على مِنًى ، تَحُلُّ بنا ، لولا نَجاءُ الرّكائبِ ؛[2]
ومثلِكِ ، قد أصبَيتُ ، ليسَت بكَنّةٍ ، ولا جارةٍ ، ولا حليلةِ صاحبِ ![3]

وردَّده الجواري عليه ، فحرّكَ معاويةُ يدَيه وتحرّكَ في مَجلسِه ، ثمَّ مَدَّ رجليه ، فجعلَ يَضربُ بهما وجه السّرير ؛ فقالَ عمرو : اتَّئِد[4] ، يا أميرَ المؤمنين فإنَّ الّذي جِئتَ لتَلحاه[5] أحسنُ منك حالًا وأقلُّ حركةً ! فقالَ معاويةُ : اسكُت ، لا أبالك ، فإنَّ كلَّ كريمٍ طروب !.

١ * يلقي : من اللّقى اللّحن على احدٍ اذا غنّاه له ليعلّمه اياه.
٢ * تحل بنا : تجعلنا نحلّ بها ، نتزل بها ◎ النجاء : السرعة ◎ الركائب : ج ركوبة : كل ما يركب .
٣ * اصبيت : من اصبت المراة الرجل ، شاقته ودعته الى الصبا فحنّ اليها.
٤ * اتئد : من اتّأد في الامر ، تزوّن ، وتأنى.
٥ * تلحاه : تلومه.

عثمانُ بنُ حيّانَ وسَلّامةُ الزّرقاء[١]

وإنّ عثمانَ بنَ حيّانَ المُرّيَّ ، لمّا دخلَ المدينةَ والياً عليها ، اجتمع الأشرافُ عليه من قريشٍ والأنصارِ ، فقالوا له : إنّك لا تَعمَلُ عملاً أجدى ، ولا أولى من تحريمِ الغِناء والرّثاء ؛ ففعَلَ ، وأجلهم ثلاثاً . فقَدِمَ ابنُ ابي عتيقٍ[٢] في الليلةِ الثّالثةِ ، فحطَّ رحالَه ببابِ سَلّامةَ الزّرقاء ، وقالَ لها : بَدأتُ بكِ قبلَ ان أصيرَ إلى مَنزلي . فقالَت : أوَ ما تَدري ما حدَثَ ؟ وأخبَرَته الخبرَ . فقالَ : أقيمي الى السَّحَر ، حتّى ألقاه . فقالت : إنّا نَخافُ ألّا تُغنّيَ شيئاً ، ونَنكُظَ[٣] . فقالَ : إنّه لا بأسَ عليكِ . ثمّ مَضى إلى عثمانَ ، فاستأذنَ عليه ، فأخبرَه أنّ أحدَ ما أقدَمَه عليه حُبُّ التّسليمِ عليه ؛ وقالَ له : إنّ من أفضلِ ما عَمِلتَ تحريمُ الغِناء والرّثاء . قالَ : إنّ أهلَكَ أشاروا عليّ بذلكَ . قالَ : فإنّك قد وُفّقتَ ؛ ولكني رسولُ امرأةٍ اليكَ ، تقولُ : قد كانت هذه صِناعتي ، فتُبتُ إلى اللهِ منها ؛ وأنا أسألُكَ أيُّها الأميرُ ألّا تحولَ بينَها وبينَ مجاورةِ قبرِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ . فقالَ عثمانُ : إذاً أدَعُها لك . قالَ إذاً لا يَدَعُها النّاسُ ؛ ولكن تدعو بها ، فتنظرُ اليها ، فإن كانت ممّن يُترَكُ تَركتَها . قالَ : فادعُ بها ! قالَ : فأمرَها ابنُ ابي عَتيقٍ ، فتَقشّفت[٤] ، وأخذَت سُبحَةً في يدِها ، وصارَت إليه[٥] ، وحدّثته عن مآثرِ آبائه ، ففكِهَ[٦] لها . فقالَ لها ابنُ أبي عتيقٍ : اقرَئي للأميرِ ! ففعَلَت ، فأعجبَ بذاك . فقالَ لها ابنُ عتيقٍ : فأحدِي للأميرِ ! فحرّكه[٧] حداؤها . ثمّ قالَ لها : غنّيِ للأميرِ ! فجعَلَ يُعجَبُ بذلك عثمانُ . فقالَ له ابنُ ابي عتيقٍ : فكيفَ لو سَمِعتَها في صِناعتها ؟! فقالَ : قل لها فلتَقُل ! فأمرَها ، فتَغَنّت :

١ * سلّامة الزرقاء : احدى قينات المدينة المشهورات.

٢ * ابن ابي عتيق : هو عبدالله بن ابي عتيق بن عبدالله بن ابي بكر ، اديب من ادباء صدر الاسلام . كان صاحب ذوق في نقد الشعر : وغلبت عليه الدعابة وشهر بها.

٣ * ننكظ : تنالنا شدّة.

٤ * تقشّفت : اظهرت التقشف ، التزهد والمتقشف : المتزهد ، المتجافي بقوتٍ وثوبٍ مرقّع ، ومن لا يبالي بما تلطخ جسمه ، وضد المتنعم.

٥ * الضمير في اليه يرجع الى الامير.

٦ * فكه لها : طابت نفسه.

٧ * حرّكه : هزّه طرباً.

سدَدْنَ خصاصَ الخيمِ ، لمَّا دَخلنه ، بكلِّ لَبانٍ واضحٍ ، وجبينِ [1]

فنزَلَ عثمانُ بنُ حيَّانَ عن سريره ، حتى جلسَ بين يديها ؛ ثمَّ قالَ لها : ما مثلُكِ يُخرَجُ منَ المدينةِ ! فقالَ له ابنُ عتيقٍ : إذًا يقولُ الناسُ : أذِنَ لسلَّامةَ في المَقامِ ، ومنَعَ غيرَها ! فقالَ له عثمانُ : قد أذنتُ لهم جميعاً .

ليسَ المرءُ بثوبِه !

دَخلَ النَّخَّارُ العُذريُّ على معاويةَ في عباءةٍ ، فاحتقرَه ؛ فرأى ذلك النَّخَّارُ في وجهِه ، فقالَ : ليستِ العباءةُ تُكلِّمُك انما يكلمك من فيها . ثمَّ تكلَّمَ ، فملأَ سمعَه [2] ؛ ثمَّ نهضَ ولم يسأله ؛ فقالَ معاويةُ : ما رأيتُ رجلًا أحقرَ أوَّلًا ، ولا أجلَّ آخرًا منه !.

وزعمَ الأصمعيُّ أن حرباً كانت بالباديةِ ، ثمَّ اتصلَت بالبصرةِ ، فتفاقمَ الأمرُ فيها ؛ ثمَّ مُشِيَ بينَ الناسِ بالصُّلحِ ، فاجتمعوا بالمسجدِ الجامعِ . قالَ : فبُعِثتُ ، وأنا غلامٌ ، إلى ضِرارِ بنِ القَعقاعِ من بني دارمٍ ، فاستأذنتُ عليه ، فأذِنَ لي ؛ فدَخلتُ فاذا به في شَملةٍ يخلِطُ بزرًا لعَتَرٍ له حَلوبٍ ، فخبَّرتُه بمجتمعِ القومِ ، فأمهَلَ حتَّى أكلتِ العترُ ، ثمَّ غسَلَ الصَّحفةَ ، وصاحَ : يا جاريةُ ، غَدِّينا! قالَ : فأتته بزَيتٍ وتمرٍ . قالَ : فدعاني ، فقذَّرتُه [3] أن آكُلَ معه ؛ حتَّى إذا قضى من أكله حاجةً ، وثَبَ إلى طِينٍ مُلقىً في الدَّارِ ، فغسلَ به يدَه ، ثمَّ صاحَ : يا جاريةُ اسقيني ماء ! فأتته بماءٍ فشَربه ومسَحَ فضلَه على وجهه ؛ ثم قالَ : الحمدُ للهِ ! ماءُ الفراتِ بتمرِ البصرةِ بزيتِ الشَّامِ ؛ متى نُؤدِّي شُكرَ هذه النِّعمِ ؟ ! ثمَّ قالَ : ياجاريةُ ، عليَّ بردائي ! فأتته برداءٍ عَدَنيٍّ ، فارتدى به على تلك الشَّملةِ . قال الأصمعيُّ : فتجافيتُ عنه استقباحاً لزيِّه ؛ فلمَّا دخلَ المجلِسَ

١ . الخصاص : كل خال وخرق في باب وسُتْرٍ وبرقع ونحوه ◎ الخيم ج خيمة ، وقد أعاد اليه ضميرًا مفردًا في دخلنه مراعاةً للفظ . وفي الصحاح : الخيم مثل الخيمة اي مفرد ◎ اللبان : الصدر . يقول: ان اولئك النسوة لما دخلن الخيم طفقن ينظرن من خصاصه ، فسددنه بصدورهن وأجبنهن .

٢ . ملأ سمعه : اعجبه ، وادهشه

٣ . قذرته : وجدته قذرًا ، وسخًا .

صلّى ركعتين ، ثمّ مشى إلى القوم ، فلم تبقَ حَبوةٌ إلّا حُلّت إعظاماً له . ثمّ جلس فتحمّل[1] جميعَ ما كانَ بينَ الاحياء في ماله ، وانصرفَ .

من اكاذيب العرب

حدّثني سليمانُ بنُ عبد الله عن أبي العُمَيثل مولى العبّاس بن محمد ، قالَ : تكاذبَ أعرابيّان ، فقالَ أحدهما : خرجتُ مرّةً على فرسٍ لي ، فإذا بظُلمةٍ شديدة ، فيمّمتُها[2] ، حتّى وصلتُ إليها ، فإذا قِطعةٌ من الليل لم تَنتبه[3] ؛ فما زلتُ أحملُ بفرسي عليها ، حتّى أنبهتُها ، فانجابَت[4] . وقالَ الآخرُ : لقد رميتُ ظبياً ، مرّةً ، بسهمٍ ، فعدلَ الظبيُ يمنةً ، فعدلَ السهم خلفه ؛ فتياسرَ الظبي ، فتياسرَ السهمُ خلفه ؛ ثمّ علا الظبيُ ، فعلا السهمُ خلفه ؛ فانحدرَ ، فانحدرَ عليه ، حتّى أخذه .

وتحدّثوا ، من غيرِ وجهٍ ، أنّ أهلَ الكوفةِ ، من الأشرافِ ، كانوا يظهرونَ بالكُناسة ، فيتحدّثون على دوابّهم ، إلى أن يطردَهم حرُّ الشمس ؛ فوقفَ عمرُو ابنُ معديكربَ وخالدُ بنُ الصَّقعبِ النَّهديُّ ، فأقبلَ عمرُو يحدّثه ، فقال : أغرنا مرّةً على بني نهدٍ ، فخرجوا مُستَرعِفين لخالدِ بنِ الصَّقعبِ ، فحملتُ عليه فطعنتُه ، فأرديتُه ، ثمّ ملتُ عليه بالصَّمصامة[5] فأخذتُ رأسه فقالَ له خالد : حلّا ، أبا ثورٍ[6] ! إنّ قتيلك هو المُحدّثُ . قالَ : يا هـذا ! إذا حدّثتُ فاستمع ؛ فانّما نتحدّثُ بمثلِ ما تسمعُ لتُرهبَ به هذه المَعَدّيةُ .

قوله : حلّا أبا ثور ! يقولُ : استَثنِ . يقالُ : حلّفَ ولم يتحلّل ، اي لم يَستَثنِ . وقوله : مُستَرعِفين ، يقولُ : مُقدِمين له . يقالُ : جاءَ فلانٌ يرعُفُ الجيشَ ويؤمُّ الجيشَ

١ * تحمّل : حمل الديات والغرامات عن غيره .
٢ * يممتها : قصدتها .
٣ * تنتبه : تستيقظ من نومها .
٤ * انجابت : انكشفت ، انجلت .
٥ * الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب .
٦ * ابو ثور : كنيته عمرو

إذا جاء متقدماً لهم ؛ ويقالُ في الرُّعافِ[١] : رَعَفَ يرعُفُ ، ولا يقالُ غير رعَف ، ويجوز يرعَفُ من أجلِ العَينِ[٢] ، وليسَ من الوجه .

ابو النَّجمِ العِجليّ وبناتُه

حدَّثتُ في إسنادٍ[٣] مُتَّصِلٍ أنّ ابا النَّجم العِجليّ أنشدَ هِشامَ بنَ عبدِ الملكِ : « والشَّمسُ قد صارَت كعينِ الأحولِ » لمّا ذهَبَ به الرَّويُّ عن الفِكرِ في عينِ هشامٍ[٤] ؛ فأغضبَه ، فأمرَ بطَردِه ، فأمَّلَ ابو النَّجمِ رَجعَتَه ، وكان يأوي المساجدَ . فأرقَ هشامٌ ، ليلةً ، فقالَ لحاجبِه : ابغِني[٥] رجلًا عربيًا ، فصيحاً ، يحادثُني ويُنشِدُني ؛ فطلَبَ له ما طَلبَ ، فوقَفَ على ابي النَّجمِ فأتى ؛ فلمّا دخلَ به إليه ، قالَ : اينَ تكونُ منذُ أقصَيناك ؟ قالَ : بحيثُ ألفَتني رُسُلُك . قالَ : فمَن كانَ ابا مَثواكَ ؟ قالَ : رجلين كَلبيًا وتَغلبيًا ، أتغدّى عندَ أحدِهما ، واتعشّى عندَ الآخر . فقالَ له : ما لك من الوَلَدِ ؟ قالَ : ابنتانِ . قالَ : أزوجتَهما ؟ قالَ : أزوجتُ إحداهما . قال : فبِمَ أوصيتَها ؟ قالَ : قلت لها ليلةَ أهديتُها :

سُبّي الحَماةَ وابهَتي عليها ؛ وإن أبَت ، فازدَلفي إليها ،
ثمَّ اقرَعي بالوَدِّ مَرفِقَيها ، وجَدِّدي الحَلفَ بها عليها ،[٦]
لا تُخبِري ، الدّهرَ ، بذاكِ ابنيها .

قالَ : أفأوصيتها بغيرِ هذا ؟ قالَ : نعم ، قلتُ :

أوصَيتُ من بَرَّةَ قلباً حُرّا ، بالكلبِ خيرًا ، والحَماة شَرًّا ،[٧]
لا تَسأمي نَهكًا لها ، وضرًّا ، والحَيَّ عُتَيبِهم بشرٍ طُرًّا ،

١ * الرعاف : سيلان الدم من الانف.

٢ * قوله : من اجل العين: اي ان العين من الحروف الحلقية التي تفتح معها عين الفعل في المضارع.

٣ * اسند الكلام: اعاده الى رواته.

٤ * كان هشام احول.

٥ * ابغني : اطلب لي.

٦ * الوَدّ : الوِدّ ◎ المرفق : موصل الذراع بالعضد.

٧ * برة : اسم البنت.

وإن كسوكِ ذَهَباً ودُرًّا ، حتّى يرَوا حُلوَ الحياةِ مُرًّا

فقالَ هشامٌ : ما هكذا أوصى يعقوبُ ولَدَه . قالَ ابو النّجمِ : ولا أنا كيعقوبَ ، ولا بِنتي كوَلَدِه . قالَ : فما حالُ الاخرى ؟ قالَ : درَجت بينَ بيوتِ الحيّ ونفعَتنا في الرِسالةِ والحاجةِ . قالَ : فما قلتَ فيها ؟ قال : قلتُ :

كانَ ظَلّامَةَ ، أُختَ شَيبانَ ، يتيمةٌ ، ووالـداها حيّانْ [1]
الرأسُ قَملٌ كلُّه ، وصِئبانْ ، وليسَ في الرِجلينِ إلّا خَيطانْ
فهيَ الّتي يُذعَرُ منها الشَّيطانْ

قالَ : فقالَ هشامٌ لحاجبه : ما فعلتَ بالدَّنانيرِ المختومةِ ، الّتي أمرتُك بقَبضِها ؟ قالَ : ها هي عندي ، ووَزنُها خمسُمائةٍ . قالَ : فادفعها إلى أبي النّجمِ ليجعلَها في رجلِ ظَلّامةَ مكانَ الخَيطينِ ؛ أفلا تَراه قـالَ : « فهيَ الّتي يُذعَرُ منها الشَّيطانْ » وإن لم يَرَه ، لما قُرِرَ في القلوبِ من نَكارتِه [2] ، وشَناعتِه وقالَ آخرُ :

وفي البَقلِ ، إن لم يَدفَعِ اللهُ شَرَّهُ ، شياطينُ يعدو بعضُهنَّ على بعضِ [3]

وزَعمَ أهلُ اللُّغةِ : أنَّ كلَّ مُتمرِّدٍ من جِنٍّ وإنسٍ يقالُ له شيطان ؛ وأنَّ قولَهم : تَشَيطنَ معناه : تَخبَّثَ وتَنكَّرَ . وقد قالَ اللهُ ، عَزَّ وجلَّ ؛ شياطينُ الإنسِ والجنِّ ؛ وقالَ الراجزُ :

أبصَرتُها تَلتَهِمُ الثُّعبانا ؛ شيطانةٌ تزوَّجت شيطانا [4]

وقالَ امرؤُ القيسِ :

أتوعِدُني ، والمَشرَفيُّ مُضاجِعي ، ومسنونةٌ زُرقٌ ، كأنيابِ أغوالِ [5]

الغولُ لم يُخبِرْ صادقٌ قطُّ أنّه رآها .

١ * ظلّامة وشيبان هما ، على ما يبدو ، بنت الشاعر الأخرى ، وابنه ◎ الصئبان : ج الطُّرّابة ، بيضة القمل .

٢ * النكارة : الدّهاء .

٣ * البقل : كل ما ينبت في الربيع مما يأكله الناس ، وكل نبات اخضرت به الارض ، وكل ما لا ينبت أصله ، او فرعه في الشتاء .

٤ * تلتهم : تأكل ◎ الثعبان : الحية الضخمة الكبيرة ، او الحية الذكر .

٥ * المشرفي : السيف ◎ واراد بالمسنونة الزرق نصال السهام .

ثمَّ نَرجعُ إلى تَفسيرِ قولِ أبي النَّجمِ. قولُه: «سُبِّي الحَماةَ وابهتي عليها»، إنَّما يُريدُ ابهتيها، فوضعَ ابهتي في مَوضعِ اكذبي، فمِن ثَمَّ وصَلَها بعلى؛ والَّذي يُستعمَلُ في صِلةِ الفعلِ اللّامُ لأنَّها لامُ الإضافةِ؛ تقولُ: لِزيدٍ ضَرَبتُ، ولعمرو اكرَمتُ، والمَعنى: عمرًا اكرَمتُ وزيدًا ضَرَبتُ؛ فانَّما تقديرُه: اكرامي لعمرٍو وضَربي لزيدٍ، فأجرى الفعلَ مَجرى المَصدرِ. وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعولُ، لأنَّ الفعلَ يَجيءُ، وقد عَمِلَتِ اللّامُ، كما قالَ اللهُ، عزَّ وجلَّ: إن كنتم للرؤيا تُعبِّرون؛ وإن أُخِّرَ المفعولُ فعربيٌّ حسَنٌ...

وقولُه: «وإن أبت فآزدَلفي اليها» يقولُ: تَقرَّبي؛ ومن ذا سُمِّيت المُزدلِفةُ[1]... وتقولُ: زُلفةٌ وزُلَفٌ، كما تقولُ: غُرفةٌ وغُرَفٌ.

وقولُه: «بالكلبِ خيرًا والحماةَ شرًّا» كلامٌ مَعيبٌ عندَ النَّحويِّين، وبعضُهم لا يُجيزُه، وذاك أنَّه عَطفَ عامِلين بالباء، وعلى الفعلِ؛ ومن قالَ هذا قالَ: ضَرَبتُ زيدًا في الدَّارِ والحجرةِ عمرًا...

ويقالُ لربِّ البيتِ وربَّةِ البيتِ اللَّذينِ يَنزِلُ بهما الضَّيفُ: هي أُمُّ مَثواه، وهو أبو مَثواه؛ وأنشدَ ابو عُبيدةَ:

مِن أُمِّ مَثوى كريمٍ قد نَزَلتُ بها؛ إنَّ الكريمَ، على علّاتِه، يَسَعُ.

وفي كتابِ اللهِ، جلَّ وعزَّ: (أكرِمي مَثواه) مَعناه عند العربِ إضافتُه.

الضيف المضجر الممل

أضافَ رَجلٌ رَجُلا، فأطالَ المُقامَ حتَّى كرِهَه؛ فقالَ الرَّجلُ لامرأتِه: كيفَ لنا أن نَعلَمَ[2] مِقدارَ مُقامِه؟ فقالت لهُ: ألقِ بيننا شرًّا، حتَّى نَتحاكمَ إليه، ففعلَ. فقالَت المرأةُ للضَّيفِ: بالَّذي[3] يُبارِكُ لك في غُدُوِّكَ غدًا، أيُّنا أظلَمُ؟ فقالَ: والَّذي يُبارِكُ لي في قِيامي عِندكُم شَهرًا ما اعلمُ.

١ * المزدلفة: موضع في مكة بين عرفات ومِنى.

٢ * كيف: لنا ان نعلم: كيف اسم استفهام في موضع النصب على الحال. لنا متعلق بخبر مقدم. والمصدر المأخوذ من ان المصدرية وما بعدها مبتدأ مؤخر.

٣ * بالذي: متعلق بفعل قسم محذوف.

البصريّ والمدنيّ

نَزَلَ بِصريٌّ على مَدَنِيٍّ ، وكانَ صديقاً له ؛ فألَحَّ عليه في الجُلوسِ ؛ فقال المَدَنيُّ لامرأته : إذا كانَ يومُ غَدٍ فإنّي أقولُ لضَيفِنا : كم ذِراعٍ يَقفِزُ ؟ فأقفِزُ ؛ فإذا قفَزَ ، فأغلِقي البابَ خلفَه فلمّا كانَ الغَدُ قالَ المَدَنيُّ[1] كم قَفزُكَ يا أبا فلانٍ؟ قالَ : جَيِّدٌ . فعرَضَ عليه أن يَقفِزَ معه ، فأجابَه ؛ فوَثَبَ المَدَنيُّ من دارِه إلى خارِجٍ أذرُعاً ، وقالَ للضَّيفِ : ثِب أنتَ ؛ فوَثَبَ الضَّيفُ إلى داخلِ الدّار ذِراعَينِ ؛ فقالَ له : وثَبتُ انا الى خارجِ الدّارِ أذرُعاً ، وأنتَ الى داخِلِها ذِراعَين؟ فقالَ الضَّيفُ : ذِراعانِ في الدّارِ خَيرٌ من أربعٍ إلى خارِجٍ.

١ . المدني : نسبة الى المدينة وهي يثرب .

الوَشّاء

أواخر القرن الثالث للهجرة
(اواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للمسيح)

هو أبو الطَيِّب محمد بن اسحق بن يحيى الوشّاء . كان من الادباء والظرفاء ، الذين غلب عليهم تصنيف كتب الأشعار والأخبار ؛ وليس كتابه «الموشّى» في باب الادب والمروءة والظرف ، إلّا كتاب فريد في بابه ، واسلوبه ، ودقة وصفه وتصويره لحياة الظرفاء ؛ فكأنما هو مجموعة أنظمة لعُصبةٍ مخصوصةٍ من الظرفاء والظريفات ، تبدو فيها كيف كانت عندهم حدود الادب ، وشرائع المروءة ، وسنن الظَرف ؛ هذا الى وصف طريقة جلوسهم الى موائد الطعام والشراب ، واستعمالهم للسّواك ، وسيرهم بين النّاس ، وانواع طيوبهم ، واسلوب مراسلاتهم ، ومعاتباتهم ، حتى لترى ، في هذه النُظُم ، ضرباً من الفتوّة والشهامة والإناقة ، يوقع في ذهنك أن هؤلاء الظرفاء كانوا طليعة جماعة «الفتيان» وان نظامهم كان مقدّمة لنظام «الفتوة» الذي عرف في أواخر ايّام العباسيين .

وقد سنّت، للمؤلف ، مهنته:التوشية ، معرفةَ ازياء الذكور والإناث السائرة في أيامه، فوصفها بمختلف انواعها ، ونسيجها ، وألوانها ، واسمائها ، وصفاً يدل على عمق في المعرفة ، ونعومة وترَفٍ في الذوق .

غير أنه كان ، كسائر أهل زمانه ، سيء الظن بالنساء سواء منهن الحرائر والإماء ؛ فهن غدارات لا يوثق بعهودهنّ ، محتالات لا يؤمن كيدهن ؛ وفي كتابه « الموشّى » باب خاص في « صفة ذمّ الفيان ، ونفوذ حيلهن في الفتيان » .

والوشّاء من الذين يتكلّفون السّجع ، حتى في عناوين الابواب التي يقسم اليها كتابه ؛ وتكلفه اياه يسوقه احياناً الى الاغراب في اللفظ للاتيان بالسجعة .

آثارُه

للوشّاء كتب عديدة ، جعلها صاحب الفهرست عشرين ، كلّها في النحو والادب ؛ ولكن لم يصل منها الا كتابان « الموشّى » « وتفريج الكُرَب والوصول الى الفرَج » وقد ذكر من كتبه ، في باب « صفة ذمّ الفيان وتفوذ حيلهن في الفتيان » من كتابه الموشّى ، كتاباً سمّاه : « نظام التاج في صفة الأنوك والمرزوق المحتاج » واسم هذا الكتاب يدلّ على ما فيه .

واما الذي يهمنا هنا « فالموشّى » وهو كتاب مقسّم الى ستة وخمسين باباً كلها في حدود الادب ، وشرائع المروءة ، وسنن الظرف ، وازياء الظرفاء ، والسواك واستعماله ، وما يكتب على الزنانير والعصائب وغيرها ؛ ويتخلل ذلك مواعظ ، وحثّ على المصادقة ، والاخلاص ، والتعفف .

وقد اخذ المستشرق رودلف برونو هذا الكتاب عن مخطوطة في ليدن ، وطبعه ، في مطبعة بريل ، سنة ١٨٨٦ ، وذيّله بفهرس للابواب . ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦ باسم كتاب الظَّرف والظُّرفاء .

بابُ شَرائعِ المُروءةِ ، وصِفَتِها

اعلم أنَّ المُروءةَ[1] هيَ عمادُ الأُدَباء ، وعِتادُ العُقلاء ، يَرأسُ بها صاحبُها ، ويَشرُفُ بها كاسبُها . ولا شيءَ أزينُ بالمَرء من المُروءةِ ؛ فهيَ رأسُ الظَّرف[2] والفُتُوَّة[3] . وقد قالَ بعضُ الحكماء : الأدبُ يُحتاجُ معَه إلى المروءةِ ، والمروءةُ لا يُحتاجُ معها الى الادبِ . وربَّما رأيتَ ذا المروءةِ ، الخاملَ ، وذا السَّخاء ، الجاهلَ ، قد غطَّت مروءتُه على عيوبِهِ ، وسترَه سَخاؤه من مَعيبِه . وأهلُ المروءاتِ محسودةٌ أفعالُهم ، مُتَّبعةٌ أحوالُهم ؛ وقلَّما رأيتَ حاسدًا على أدبٍ ، وراغباً في أدبٍ . من ذلك ما حُكيَ عن محمدِ بن حربٍ أنَّه قالَ : كنتُ على شُرطَة جعفرٍ بالمدينةِ ، فأُتيتُ بأعرابيٍّ من بني أسَد يُستعدى[4] عليه ، فرأيتُ رجلًا له بيانٌ ، يحتملُ الصَّنيعةَ[5] ، فرَغِبتُ في اتخاذِها عندَه ، فتخلَّصتُه[6] ؛ ثُمَّ لم يَلبَث أن ردَّ إليَّ ، فقُلتُ : حَماس[7] ؟ فقالَ لي : حماسُ والله ! قلتُ : ما رَجَعَكَ ؟ قالَ : الشَّرُّ ، وما قالَه رجلٌ مثلًا يقالُ له خالدٌ ، ثمَّ أنشدني :

عادَوا مُروءَتَنا ، فضَلَّ سَعيُهم ؛ ولكلِّ بيتِ مُروءةٍ اعداءُ !
أَسنا ، إذا عُدَّ الفَخارُ ، كمعشَرٍ أزرى ، بفِعلِ ابيهِمُ ، الأبناءُ .[8]

قالَ : فتخلَّصتُه مرَّةً ثانية . وقيلَ لبعضِ حكماءِ الفُرسِ : أيُّ شيءٍ ، للمروءةِ ،

١ . المروءة : وقد تقلب الهمزة واوًا ؛ وتدغم فيقال : مروّة : هي النخوة ، وكمال الرجولية ، وآداب السانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات.

٢ . الظَّرف : الكياسة ، أو انما هو في اللسان ، او حسن الوجه والهيئة ، او يكون في الوجه واللسان ، او البراعة وذكاء القلب ، او الحذق ، او لا يوصف به الا الفتيان الازوال (الزول : الخفيف الظريف الفطن) والفتيات الزولات ، لا الشيوخ ولا السادة.

٣ . الفتوة : السخاء والكرم والمروّة.

٤ . استعدى عليه السلطان : طلب اعانته عليه.

٥ . الصنيعة : هو الذي يصطنعه الانسان لنفسه ، اي يربّيه ، ويخرّجه ، ويختصه بالصنع الجميل.

٦ . تخلصته : انقذته.

٧ . حماس : لعله اسم الاعرابي ، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره : ازرى حماس ، وربما منع من الصرف للعلمية والعدل او انه على وزن فعال.

٨ . ازرى به : وضع منه.

أشدُّ تهجيناً[1]؟ فقالَ: الملوكُ صِغَرٌ في الهمَّةِ، وللعامَّةِ الصَّلَفُ، وللفُقهاءِ الهوى، وللنِّساءِ قِلَّةُ الحَياءِ، وللعامَّةِ الكَذِبُ. والصَّبرُ على المروءةِ صعبٌ، وتحمُّلُها عِبءٌ. وقد قالَ خالدُ بنُ صَفوانَ: لولا أنَّ المروءةَ اشتدَّت مؤونتُها، وثَقُلَ حملُها، ما تَرَكَ اللئامُ للكِرامِ منها شيئاً؛ ولكنه لمَّا ثَقُلَ حملُها، واشتدَّت مؤونتُها حادَ عنها اللئامُ فاحتملَها الكرامُ. وقالَ بعضُهم: المكارمُ لا تكونُ إلا بالمَكارهِ، ولو كانت خفيفةً لتناولَها السَّفِلَةُ بالغَلَبَةِ.

بابُ سُنَنِ الظَّرفِ

اعلَم: أنَّ عمادَ الظَّرفِ، عندَ الظُّرفاءِ وأهلِ المعرفةِ والأدباءِ، حِفظُ الجِوارِ، والوَفاءُ بالذِّمارِ[2]، والأنَفةُ من العارِ، وطلَبُ السَّلامةِ من الأوزارِ[3]؛ ولن يكونَ الظَّريفُ ظريفاً حتَّى تجتمعَ فيه خِصالٌ أربعٌ: الفَصاحةُ، والبَلاغةُ، والعِفَّةُ، والنَّزاهةُ. وسألتُ بعضَ الظُّرفاءِ عن الظَّرفِ، فقالَ: التَّودُّدُ الى الإخوانِ، وكفُّ الأذى عن الجيرانِ. وأخبرَني أحمدُ بنُ عُبيدٍ قالَ: قالَ الأصمعيُّ، وابنُ الأعرابيِّ: لا يكونُ الظَّرفُ إلا في اللِّسانِ. يقالُ: فلانٌ ظريفٌ، أي هو بليغٌ، جيِّدُ المنطقِ؛ ومنه حديثُ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضيَ اللهُ عنه: اذا كانَ اللصُّ ظريفاً لم يُقطَعْ[4]، أي لأنَّه يكونُ له لسانٌ، فيَحتجُّ بهِ، فيَدفعُ عن نفسه. قال: ورُوِيَ عن محمدِ بنِ سيرينَ أنَّه قالَ: الظَّرفُ مُشتقٌّ من الفِطنةِ وقالَ غيرُه: الظَّرفُ حُسنُ الوجهِ والهيئةِ. وقالَ بعضُ المَشيَخةِ: الظَّريفُ الَّذي قد تأدَّبَ، وأخذَ من كلِّ العلومِ، فصارَ وِعاءً لها، فهو ظرفٌ. وقالَ أحمدُ بنُ عُبيدٍ: معناه أنَّه يَعي أدباً وعلماً، كما يَعي ظَرفُ الشيءِ ما يكونُ فيه؛ ولذلك مَعنى «إذا كانَ اللصُّ ظريفاً لم يُقطَعْ» إذا

١ ـ التهجين: التقبيح.

٢ ـ الذِمار: ما يلزمك حفظه وحمايته من عرض وحريم وناموس.

٣ ـ الاوزار: = وزر = الإثم.

٤ ـ لم يقطع: يريد لم تقطع يده في سرقته.

كانَ واعياً للعلم لم يَسرُق إلّا بتأوّلٍ[١] ، كما فعلَ الشَّعبيُّ ، وقد دَخلَ بيتَ المالِ ، فأخذَ منه دراهمَ ؛ وانّما أرادَ به التأوّلَ لما له فيه من الحقِّ . وسألتُ بعضَ مُتظرّفاتِ القصورِ عن الظَّرفِ ، فقالَت : من كانَ فصيحاً عفيفاً كانَ عندنا مُتكاملاً ، ظريفاً ؛ ومن كانَ غنيّاً عاهراً كانَ ناقصاً فاجراً . وقالَ بعضُ الأدباء : الظَّرفُ ظَلَفُ[٢] النَّفسِ ، ورِقّةُ الطَّبعِ ، وصِدقُ اللَّهجةِ ، وكِتمانُ السِّرِّ . وسألتُ بعضَ الظُّرفاء ، فقالَ : الظَّرفُ في أربعِ خصالٍ : الحياء ، والكَرَمُ ، والعِفّةُ ، والورَعُ . وأنشدَني ابو عبدِالله الواسطيُّ لنفسه في هذا المعنى :

ليسَ الظَّريفُ بكاملٍ في ظَرفه ، حتّى يكونَ ، عن الحَرامِ ، عفيفا ،
فإذا تورَّعَ عن محارمِ ربِّه ، فهناكَ يدعوه الأنامُ ظريفاً .

واعلَم : أن الظَّرفَ ليسَ بمُستغنىً عنه ، ولا هو ممّا يُخِلُّ[٣] منه ، ولا يُعنِّفُ فيه صاحبُه ، ولا يُفنِّدُ[٤] عليه طالبُه ؛ بل هو أنبلُ ما استعملَه العلماء ، وصَبا إليه الأدباء ، وتزيّنوا به عند أودّائهم ، وتحلّوا به عند إخلّائهم ؛ وربّما تكلّفه قومٌ ليسَ من أهله فظرُفَ ، وعاناه فلطُفَ ؛ وإنّه من المطبوعين أحسنُ منه من المتكلّفين ؛ وللمتكلّفِ علاماتٌ تظهرُ في حركاتـه ، وتبينُ في لحظاتِه ، لا يستُرُها بتصنُّعه ، ولا تتغيَّبُ بتستُّره ؛ وإنّ المطبوعَ على الظَّرفِ ليشهَدُ له القلبُ عندَ معاينتِه ، بحَلاوته ، وتسكُنُ النَّفسُ ، عندَ لقائه ، إلى مُجالستِه ، وتصبو إلى مُحادثتِه ، وترتاحُ إلى مُشاهدته ؛ وهو بيّنٌ في شمائله ، ظاهرٌ في خلائقه ، بيّنٌ في منطقه ، غيرُ مُستترٍ عند صمتِه ؛ دلائلُه واضحةٌ في مِشيتِه ، وزيِّه ، ولفظِه ، يُستدَلُّ عليه بظاهرِ حركةِ المَلاحةِ دونَ اختبارِ باطنِ الحَلاوةِ ألا ترى أنَّ من زيِّهم التقزُّزُ[٥] ، والنَّظافةَ ، والمَلاحةَ ، واللَّطافةَ ، وإظهارَ البِزَّةِ[٦] ، وطيبَ

١ . تأول الكلام : دبّره وقدّره وفسّره ، مرادفة للباء .
٢ . ظلف نفسه عن الشيء : كفّها عنه ، ومنعها من ان تفعله .
٣ . يخل او اساء فيه وافسد ؛ ومن عنه : هو من أخلّ بالشيء : تركه ، على الامر : لامه ، وجهّله ، وخطّأ رايه .
٤ . فنّده
٥ . تقزز من الشيء : عافه ، وتجنبه .
٦ . البِزّة : الهيئة ، والثياب .

الرائحة ؟ فالنفوسُ اليهم تائقةٌ[١] ، والقلوبُ وامقةٌ[٢] ، والارواحُ عاشقةٌ . وإنَّ من زيّهم الوقارُ ، والخشوعُ ، والسكونُ ، والخضوعُ ، والتصنُّعُ بالأخلاق الرضيَّة ، والشِّيَمِ السَّنيَّةِ ، والمذاهبِ الجميلةِ ، والهممِ الجليلةِ .

بابُ زيِّ الظُّرفاء في اللباسِ

المستحسَنِ عندَ سرَواتِ النَّاسِ

اعلم : إنَّ من زي الرِّجالِ الظرفاء ، وذوي المروّة الأدباء ، الغلائلُ[٣] الرِّقاقُ ، والقُمُصُ السِّفاقُ[٤] من جيّدِ ضروبِ الكتّانِ الناعمةِ ، النقيّةِ الألوانِ ، مثلَ : الدَّبيقيِّ[٥] ، والجُنَابيِّ[٦] ، والمبطّناتِ التّاختج[٧] ، والحامات ، ودَراريعِ الدَّرجَرَدِ[٨] ، والإسكندرانيِّ ، والمُلحَمِ الخَزّيِّ[٩] ، والخُراسانيِّ ، ومُبطّناتِ القُوهيِّ[١٠] الرَّطْبِ ، وأُزُرِ القَصَبِ الشَّربِ[١١] ، والأرديةِ المُحشّاةِ العَدَنيَّةِ ، وطَيالسةِ المُلحَمِ النَّيسابوريةِ[١٢] ، والمُصمَتَةِ[١٣] الدَّبيقيَّةِ[١٢] ، والجِبابِ النَّيسابُوريَّةِ ، والمُصمَتةِ الطِّرازيَّةِ[١٤] ، والوشي السَّعيديَّةِ[١٥] ، والخُزوزِ الكُوفيَّةِ ، والمطارفِ

١ . تائقة : مشتاقة.

٢ . وامقة : محبّة.

٣ . الغلائل : ج غلالة : شعار يلبس تحت الثوب.

٤ . السفاق : ج سفيق ، وهو كالصفيق ضدّ الشفيف.

٥ . الدَّبيقي : نسبة الى دَبيق بلدة في مصر.

٦ . الجُنَابي : نسيج منسوب الى جُنَابة بلد بفارس.

٧ . التّاختج : ضرب من النسيج.

٨ . دراريع : ج دُراعة ، جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ◉ الدّرجرد : بلد في فارس.

٩ . المُلحم : جنس من الثياب وهو ما كان سداه ابريسم ولحمته غير إبريسم ، والابريسم الحرير قيل ان يخرقه الدود ، فاذا خرقه قيل له القزّ ◉ الخزي : منسوب الى الخزّ ، وهو من الثياب ما نسج من الصوف والحرير ، أو من الحرير فقط.

١٠ . القُوهي : ثوب ابيض اللون ، منسوب الى قوهستان ، وهي بلد بكرمان ، قرب جيرفت ، وكرمان اقليم بين فارس وسجستان .

١١ . الأزر : ج ازار : الملحفة ، وكل ما ستر ك ◉ القصب : ثياب رقاق ناعمة من كتّان ، واحدها قَصَبي ◉ الشرب : ج شارب ، والثوب الشارب ما تُرِّب الصبغ ، ولعله من الشربة وهي الاحمرار .

١٢ . طيالسة : ج طيلسان : كساء مدوّر اخضر لا اسفل له لجمته او سداه من صوف ◉ النيسابورية : منسوبة الى نيسابور من بلاد خرسان.

١٣ . المصمتة : التي لا يخالط لونها لون آخر.

١٤ . الطرازية : منسوبة الى الطراز ، الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة.

١٥ . السعيدية : ضرب من برود اليمن منسوبة الى سعيد بن العاص ، وقوله والوشي السعيدية ، اراد جباب الوشي ، او ثياب الوشي.

السُّوسيَّةِ[١]، والأكسيةِ الفارسيَّةِ، والطَّيالسةِ التُّومسيَّةِ[٢]، الزُّرقِ السُّلوليَّةِ[٣]، وكلّ ما أشبهَ ذلك وقاربَه، ودنا منه وصاحبَه. وليسَ يُستحسنُ لبسُ الثيابِ الشَّنِعةِ الألوانِ، المصبوغةِ بالطِّيبِ والزَّعفرانِ، مثلِ المُلحمِ الأصفرِ، والدَّبيقيِّ المُعنبرِ، لأنَّ ذلك من لُبسِ النِّساءِ، ولُبسِ القَينات والإماء. وقد يَلبَسون، في الفَصدِ والعِلاجاتِ، ووقتِ الشَّرابِ والخلواتِ، الغَلائلَ المُسكَةَ، والقُمُصَ المُعنبرَةَ، والأرديةَ المُلوَّنةَ، والأُزُرَ المُعصفرَةَ؛ وربَّما استعملوهـا لفَرشِهم، ولَبسوها في وقتِ قَصفِهم، وتظرُّفوا بها في مَجالِسهم. والظُّهورُ فيها قبيحٌ بالسُّوقةِ والظُّرفاءِ، مُستحسنٌ من أهلِ النِّعمِ وابناءِ الخُلفاءِ. وليسَ يُجيزُ أهلُ الظَّرفِ والأدبِ لُبسَ شيءٍ من الثِّيابِ الدَّنِسةِ معَ غَسيلٍ، ولا غَسيلًا معَ جديدٍ، ولا الكتَّانَ معَ المَرويِّ[٤]، ولا البابيافَ[٥] معَ القُوهيِّ ايضاً؛ وأحسنَ الزِّيِّ ما تَشاكلَ وانطبقَ، وتَقاربَ واتَّفقَ.

بابُ زِيِّهم في التَّعطُّرِ بالطِّيبِ

الذي من خالفه كان غيرَ مُصيب

ومِن زِيِّهم في التَّعطُّرِ، والتَّطيُّبِ بالمِسكِ المَسحولِ[٦] بماءِ الوردِ، المَحلولِ، واستعمالِ العُودِ المُعنبرِ بماءِ القَرنُفلِ المُختَّرِ، والنَّدِّ السُّلطانيِّ[٧]، والعَنبرِ البَحرانيِّ[٨] والعَبيرِ، والذَّرائرِ[٩] المفتوقةِ بالعَبائرِ[١٠]. وسوى ذلك من الطِّيبِ لا يقرَبونه، والكافورُ لعِلَّةِ بَرده لا يستعملونه، إلَّا من حَرارةٍ ظاهرةٍ، أو من عِلَّةٍ غالبةٍ،

١ * السوسية : نسبة الى سوس، وهي كورة في الأهواز.

٢ و ٣ * التومسية والسلولية : لعلهما منسوبتان الى موضعين: تومس وسلول.

٤ * المروي : منسوب الى مرو، بلد في خراسان.

٥ * البابياف : نوع من النسيج.

٦ * المسحول : المسحوق، وقوله : بماء الورد المحلول، اراد به المحلول بماء الورد، وقد اضطرته السجعة الى التقديم والتأخير.

٧ * الند : عود يتبخر به، ولعنه اياه بالسلطاني، هو من باب نعت نوع من الورد بالسلطاني ايضاً، وربما كان ذلك من باب المدح له.

٨ * البحراني : نسبة الى البحرين.

٩ * الذرائر : ج الذريرة، نوع من الطيوب.

١٠ * العبائر : ج العبيرة، مؤنث العبير والعبير اخلاط من الطيب ممزوجة بالزعفران ◎ والمفتوقة : المستخرجة رائحتها.

أو مَوضوعاً على الجَمر، مخلوطاً بعبير المسك وزَعفران الشَّعر[١]؛ وهو بهذه الصِفة أطيبُ البخُور، وليسَ البَرمَكيَّة[٢] وما أشبهها عليهم بمَحظُورٍ؛ وإن الجيّدَ من البرمكيَّة، من البخور، الزكيّةُ؛ وانما يَكرَه استعمالها المُتظرّفون، إذ هي مما يستعمِلُه المُتقلّلون.

وكذلكَ اجتنبوا ماء الخَلوق[٣] لأنه من طيب النساء، والغالية إذ هي من طيبِ الصّبيان والإماء؛ ولا يستعملون شيئاً من الطّيب الذَّفِر[٤]؛ مما يبدو له لَونٌ ويبقى له أثرٌ؛ وفي ذلك حديثٌ مأثورٌ عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، أنه قالَ: طيبُ الرّجالِ ما ظَهرَ رائحتُه. ومتى استعملوا شيئاً من الغالية، أو طيبِ النِّساء، كانَ في أصولِ الشعرِ بحيثُ يُشَمُّ ولا يُرى له أثرٌ.

بابُ زيِّ الظِراف

في الكِسَك والنِّعال والخِفاف

ومن زيّهم لُبسُ النِّعالِ الزّيجيّة[٥]، والشِّخانِ الكَنباتيّة[٦]، والمُشعَّرة[٧] اليمانيّة، والحَذوِ[٨] اللّطاف، والمخَتّمةِ الخِفاف[٩]؛ ويُشركُ أسودُها بأحمرَ، وأصفرُها بأسودَ؛ ويَلبَسونَ الخِفافَ الهاشميّة[١٠]، والمكسورةَ الكُتّابيّة[١١]؛ ومن الأدمِ الثّخينِ، والأسودِ الرّزينِ، بالجَوارب الخَزّ، والمرعزّى والقَزّ[١٢]. ويعيبون

١. الشعر: الزعفران، والزعفران الشعري نبات له خيوط مشتبكة بلون الزعفران يتداوى به.

٢. البرمكية: لعله نوع من الطيب منسوب الى بني برمك وقوله بعدئذ: من البرمكية، من البخور، يحمل على الظن ان هذا الطيب كان يصنع من البخور.

٣. الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن اعظم اجزائه من الزعفران.

٤. الذَّفر: الشديد الرائحة

٥ و٦. الزيجية والكنباتية، يجب ان تكونا منسوبتين الى موضعين او انهما نوعان من الجلد.

٧. المشعَّرة: الخفاف المبطنة بالشعر.

٨. الحذو: مصدر حذاه نعلاً البسه اياها، ولم ترد جمعاً لحذاء.

٩. الخفاف، بكسر الخاء جمع خفيف، وخُفّ.

١٠. الهاشمية: نسبة الى آل هاشم.

١١. الكتّابية: نسبة الى الكُتّاب، وربما كان ضرب من الاحذية كان يلبسه صبيان الكتّاتيب، او لعلها من الكُتبة، وهي الخرز، فيكون المعنى المخرّزة.

١٢. المرعزى: الزغب الذي تحت شعر العنزة؛ وجوارب المرعزى اي المنسوجة به ◉ القز الحرير.

لُبسَ الأحمرِ من الخِفافِ[١]، ولبسَ الدَّارشيّةِ[٢] الخِفافِ، ويتّخذونَ من التِّككِ الإبريسميةِ، والتِّككِ الخَزّيةِ، والمطارفِ[٣] القُطنيّةِ، والمنقوشةِ الأرمنيّةِ.

بابُ زِيِّهم المخصوص

في الخواتيم والفصوص

التَّختُّمُ بالعَقيقِ الأحمرِ، والفيروزَجِ[٤] الأخضرِ، والفِضّةِ المحرَّقةِ، والياقوتِ الأسمانجُونيِّ[٥]؛ والبَجاذيِّ[٦] الخُراسانيِّ، والنَّغرانيّةِ[٧] الحُمرِ، والياقوتيّةِ الصُّفرِ، واليمانيةِ السُّودِ، الحسَنةِ القُدود، على الخواتيمِ المِهرانيّةِ[٨] والمَضروبةِ المتوكّليّةِ[٩]؛ ولا يَتختَّمون بالذَّهب، وليسَ من زيِّ ذوي الأدبِ؛ وانّما وهو من لُبسِ النِّساءِ، ولبسِ الصِّبيانِ والإماءِ.

بابٌ في متظرّفاتِ النساء

في اللّباسِ المخالفِ لزيِّ الظرفاء

لُبسُ الغلائلِ الدُّخانيّةِ، والأرديةِ الرَّشيديّةِ[١٠]، والثُّروبِ[١١] المزنّرةِ، والأرديةِ الطَّبريّةِ[١٢]، والقصَبِ الملوّنِ، والحريرِ المعيَّنِ، والمَقانعِ[١٣] النَّيسابوريّةِ، وأزُرِ المُلحَمِ الخُراسانية، والجُربّاناتِ[١٤] المخانِقيّةِ[١٥]، والكِمامِ المفتوحةِ،

١. الخفاف : ج الخُف : ما يلبس في الرجل، وشرعاً ما يستر الكعب وامكن به السفر او المشيُ فرسخاً فما فوق.

٢. الدارشية : نسبة الى الدارش وهو جلد أسود.

٣. المطارف : ج المُطرَف : رداء من خزّ مربع ذو اعلام.

٤. والفيروزج : حجر كريم والمشهور الفيروز بلا جيم.

٥. الاسمانجوني : ما كان في لون السماء، وهو فارسي مركب من أسمان اي سماء، وكون اي لون.

٦. البجاذي : نوع من الحجارة الكريمة.

٧ و٨. النغرانية : والمهرانية: لعلّهما منسوبتان الى موضعين.

٩. المضروبة : المتوكلية: لعلها خواتم مصنوعة من الحملة التي ضربت باسم المتوكل العباسي.

١٠. الرشيدية : اما نسبة الى هرون الرشيد او إلى رشيد من اعمال مصر.

١١. الثروب : هي، لا بد، نوع من الثياب مصبّغ.

١٢. الطبرية : نسبة الى طبرستان.

١٣. المقانع : ج المقنعة وهي ما تقنّع به المرأة راسها أي تستره.

١٤. الجربانات : ج الجربان، شيء يوضع فيه السيف وعمدة وحمائله.

١٥. المخانقية : نسبة الى المخانق : ج المخنق، القلادة.

والسَّراويلاتِ البيض المذَيَّلة ، والمَعاجِرِ[١] السودِ المُسنبَلة[٢] . ولا يُلبسُ شيءٌ من التِّكَكِ ، ولا شيءٌ من المرشوشِ[٣] والمطيَّبِ ، ولا النَّقيَّةُ الألوانِ ، ولا من الثِّيابِ البياضِ الكَتَّانِ ، إلَّا ما كانَ ملوَّناً في نفسه ، أو مصبوغاً من جِنسه ، أو مغيَّرًا بلونٍ من اجناس المسكِ والمُصَندَلِ[٤] ، وأجناسِ المُعنبَرِ والمسَنبَلِ[٥] ، ليَحولَ بالطِّيبِ عن تلكَ الحالِ ؛ إذ لُبسُ البياضِ عندهم من زيِّ الرِّجالِ . ولا يُلبسُ ايضاً ، من الثِّيابِ ، الأصفرُ والأسودُ والاخضَرُ والمورَّدُ والأحمرُ ، إلَّا ما كانَ من جنسِه الصُّفرةُ والتَّزريقُ ، والخُضرةُ والتَّوريدُ والحمرةُ ، مثلَ اللَّاذِ[٦] والحريرِ والقَزِّ والدِّيباجِ والوَشْيِ والخَزِّ ، لأنَّ لبسَ المورَّدِ والاحمرِ ، والسَّنيريِّ[٧] الأخضرِ ، إنَّما هو لبسُ النِّساءِ النَّبطيَّاتِ[٨] ، ولبسُ النِّساءِ المتقيِّناتِ[٩] . والبياضُ عندهم من لبسِ المهجوراتِ ؛ والأزرقُ والحدادُ من لبسِ الأراملِ والمقرَّعاتِ[١٠] واحسنُ الزيِّ عِندَهم ما ذكرناه ، وليسَ يتجاوزُ حدَّ ما رسَمناه .

بابُ زيِّهنَّ المخالف لزيِّ الرجال

في لبسِ التِّكَكِ والخِفافِ والنِّعالِ

لُبسُ النِّعالِ الكَنباتيَّةِ المشعَّرةِ ، والمدهونةِ المخصَّرةِ ، والخِفافِ الزَّنانيَّةِ[١١] ، والمكسورةِ ، والرَّهاويةِ[١٢] ، والتِّكَكِ الإبريسَميَّةِ ؛ والرِّجالُ يَشرَكونهنَّ في

١ * المعاجر : ج المِعجر : ثوب تعتجر به المرأة اي تشدّه على رأسها.

٢ * المسنبلة : اي لها سنابل : ج سنبلة وهي في اصطلاح العقّادين بندٌ له ثمانية حروف كبند السيف ونحوه.

٣ * المرشوش : اما انه يريد به المرشوش بالألوان ، او المرشوش بالطيب ، وربما كان الاول المراد ، لان لفظة المطيّب تغني عن المعنى الثاني.

٤ * المصندل : المطيّب بالصندل ، طيب يستخرج من الصندل وهو شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز يحمل ثمراً في عناقيد ، له حب اخضر.

٥ * المسنبل : المطيب بما يستخرج من السنبل وهو نبات طيب الرائحة .

٦ * اللاذ : ج اللاذة ، ثوب حرير احمر صيني.

٧ * السنيري : ربما كان منسوباً الى سنير وهو جبل بين بعلبك وحمص

٨ * النبطيات : نسبة الى النبط ، جيل من العجم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين.

٩ * المتقيّنات : المتزينات ، المتشبهات بالقيان .

١٠ * المقرّعات : المعالجات من داء القرّعة.

١١ * الزنانية : ربما كانت منسوبة الى الزنان اي القصير.

١٢ * الرهاوية : نسبة الى الرها.

الشكك الإبريسمية ، ولا يشركن الرجال في الشكك الديباج ، وشرابات الإبريسم المفتولة ، والزنانير العراض ؛ ولا يذهبن في ألوانها إلى البياض ، ولا ما كان منها كثير الألوان والتخطيط ، ويتطيرن من الألوان . وقد يلبسن أيضاً الشكك الخزية ، المطرفة[١] القطنية . ومن زيهن استعمال اللخالخ[٢] والصندل ، والصياح[٣] ، والقرنفل ، والساهرية[٤] ، والأدقال[٥] ، والمعجونات ، والزعفران ، والخلوق ، وماء الخلوق ، والكافور ، وماء الكافور ، والمثلثة الخزائنية[٦] ، والبزمكية السلطانية ، وسائر صنوف الأدهان من البنفسج ، والزنبق ، والبان ؛ إلا أنهن اجتنبن استعمال الترشتام[٧] . والرجال لا يستعملون شيئاً من ذلك . والنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء ، والظرفاء لا يستعملون شيئاً من طيب النساء . ومن زيهن المعلوم ، في لبس الحلي المنظوم ، لبس مخانق القرنفل المخمر ، ومراسل[٨] الكافور والعنبر ، والقلائد المفصلة ، والمعاذات[٩] المخرمة بشرابات الذهب المشبكة ، والإبريسمية المسلسلة ؛ واتخاذ السبج[١٠] اللطاف من المخروطة الخفاف ؛ ومثل السبج الحلك ، والكهرمان[١١] ، والكرك[١٢] ، والبلور النقي ، وحب اللؤلؤ السري[١٣] ، والحب الأحمر ، والكاربا الأصفر ، وسائر صنوف الياقوت والجوهر ؛ وينظمن بالحب وصنوف الجوهر كرازنهن[١٤] ، وينقشن بالإبريسم والذهب

١ * المطرفة : من اطراف الثوب جعل في طرفيه علمين ، والعلم رسم الثوب ورقمه اي خطوطه.

٢ * اللخالخ : ج اللخلخة ، ضرب من الطيوب.

٣ * الصياح : عطر ، او غسل.

٤ * الساهرية : عطر قيل له ذلك لانه يسهر في عمله وتجويده.

٥ * الادقال : ج الدقل : الخضاب.

٦ * المثلثة الخزائنية: عطر من ثلاث مواد مخلوطة معاً.

٧ * الترشتام : ضرب من الادهان.

٨ * المراسل : ج المرسلة ، قلادة طويلة تقع على الصدر فيها الخرز وغيره.

٩ * المعاذات : ج معاذة الرقية والعوذة.

١٠ * السبج : الخرز الاسود.

١١ * الحلك : الشديد السواد ® الكوهر لفظة فارسية ، قيل ان معربها جوهر.

١٢ * الكرك : الاحمر ؛ والحلك والكوهر والكرك انواع من الخرز .

١٣ * السري : الجيد من كل شيء.

١٤ * الكرازن : ج الكرزن ، تاج مرصع بالذهب والجوهر.

عصائبهنّ ، ويتّخذن الخواتيمَ المُقرَنة[١] ، والمناقيرَ المُطبَقة[٢] ، بفصوص الياقوتِ الأحمرِ ، والزُمُرُّدِ الأخضرِ ، والأسمانجونيِّ والأصفرِ ؛ ولا يَحْسُنُ بهنّ التختُّمُ بالميناء ، والعقيقِ ، والفضةِ ، والحديدِ ، والملوَّحِ[٣] ، والفيروزجِ ، والبَجاذيّ ، والمسانيحِ[٤] ؛ وذلك من لبسِ الرجالِ والإماء ، وليسَ من لبسِ متظرّفاتِ النساء . ولا يتّخذن منها ما ضاقَ وعسُرَ ، ولا ما جفا وكبُرَ . وقد تطيَّرَ بعضُ الظرفاء من هديّةِ الخاتَمِ ، وزعموا أنه يدعو إلى القَطيعةِ ؛ وتهاداه آخرون ، وأقاموه مَقامَ التذكِرة والوديعةِ ؛ فأمّا الذين تطيّروا منه ، فيُنشِدون :

وماكانَ هذا الهجرُ من طولِ بِغضةٍ ؛ ولكنَّ بعضَ المزحِ للمرءِ قاتلُ ؛
مزَحتُ ، لحَيني ، مرّةً ، بخواتمٍ ، لآخذةٍ ؛ حلّت عليَّ النوازلُ![٥]
فصدَدتَ ، ولم تعلَم عليَّ خِيانةً ؛ وطولُ صُدودِ الخِلِّ للعقلِ سامِلُ![٦]

باب ذِكرِ زيِّ الظرفاء في الطعامِ

الذي بانوا به عن مَنازلِ اللئام

اعلَم : أنّ أوّلَ ما استعملوه تصغيرُ اللُقَمِ ، والتجالُل[٧] ، عن الشرَهِ والنَهمِ ؛ وأكلُ أوساطِ الرقاقِ ، والبَزماوردِ[٨] الدقاقِ ؛ وليسَ يأكلونَ العصَبةَ والعَضَلةَ ، ولا العِرقَ والكُلوةَ ، ولا الكَرِشَ والقَبّة[٩] ، ولا الطِحالَ والرِئةَ ؛ ولا يأكلونَ القَديدَ ؛ ولا يأكلونَ الثَريدَ[١٠] ؛ ولا ما في القِدرِ من

١ . المقرنة : ماكان لها شبه القرون.
٢ . المناقير : ج المنقار ، وهو من الخف مقدّمه ◉ المطبقة : المغطاة.
٣ . الملوّح : ضرب من الحجارة الكريمة.
٤ . المسانيح : ج مسناح ، وهو من السنيح اي الدرّ
٥ . ربّما جملة حلّت ... دعائية .
٦ . قوله سامل : قد يكون من سمل العين فقأها ، استعاره للافساد.
٧ . التجالل : هكذا وردت بفك الادغام ، لتخفيف اللفظ وهي مصدر تجلّل عن الشيء ، ترفع عنه.
٨ . البزماورد : طعام من اللحم والبيض.
٩ . القبّة : من الشاة هنة ذات اطباق متصلة بالكرش ، يسميها اللحامون « ام سبع طوابق ».
١٠ . الثريد : الخبز المفتّ بمرق اللحم.

من الورقِ ، ولا يتحسَّون المَرَقَ ؛ ولا يتبعون مَواضعَ الدَّسَمِ ؛ ولا يملأون أيديَهم بالزَّهَمِ[١] ؛ ولا يُجلّلون الملح ؛ وهو عندَهم من اكبرِ القُبحِ ؛ ولا يكوكيون[٢] في الخَلِّ ، ولا يُمعنون في أكلِ البَقل ؛ ولا يأكلون الطَّلعَ[٣] لشبهِ رائحتِه برائحةِ الماء الدَّافق ؛ ولا يُمشّشونَ[٤] من العِظامِ كراديسَ[٥] قصَبِ الساقِ الغليظِ ، وإنَّما مُشاشُهم[٦] ما لانَ وصَغُرَ ، لا ما غَلُظَ وكَبُرَ ؛ ويأخُذون ما نَقَلَ من المُشاشِ على ظهورِ الأصابعِ ، ويَطرحونه ناحيةً من الخِوانِ ؛ ولا يُزهِمون ما بينَ ايديهم من الرُّغفانِ ؛ ولا يتعدَّونَ مَواضِعَهم ، ولا يَلطعون[٧] أصابعَهم ؛ ولا يملأون باللُّقَمِ أفواهَهم ، ولا يُدسِمونَ بكُبرِها شِفاهَهم ؛ ولا يُقطِّرون على أكفِّهم ، ولا يُعجلون في مَضغِهم ؛ ولا يأكلون بجانِبَي الشِّدقينِ ، ولا يُزاوِجون بينَ الاثنين ، ولا يُجاوِزون ما بينَ ايديهم شيئاً من الفُتاتِ ؛ ولا يأكلون قدراً بائتةً ، ولا قِدراً مُسخَّنةً ؛ ولا يَغمِسون في مَرقة ، ولا يَضعون لُقمَةً[٨] ؛ ولا يأكلون شيئاً من الكُوريجِ والصَّحناة ، ولا الرُّبيثاءِ[٩] والسميكات ولا شيئاً من الكَوامِخِ[١٠] والمالحِ ، وكلُّ ذلك عندَهم منَ النَّضائح . إلَّا أنَّ القَينات المُتظرِّفات ، والنِّساء القَصريّاتِ[١١] ، ربَّما تَظرَّفن بأكلِ المالحِ والمملوحِ في بيوت متعشِّقيهنَّ ، وبيوت مُرابطيهنَّ[١٢] ، فيذهبن مذهب طرح المَؤونات ،

١ . الزهم : رائحة لحم سمين منتن . وزهمت يده دسمت من الودك والودك الدسم وهو ما يتحلب من الدهن والشحم .

٢ . كوكب : في الخل : تعبير عن التعابير المولدة ، والمراد بها اما انه غمس خبزه في الخل ، او قطعه قطعاً كالكواكب ج الكوكب ، اي النقطة البيضاء تحدث في العين ، وبله بالخل .

٣ . الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل اول طلوعها .

٤ . مشش العظم : مصّه واستخرج مخه .

٥ . كراديس : ج الكردوسة ، كل عظمين التقيا في مفصل .

٦ . المشاش : ج المشاشة ، راس العظم اللين الممكن المضغ .

٧ . يلطعون : يلحسون .

٨ . قوله : ولا يضعون لقمة ، ربما اراد انهم لا يضعون لقمة في المرقة ، او انهم لا يضعون لقمة فوق لقمة .

٩ . الكوريج : ضرب من السمك ◎ الصحناة : ادام من السمك المملوح ◎ الربيثا : ضرب من السمك .

١٠ . الكوامخ : ج كامخ ادام يؤتدم به يقال له المري ، وقيل هو خبز بخل او لحم بخل .

١١ . القصريات : ج القصرية ، وربما اراد بهن ساكنات القصور ، او المقصورات ، اي المحبوسات في البيوت لا يتركن ان يخرجن .

١٢ . المرابط : الملازم للشيء .

وخِفّةِ النَّفقاتِ . ولا يأكلون الجرادَ والإربيانَ[١] لِعلّةِ شبَهِها بالأشياء القبيحةِ من الحيوانِ ؛ ولا يأكلون الحبوبَ التي تهيجُ الأرياح ، وتولّدُ القَرقرةَ والانتفاخَ ؛ ولا يأكلون في النّهارِ أكثرَ من أكلةٍ ، ويكثرون القيامَ في مجالسِهم ؛ ولا يُكثِرون من الضّحكِ والكلامِ ، عندَ حضورِ مائدةِ الطّعامِ ؛ ولا يَتخلّلون[٢] على المائدةِ قبلَ أن تَفرُغَ ؛ ولا يَتحفّزون لمجيئِها قبلَ أن توضَعَ ؛ واذا غسَلوا أيديَهم لم يَطلُبوا الغَسلَ قبلَ طلَبِ إيتائِها[٣] من الوَسخِ والكدرِ ، ولم يَقصِدوا التّقصيرَ الذي يبقى منهُ رائحةُ الغَمرِ[٤] ؛ وكذلك ايضاً إذا تَمَندلوا[٥] ، فعلوا كفِعلِهم إذا غسلوا . فأمّا النّقلُ[٦] فإنّهم يُحضِرونه موائدَهم ، ويُطعِمونه ولائدَهم ؛ ولا يُكثِرون من أكلِه ، ولا يأتون على كُلِّه ؛ وانّما يَعبثون[٧] منه بالشيءِ اليسيرِ من النّعَمِ ، ويَجتنِبون من ذلك الهِندِبا والأكشوتَ[٨] لبَردِهما ، والفُجلَ والحُرفَ[٩] لنَتنِها ، والكُرّاثَ والبَصلَ لرائحتِها ، والقدّاحَ[١٠] والخندَقوقا لخشنِها ، ولأنّها يُخضِرانِ الأسنانَ والعُمورَ[١١] ، ويُحدِثانِ الرائحةَ والتّغييرَ ؛ ولن يقعَ الثّومُ في قِدرٍ فيَذوقونه ، ولا البَصلُ فيَقرَبونه ؛ ولا يلفَظون باسمِ الطّرخونِ لابتداءِ اسمِه[١٢] ، وشَناعةِ لفظِه ، فيَكنُون عنه ، فيُضيفونه إلى النّعَمِ ؛ وقد سمّاه بعضُهم بَقلةَ الجياعِ ؛ وسمّاه آخرون كافورَ الفُؤادِ ؛ وكلٌّ يقصِدُ إلى معناه . والخَسُّ لا يَقرَبونه لموضعِ تَفتيتِه ؛ والخيارُ لا يأكلونه لعِلّةِ بردِه ؛ والجزرُ يَتجالَلون عن مسّه ، ولا يَرون النّظرَ اليه دون اكلِه ؛ وكذلك

١ * الاربيان : هوما يسمّى الفريدس.

٢ * يتخلّلون : يزيلون الخلالة من بين اسنانهم ، والخلالة بقية الطعام بين الاسنان.

٣ * ايتائها : اراد تنقيتها.

٤ * الغمر : زنخ اللحم.

٥ * تمندلوا : تمسّحوا بالمنديل.

٦ * النقل : وتضمّ النون : ما يُتنقّل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

٧ * يعبثون : يخلطون.

٨ * الاكشوت : والكشوت : شيء يلتف على الشوك والشجر ، لا عرق له في الارض ولا ورق ، وله زهر صفار بيض ، فيه مرارة وعفوصة.

٩ * الحُرف : حب الرشاد.

١٠ * القدّاح : اطراف الثبت الغض ، وفروخ من الفصفصة.

١١ * العمور : ج النمر ، لحم ما بين الاسنان.

١٢ * قوله : لابتداء اسمه ، ربما اراد به لابتداء اسمه بالطر وهو القطع والشق ، ومنه الطرار الذي يشق الثياب ويسلب ما فيها .

القثاء[1] والهليون ؛ ولموضع النوى ايضاً رغبوا عن أكل الزيتون ، ورغبوا عن أكل ما خالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء ، مثل القسب والبسر ، والمشقق[2] ايضاً ، والتمر ؛ وكذلك سائر الأرطاب[3] والمشمش والنبق[4] والعناب ؛ وكذلك الخوخ والشاهلوج[5] والإجاص ، وهو عندهم من أكل العوام . ولا ينفق عندهم الرمان والتين ، وهذان عندهم والبطيخ من التهجين[6] ؛ خاصة ، إذا اذشقت الرمانة وتصدعت البطيخة ؛ وإذا انكسرت جوزة ولوزة ، وتينة وموزة . ولا يدفع بعضهم إلى بعض وردة واحدة ، ولا نبقة واحدة ، ولا لوزة واحدة للتسفيل ، ولما يقع من التمثيل ؛ ولا تقول متظرفة لأخرى هذه وردتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ، ورمانتك وتينتك ، وذلك عندهم اجل العيوب ، تشمئز منه القلوب ؛ ويجتنبون له كل الاجتناب ، ويكتئبون له أمر الاكتئاب . وكذلك لا تقول واحدة لأخرى ارفعي رجلك ولا ذيلك ، ولا اقعدي عليه ، ولا أدخليه وأخرجيه ، ولا أصعديه وصبيه ، ولا انفخيه ، ولا سبني ، ولا سرحي ، ولا شيلي ولا انتحي ، ولا اعملي ، ولا قد عملت ؛ ويجتنبون ذلك وما أشبهه مما كثر استعماله في خطاب العوام ، ولا يكادون يلفظون به ، ولا يطيف بألسنتهم ، ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم ، ويحذرونه ويتوقون منه ، ويعيبون المتكلم به ويعرضون عنه .

باب ذكر زيهم في الشراب

اما ما عليه الظرفاء ، وأهل المروءة ، والأدباء ، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده ولا يشربون إلا أجوده ، مثل المشمش ، والزبيبي ، والمعسل

١ . القثاء : هو ما نسميه القثي.

٢ . القسب : تمر يابس يتفتت في الفم ◎ البسر : التمر قبل ارطابه ◎ المشقق : التمر الذي نضج حتى تفلق.

٣ . الأرطاب : جمع الرطب ، نضيج البسر.

٤ . النبق : حمل شجر السدر : ج السدرة.

٥ . الشاهلوج : نوع من الاثمار.

٦ . التهجين : العيب.

والمطبوخ ، والطِّلاء ، والمعدَّل[١] ؛ ولا يقربون من لاعمه لخَثْرِه[٢] ، ولا ما خالطه الكدَرُ ؛ ولا يشربونَ إلَّا ما صفا من الشَّرابِ ، ويتجالَّون عن المسحوريّ الدُّوشابِ[٣] ، إذ هو من شراب العامَّةِ والرُّعاعِ ، وشُربِ السُّوقةِ والأتباعِ ؛ ولا يتنقَّلونَ على شَرابهم بالأشياء الرَّذْلةِ مثلَ الباقِلَّى[٤] والبَلُّوطِ ، والبُسرِ المَقْلُوِّ ، والقُرَيشاء[٥] ، والحِنطةِ والغُبيراء[٦] ، والشاهبَلُّوطِ[٧] والخُرنوبِ الشاميّ ، وما أشبهَ ذلك من الأنقالِ . واكثرُ ما يَتنقلُ به المتظرِّفونَ ويَعبثُ به المتزيكون[٨] ، مملوحُ البُندُقِ ، ومُقشَّرُ الفُستُقِ ، والملحُ النِّفطيّ والعودُ الهنديّ ، والطِّينُ الخُراسانيّ ، والملحُ الصَّنعانيّ ، والسَّفَرجَلُ البَلخيّ ، والتُّفَّاحُ الشاميّ ، ويتَّخذون من كلِّ شيء من الآنيةِ أسراه[٩] ، ومن الزُّجاجِ أجودَه وأنقاه ؛ وأمَّا ما اجتنبوه من الهدايا ، وتخوَّفوا من هَديَّتِه البلايا ، فأشياء يكثرُ بها العَدَدُ ؛ وأنا اذكرُ من يسيرِها ما يُستدَلُّ به على كثيرِها .

باب ذِكرِ الاشياء التي يَتطيَّرُ الظُّرفاء من اهدائها

وتَرغبون عنها لشناعةِ اسمائها

من ذلك الأترُجُّ[١٠] ، والسَّفَرجَلُ ، والشَّقائقُ ، والسُّوسن[١١] ، والنَّمام[١٢] ، وأطباقُ الخِلافِ[١٣] ، والقَرْبُ[١٤] ، والبانُ[١٥] . فأمَّا الأُترجُّ فان باطنَه خلافَ

١ * المعدّل : الممزوج مزجاً معتدلاً ، مسوّى.

٢ * الخَثْر : غثيان النفس واختلاطها.

٣ * المسحوري الدّوشاب: نوع من الخمر.

٤ * الباقلّى : الفول.

٥ * القريشاء : اطيب جنس من التمر.

٦ * الغبيراء : نوع من الشجر ؛ وشراب من الذرة يسمى السكركه وفي الحديث: اياكم والغبيراء فانها خمر العالم.

٧ * الشاهبلوط : الكستناء.

٨ * المتزيكون : من زاك تبختر وحرّك يديه في مشيه.

٩ * اسراه : اجوده.

١٠ * الاترج : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ، حامض ناعم الورق والحطب ولعله ما يسمّى بالكبّاد.

١١ * السوسن : الزنبق.

١٢ * النمّام : لبث كالنعنع ولكنه اشد بياضاً منه ، عطريّ قوي الرائحة.

١٣ * الخلاف : صنف من الصفصاف ، واطباقه اثماره ، واحدها طبق ، مولّدة.

١٤ * القرب : صنف من الشجر.

١٥ * البان : شجر سبط القوام لين ، وورقه يشبه ورق الصفصاف وهو وورقه شديد الخضرة ، له زهر ناعم كالاذناب منفرشة يخلف قروناً كقرون اللوبيا ، داخلها حب اكبر من الحمص ، لحب ثمره دهن طيب يعرف بدهن البان . واحدته بانة .

ظاهره ، وهو حسَنُ الظَّاهرِ ، حامضُ الباطِنِ ، طيّبُ الرائحةِ ، مختلفُ الطَّعمِ ؛ ولذلك يقولُ فيهِ الشَّاعرُ :

أهدى له أحبابُه أُترُجّةً ، فبكى وأشفقَ من عِيافةِ زاجرِ ؟[1]
خافَ التَّلوُّنَ ، إذ أتته ، لأنّها لونانِ ، باطِنها خِلافُ الظاهرِ ؛
فَرِقَ المُتيَّمُ من حُموضةِ أُمِّها ؛ واللَّونُ زيَّنَهـا لعَينِ الناظِرِ .[2]

وأمَّا السَّفَرجَلُ فلأنَّ فيه اسمَ السَّفرِ ، وقد قالَ فيه الشَّاعرُ :

مُتحفِي بالسَّفَرجلِ ؛ لا أريدُ السَّفرجلا !
اسمُه ، لو عرفتَه ، سَفرٌ جلَّ ، فاعترِ .

وأمَّا الشَّقائقُ فلشَطرِ اسمِه ، ولقولِ الشَّاعرِ فيه :

لا تَراني طَوالَ دهري أهوى الشَّقائقـا ،
إن يكن يُشبهُ الخدودَ ، فنِصفُ اسمِه شَقا .

امَّا السُّوسَنُ فلانَّ اسمَه السُّوء ؛ وقالَ فيه الشَّاعرُ :

سُوسنةٌ اعطيتنيها ، وما كنتِ باعطائِكها مُحسِنه ؛
شطرُ اسمِها سُوء ؛ فإن جئت بالآخرِ منها ، فهو سُوء سنه .

واما الياسَمينُ فلمَبدإ اسمِه تُطيَّرَ منه ، ولقولِ الشَّاعرِ :

إني لأذكرُ بالرَّيحـانِ رائحةً منها ، فللقلبِ بالرَّيحـانِ إيناسُ ؛[3]
وأمنعُ الياسَمينَ البُغضَ من حذري لليأس ، إذ كانَ ، في بعض اسمِه ، ياسُ .

وأمّا النَّمّامُ فلشَناعةِ اسمِه ، ولقولِ الشاعرِ فيه :

حيّيتُها بتحيّةٍ ، في مجلسٍ ، بقضيبِ نَمّامٍ من الرَّيحـانِ ؛
فتطيَّرت منه ، وقالت : أقصِهِ ! لا تَقربَنَّ مُضيِّعَ الكِتمانِ!

١ ، اشفق : خاف.
٢ ، فرق : خاف.
٣ ، الضمير في منها يعود الى المرأة التي يقول فيها.

وأمّا الآسُ فقد تُطُيِّرَ منه ، وزعموا أنه إياسٌ ؛ وتفاءلَ به آخرون ، وزعموا أنه مؤاساةٌ ، وأساسٌ ، قالَ الشاعرُ :

ما أحسنَ الآسَ في عيني ، وأطيبَه ، لولا اتّصالُ حروفِ الآسِ بالياسِ !
ما ضرَّ من كانَ أهدى الآسَ من يدِهِ لو قالَ : ريحانةٌ ، يُعنى بها الآسي ؟ [1]
لولا الذي اتّقي من طِيرَتي بهما ، ما فارقا ابدًا تاجا على راسي . [2]

وكذلك تطيَّروا من الخِلافِ لموضعِ الخُلفَ ، والغربِ للاغترابِ ، والبانِ للتَّباينِ .

وتفاءلوا بالنَّبقِ ؛ قالَ الشاعرُ :

أيا أحسنَنا خُلقا ، ومن فاتَ الورى سَبقا ،
تَفاءلتَ بأن تَبقى ، فأهديتَ لنا نَبقا ؛
فأبقاكَ إلهُ النّاسِ ما سرَّكَ أن تَبقى ،
وأشقى اللهُ شانيكَ ، وحاشا لكَ أن تشقى . [3]

ووصفوا الخوخَ ، وهو ، عند طائفةٍ من أهلِ الهوى ، أجلُّ من التُّفاحِ ، لولا ما يُخالطُه من النَّوى الّذي يَشمئزُّ منه الظّرفاء ، ويَشناه الأدباء ، وأنّه مفقودٌ ، والتُّفّاحُ موجودٌ . وأمّا الوردُ فقد تفاءلَ به كثيرٌ من الظّرفاء ، وذكرَه كثيرٌ من الشّعراء والأدباء .

وقد تطيَّرَ منه آخرون ، وسمّوه الغدّارَ ، وغضّوا دونَه الأبصارَ ، لقلّةِ لُبثِه ، ويسيرِ مُكثِه ، وسرعةِ زوالِه ، وتغيُّرِه وانتقالِه .

١ ـ يعني بها : يهتمّ ويشتغل ◉ الاسي الحزين.
٢ ـ الضمير في بهما يعود الى الآس ، والريحان ◉ والاس هو شجر حبّ الاس (حنبلاس).
٣ ـ الشاني : المبغض.

باب ما جاء في السِّواكِ[1]

وما قيلَ في عودِ الأراكِ[2]

اعلم : أنّ زيَّ الظّرفاءِ ، وأهلِ المروءةِ والأدباءِ ، وارباب الدّيانةِ والتّرفُّلِ ،[3] استعمالُ السِّواكِ والتَّسوُّكُ ؛ فهو أنبلُ النّظافةِ ، وأحسنُ الطّهارةِ ، وأكملُ المروءةِ ؛ ويَرغَبُ فيه أهلُ الظَّرفِ والفُتوَّة ، وله خِصالٌ مُستحسنة ، وهوَ أيضاً من السُّنّة . وقد رُوي في الخبرِ المأثورِ عن النّبيِّ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، أنّه قالَ طَهّروا افواهَكم ، فإنها مَسالكُ التّسبيحِ . وعن ابي بكرٍ الصّدّيقِ ، رضيَ اللهُ عنه ، أنه قالَ : السّوكُ مَطهَرةٌ للفمِ ، مَرضاةٌ للربِّ . . . . وعن عائشةَ : أنَّ السِواكَ « أظرفُ ما استُعمِلَ ، وأنبلُ ما استُحسِنَ ، لأنه يبيّضُ الأسنانَ ، ويُصفّي الاذهانَ ، ويُطيّبُ النّكهةَ ، ويُطفئُ المِرّةَ ، ويُنشّفُ البَلغمَ ، ويشُدُّ اللِّثةَ ، ويقوّي العُمُورَ ، ويجلو البصرَ ، ويُحِدُّ النّظرَ ، ويَفتحُ السُّدَدَ ، ويشهّي الطّعامَ » . وقد استعملوا ، أمرَ المساويكِ ،[4] الأراكَ ، وقصبَ السُّكّرِ ، وأصولَ السّوسِ ، وعودَ المحلَبِ ، وعروقَ الإذخرِ[5] وعُقَدَ العاقرقرحا .[6] وكلّما أغربوا في اتّخاذِ ذلك كانَ أكملَ لظَرفِهم ، وأبلغَ في معاني وصفِهم . وللمَساويكِ أوقاتٌ معلوماتٌ ، ومَواضعُ محدوداتٌ ؛ لا تُستعملُ في غيرِ أوقاتِها ، ولا يُتجاوزُ بها ساعاتِها ؛ فجائزٌ استعمالُها بالغُدَواتِ والعَشيّاتِ ، وأوقاتِ الظّهيراتِ ، وقبلَ الغداةِ ، وبعدَ الصّلاةِ ، وعلى الرّيقِ ، وعندَ النّومِ ، وفي نهارِ الصّومِ . ولا يجوزُ السّواكُ عندَهم في مَواطنَ شتّى ، منها : الخلاءُ ، والحمّامُ ، وقارعةُ الطّريقِ ، ومَحفلُ النّاسِ . ولا يَستاكُ أحدُهم ، وهو قائمٌ ، ولا مُتّكئٌ ، ولا نائمٌ ، ولا حيثُ يَراه أحدٌ ؛ ولا يَستاكُ

١ * السواك : عود تنظّف به الاسنان مما قد يكون عالق بها من بقايا الطعام . والفعل منه : استاك ، وتسوّك .

٢ * الأراك : شجر يؤخذ من عوده المساويك .

٣ * الترفّل : الترفّه .

٤ * قوله : امرَ المساويك ، منصوب بنزع الخافض ، والتقدير من أمر المساويك .

٥ * الاذخر : نبات طيب الرائحة .

٦ * العاقر قرحا : نبات يكثر في افريقية .

ويَتكلَّمُ . والسِّواكُ في الخَلاء والحَمَّامِ من فعلِ السِّفلَةِ ، والعَوامِّ ؛ وهو أيضاً يُرخي اللِّثةَ ، ويُغيِّرُ النَّكهَةَ ؛ وليسَ ذلك عندَهم من فعلِ الأُدباء ، ولا من فعلِ ذَوي المروءةِ والظَّرفاء . وقد اتَّخذَ اهلُ الظَّرفِ ، للمَساويكِ ، طُسوتاً لِطافاً ، وأباريقَ الشَّبَهِ الخِفافَ ، وكراسيَ الآبنوسِ المصدَفةَ[١] ، والخَيزُرانِ المشبَّكةَ[٢] ، والأَحقاقَ المخروطةَ ، والمِسواكَدانات[٤] المدهونةَ ، والسُّنونات[٥] المعمولةَ ؛ ووقَّتوا لها الأوقاتَ المعلومةَ التي جعلوها كالفرائضِ المكتوبةِ ، والسُّننِ المفروضةِ ؛ يَتأهَّبون لِوَقتِه . ولا يستعملون رأسَ المِسواكِ مدَّةً طويلة ، وذلك عندَهم من الأفعالِ الذَّليلة ؛ ويَتَّخذون لها اغلفَ الخَزِّ ، وعَصائبَ القَزِّ ، ليصونوها عن الدَّنَسِ ، ويُوقُوها من الغُبار والنَّجَسِ . وقد تَهادى أهلُ الظَّرفِ المساويكَ ، وأقامُوها مَقامَ الرَّهينةِ ، والتَّذكِرةِ والوديعةِ والقُبلةِ ؛ كما فعلوا باللِّبانِ[٦] الممضوغِ ، والتُّفَّاحِ المعضوضِ ؛ وقالَ العبَّاسُ بنُ الأحنفِ :

طالَ ليلي بجانبِ الميدانِ ، مع جواري المهديِّ والخَيزُرانِ .[٧]
أرسلَت باللِّبان ، قد مضغَته ، بين تُفَّاحتَينِ في رَيحانِ ،
ورِمساكِها الذي اختارَه الله ، لفيها ، من طيِّبِ الأغصانِ ،
فكأنِّي وجَدتُ رِيحاً من الفِردَوسِ فاحَت من ريحِ ذاك اللِّبانِ .

١ ـ المصدَّفة : المنزَّل فيها الصدف ، وهو غشاء الدرّ .

٢ ـ اراد بالخيزران المشبكة ، كراسي الخيزران ذات الشبك .

٣ ـ الاحقاق : ج الحُقّة ، وعاء من خشب مخروط للطيب .

٤ ـ المسواكدان : ج المسواكدان ، وعاء للمساويك .

٥ ـ السُّنونات : ج السُّنون ، ما يُستاك به ، وقيل هو الدواء اليابس المسحوق الذي تدلك به الاسنان لتتمكن أو تنجلي .

٦ ـ اللِّبان : صمغ شجرة ورقها كالآس تكون في جبال اليمن .

٧ ـ قوله : والخيزران ، معناه وجواري الخيزران ، وهي زوجة المهديّ وام الهادي والرشيد .

باب صفةِ ذوي التَظرُّف

ومُباينتهم لذوي التكلُّف

اعلَم: أنَّ من كمالِ أدبِ الأدباء، وحُسنِ تَظرُّف الظُرفاء، صَبرُهم على ما تولَّدَت به المَكارم، واجتنابُهم لحُسيسِ المآثم، وأخذُهم بالشِيَمِ السَنِيَّةِ، والأخلاقِ الرَضِيَّةِ، وأنهم لا يُداخلون أحداً في حديثه، ولا يتطلَّعون على قارئٍ في كتابه، ولا يَقطعون على متكلِّمٍ كلامَه، ولا يَستمعُون على مُسرِّ سِرَّه، ولا يسألونَ عمّا وُرِّيَ[1] عنهم علمُه، ولا يتكلَّمون فيما حُجِبَ عنهم فهمُه؛ يَتسرَّعون إلى الأمور الجليلةِ، ويَتبطَّؤون عندَ الأشياء الرَذيلةِ؛ فهم أمراءُ مجالسِهم، بهم يُفتحُ عِبرُ الأغلاقِ، وبهم يتآلفُ مُتنافِرُ الأخلاقِ؛ تَسمُو اليهمُ الآماقُ، وتَنثني عليهمُ الأعناقُ؛ ولا يطمَعُ في عيبهم العائبُ، ولا يَقدِرُ على مَثالبهم الطالبُ. ألا تَرى أنهم لا يَنتجعون[2] ولا يتبصَّقون، ولا يتثاءبون، ولا يستنثرون[3]، ولا يَتجشَّؤون، ولا يتمطَّون؟ وذلكَ عيبٌ عندَ الظُرفاء، مكروهٌ عند العلماء.. والظُرفاء لا يُوقِعون أكفَّهم[4]، ولا يُشبِّكون أصابعَهم، ولا يَمدُّونَ أرجلَهم، ولا يَحكُّون أجسادهم، ولا يَمسُّون آنافهم، خاصَّةً إذا كانَ أحدُهم بين يدَي خليلِه، أو ربيطِه[5]، أو حبيبِه، أو من يَحتشِمُه ومن يُكرِمُه. ولا يدخُلُ أحدُهم الخَلاءَ من حيثُ يَراه أحدٌ، ولا يَبولُ بينَ يدَي احدٍ. وليسَ من زيِّهم الإقعاء[6] في الجلسةِ، ولا السرعةُ في المِشيةِ، ولا الالتفاتُ في طريقِ سلكوه، ولا يَنفُضون الغُبارَ عن أرجلِهم في المواضع المكنوسةِ، ولا يَستريحون في الاماكن المرشوشةِ، ولا يَجلِسون في مجلسٍ فيَنتقلون منه، ولا يَقعُدون

١. وُرِّي: سُتِر.

٢. ينتجعون: من النجعة فلان فلانًا اتاه طالبًا معروفه.

٣. يستنثرون: من الاستنثار، وهو اخراج ما في الانف من مخاطٍ وغيره.

٤. يوقعون اكفهم: لعلّ المراد ضرب الاكف الواحدة على الاخرى فعل كثير من الناس وهم جالسون.

٥. ربيطه: المرتبط به.

٦. الإقعاء: مصدر اقعى في جلوسه تساند الى ما ورائه، او جلس على مؤخرته ونصب فخذيه.

بحيث يُقامون عنه ؛ ولا يَشربون ماء الأحباب[١] ، ولا الماء في دَكاكين الشرّاب ، ولا ماء المساجد والسَّبيل ، وذلك مُشنًى[٢] عندَ ذوي العقول ؛ ولا يدخلون دُكّانَ هَرّاس[٣] ، ولا دُكّانَ رَوّاس[٤] ؛ ولا يَجتازونَ بدكّانِ مَرّاق[٥] ، ولا يأخذون شيئاً مما يُتّخذُ في الأسواق ؛ ولا يأكلونَ على قارعةِ الطريق ، ولا في مسجدٍ ، ولا في سوق . وقد يَنبغي للظَّريفِ أن يدخلَ الحَمّامَ على خَلوةٍ ، لئلّا يَنظرَ فيه إلى سُوءةٍ ؛ ولا يمُدُّ عينَه إلى أحدٍ ، ولا يُعلّقُ ثوبَه على وتدٍ ؛ ولا يُدلّي رجلَه في البئرِ التي يَنصبُّ اليها الماء ، فإنّ ذلك مما يفعله الأدنياء ؛ ولا يَدلُكُ يديه بخرقةٍ ، فإنّ ذلك مما يَستعمله السُّفَهاء . ولا يَتمرّغُ في حرارةِ أرضِ الحَمّامِ ، فإنّ ذلكَ مما يَفعله سِفلةُ العوامّ ؛ بل يَنبغي أن يَدخلَه متَزرّاً ، ويقعدَ فيه معتزلاً ، ولا يَقعُدُ مستوفزاً[٦] على رجلِه ، فإنّ ذلك طَعنٌ على عقله ؛ ولا يميلُ مُضطجِعاً ، بل يَنتصِبُ متربّعاً ، حتّى إذا نضبَ[٧] العَرقُ من بدنه ، وتحدّرَ على جسدِه ، وكانَ عرقُه بينَ الكثيرِ والقليلِ ، نشّفَه عن بدنِه بمِنديلٍ ؛ ثمّ دعا لرأسِه بالغُسولِ ، والأُشنانِ[٨] المنخولِ . فإن كان من اهلِ المروّاتِ والنِّعَمِ ، وأهلِ البيوتاتِ والقَدْرِ[٩] ، ممن لا يُنسَبُ في فعله إلى شيءٍ ليسَ من شَكلِه ، فلْيَبتَدِئْ دخولَه الحَمّامَ بالإمساكِ عن الكلامِ ، والتجرّعِ من الماءِ الحارِّ ثلاثَ جُرَعٍ ، وليَقعُدْ للعَرَقِ فوقَ نِطَعٍ[١٠] ؛ حتّى إذا عرقَ سَلتَ[١١] بدَنَه ، وجمعَ عرَقَه فوزنه ؛ وهذا الفعلُ لا يَصلُحُ الّا لذوي نعمةٍ ، أو شريفٍ ، أو متأدّبٍ فيلسوفٍ . وأمّا سائرُ النّاسِ من أهلِ الظَّرفِ فإنّهم يُنسَبونَ بهذا

١ * الاحباب : ج الحُبّ الجرّة الضخمة

٢ * المشنّى : مُسهّل المَقْأة ، المكروه .

٣ * الهرّاس : صانع الهريسة .

٤ * رواس : مُحرّف رؤّاس : بائع الرؤوس .

٥ * المرّاق : بائع المرق .

٦ * المستوفز : الذي يقعد مستقلاً على رجليه ، متهيّئاً للوثوب .

٧ * نضب : سال .

٨ * الاشنان : ضرب من النبات ، تغسل به الايدي فينقّيها ، وهو كالزوفا .

٩ * القدر : الحرمة ، والوقار ، والغنى واليسار .

١٠ * النطع : بساط من جلد .

١١ * سلت بدنه : مسحه باصبعه .

الفعلِ الى السَّخَفِ ؛ ولا يَنبغي لظريفٍ أن يمشيَ بلا سَراويلٍ ، ولا يَتَّزِرُ بمِنديلٍ ؛ ولا يَمشي محلولَ الإزارِ ، ولا مُسبَلَ العِذارِ[1] ؛ ولا يُماكِسُ[2] في الشِّرى ، ولا يَركَبُ حمارَ الكِرى ؛ ولا ينزلُ في خرابٍ ، ولا يقبضُ على كتابٍ ؛ ولا يُشارطُ صانعاً ، ولا يُصاحبُ وضيعاً ؛ ولا يُشاتمُ رفيقاً ، ولا يَغتابُ أحداً ؛ ولا يذكُرُ بسُوءٍ أخاً ؛ ولا يَنِمُّ بسريرةٍ ، ولا يُظهرُ خبيئةً[3] ، ولا يخونُ عهداً ، ولا يُخلِفُ وعداً ؛ ولا يُضرِّبُ[4] بين اثنينِ ، ولا يُفسِدُ بينَ خليلينِ ؛ ولا يَسعى إلى سلطانٍ ، ولا يَغمِزُ[5] بإنسانٍ ؛ ولا يَهتِكُ حُرمةً ، ولا يتعرَّضُ لسَرقةٍ ؛ ولا يتحلَّى بالكَذِبِ ، ولا يستهدِفُ للرِّيَبِ ؛ ولا يُجاهِرُ بالزِّنى ، ولا يَنطِقُ بالخَنى[6] ؛ ولا يُفسِدُ حرمةَ الأخِ الصَّديقِ ، ولا حرمةَ الجارِ اللَّزيقِ .

ومن تكامُلِ ظَرفِ الظَّريفِ ظهورُ بِزَّته ، وظهورُ طيبِ رائحته ؛ ونقاءُ دَرَنِه[7] ، ونَظافةُ بدنِه ؛ ولا يَتَّسِخُ له ثوبٌ ، ولا يَدرَنُ له جيبٌ ؛ ولا ينفتِقُ له ذَيلٌ ، ولا يُرى في دَخاريصِه[8] مَيلٌ ؛ ولا في سَراويلِه ثَقبٌ ؛ ولا يطولُ له ظُفرٌ ، ولا يكثُرُ له شَعرٌ ؛ ولا يفوحُ لإبطِه دَفَرٌ[9] ، ولا لبدنِه غَمَرٌ[10] ؛ ولا يسيلُ له أنفٌ ، ولا يسودُّ له كفٌّ ؛ ولا يظهرُ له شُقاقٌ[11] ، ولا يُرشَشُ له بصاقٌ ؛ ولا يقفُ في مأقِه رَمَدٌ ، ولا صِوارِه[12] زَبَدٌ . ومن زَيهم مُصاحبةُ الأوِدَّاء ، ومُعاشرةُ الأخِلَّاء ؛ وحِفظُ العهودِ ، وإنجازُ الوعودِ ؛ والدَّوامُ على

١ * العذار : من الوجه ما نبت عليه الشعر المستطيل المحاذي لشحمة الاذن الى اصل اللحي .

٢ * المماكسة : المشاحّة ، والاعنات . وقيل : المكاسة المكايسة بين المتبايعين ، وذلك ان يطلب صاحب السلعة من المشتري سوماً ، فلا يزال المشتري يراجعه وينقص له مما طلب شيئاً شيئاً حتى يتفقان على ما يتراضيان عليه .

٣ * الخبيئة : ما يستر ويخبأ لوقت الحاجة .

٤ * ضرب بينهما : اغرى .

٥ * غمز به : سعى به شرًا وطعن عليه .

٦ * الخنى : الفحش في القول .

٧ * الدرن : الوسخ .

٨ * الدخاريص : جمع الدخريص ، وهو البنيقة ، وما يوشّح به الثوب من الشعب .

٩ * الدفر : النتن .

١٠ * غمر : دسم .

١١ * شقاق : التشقق

١٢ * الصِّوار : صمغ الفم ، اي ملتقى الشفتين . وقد عطف الصوار على المأق دون تكرير حرف العطف وهو ضعيف ، وقد مرّ مثل ذلك في كلامه .

الوَفاء ، وقلةُ الرَغبةِ في الجفاء ؛ وحسنُ المؤاتاةِ[١] لأودّائهم ، والمساعدةُ لأخلّائهم ؛ والبِشرُ بمن لَقُوا ، والتفقُّدُ لمن فقدوا ؛ والمساعفةُ بأبدانهم ، والمَعونةُ بأموالهم ؛ وتخفيفُ المُؤَن على إخوانهم ، وكفُّ الأذى عن جيرانهم ، والصَّفحُ عن المُسيء عند إساءته ؛ ومقابلةُ المُحسِنِ بإحسانه ؛ والترحيبُ بالصَّغير ، والتبجيلُ للكبير . . . .

وقد يَجبُ ايضاً على اهلِ المروّةِ ، مثلُ الذي يجبُ على أهلِ الظَرفِ والفُتوّة والأدبِ ، لأنّها ليسا[٢] باللّذاذةِ والقَصفِ ، ولا بالمُفاخرةِ والحَسَبِ ؛ وإنّما هما بكمالِ المروّةِ والأدبِ . ولن يعرفَ الفتى جميلَ مَواهبِ الفُتوّةِ ، الا بسلوكِ طرائقِ المروّةِ . وقد ذُكِرتِ الفُتوّةُ عند بعض العلماء ، فقالَ : إنَّ الفتوّةَ ليسَت بالفُسقِ والفجورِ ، ولكنها طعامٌ موضوعٌ ، وأذىً مرفوعٌ ؛ ونائلٌ مبذولٌ ، وبِشرٌ مقبولٌ ، وعَفافٌ معروفٌ ، واجتنابٌ للقبيح ، وأدَبٌ ظاهرٌ ، وتركُ مُجالسةِ أهلِ الشرورِ ، والسُّموُّ إلى مَعالي الأمورِ ، والإحسانُ إلى من أساء ، ومُكافأةُ من أحسنَ ، وقضاءُ حوائجِ النّاسِ .

ولهم[٣] حُسنُ الثّاني فيما يُريدونه ، ولطيفُ الحيلِ فيما يُحاولونه ، وخفيُّ التَلطُّفِ لما يُطالبونه ؛ حَوائجُهم سَرِيّةٌ ، وسَرائرُهم خَفيّةٌ ؛ وامورُهم باطنةٌ ، وحِيلُهم لطيفةٌ ؛ يوردون الأمورَ مواردَها ، ويُصدرونها مَصادرَها ؛ ولهم[٤] فيما استحسنوا منَ الهدايا بينَهم ، والبِرِّ والمُلاطفةِ ، والمُكاتبةِ ، والتُّحفةِ من غيرِهم ، ويُستصغَرُ[٥] ؛ ومن ذلك أنّهم ربّما أهدَوا الأُتْرُجّةَ الواحدةَ ، والتُّفّاحةَ الواحدةَ ، والدَّستَبويةَ[٦] اللّطيفةَ ، والشَّمّامةَ اللّطيفةَ ، والغصنَ من الرَّيحان ، والطّاقةَ من النَّرجسِ ، والرَّطلَ من الشَّرابِ ، والقِطعةَ من العودِ ، والمَخزنةَ[٧]

١ . المؤاتاة : الموافقة .

٢ . الضمير يعود الى اهل المروّة واهل الظرف .

٣ . لهم : اي للظرفاء .

٤ . يريد ولهم حيل لطيفة .

٥ . ويستصغر : اي وان كان الذي استحسنوه مما يصغر شأنه .

٦ . نوع من البطيخ الاصفر صغير مستطيل .

٧ . المخزنة : علبة يخزن بها الطيب .

من الطّيبِ ، والشيءِ اليسيرَ ، والوهطَ [1] الصّغيرَ ، ونظيرَ ذلك من الأشياء القليلةِ ، الحقيرةِ والذّليلةِ ، الّتي لا قدرَ لها عندَ ذوي العقولِ ، فيُستكثَرُ ذلكَ منهم ويُلقى بالقبولِ ؛ وتُستحسَنُ هداياهُم ، وتُستظرَفُ ، ويُفرَحُ بها وتُستطرَفُ . ورغبةُ غيرِهم ، من النّاسِ ، في الأشياءِ [2] الجليلةِ ، والهدايا النّبيلةِ ، والطُّرَفِ السّريّةِ ، والتُّحَفِ السّنيّةِ ، غيرَ أهلِ الظّرفِ ، [3] فأنّهم اقتصرُوا على اللّطَفِ اللّطيفِ ، والبرِّ الخفيفِ ؛ ومن ذلك كُتُبُهم المِلاحُ ، وألفاظُهم الصِّحاحُ ، الّتي يستعطفون بها القلوبَ ، ويستُرون بها العيوبَ ؛ ويستقيلونَ بها العَثَراتِ ، ويستدركون الهَفَواتِ ؛ الّتي قد استخلصُوها [4] من بديعِ الحريرِ الصّيني ، ومليحِ المُلَحمِ النّيسابوري ، وصَفيقِ الدّبيقيّ ، ونقيّ التّاخَتِجِ والقُوهيّ ؛ وتَعلغلُوا إلى الكتابةِ ، في ذلك ، بالذّهبِ والمِسكِ والزّعفرانِ والسُّكّ [5] ، واتّخذوا لها طَرائفَ المناديلِ الرّقاقِ ، وجيادَ الزّنانيرِ الدّقاقِ ؛ وطيّبوها بالمِسكِ والذّرائرِ ، وعَنْوَنُوها بتظرّفاتِ الأمثالِ والنّوادرِ ؛ وختَموها بالغاليةِ المُتمسِكةِ ، وطبعوها بنُتَفِ الألفاظِ المُلِكةِ ؛ وقد ضُمّنت من مَليحِ المُكاتَبةِ ، وطرائفِ المُعاتبةِ ، وجميلِ المُطالبةِ ، وشَكيلِ [6] المُداعبةِ ، ما يُقرّبون بهِ البعيدَ ، ويُهوّنون بهِ الشّديدَ .

١ . الوهط : مصدر وَهَط : ضعف ووهن ، وربما اراد به الشيء الضعيف الحقير .

٢ . قوله : في الاشياء ، اي قائمة في الاشياء .

٣ . قوله : غير اهل الظرف ، تكرير للاستثناء اراد به التأكيد .

٤ . الضمير في استخلصوها يعود الى الكتب ، التي كانت تكتب على اقمشة في تلك الايام .

٥ . السُّكّ : طيب يُتخذ من الراعك وهو شيء اسود يخلط بالمسك ويعرف عند الاطباء بسكّ المسك .

٦ . الشكيل : الزبد المختلط بالدم يظهر على شكيمة اللجام ، ولا معنى له هنا ، ولعله اراد بشكيل فعيلا من شكلت المرأة كانت ذات شكل ، اي غنج ودلال وغزل ، فيكون المعنى غنج المداعبة وغزلها .

الطبري

٨٣٨ - ٩٢٢ م

هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، فارسي الاصل . ولد بآمل من اعمال طبرستان، ثم طلب العلم في مصر وسوريا والعراق ، حتى صار فيه اماماً من ائمة عصره . واقام بعدئذ في بغداد يعلم الفقه والحديث . اشتهر بقوة عارضته ، وفصاحة لهجته ، وجلده على العمل حتى روي عنه انه قضى اربعين سنة يكتب كل يوم اربعين صفحة . وعلى ما في هذه الرواية من مبالغة ، فانها تدلّ على جلده وكثرة انتاجه . كان ثقة يحكم بقوله ، حرّ الفكر ، صريحاً ، لا يخشى في المجاهرة بالحق لومة لائم . وهو الى ذلك من اعظم مؤرخي العرب ، لانه جمع في تاريخه ، الذي سار فيه على الطريقة التوقيتية ، اخباراً وحوادث جزيلة الفائدة ، كنا خسرناها لولا كتابه . وعلى ما في هذا التاريخ من تكرار الروايات ، والاستطرادات التي تجعل اللحمة احياناً مفقودة في الرواية الواحدة ؛ وعلى ما فيه من اوهام واساطير ، ظل المرجع الاعظم لكل من شاء الاطلاع على تاريخ العرب ، وشتى وقائعه حتى سنة ٩١٤ م . ويظل صاحبه عمدة المؤرخين .

آثاره

للطبري آثار عديدة ، جمعنا منها « كتاب اخبار الرسل والملوك » المعروف « بتاريخ الطبري » ؛ وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) . اتبع فيه صاحبه الاسناد المتسلسل على عادتهم في ذلك العهد . يقع في عدة مجلدات ، وتبلغ صفحاته زهاء ٧٥٠٠ صفحة . ويقال انه مختصر لتاريخ اكبر تراجع تلامذته عن نسخه . طبع في ليدن بعناية المستشرق ده غويه ، واستغرق طبعه زهاء ثلاث عشرة سنة اي من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٩٢ — ثم طبع في مصر سنة ١٩٠٦ في ثلاثة عشر جزءاً .



كانَ من شأنِ ابي سُفيانَ بن حربٍ ، أن أقبلَ من الشامِ في قريبٍ من سبعين راكباً ، من قبائل قريشٍ كلّها ؛ كانوا تجّارًا في الشّامِ ، فأقبلوا ، جميعاً ، معهم أموالهم وتجارتُهم ؛ فلمّا سمِعَ بهم رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، نَدبَ أصحابه ، وحدّثهم بما معهم من الأموالِ ، وبقلّةِ عددِهم ؛ فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سُفيانَ والرّكبَ معه ؛ لا يَرَونها إلّا غنيمةً لهم ؛ لا يظُنّونَ أن يكونَ كبيرُ قتالٍ إذا لقوهم.

وكانَ أبو سفيانَ ، حينَ دنا من الحجازِ ، يتحسّسُ الأخبارَ ، ويَسألُ من لقيَ من الرّكبانِ ، تخوُّفاً على أموالِ النّاسِ ، حتّى أصابَ خبرًا ، من بعضِ الرّكبانِ ، أنّ محمدًا قد استنفرَ أصحابه الك ولعيرِكَ ، فحَذِرَ ، عندَ ذلك ، فاستأجرَ ضمضَمَ بنَ عمرو الغفاريَّ ، فبعثه الى مكّةَ ، وأمرَه أن يأتيَ قريشاً ، يستنفرُهم الى اموالِهم ، ويُخبرُهم أنّ محمدًا قد عرَضَ لها في أصحابهِ . فخرجَ ضمضمُ بنُ عمروٍ سريعاً إلى مكّةَ ، وجعلَ يصرُخُ ببطنِ الوادي ، واقفاً على بعيرِهِ ، قد جدّعَ بعيرَه ، وحوّلَ رحلَه ، وشقّ قميصَه ، وهو يقولُ : يا معشرَ قريشٍ ، اللّطيمةَ ، اللّطيمةَ[2] ! أموالُكم مع ابي سفيانَ ، قد عرَضَ لها محمّدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها . الغوثَ ، الغوثَ ! فتجهّزَ النّاسُ سِراعاً ، فكانوا بين رجلينِ : إمّا خارجٍ ، وإمّا باعثٍ مكانَه رجلًا ؛ وأوعَبَت[3] قريشٌ ، فلم

١ . اخذت هذه الوقعة باختصار .

٢ . اللطيمة ، اللطيمة : اي ادركوا تحملُ الطيبَ ، وبزّ التجار .

٣ . اوعبت : جمعت ما استطاعت من جمعٍ .

يتخلّف من أشرافها أحدٌ إلّا أنّ أبا لهب بنَ عبدِ المُطّلبِ تخلّفَ ، فبعثَ مكانه العاصَ بنَ هشام بنِ المُغيرةِ ، وكانَ لأطَ[1] له باربعةِ آلافِ درهمٍ كانت له عليه أفلسَ بها ، فاستأجرَه بها على أن يَجزِيَ[2] عنه بَعثَه ، فخرجَ عنه ، وتخلّف ابو لهبٍ .

« قال » وخرجَ رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، في أصحابِه ، وجعلَ ، على السّاقةِ ، قيسَ بنَ صَعصَعةَ ، أخا بني مازنِ بنِ النّجّارِ ، في ليالٍ مضَت من شهرِ رمضانَ . فسارَ ، حتّى إذا كانَ قريباً من الصّفراء ، بعثَ بَسبَسَ بنَ عمرٍو الجُهنيَّ ، حليفَ بني ساعدةَ ، وعديَّ بن ابي الزّغباء الجُهنيَّ ، حليفَ بني النّجّارِ ، الى بدرٍ ، يتحسّسانِ له الأخبارَ عن ابي سفيانَ بنِ حربٍ ؛ ثمّ ارتحلَ وسلكَ على وادٍ يقال له : ذَفِرانُ ، فخرجَ منه ، حتّى اذا كانَ ببعضِه ، نزلَ ، وأتاه الخبرُ عن قريشٍ بمسيرِهم ليمنعوا عِيرَهم . فاستشارَ النبيُّ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، النّاسَ ، وأخبرَهم عن قريشٍ ، ثمّ قالَ : سيروا على بركةِ اللهِ ، وأبشِروا ، فإنّ اللهَ قد وعدَني إحدى الطّائفتينِ ؛ واللهِ لكأني ، الآنَ ، انظرُ إلى مَصارعِ القومِ . ثمّ ارتحلَ رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، من ذفِرانَ ، فسلكَ على ثنايا يقال لها الاصافرُ ؛ ثمّ انحطّ منها على بلدٍ يقالُ لها الدّبّةُ ، ثمّ نزلَ قريباً من بدرٍ . فلمّا أمسى بعثَ عليَّ بنَ ابي طالبٍ ، والزّبيرَ بنَ العوّامِ ، وسعدَ بنَ ابي وقّاصٍ ، في نفرٍ من أصحابه الى ماء بدرٍ ، يلتمسونَ له الخبرَ ؛ فأصابوا راويةً[3] لقريشٍ ، فيها أسلَمُ غلامُ بني الحجّاجِ ، وعَريضٌ ابو يَسارٍ ، غلامُ بني العاص بنِ سعيدٍ ، فأتوا بهما رسولَ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّمَ ، وهو قائمٌ يصلّي ، فسألوهما ، فقالا : نحنُ سُقاةُ قريشٍ ، بعثونا لنسقيَهم من الماء . فكرِه القومُ خبرَهما ورجوا ان يكونا لأبي سفيانَ ، فضربوهما . فلمّا أذلقوهما[4] ، قالا : نحنُ لابي سفيانَ ، فتركوهما . وركعَ رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّمَ ، وسجدَ سجدتَينِ

١ ـ لأط له : اقتطاه ماله فالحّ عليه .
٢ ـ يجزي عنه : يقضي عنه .
٣ ـ الراوية : البعير ، والجمل ، والحمار يستقى عليه الماء .
٤ ـ اذلقوهما : من اذلقه اضعفه وأقلقه .

ثمَّ سَلَمَ وقالَ : إذا صدَقاكم ضربتموهما ، وإذا كَذَبَاكم تركتموهما . صدَقا ، واللهِ ، إنَّهما لقريشٍ . أخبراني ! أينَ قريشٌ ؟ قالا : هم وراءَ هذا الكَثيب ، الَّذي تَرى بالعُدوةِ[1] القُصوى ؛ فقالَ رسولُ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، لهما : كم القومُ ؟ قالا : كثيرٌ . قالَ : ما عِدَّتُهم ؟ قالا : لا نَدري . قالَ : فكم يَنحرون كلَّ يومٍ ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً ، عشراً . قالَ : القومُ ما بينَ التسعمائة والألف .

وقد كانَ بَسبسُ بنُ عمروٍ ، وعديُّ بنُ ابي الزَّغباء ، مَضيا ، حتَّى نزَلا بدراً ، فأناخا الى تَلّ قريبٍ من الماء ، ثمَّ أخذا شَنَّاً[2] يَستقيانِ فيه ، ومَجدي ابنُ عمروٍ الجُهَنيُّ على الماء ؛ فسمِعَ عديٌّ وبَسبسٌ جاريتَينِ من جَواري الحاضر وهما تَتلازمانِ[3] على الماء ، والملزومةُ[4] تقولُ لصاحبتها : إنَّما تأتي العيرُ غداً ، أو بعدَ غدٍ ، فأعمَلُ لها ، ثمَّ أقضيكِ الَّذي لكِ . قالَ مَجدي : صدَقتِ . ثم خلَّصَ بينَهما . وسمِعَ ذلك عديٌّ وبَسبسٌ ، فجلسا على بعيريهما ، ثمَّ انطلقا ، حتَّى أتيا رسولَ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فأخبراه بما سمِعا .

وأقبلَ أبو سفيانَ ، قد تقدَّمَ العيرَ حذَرًا ، حتى وردَ الماءَ ، فقالَ لمجدي ابنِ عمروٍ : هل أحسَستَ أحداً ؟ قالَ : ما رأيتُ احداً أنكِرُه ، إلَّا إني رأيتُ راكبَينِ أناخا إلى هذا التَّلِّ ، ثمَّ استسقيا في شَنٍّ لهما ، ثمَّ انطلقا ؛ فأتى ابو سفيانَ مناخَهما ، فأخذَ من أبعارِ بَعيريهما ، ففتَّه ، فإذا فيه نَوًى ، فقالَ : هذه ، واللهِ ، عَلائفُ يَثرِبَ ؛ فرجَعَ إلى أصحابه سريعاً ، وضرَبَ وجهَ عيرِه عن الطَّريقِ ، فساحلَ بها وتركَ بدراً يَساراً . ثمَّ انطلقَ ، حتَّى أسرعَ . وأقبلَت قريشٌ ، فلمَّا نزَلوا الجُحفةَ[5] ، رأى جُهَيمُ بنُ الصَّلتِ بنِ مَخرَمةَ بنِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، رؤيا ، فقالَ : إنِّي رأيتُ ، فيما يرى النَّائمُ ، وإنِّي لبينَ النَّائمِ واليَقظانِ ، إذ نظَرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فرَسٍ ، حتَّى وقَف ، ومعَه بعيرٌ

١ . العُدوة : مثلثة العين ، شاطئ الوادي وجانبه .

٢ . الشن : القربة البالية .

٣ . تتلازمان : من لزم الدائن غريمه : تعلق به ودام معه .

٤ . الملزومة : الواجب عليها المال .

٥ . الجُحفة : كانت ميقات اهل الشام في الاحرام وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلاً من مكة ، وكانت تسمى المهيعة ، فاجحف السيل اهلها ، اي احتملهم واهلكهم ، فسميت الجحفة .

له ، ثمَّ قالَ : قُتِلَ عُتبةُ بنُ ربيعة ، وشَيبةُ بنُ ربيعةَ ، وأبو الحكمِ بنُ هشامٍ ، وأميّةُ بنُ خلفٍ ، وفلانٌ وفلانٌ ، فعدَّدَ رجالًا ممَّن قُتِلَ يومئذٍ من أشرافِ قريش ؛ ورأيتُه ضربَ في لَبَّةِ[1] بعيرِه ، ثم أرسلَه في العسكرِ ، فما بقيَ خِباءٌ من أخبيةِ العسكرِ الَّا أصابَه نَضْحٌ من دمِهِ . قالَ : فبلَغَت أبا جهلٍ ، فقالَ : سيُعلَمُ ، غدًا ، من المقتولُ إذا التقينا .

وارتحلَت قريشٌ ، حينَ أصبحت ، فأقبلَت ؛ فلمّا رآهم رسولُ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، تَصوَّبَ[2] منَ العَقَنقلِ ، وهو الكثيبُ ، قالَ : اللّهمَّ ! هذه قريشٌ قد أقبلَت بُخيلائِها وفخرِها تُحادُّكَ[3] ، وتكذِّبُ رسولَك ، اللّهمَّ ، فنَصرَكَ الذي وعدتَني ! اللّهمَّ ، فأحِنهم[4] الغداةَ ! ورأى عُتبةَ بنَ ربيعةَ ، في القومِ ، على جملٍ أحمرَ ، فقال : إن يكن عندَ أحدٍ ، من القومِ ، خيرٌ ، فعندَ صاحبِ الجملِ الأحمرِ ، إن يُطيعوه يَرشُدوا .

ثمَّ قامَ عُتبةُ بنُ ربيعةَ خطيباً ، فقالَ : يا معشرَ قريشٍ ! إنَّكم ، واللهِ ، ما تَصنعون بأن تَلقَوا محمدًا وأصحابَه شيئاً ؛ واللهِ لئن أصبتموه لا يزالُ رجلٌ ينظرُ في وجهِ رجلٍ يَكرَهُ النَّظرَ اليه ، قتلَ ابنَ عمِّه ، أو ابنَ خالِه ، أو رجلًا من عشيرته ، فارجعوا ، وخلّوا بينَ محمدٍ وبينَ سائرِ العربِ ؛ فإن أصابوه ، فذاك الذي أردتُم ؛ وإن كانَ غيرَ ذلك ، ألفاكم ، ولم تَعرَّضوا[5] منه ما تُريدون . قالَ حَكيمُ بنُ حِزامٍ : فانطلَقتُ أؤمُّ ابا جهلٍ ، فوجدتُه قد نَثَلَ[6] درعاً له من جرابِها يُهيِّؤها ، فقلتُ : يا ابا الحكَمِ ! إنَّ عُتبةَ قد أرسلَني اليك بكذا وكذا ، للذي قالَ . فقالَ : انتفخَ ، واللهِ ، سَحرُه[7] حينَ رأى محمدًا وأصحابَه . كلّا ، واللهِ لا نرجعُ ، حتّى يحكُمَ اللهُ بيننا وبينَ محمدٍ

١ * اللبّة : المنحر .
٢ * تصوب : اصله تقصوّب حذفت التاء للتخفيف : تنحدر .
٣ * تحادك : تفاضبك ، وتخالفك وتعاديك .
٤ * احنهم : من احانه : اهلكه .
٥ * تعرضوا : تتعرّضوا من تعرض الشيء : تصدّى له وطالبه .
٦ * نثل : اخرج .
٧ * السحر : الرئة . والتفخ سحره : جاوز قدره واكثر ما يقال لمن جبن .

وأصحابه. وما بعتبة ؟ قال: ولكنه رأى محمدًا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه. ثم بعث الى عامر ابن الحضرمي، فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم، فانشد خفرتك[1] ومقتل اخيك[2]. فقام عامر ابن الحضرمي، فاكتشف، ثم صرخ: واعمراه، واعمراه! فحميت الحرب، وحقب[3] أمر الناس، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وافسد على الناس الرأي الذي دعاهم اليه عتبة بن ربيعة. فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول ابي جهل: انتفخ سحره، قال: سيعلم من انتفخ سحره، أنا أم هو؟ ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته؛ فلما رأى ذلك، اعتجر[4] على رأسه ببرد له. وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلا شرسا سيء الخلق، فقال: أعاهد لأشربن من حوضهم، ولأهدمنه، أو لأموتن دونه! فلما خرج، خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطن[5] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه؛ ثم حبا[6] الى الحوض، حتى اقتحم فيه يريد، زعم، أن يبر يمينه، واتبعه حمزة، فضربه، حتى قتله في الحوض. ثم خرج، بعده، عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة. حتى إذا فصل من الصف دعا الى المبارزة، فخرج اليه فتية من الأنصار، ثلاثة نفر، منهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء، ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة؛ فقال: من انتم؟ قالوا: رهط من الانصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا! فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قم ياحمزة بن عبد المطلب؛ قم يا عبيدة بن الحارث؛ قم يا علي بن ابي طالب! فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من انتم؟ قال عبيدة: عبيدة؛ وقال حمزة: حمزة؛ وقال علي: علي.

١ * الخفرة: نقض العهد والغدر.
٢ * اراد اخاه عمرا الذي قتله النبي.
٣ * حقب: صعب، واحتبس.
٤ * اعتجر: التف.
٥ * اطن: قطع.
٦ * حبا: زحف.

قالوا: نِعمَ أكفاءٌ كرامٌ؛ فبارزَ عبيدةُ بنُ الحارثِ، وكانَ أسنَّ القومِ، عُتبةَ ابنَ ربيعةَ؛ وبارزَ حمزةُ شَيبةَ بنَ ربيعةَ؛ وبارزَ عليٌّ الوليدَ بنَ عتبةَ؛ فأمّا حمزةُ فلم يُمهل شيبةَ أن قتلَه؛ وأما عليٌّ فلم يُمهلِ الوليدَ أن قتلَه؛ واختلفَ عبيدةُ وعتبةُ بينَهما ضربتينِ كلاهما اثبتَ[1] صاحبَه. وكرَّ عليٌّ وحمزةُ باسيافهما على عتبةَ، فذفّفا[2] عليه، فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدةَ، فجاءا به الى اصحابهِ، وقد قُطعت رجلُه فمُخُّها يسيلُ. فلمّا أتوا بعبيدةَ الى رسولِ اللهِ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ، قالَ: ألستُ شهيدًا يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: بلى!.

ثمّ إنَّ رسولَ اللهِ، صلى اللهُ عليه وسلمَ، أخذَ حفنةً من الحَصباءِ، فاستقبلَ بها قريشاً، ثمَّ قالَ: شاهتِ الوجوهُ؛ ثمَّ نَفحهم بها، وقالَ لأصحابه: شُدُّوا! فكانت الهزيمةُ، وقتلَ اللهُ من قتلَ من صناديدِ قريشٍ، وأُسِرَ من أُسِرَ. ومَرَّ بأبي جهلٍ، وهو عَقيرٌ[3]، مُعوِّذُ بنُ عَفراءَ، فضربَه، حتى اثبتَه، وبه رمقٌ؛ فمرَّ به عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، فقالَ: فوجدتُه بآخرِ رَمَقٍ، فعرفتُه، فوضَعتُ رجلي على عنقِه. «قال» وقد كانَ خبثَ[4] بي مرةً بمكّةَ، فآذاني، ولكَزني؛ ثمَّ قُلتُ: هل أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ اللهِ؟ قالَ: وبماذا أخزاني؟ أعمَدُ[5] من رجلٍ قتلتموه؟ أخبرني: لمن الدَّبرةُ[6]؟ «قال» قلتُ: للهِ ولرسولِه.

فتح عَمّورِيَة[7]

شَخَصَ المعتصمُ غازياً الى بلادِ الرُّومِ، وكانَ شُخُوصُه اليها من سامرّا في سنة ٢٢٤[8]، وقيلَ ٢٢٢[9]. فذُكِرَ أنَّه تجهَّزَ جِهازًا لم يتجهّز مثلَه، قبلَه،

١ ـ اثبته: حبسه وجعله ثابتاً في مكانه لا يفارقه.

٢ ـ ذفّفا عليه: اجهزا عليه.

٣ ـ عقير: جريح لم يمت بعد.

٤ ـ خبث به: مكرَ به.

٥ ـ اعمد من رجل قتلتموه: اي هل زاد على رجل قتله قومه؛ وهل كان الا هذا؛ اي انه ليس بعار. وقيل: اعمد: اعجب، اي اعجب من رجل قتله قومه.

٦ ـ الدبرة: وتفتح الباء: الدولة والظفر والنصرة.

٧ ـ مأخوذه باختصار.

٨ ـ ٨٣٨م.

٩ ـ ٨٣٦م.

خليفةٌ قطُّ ، من السّلاحِ والعِدَدِ ، والآلة ، وحياضِ الأَدَمِ[1] ، والبغالِ ، والرّوايا ، والقِرَبِ وآلةِ الحديدِ والنِّفطِ ؛ وجعلَ في مُقدّمتهِ أشناسَ ، ويَتلوه محمدُ بنُ إبرهيمَ ؛ وعلى مَيمنتِه إيتاخُ ، وعلى مَيسرتِه جعفرُ بنُ دينارِ بنِ عبدالله الخيّاطِ ؛ وعلى القلب عجيفُ بنُ عَنبَسةَ . ولمّا دخلَ بلادَ الرّومِ أقامَ على نهرِ اللّمس ، وهو على سلوقيّة ، قريباً من البحرِ ، بينه وبينَ طرسوسَ مسيرةُ يومٍ . وأمضى الأفشينَ ، حيدرَ بنَ كاوُسَ ، إلى سروجَ ، وأمرَه بالبروز منها ، والدُّخولِ من دربِ الحدَثِ[2] ؛ وسمّى له يوماً أمرَه ان يكونَ دخولُه فيه ؛ وقدّر لعسكرِه وعسكرِ أشناسَ ، يوماً جعله بينه وبينَ اليومِ الذي يدخلُ فيه الأفشينُ ، بقدرِ ما بينَ المسافتينِ الى الموضعِ الذي رأى ان يجتمعَ العساكرُ فيه ، وهو أنقرةُ ؛ ودبّرَ النّزولَ على أنقرةَ ؛ فإذا فتحها اللهُ عليه سارَ إلى عَمّوريّةَ ، إذا لم يكُن شيءٌ ، مما يقصُدُ له من بلادِ الرّوم ، أعظمَ من هاتين المدينتينِ . فتقدّمَ أشناسُ ، والمعتصمُ من ورائه ، بينهم مَرحلةٌ ، يَنزلُ هذا ويَرحلُ هذا ؛ ولم يَرِد عليهم من الأفشينِ خبرٌ ، حتى صاروا من أنقرةَ على ثلاثِ مراحِلَ ؛ وضاقَ عسكرُ المعتصمِ ضيقاً شديداً من الماءِ والعَلَفِ .

وكانَ أشناسُ قد أسرَ عدّةَ أسرى في طريقه ، فأمرَ بهم ، فضُربَت اعناقُهم ، حتّى بقيَ منهم شيخٌ كبيرٌ ، فقالَ الشيخُ : ما يُنتفَعُ بقتلي ، وأنتَ في هذا الضّيقِ ، وعسكرُكَ ايضاً في ضيقٍ من الماءِ والزّادِ ؟ وههنا قومٌ قد هربوا من أنقرةَ خوفاً من أن يَنزلَ بهم مَلِكُ العربِ ، وهم بالقُربِ منّا ، معهم منَ الميرةِ والطّعامِ والشّعيرِ ، شيءٌ كثيرٌ . فوجّه معي قوماً لأدفعهم اليكم ، وخلِّ سبيلي ! فدفعَ أشناسُ الرجلَ إلى مالكِ بنِ كيدرَ ، وقال له : متى ما اراكَ هذا سَبياً وغنيمةً ، فخلِّ سبيلَه ! فسارَ بهم الشيخُ الى وقتِ العَتَمةِ ، فأوردَهم على وادٍ وحشيشٍ كثيرٍ ، فأمرَجَ[3] القومُ دوابَّهم في الحشيشِ ، حتّى شبعَت ، وتعشّى الناسُ ، حتّى رَوَوا ؛ ثمّ سارَ بهم ، حتى أخرجَهم من الغيضةِ .

١ ، الحياض : ج الحوض : مجتمع الماء . الأدم : الجلد ، اسم جمع للاديم .

٢ ، الحدث : مدينة من بلاد الروم .

٣ ، أمرج دوابهم : ارسلوها للرعي .

وسارَ أشناسُ من موضعِه متوجهاً الى أنقِرَةَ ، وأمرَ مالكَ بنَ كيدرَ ، والأدلّاءَ الذين معه أن يوافُوه بأنقِرَةَ . فسارَ بهم الشيخُ العِلجُ ، ليلتَهم ، يدورُ بهم في جبلٍ ليسَ يُخرِجُهم منه . فسألَه مالكٌ عن سببِ ذلكَ ؟ فقالَ : القومُ الذينَ تُريدُهم ، خارجَ الجبلِ ، وأخافُ أن أخرُجَ من الجبلِ باللّيلِ ، فيسمعوا صوتَ حوافرِ الخيلِ ، على الصَّخرِ ، فيهربُوا ؛ فإذا خرجنا من الجبلِ ، ولم نرَ احدًا قتلتني . فقالَ له مالكٌ : ويحكَ ! فأنزِلنا في هذا الجبلِ ، حتّى نستريحَ . فقالَ : رأيكَ . فنزلَ مالكٌ ونزلَ الناسُ على الصخرةِ ، وأمسكوا لُجُمَ دوابِّهم ، حتّى انفجرَ الصُّبحُ ؛ فلمّا طلعَ الفجرُ قالَ : وَجِّهوا رجلينِ يصعَدانِ هذا الجبلَ ، فينظُرانِ ما فوقَه ، فيأخُذانِ من أدركا فيه . فصعِدَ أربعةٌ من الرِّجالِ ، فأصابوا رجلًا وامرأةً ، فأتَوا بهما ، فسألَهم العِلجُ : أينَ باتَ أهلُ أنقِرَةَ ؟ فسمَّوا لهم الموضعَ ، فسارَ بهم العلجُ اليه ؛ فأشرفَ بهم على عسكرِ اهلِ أنقِرَةَ ، وهم في طرفِ مَلّاحةٍ[1] . فلمّا رأوُا العسكرَ صاحوا بالنساءِ والصِّبيانِ ، فدخلوا المَلّاحةَ ، ووقفوا لهم على طرفِ المَلّاحةِ يقاتلون بالقنا ؛ ولم يكن موضعَ حجارةٍ ولا موضعَ خيلٍ ، وأخذوا منهم عِدَّةَ أسرى . فقالَ مالكُ بنُ كيدرَ : ادعُوا النّاسَ كلَّهم ! خُذوا ما أخذتم ، ودعُوا الباقي ! فتركَ النّاسُ السَّبيَ والمُقاتِلةَ ، وانصرفوا راجعينَ يُريدونَ عسكرَ أشناسَ ، وساقوا في طريقِهم غنَماً كثيرًا وبقرًا ؛ وأطلقَ ذلكَ الشيخَ الأسيرَ مالكٌ وسارَ الى عسكرِ أشناسَ بالأسرى ، حتى لحِقَ بأنقِرَةَ . فمكثَ اشناسُ يوماً واحدًا ، ثم لحقَه المعتصمُ من غدٍ .

ثمّ وردَ على المعتصمِ الأفشينُ ، بعدَ ذلكَ اليومِ بيومٍ ، بأنقِرَةَ ، فأقاموا بها أيّاماً . ثمّ صيَّرَ العسكرَ ثلاثةَ عساكرَ : عسكرٍ فيه أشناسُ في الميسرةِ ؛ والمعتصمُ في القلبِ ؛ والأفشينُ في الميمنةِ ؛ وبينَ كلِّ عسكرٍ وعسكرٍ فرسخانِ ؛ وأمرَ كلَّ عسكرٍ منهم أن يكونَ له ميمنةٌ وميسرةٌ ، وأن يُحرِّقوا القُرى ، ويُخرِّبوها ، ويأخذوا من لحِقوا بها من السَّبيِ . وإذ كانَ وقتُ النّزولِ توافى أهلُ كلِّ عسكرٍ إلى صاحبِهم ورئيسِهم ، يفعلونَ ذلكَ

١ . الملاحة : منبت الملح او المكان الذي يجاء فيه .

فيما بينَ انقرةَ الى عَمُوريَةَ ، وبينَها سبعُ مراحلَ ، حتَّى توافتِ العساكرُ بعمورية .

« قال » : فلمَّا توافتِ العساكرُ بعمورية ، قسَمَها أميرُ المؤمنينَ بينَ القُوَّادِ ، فصيَّرَ ، إلى كلِّ واحدٍ منهم ، أبراجاً منها ، على قدرِ كثرةِ اصحابِه وقلَّتِهم ؛ وصارَ لكلِّ قائدٍ منهم ما بينَ البُرجينِ الى عشرينَ بُرجاً ؛ وتحصَّنَ اهلُ عمورية ، وتحرَّزُوا .

وكانَ رجلٌ ، من المسلمين ، قد اسرَه أهلُ عمورية ، فتنصَّرَ ، وتزوَّجَ فيهم ؛ فحبَسَ نفسَه عندَ دخولِهم الحِصنَ ؛ فلمَّا رأى أميرَ المؤمنين ، ظهَرَ ، وسارَ الى المسلمين ، وجاءَ الى المعتصمِ ، واعلمَه أنَّ موضعاً ، منَ المدينةِ ، حمَلَ الوادي عليه ، من مطرٍ ، جاءهم ، شديدٍ ، فحمَلَ الماءُ عليه ، فوقَعَ السُّورُ من ذلك المَوضِعِ . فكتَبَ ملكُ الرُّومِ الى عاملِ عمورية أن يَبني ذلك الموضعَ ، فتوانَى في بنائِه ، حتَّى كانَ خروجُ الملكِ من القسطنطينية ، إلى بعضِ المواضعِ . فتخوَّفَ الوالي أن يمُرَّ الملكُ على تلك الناحيةِ ، فيَمُرَّ بالسُّورِ ، فلا يَراه بُنيَ ؛ فوجَّهَ خلفَ الصنَّاعِ ؛ فبنى وجهَ السورِ بالحجارةِ حجرًا حجرًا ، وصيَّرَ وراءَه ، من جانبِ المدينةِ ، حَشوًا ؛ ثمَّ عقَدَ فوقَه الشُّرَفَ[1] كما كانَ . فوقَفَ ذلك الرجلُ المعتصمَ على هذه الناحيةِ التي وصَفَ ، فأمرَ المعتصمُ ، فضرَبَ مضاربَه[2] في ذلك الموضعِ ، ونصَبَ المجانيقَ على ذلك البناءِ ، فانفرَجَ السُّورُ من ذلك الموضعِ . فلمَّا رأى أهلُ عمورية انفراجَ السورِ ، علَّقُوا عليه الخُشُبَ الكبارَ ، كلَّ واحدٍ بلزقِ الآخرِ ؛ فكانَ حجرُ المنجنيقِ ، إذا وقَعَ على الخشبِ تكسَّرَ . فعلَّقوا خشباً غيرَه ، وصيَّروا فوقَ الخشبِ البَراذِعَ[3] ليُترِّسوا[4] السورَ . فلمَّا ألحَّتِ المجانيقُ على ذلك الموضعِ ، انهدَمَ السُّورُ ما بينَ البُرجينِ .

١ . الشرف : ج الشرفة : ما اشرفَ من البناء .

٢ . المضرب : الفسطاط الكبير .

٣ . البراذع : ج البِرذعة : حِلس ، اي كساء ، يوضع تحت الرحل يوقى به ظهر البعير من الرحل .

٤ . ترّسه : تقوية السور بما يوضع وراءه . اعطاه ترساً ، والمراد هنا

وكانَ المعتصمُ ، حينَ نزلَ عمّوريّةَ ، ونظرَ الى سَعَةِ خندقِها وطولِ سورِها — وكانَ قد استاقَ في طريقِه غنماً كثيرةً — فدبّرَ ، في ذلك ، أن يتّخذَ مجانيقَ كباراً ، على قدرِ ارتفاعِ السورِ ، يَسَعُ كلُّ منجنيقٍ منها أربعةَ رجالٍ ، وعملَها أوثقَ ما يكونُ وأحكمَه ، وجعلَها على كراسٍ تحتَها عَجَلٌ ، ودبّرَ ، في ذلك ، أن يُدفَعَ الغنمُ الى اهلِ العسكرِ ، الى كلِّ رجلٍ شاةٌ ، فياكلَ لحمَها ، ويحشوَ جلدَها تراباً ؛ ثمّ يُوثقَ بالجلودِ مملوءةً تراباً ، حتى تُطرحَ في الخندقِ . ففعلَ ذلك في الخندقِ ، وعملَ دبّاباتٍ كباراً تسعُ كلُّ دبّابةٍ عشرةَ رجالٍ ، وأحكمَها ، على أن يُدحرِجَها على الجلودِ المملوءةِ تراباً ، حتّى يمتلئَ الخندقُ . ففعلَ ذلكَ ، وطُرحتِ الجلودُ فلم تقعِ الجلودُ مستويةً ، مُنضَدَةً ، خوفاً منهم من حجارةِ الرومِ ، فوقعت مختلفةً ، ولم يُمكِن تسويتُها ؛ فأمرَ أن يُطرَحَ فوقَها التّرابُ ، حتّى استوَت . ثمّ قُدِّمَت دبّابةٌ ، فدحرجوها ، فلمّا صارَت من الخندقِ في نصفِه تعلّقَت بتلك الجلودِ ، وبَقيَ القومُ فيها ، فما تخلّصُوا منها ، إلا بعدَ جُهدٍ . ثمّ مَكثَت تلك العَجَلَةُ مقيمةً هناك لم يُمكن فيها حيلةٌ ، حتّى فُتِحَت عمّوريّةُ .

فلمّا كانَ من الغدِ قاتَلَهم على الثّلمةِ[1] ؛ وكانَ أوّلَ من بدأ بالحربِ أشناسُ وا حابُـه ، وكانَ الموضعُ ضيّقاً ، فلم يُمكنهمُ الحربُ . فأمرَ المعتصمُ بالمنجنيقاتِ الكبارِ ، التي كانَت متفرّقةً حولَ السورِ ، فجُمِعَ بعضُها الى بعضٍ ، وصيّرَها حولَ الثّلمةِ ، وأمرَ ان يُرمى ذلك الموضعُ .

وكانتِ الحربُ في اليومِ الثاني على الأفشين واصحابِه ، فأجادوا الحربَ ، وتقدّموا . وكانَ المعتصمُ واقفاً على دابّةٍ بإزاءِ الثّلمةِ ، والأفشينُ وأشناسُ وخواصُّ القوّادِ معَه . فلمّا كانَ اليومُ الثالثُ كانت الحربُ على اصحابِ أميرِ المؤمنينَ خاصّةً ، ومعَهم المغاربةُ والأتراكُ ، والقيّمُ[2] بذلك إيتاخُ ؛ فقاتلوا ، فأحسنوا ، واتّسعَ لهم الموضعُ المُثلِمُ ، فلم تزلِ الحربُ كذلك ، حتّى كثُرَت في الرّومِ الجراحاتُ .

١ ـ الثلمة : المكان المنفرج المتهدّم من السور .

٢ ـ القيّم على الامر : متولّيه .

وكانَ قُوادُ ملكِ الروم، عندما نزلَ بهم عسكرُ المعتصمِ، اقتسموا البروجَ، لكلِّ قائدٍ وأصحابِه عدَّةُ أبراجٍ؛ وكانَ الموكَّلُ بالموضعِ، الذي انتهَى منه السورُ، رجلًا من قوادِ الروم يُقالُ له: وَنْدُوَا، وتفسيرُه بالعربيَّةِ: ثورٌ؛ فقاتلَ الرجلُ وأصحابُه قتالًا شديدًا، بالليلِ والنَّهارِ، والحربُ عليه وعلى اصحابه، ولم يُمِدَّه ياطِسُ[1] ولا غيرُه بأحدٍ من الرّوم. فلمَّا كانَ الليلُ مشى القائدُ الموكَّلُ بالثُّلمةِ الى الرّوم، فقالَ: إن الحربَ عليَّ وعلى اصحابي، ولم يَبقَ معي احدٌ، إلا جُرِحَ؛ فصيِّروا أصحابكم على الثلمةِ يرمُون قليلًا، والّا افتُضِحتُم، وذهبَتِ المدينةُ. فأبَوا أن يُمِدّوه بأحد؛ فقالوا: سَلِمَ السّورُ من ناحيتِنا، وليسَ نسألُكَ أن تُمِدَّنا، فشأنُك وناحيتَك، فليسَ لـك عندنا مَدَدٌ. فاعتزمَ هو واصحابُه ان يَخرُجوا الى امير المؤمنين المعتصمِ ويسألوه الأمانَ على الذُّرِّيَةِ[2]، ويُسلِموا اليه الحِصنَ بما فيه من الخُرثيِّ[3] والمتاعِ والسّلاحِ وغيرِ ذلك. فلمَّا أصبحَ وكَلَ اصحابه بجَنبَيِ الثُّلمةِ، وخرَجَ، وأمرَ اصحابَه ألّا يحاربوا، حتّى يعودَ اليهم. فخرَجَ، حتى وَصَلَ الى المعتصمِ، فصارَ بينَ يدَيه، والناسُ يتقدّمون الى الثلمةِ، وقد أمسكَ الرومُ عن الحربِ، حتّى وصلوا الى السورِ، ووندوا بينَ يدي المعتصمِ؛ فدعا المعتصمُ بفرس، فحمَلَه عليه، وأومأ الى الناسِ بيدِه: أنِ ادخُلوا! فدخلَ النّاسُ المدينةَ، فالتفتَ وندوا، وضربَ بيدِه الى لحيتِه. فقالَ له المعتصمُ: مالك؟ قالَ: جئتُ أريدُ أن اسمعَ كلامَكَ وتسمعَ كلامي، فغدَرتَ بي! فقالَ المعتصمُ: كلُّ شيءٍ تُريدُ أن تقولَه، فهوَ لك عليَّ؛ قُل ما شِئتَ، فإنّي لست أخالفُك. قالَ: أيشْ[4] لا تخالفُني، وقد دخلوا المدينةَ؟ فقالَ المعتصمُ: أضرِب بيدِك الى ما شِئتَ، فهوَ لك، وقل ما شِئتَ فإني أُعطيكَه.

وكانَ ياطسُ في بُرجِه، الذي هو فيه، وحوله جماعةٌ من الروم مجتمعينَ

١ * ياطس: عامل عمورية.
٢ * الذُّرِّيَة: النسل، وولد الرجل.
٣ * الخُرثيّ: اثاث البيت او اردأ المتاع والغنائم.
٤ * ايش: لفظة منحوتة من اي شيء. وكان صاحب الاغاني يرويها عن لسان عرب البادية.

وصارت طائفةٌ منهم الى كنيسةٍ كبيرةٍ في زاويةِ عمّوريّةَ ، فقاتلوا قتالاً شديداً فأحرقَ الناسُ الكنيسةَ عليهم ، فاحترقوا عن آخرهم ؛ وبقيَ ياطسُ في برجه ، حولَه اصحابُه وباقي الروم ، وقد اخذتهم السيوفُ ، فبينَ مقتولٍ ومجروحٍ . فركبَ المعتصمُ ، عندَ ذلكَ ، حتّى جاء فوقفَ حذاءَ ياطسَ ، وكانَ مما يَلي عسكرَ أشناسَ ، ثمَّ أمر بتلكَ السَّلاليمِ ، التي هُيّئت ، فحُمِلَ سُلَّمٌ منها ، فوُضِعَ على البرجِ ، الذي هو فيه ، وصعدَ عليه الحسنُ الرّوميُّ ، غلامُ لأبي سعيدِ محمدِ بنِ يوسُفَ ، وكلّمه ياطسُ ، فقالَ : هذا أميرُ المؤمنينَ ، فأنزِلُ على حُكمِه ؟ فنزلَ الحسنُ ، فأخبرَ المعتصمَ أنّه قد رآه وكلّمه . فقالَ المعتصمُ : قُل له ، فَلْيَنزِل ! فصعدَ الحسنُ ثانيةً . فخرجَ ياطسُ من البرجِ ، مقلّداً سيفَه ، حتّى وقفَ على البرجِ ، والمعتصمُ ينظُرُ اليه ، فخلعَ سيفَه من عُنُقِه ، فدفعَه الى الحسنِ ، ثم نزلَ ياطسُ ، فوقفَ بينَ يَدَيِ المعتصمِ ، فقنّعَه سَوطاً ، وانصرفَ الى مضربِه ، وقالَ : هاتوه ! فمشى قليلاً . ثمَّ جاءه رسولُ المعتصمِ : أنِ احملوه ! فحملوه . فذُهِبَ به الى مضربِ اميرِ المؤمنينَ . ثمَّ أقبلَ الناسُ بالأسرى والسَّبيِ من كلِّ وجهٍ ، حتّى امتلأَ العسكرُ ، فأمرَ المعتصمُ بسَبيلِ التُرجُمانِ أن يُميّزَ الأسرى ، فيَعزِلَ منهم أهلَ الشَّرَفِ والقَدْرِ من الروم ، في ناحيةٍ ، ويَعزِلَ الباقينَ في ناحيةٍ ؛ ففعلَ سَبيلُ ؛ ثمَّ أمرَ المعتصمُ ، فوُكِّلَ بالمَقاسِمِ[1] قُوّادُه ، فبيعتِ المَقاسِمُ في خمسةِ ايّامٍ ، وكانَ يُنادى على الرَّقيقِ خمسةً خمسةً ، وعشرةً عشرةً ، والمتاعِ الكثيرِ جملةً واحدةً ؛ وانصرفَ المعتصمُ يُريدُ الثُغورَ .

١ . المقاسم : جمع مَقسَم وهو القِسم : النصيب من الغنيمة .

المسعودي

- ٩٥٧ م

هو علي بن الحسين من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابي ، ولذلك قيل له المسعودي . لم يُذكر تاريخ مولده ، وكل ما قيل عنه انه نشأ في بغداد ، ولعله ولد فيها . وهو من المؤرخين ومن الرحالة العرب الذين طوّفوا في العالم المعروف في ايامهم طلباً للعلم ؛ وقد قام برحلتين : الاولى في سنة ٩٢١ ذهب فيها الى بلاد فارس وكرمان ، واستقرّ زمناً في اصطخر ؛ ثم واصل رحلته في السنة التالية الى الهند فزار ملتان والمنصوره ، ثم كنبايه فصيمور فسرنديب ، وركب من هناك الى بحر الصين ، وجوّل في البحر الهندي الى مدغشقر ، ثم عاد الى عُمان . وقام برحلته الثانية في سنة ٩٣٦ فذهب الى ما وراء اذربيجان وجرجان ، ثم ارتد الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٩٤٣ عاد الى انطاكية والثغور الشامية ، واتخذ بعدئذ مصر مقرًا له ، فنزل الفسطاط سنة ٩٥٦ ، وتوفي هنالك في السنة التالية . كان في رحلتيه يتقصّى الاخبار التاريخية والمواقع الجغرافية ، ويبحث في الامور العلمية ، فتغذى عقله بشيء كثير من الحقائق التاريخية والجغرافية ، ومن علوم ايامه على اختلاف مواضيعها ؛ ولكنه كان في بعض الاحيان يقبل الاخبار دون تمحيص ، فأثبت بين تلك الحقائق كثيرًا من الخرافات والاساطير . على ان هذا لا يقدح بقيمة ما في كتبه من تاريخ وجغرافيا وعلوم ؛ وسوف تبقى هذه الكتب مرجعاً يُرجع اليه ويستفاد منه .

آثاره

للمسعودي كتب كثيرة في مواضيع شتى اهمها التاريخ ؛ وقد ضاعت كتبه الا بضعة منها اهمها واشهرها ؛ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » طبع مرارًا في جزئين ، يحتوي الاول منها وصفَ الخليقةِ وقصص الانبياء ، ووصف البحار والأرضين ، وما فيها من العجائب ؛ ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والفرنج ، والعرب القدماء وآدابهم وعاداتهم ومذاهبهم واوابدهم ، واطوال الشهور ، والتقاويم القديمة ، والبيوت المنظّمة وغيرها ؛ ثم تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان .

ويحتوي الجزء الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى ايام المطيع العباسي .

ويستدل مما جاء في مقدمة هذا الكتاب ان مؤلفه نقله عن كتب كثيرة كانت في ايامه ففقدت الا تاريخ الطبري ، وفتوح البلدان للبلاذري .

وقد جعلنا ما اخذناه منه في ابواب سبعة :

١ – البحار والبلدان وعجائبها .

٢ – ملوك فارس .

٣ – المناذرة والغساسنة .

٤ – ثمود وعاد .

٥ – عهد ملوك اليمن .

٦ – عهد الامويين

٧ – عهد العباسيين .

وهذا الكتاب نقله المستشرق الانكليزي سبرنجر الى الانكليزية ، وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١ م . ونقله الى الفرنسية المستشرق باربيه دي مينار ، وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ م .



البحر الحبشي وما اشتمل عليه

إنّنا نَذكُرُ ، في هذا البابِ ، جُمَلًا من أخبارِ ما اتَّصَلَ بنا منَ البَحرِ الحَبَشِيِّ[١] ، والمَمالِكِ ، والمُلوكِ ، وجُمَلًا من تَرتيبِها ، وغيرَ ذلك من أنواعِ العَجائبِ ، فنقولُ : إنَّ بحرَ الصِّينِ والهندِ وفارسَ واليَمَنِ[٢] مُتَّصِلةٌ مِياهُها غيرُ مُنفصِلةٍ . الّا أنَّ هَيَجانَها ورُكودَها يَختلِفُ لاختِلافِ مَهابِّ رِياحِها ، وإبّانِ ثَوَرانِها وغيرِ ذلك . فبحرُ فارسَ تَكثُرُ أمواجُه ، ويَصعُبُ رُكوبُه عندَ لِينِ بحرِ الهند ، واستِقامةِ الرُّكوبِ فيه ، وقِلَّةِ أمواجِه . ويلينُ بحرُ فارسَ ، وتَقِلُّ أمواجُه ، ويَسهُلُ رُكوبُه ، عندَ ارتِجاجِ بحرِ الهندِ ، واضطرابِ أمواجِه ، وظُلمتِه وصُعوبتِه عندَ رُكوبِه . . . والغوصُ على اللؤلؤِ ، في بحرِ فارسَ ، إنَّما يَكونُ في أوَّلِ نِيسانَ إلى آخرِ أيلولَ ، وما عدا ذلك من شهورِ السنةِ فلا غوصَ فيها . وتُطلَقُ المراكبُ من بحرِ فارسَ إلى البحرِ الثاني ، وهو المعروفُ بلاروِي[٣] ، لا يُدرَكُ قَعرُه ، ولا يُحصَرُ كُثرُه من نِهاياتِه ، ولا تُضبَطُ غاياتُه[٤] لغُزرِ مائِه واتّساعِ فضائِه . وكثيرٌ منَ البحريّينَ يَزعُمونَ أنَّ الوصفَ لا يُحيطُ بأقطارِه ، لِما ذكرنا من تَشعُّبِه . وربَّما تَقطَعُهُ السُّفُنُ في

١ * البحر الحبشي : هو قسم البحر الاحمر المجاور لبلاد الحبشة ، وهو متصل ببحر الهند عند مَضيق باب المندب .

٢ * بحر الصين والهند وفارس واليمن : كل هذه البحور في جنوب اسيا ، اما بحر اليمن فهو المعروف الآن ببحر عُمان .

٣ * البحر المعروف بلاروي : هذا البحر يمتد من مصب نهر الهندوس الى مدينة غوا . واسمه لاروي مأخوذ عن قدماء الجغرافيين وكانوا يسمونه بحر لاريس .

٤ * لا تضبط غاياته : اي لا تعرف حدوده . والكُثر : بـ الكَثرة : السَعة .

الشَّهرين والثلاثة ، وفي الشَّهرِ على قَدْرِ مَهابِّ الرِّياحِ والسَّلامَة[1] . وليسَ في هذه البحارِ — أعني ما اشتَمَلَ عليه البحرُ الحَبَشيُّ — أكبرُ من هذا البحرِ لارَوِي ولا أشدُّ . وفي عُرضه بحرُ الزَّنجِ[2] وبلادُهم . وعَنبَرُ هذا البحرِ قليلٌ ، وذلك أنَّ العنبرَ أكثرُه يَقَعُ إلى بلادِ الزَّنجِ وساحِلِ الشِّحرِ[3] من أرضِ العربِ . وأهلُ الشِّحرِ أُناسٌ من قُضاعَةَ[4] بنِ حِميَرَ وغيرِهم من العرب ؛ ويُدعى من سكنَ هذا البلدَ منَ العربِ المَهْرَةَ ، وهم أصحابُ شُعورٍ وجُمَمٍ[5] ، ولُغتُهم بخلافِ لغةِ العربِ وذلكَ أنَّهم يجعلونَ الشِّينَ بَدلًا منَ الكافِ ، وغيرِ ذلكَ في خِطابِهم ونوادرِ كلامِهم ؛ وهُم ذوو فَقرٍ وفاقةٍ . ولهم نُجُبٌ يركَبُونَها بالليل تُعرَفُ بالنُّجُبِ المَهريَةِ تُشبَّهُ ، في السُّرعةِ ، بالنُّجُبِ البَجاوِيَةِ[6] ، بل عندَ جماعةٍ أنها أسرعُ منها ، يسيرونَ عليها على ساحلِ بحرِهم . وأجودُ العنبرِ ما وقعَ إلى هذه الناحيةِ ، وإلى جزائرِ الزَّنجِ وساحِلِه ، وهو المُدَوَّرُ الأزرقُ . وأهلُ جزائرِ الزَّنجِ مُتَّفِقو الكلمةِ ، لا يحصُرُهم العَدَدُ لكثرتِهم ، ولا تُحصى جُيوشُ المرأةِ المُتَملِّكةِ عليهم . وبينَ الجزيرةِ والجزيرةِ نحو الميلِ والفَرسَخِ والفرسخينِ والثلاثةِ . وليسَ يُوجدُ في جزائرِ البحرِ ألطفُ صَنعةً ، من أهلِ هذه الجزائرِ ، في سائرِ المِهَنِ ، والصَّنائعِ منَ الثِّيابِ والآلاتِ وغيرِ ذلكَ . وبُيوتُ أموالِ هذه المملكةِ الوَدَعُ . وهذه الجزائرُ تُعرَفُ جميعاً بالذَّبَجاتِ ، ومنها يُحمَلُ أكثرُ النَّارَجيلِ . وآخرُ هذه الجزائرِ جزيرةُ سَرَنديبَ . ويلي

١ * على قدر مهاب الرياح والسلامة : اي على حسب ما كانت الريح طيبة والركاب سالمين من اذى البحر .

٢ * وفي عرضه بحر الزنج : اي في سمته ويحتوي على بحر الزنج ، وبحر الزنج هو المجاور لبلاد زنجبار في شرق افريقية التي يسميها العرب بلاد الزنج ، وهي واسعة واهلها سودٌ ويسمون ايضاً زنجاً جزائر في وسط هذه البحور لمجاورتها لبلاد زنجبار .

٣ * بلاد الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية بحر اليمن . قال الاصمعي : هو بين عدن وعمان . واليه ينسب العنبر الشحري .

٤ * قضاعة : هو ابن مالك بن حمير اليه تنسبت قبيلة قضاعة ، وهو احد اجداد العرب من ابناء قحطان .

٥ * اصحاب شعور وجُمَم : اي لهم شعور طوال مسترسلة على اكتافهم .

٦ * النجب المهرية والبجاوية : نسبت الابل الى قبيلة مهرة وهي مهرة ابن حيدان بن قضاعة . (٢) النجب البجاوية : فنسبت الى بجاوة ارض للنوبة بها ابل فارهة منسوبة الى البجاه . وهم امم عظيمة بين العرب والحبش والنوبة .

سرَنديب جزائرُ أُخرُ نحوٌ من ألفِ فرسخٍ، تُعرَفُ بالرَّامني[١] مَعمورةٌ. فيها ملوكٌ، وفيها مَعادنُ ذهبٍ كثيرةٌ؛ ويليها بلادُ قَيصورَ[٢] وإليها يُضافُ الكافورُ القيصوريُّ. وأكثرُ ما ذكرنا، من هذه الجزائرِ، غِذاؤهم النَّارَجيل[٣]، ويُحمَلُ، من هذه الجزائرِ، خشَبُ البَقَّمِ والخَيزُرانِ[٤] والذَّهبُ؛ وفيلَتُها كثيرةٌ. ومن أهلِها من يأكُلُ لُحومَ النَّاسِ. وتتَّصلُ هذه الجزائرُ بجزائرِ النَّجمالوس[٥]، وهم أُمَمٌ عجيبةٌ يخرُجونَ في القواربِ، عندَ اجتيازِ المراكبِ بهم، معهم العنبرُ والنَّارَجيلُ وغيرُ ذلكَ، فيتَعاوضونَ بالحديدِ، وشيءٍ من الثِّيابِ، ولا يَبيعون ذلكَ بالدَّراهمِ والدَّنانيرِ. ويَليهم جزائرُ يقالُ لها أبرامانُ[٦] فيها أُناسٌ سُودٌ، عَجيبو الصُّورِ والمناظرِ، مُغلَفلَو الشُّعورِ، لا مراكبَ لهم، فإذا وقَعَ غريقٌ إليهم، ممن كُسِرَ المركبُ به في البحرِ، أكلوهُ؛ وكذلك فعلُهم بالمراكبِ إذا وقعَت إليهم. وذكَرَ لي جَماعةٌ من النَّواخِذةِ[٧] أنَّهم ربَّما رأوا في هذا البحرِ سَحاباً أبيضَ، قِطَعاً صغاراً يخرُجُ منهُ لِسانٌ طويلٌ أبيضُ حتَّى يَتَّصِلَ بماءِ البَحرِ، فإذا اتَّصلَ به غلاَ[٨] لذلك، وارتفعَت منه زوابعُ عظيمةٌ لا تَمُرُّ زوبَعةٌ منها بشيءٍ إلَّا أتلفَتْه. وأمَّا البحرُ الرَّابعُ، فهو بحرُ كَلَه وهو قليلُ الماءِ، كثيرُ الجزائرِ، والصَّرائرِ. وذلك أنَّ أهلَ المَراكبِ يُسَمّون ما بينَ الخَليجَينِ، إذا كانَ طريقُهم فيه، الصَّرَّ. ولهذا البحرِ أنواعٌ من الجزائرِ والجبالِ عَجيبةٌ وإنَّما غرَضُنا التَّلويحُ بلُمَعٍ من الأخبارِ عنها لا البَسْط. وكذلكَ البحرُ الخامسُ، المعروفُ

١ * جزائر الرامني: ربما اراد بهذه تعرف بالرامني الجزائر جزيرة صوماترا الكبيرة وتعرف ايضاً عند اهلها بالرمني.

٢ * قيصور: قال ابو الفداء: هي من جزائر بحر الشرق في جنوبي جزيرة جاوة التي يُنسب اليها الكافور القيصوري.

٣ * النارجيل: جوز الهند.

٤ * البقم: خشب شجره عظام وورقه كورق اللوز له ساق احمر واكثر وجوده في بلاد الهند وصبغته مشهورة. اما الخيزران: فشجر هندي وهو اصناف منهُ اللدن الذي المعروف، ومنهُ كبير مجوَّف يبلغ الى غاية الكبر يصنع منهُ اهل الهند والصين الاواني والاطباق.

٥ * جزائر النجمالوس: هي الجزائر المعروفة اليوم باسم جزائر الاندمان عند راس الكاليمار.

٦ * ابرامان: هذه الجزائر معروفة جزائر هي في غربي مملكة سيام في البحر المعروف ببحر بنكام.

٧ * النواخذة: ملاك السفن او وكلاؤهم.

٨ * يتصل غلا الماء البحر: وهذا يسمى الاعصار السحاب بماء البحر فاذا اتصل وذلك ان يرتفع ماء البحر شبه عمود الى السماء فيهلك ما لاقاه في مسيره. اما الزوابع التي يذكرها فهي ريح صرصر كثيراً ما تتلف عدن الهند وهي المعروفة عند الافرنج بالسيكلون.

بكردنج[1] كثيرُ الجبالِ والجزائرِ ، فيه الكافورُ ، وماء الكافورِ . وفيهِ أجناسٌ من الأمم ، منهم جنسٌ يقالُ لهم الفنجبُ ، شعورُهم مُقلفلةٌ ، وصورُهم عجيبةٌ ، يَعرِضون في قوارِبَ لهم لِطافٍ للمراكبِ ، إذا اجتازَت بهم ، ويرمون بنوعٍ من السِّهامِ عجيبٍ قد أُستقِيَ السُّمَّ . ثم يليه بحرُ الصَّنفِ[2] ، وفيهِ مملكة المِهراجِ ملكِ الجزائرِ[3] ومُلكُه لا يُضبَطُ لكثرتِه ، ولا تُحصى جُنودُه . وقد حازَ هذا المَلِكُ أنواعَ الأفاويهِ[4] والطِّيبِ ، وليسَ لأحدٍ من الملوكِ ما له . ومِمَّا يُجهَّزُ به من بلادِه ، ويُحمَلُ من أرضِه ، الكافورُ ، والعُودُ ، والقَرَنفلُ ، والصَّندلُ ، والبَسباسَةُ ، والقاقُلَّةُ ، والكَبابَةُ[5] ، وغَيرُ ذلكَ مِمَّا لم نَذكُرْه . وجزائرُه تتَّصلُ ببحرٍ لا يُدرَكُ غايتُه ولا يُعرَفُ مُنتهاهُ ، وهوَ مِمَّا يلي بحرَ الصِّينِ . وفي أطرافِ جزائرِه جِبالٌ كثيرةٌ ، فيها النَّاسُ مُخزَّمو الآذانِ[6] ، بيضُ الوجوهِ ، يجُزُّون شعورَهم . وتَظهَرُ من جِبالِهم النَّارُ باللَّيلِ والنَّهارِ ؛ بنهارِها نارٌ حمراءُ ، وباللَّيلِ تَسودُّ وتَلحَقُ بأعنانِ السَّماءِ لعُلُوِّها ، وذَهابِها في الجوِّ ؛ تَقذِفُ بأشدِّ ما يكونُ من صَوتِ الرُّعودِ ، والصَّواعقِ . ثم يليه بحرُ الصينِ ، وهو بحرٌ خبيثٌ ، كثيرُ الموجِ والحَبِّ ، وتفسيرُ الحَبِّ الشِّدَّةُ العظيمة في البحرِ . وفيها جبالٌ كثيرةٌ لا بُدَّ للراكبِ منَ النُّفوذِ بينَها . وليسَ بعدَ بلادِ الصِّينِ ، مِمَّا يلي البحرَ ، ممالكُ تعرَفُ ، ولا بلادٌ تُوصفُ إلَّا بلادُ السَّيلى[7] وجزائرُها .

١ * الكردنج : نظن ان هذا البحر هو بحر جون سيام الكبير ، في شرق مملكة سيام .

٢ * الصنف : نظن ان هذا البحر هو بحر الهند الصينية ، وهو بين جزيرة بورنيو ومملكة سيام ، وبحر الصين .

٣ * مملكة المهراج ملك الجزائر : هذه فيه الصنة لا تصلح الا لجزيرة بورنيو الشديدة الاتساع .

٤ . الافاويه : مفردها فوه وهي التوابل والأعصار ، ونوافج الطيب .

٥ . البسباسة والقاقلة والكبابة : كلها من الاشجار العطرية . قال ابن البيطار ما ملخصه : البسباسة قشر جوز بوا الذي يكون فوق القشرة الفليظة وهي لباسة ، وقشره الفليظ لا يصلح لشيء ، وثمره يصلح للطيب . واجود البسباسة الحمراء واردئها السوداء . تجلب من بلاد الهند وتطيب النكهة . والقاقلة : هو حب اكبر من الفلفل بقليل ، له اقماع وقشر وفي داخله حب صغير ، مرّ ، طيب الرائحة ، ذو دسم ، اغبر ، يؤتى به من ارض اليمن والهند ، وهو حريف يحدي اللسان . وعنه شكل صغير . اما الكبابة : فهي مثل الفلفل ولها اذناب ، واطرافها ولونها اصهب . والكبابة عيدان طوال دقاق فيها تنبت الحبوب العطرية وهي دون الدار صيني في عطريته .

٦ * مخزمو فيها الخزامة ، وهي حلقة من شعر .

٧ * بلاد السيلى : نظن انها جزائر الفيليبين .

وَلَم يَصِل إليها من الغرباء أحدٌ من العراق ، ولا غيرِها ، فخَرجَ عنها ، لِصحّةِ هوائِها ، ورِقّة مائِها ، وجُودةِ تُربتِها ، ولكثرةِ خيرِها ، إلّا النّادرُ من النّاس . وأهلُها مُهادِنون لأهلِ الصّينِ ومُلوكِها . والهدايا بينهم لا تكادُ تَنقطعُ . وقد قيلَ : إنّهم شعبٌ من وُلدِ عامرٍ[1] ، سكنوا هنالك ، على حسَبِ ما ذكرنا من سُكنى أهلِ الصّينِ في بلادِهم . وللصّينِ أنهارٌ كبارٌ ، مثلُ دجلةَ والفراتِ ، تجري من بلادِ التُّركِ ، والتُّبّتِ ، والصُّغدِ[2] وهُم بَينَ بُخارى وسَمَرقَندَ . وهنالك جبالُ النُّوشادِرِ ، فإذا كانَ الصّيفُ رأيتَ ، في اللّيلِ ، نيراناً قد ارتفعَت من تلكَ الجبالِ ، من نحوِ مائة فرسخ ؛ وبالنّهارِ يَظهرُ منها الدُّخانُ ، لغَلَبةِ شُعاعِ الشّمسِ وضَوءِها وضوءِ النّهارِ ؛ ومن هنالك يُحمَلُ النُّوشادرُ[3] . فإذا كانَ أوّلُ الشّتاءِ ، فمَن أرادَ من بلادِ خُراسانَ أن يَسلُكَ إلى بلادِ الصّينِ ، صارَ إلى ما هنالك[4] ، وهنالكَ وادٍ بينَ تلكَ الجبالِ طولُه أربعونَ ميلًا أو خمسونَ ميلًا ، فيأتي إلى أُناسٍ هنالكَ ، على فمِ الوادي ، فيُرغّبُهم في الأجرةِ النّفيسةِ[5] ، فيَحملونَ ما معهُ على أكتافِهم ، وبأيديهِم العِصيُّ يضربونَ جنبَيهِ ، خوفاً أن يُثلِجَ ويَقفَ فيَموتَ من كَربِ الوادي ؛ وهو يُحضِرُ أمامَهم حتّى يَخرُجوا إلى ذلكَ الرّأسِ من الوادي ؛ وهنالك غاباتٌ ومُستنقَعاتٌ للماءِ فيَطرَحونَ أنفسَهم في ذلكَ الماءِ ، لما قد نالَهم من شِدّةِ الكَربِ ، وحَرّ النُّوشادرِ . ولا يسلُكُ ذلكَ الطّريقَ شيءٌ من البَهائمِ ، لأنّ النُّوشادرَ يلتهبُ ناراً في الصّيفِ ، فلا يَسلُكُ ذلكَ الوادي داعٍ ولا مُجيبٌ ؛ فإذا كانَ الشّتاءُ وكَثُرَت الثُّلوجُ والأنداءُ ، وقعَ ذلكَ على الموضعِ ، فأطفأَ حَرَّ النُّوشادرِ ولَهيبَه ، فيَسلُكُ النّاسُ حينئذٍ ذلكَ الوادي ؛ والبهائمُ لا صبرَ لها على

١ * ولد عامر : عامر هذا هو ابن منذر من ابن نزار ابو القبائل العربية .

٢ * الصُّغد : كورة كبيرة قصبتها سمرقند . وهي قرى متصلة خلال اشجار وبساتين ، من سمرقند الى قريب من بخارى ، لا تبين القرية حتى تأتيها لاتصاق الاشجار بها . وهي من اطيب ارض الله تربة الانهار متجاوبة الانهار . والصغد في الاصل اسم للوادي والنهر الذي منه تشرب هذه النواحي وعبداه من ارض الترك .

٣ * النوشادر : لفظة فارسيّة معرّبة ، وهي مادة صلبة ، بيضاء ، حامضة الطعم ، منها معدنيّة ، ومنها مصنوعة . واجودها المعروفة بالبنكالي وهو صافر ، بلوري . والنوشادر هو من الاملاح التي يدخلها الاموليات اي تركيب الازوت بالهيدروجين .

٤ * صار فيه النوشادر . وما موصولة وهنالك متعلقة بصلتها .

٥ * يرغبهم فيها ◉ خوفاً ان يُثلج : اي لئلا يصيبهُ الثلج فتتراخى اعضاؤهُ . وفي نسخة خوفاً ان يبلد اي يعجز ويعيا ◉ وكرب الوادي : مضيقه المخطر .

ما ذكرناه من حرّه . وكذلك من وردَ من بلادِ الصّينِ فُعِلَ به من الضّرب ما فُعِلَ بالمارّ . والمسافةُ بينَ بلادِ خُراسانَ، على الموضعِ الذي ذكرنا، إلى بلادِ الصينِ، نحوٌ من أربعينَ يوماً، بينَ عامرٍ وغامرٍ ودَهاسٍ ورِمالٍ . وفي غيرِ هذا الطّريقِ، مما يَسلُكهُ البَهائمُ، نحوٌ من أربعةِ أشهرٍ، إلّا أنّ ذلك في خَفاراتِ أنواعٍ من التُّركِ . وقد رأيتُ ببَلْخَ شَيْخاً جميلاً، ذا رأيٍ وفَهمٍ، قد دخلَ الصّينَ مِراراً كثيرةً ولم يركَبِ البحرَ قطُّ . وقد رأيتُ عدّةً من النّاسِ ممن سلكَ من بلادِ الصّغدِ على جبالِ النُّوشاذِرِ إلى أرضِ التُّبّتِ والصّينِ ببلادِ خُراسانَ . وبلادُ الهندِ مُتّصلةٌ ببلادِ خُراسانَ والسّندِ مما يلي المنصورةَ[1] والمُولتانَ[2] . والقوافلُ مُتّصلةٌ منَ السّندِ إلى خُراسانَ، وكذلك إلى الهندِ، إلى أن تتّصلَ هذه الدّيارُ ببلادِ زابُلستانَ[3] .

بلادُ التُّبّتِ

لبلادِ التُّبّتِ خواصُّ عجيبةٌ في هوائِها وسهلِها وماءِها وجبلِها، ولا يزالُ الإنسانُ أبدًا بها ضاحكاً، فرحاً، مسروراً، لا تعرضُ له الاحزانُ، ولا الغُمومُ، ولا الأفكارُ . ولا تُحصى عجائبُ ثمارِها وزهرِها ومروجِها وهوائِها وأنهارِها . وهي بلادٌ تقوى فيها طبيعةُ الدّمِ على الحيوانِ النّاطقِ وغيرِه؛ ولا يكادُ يُرى في هذا البلدِ شيخٌ حزينٌ، ولا عجوزٌ، بلِ الطّربُ في الشّيوخِ والكُهولِ والشّبابِ والأحداثِ عامٌّ . وفي أهلِها رِقّةُ طبعٍ وبشاشةٌ وأريحيّةٌ تَبعَثُ على كثرةِ استعمالِ الملاهي، وأنواعِ إيقاعِ الرّقصِ؛ حتّى أنّ الميتَ، إذا ماتَ، لا يكادُ يُداخِلُ أهلَه عليه كثيرٌ منَ الحزنِ، مما يلحَقُ غيرَهم من سائرِ النّاسِ عندَ فَقدِ محبوبٍ أو فَوتِ مطلوبٍ . ولهم تحنُّنٌ كثيرٌ من بعضِهم على بعضٍ؛ والتّيمُّنُ فيهم عامٌّ، وكذلك يَظهرُ في بلادِهم . وهذه البلادُ تسمى بمن ثَبَتَ فيها، ورُتّبَ من رجالِ حِميَرَ، فقيلَ : « تُبّتٌ »

١ . المنصورة : مدينة كبيرة، هي قصبة بلاد السند، كثيرة الخيرات كان اسمها قديماً هَمْناباذ فلما دخلها منصور بن جمهور، عامل بني امية، اصلحها وبنى خرابها فسميت باسمه . وفي اهلها مروءة وصلاح ودين وتجارة وشربهم من نهر يقال له مهران وهي شديدة الحرّ .

٢ . المولتان : قال الاصطخري : المولتان مدينة بقدر نصف المنصورة، خصبة عليها حصن منيع، فتحت باوّل الاسلام، فتحها محمد بن القاسم بن ابي عقيل في زمان الوليد .

٣ . اخذت باختصار

لشبوقهم ، وقيل لمعانٍ غير ذلك والأشهرُ ما وصفنا . . وبلادُ التُّبَّتِ مُتاخمةٌ لبلادِ الصينِ وأرضها من احدى جهاتِه[1] ، ولأرضِ الهندِ وخُراسانَ ، ولمفاوزِ التُّركِ . ولهم[2] مدنٌ وعمائرُ كثيرةٌ ، ذواتُ مَنَعةٍ وقوةٍ ؛ وقد كانوا في قديمِ الزمانِ يُسمُّون ملوكهم تُبَّعاً لاتباعِ اسمِ تُبَّعٍ ملكِ اليمنِ ؛ ثمَّ إنَّ الدهرَ ضربَ ضرباتِه فتغيَّرت لغاتُهم عن الحِميريَّةِ ، وحالت الى لغةِ تلك البلادِ ممن جاورَهم من الأممِ ، فسمَّوا ملوكهم بخاقانَ . وفي بلادِهم الأرضُ التي بها ظباءُ المسكِ التُّبَّتيِّ ، الذي يَفضُلُ على الصينيِّ بجهتينِ : إحداهما أنَّ ظباءَ التُّبَّتِ ترعى سُنبُلَ الطِّيبِ وانواعَ الأفاويه ؛ وظباءُ الصينِ ترعى الخشيشَ دونَ ما ذكرنا من أنواعِ حشائشِ الطِّيبِ التي ترعاها التُّبَّتيَّةُ ؛ والجهةُ الأخرى أنَّ أهلَ التُّبَّتِ لا يتعرَّضون إلى إخراجِ المسكِ من نوافجِه ، ويَتركونه على ما هو به ؛ واهلُ الصينِ يُخرجونه من النَّوافجِ ويلحَقُه الغِشُّ بالدَّمِ وغيرِه من أنواعِ الغشِّ ؛ وإنَّ الصينيَّ ايضاً يَقطَعُ به ما وصفنا من مسافةِ البحارِ ، وكثرةِ الأنداءِ ، واختلافِ الأهويةِ ؛ وإن عدِمَ من أهلِ الصينِ الغشَّ في مسكِهم ، وأُودِعَ بَرانيَ الزُّجاجِ ، وأُحكِمَ ، وأُورِدَ إلى بلادِ الإسلامِ من عُمانَ وفارسَ والعراقِ ، وغيرِها من الأمصارِ ، كانَ كالتُّبَّتيِّ ؛ وأجودُ المسكِ وأطيبُه ما خرجَ من الظِّباءِ بعد بُلوغِه النِّهايةَ في النُّضجِ .

غزلان المسك

إنَّه لا فَرقَ بين غُزلانِنا هذه وبينَ غُزلانِ المسكِ في الصُّورةِ والشكلِ واللَّونِ والقَرنِ[3] ؛ وإنَّما تتَبيَّنُ تلكَ بأنيابٍ لها كأنيابِ الفيَلةِ ، لكلِّ ظبيٍ نابانِ[4] خارجانِ من الفكَّينِ ، قائمانِ ، مُنتصبانِ بعضَ الشِّبرِ ، وأقلَّ وأكثرَ ؛ فتُنصَبُ لها ، في بلادِ التُّبَّتِ والصينِ ، الحبائلُ ، والأشراكُ ، والشِّباكُ ، فيصطادونها ؛ وربَّما رمَوها بالسِّهامِ ، فيَصرعونها ، فيقطعون عنها نوافجَها[5] ، والدَّمُ في سُرَرِها

١ . اعاد الضمير المذكر في جهاته الى التبت لانه مذكر .

٢ . لهم : اراد لاهل التبت .

٣ . اثبت علماء طبائع الحيوان في ابحاثهم ان ظبيَ المسك لا قرن له .

٤ . هذان النابان يخرجان من فك الظبي الاعلى الى الاسفل ، ثم يتعقفان قليلاً الى الوراء ، يحفر بهما الارض ليستخرج منها بعض عروق يغتذي بها .

٥ . النوافج : ج النافجة ، وعاء المسك اي الجلدة التي يجتمع فيها

حارٌّ لم يَنضَج ، وطريٌّ لم يُدرِك ، فيكون لريحته[1] سهُوكة[2] ، فيبقى زماناً ، حتى تزول منه تلك الرائحةُ الكريهةُ ، ويستحيلَ بَوادُّ من الهواء ، فيصيرَ مِسكاً . وسبيلُ ذلك الثِّمارُ إذا أُبينَت عن الأشجار وقُطعَت قبلَ استحكامِ نُضجها في شجرها ، واستحكامِ موادِّها فيه. وخيرُ المسكِ ما نضَجَ في وِعائه ، وأدرَكَ في سُرَّه[3] ، واستحكمَ في حيوانه. وتمامُ موادِّه في ذلك أن الطبيعةَ تدفَعُ موادَّ الدَّمِ الى السُّرَّ ، فإذا استحكمَ كونُ الدَّمِ فيه ، ونضَجَ ما فيه ، عندَ ترادُفِ الموادِّ عليه ، آذاه ذلك ، وحكَّه ، فيفزَعُ حينئذٍ الى أحد الصُّخور والأحجارِ الحارّة ، من حرِّ الشَّمس ، فيَحتَكُّ بها مُستلِذّاً بذلك ، فينفجرُ ، حينئذٍ ، ويَسيلُ على تلك الاحجارِ كانفجارِ الخَرّاجِ والدُّمَّلِ ، فيَجدُ لخُروجه لذّةً ؛ فإذا فرَغَ ما في نافجته ، اندملَ حينئذٍ ، ثمَّ اندفعت إليه موادُّ من الدَّم ، ويجتمعُ ثانيةً ككونه بدءاً ؛ فتخرُجُ رجالُ التُّبَّتِ يَقصدون مَراعيَها بين تلك الأحجار والجبالِ ، فيجدون الدَّمَ قد جفَّ على تلك الصُّخورِ والأحجار ، وقد احكمَتْه الموادُّ ، وأنضَجَته الطَّبيعةُ في حيوانه ، وجفَّفَته الشَّمسُ ، وأثَّرَ فيه الهواء ، فيأخذونه ، فذلك أفضلُ المسكِ ، فيُودِعونه نَوافجَ معَهم ، قد أخذوها من غزلانِ اصطادوها ، مستعدّةً معَهم ؛ فذلك الذي تستعمله ملوكُهم ويَتهادَونه بينَهم ، ويَحمِلهُ التُّجّارُ ، رُفي النّادرِ ، من بلادهم . والتُّبَّتُ ذومدنٍ كثيرةٍ ، فيضافُ مِسكُ كلِّ ناحيةٍ اليها .

العنبَرُ

ما يقَعُ من العنبرِ إلى سَواحلِ بحرِ فارسَ هو شيءٌ تَقذِفُه الأمواجُ إليه ، ومَبدأُه من بحرِ الهندِ . على أنّه لا يُعرَفُ مَخرَجُه . غيرَ أنَّ أجودَه ما وقَعَ الى بلادِ بَربَرٍ[4] ، أو حُدودِ بلادِ الزِّنجِ وما والاها ؛ وهو الأبيضُ المُدوَّرُ ،

١ . الريحة : الرائحة .

٢ . السهوكة : الرائحة الكريهة .

٣ . السُّرّة : السُّرَر جمعها سُرَر .

٤ . بلاد بربر : هي بلاد بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن . والزنج واهلها سودان جدًّا ، وهم بدوٌ ، معيشتهم صيد الوحش ، يرمونها بسهام مسمّمة ، يتخذون سمّها من طبخ حشيشة تشبه الخبّازى . وفي بلادهم وحوش غريبة لا توجد في غيرها منها الزرافة والببر وغير ذلك . وربما وجد في ساحلهم العنبر . وقد يسمون ايضاً بلاد بربر مجموع البلاد التي يسكنها قبائل كثيرة من قدماء سكّان افريقية في جبال المغرب اولها

والأزرقُ النادرُ ، كبيض النَّعام ، أو دونَ ذلك . وذلكَ أنَّ البحرَ ، إذا اشتدَّ هيجانُه ، قذفَ من قعره العنبرَ . ومنه ما يُوجدُ فوقَ البحرِ ، ويَزِنُ وَزناً كثيراً ، فإذا رآهُ الحُوتُ المعروفُ بالتَّال ابتلعَه[1] ؛ فإذا حصلَ في جوفه قتلَه ، وطفا الحُوتُ فوقَ الماء . وله قومٌ يَرصُدونهُ في قوارب ، قد عرفوا الأوقاتَ التي تُوجدُ فيها هـذه الحيتان المُبتلِعة العنبر ؛ فإذا عاينوا منها شيئاً اجتذبوه إلى الأرض بكلاليبِ حديدٍ ، فيها حبالٌ متينةٌ تَنشَبُ في ظهر الحُوتِ ، فيَشقُّون عنه ويُخرجُون العنبرَ منه .

القُرودُ

القُرودُ قطيعانِ ، كلُّ قطيعٍ منها يسوقُه هَدرٌ ، والهدرُ الذَّكرُ العظيمُ ، كالفحلِ العظيمِ المُقدَّمِ فيها . وقد تلدُ القِردةُ في بطنٍ واحدٍ عدَّةً من القرودِ ، نحوَ العَشرةِ ، والاثني عشرَ ، كما تلدُ الخنزيرةُ خنانيصَ كثيرةً . تحملُ القردةُ البعضَ من اولادِها كحملِ المرأةِ ولدَها ؛ ويحملُ الذَّكرُ باقيهنَّ . ولهنَّ مجالسُ يجتمعُ فيها خلقٌ منهنَّ ، فيُسمَعُ لهن حديثٌ ومخاطباتٌ وهَمهَمةٌ . والإناثُ متحيِّزاتٌ عن الذكورِ ؛ فإذا سمعَ السَّامعُ محادثتَهنَّ ، وهو لا يرى أشخاصَهنَّ بينَ تلكَ الجبالِ وأشجارِ الموزِ ، وذلك في اللَّيلِ ، لم يَشكَّ أنهم أناسٌ ، لكثرتِهن باللَّيلِ والنَّهارِ . وليسَ في جميعِ البقاعِ ، التي تكونُ فيها القرودُ ، أحسنُ ولا أخبثُ ، ولا أسرعُ قبولاً للتَّعليمِ من قِردَةِ اليمنِ ؛ وأهلُ اليمنِ يسمّون القرودَ الرِّبَاحَ ؛ ولهم جُمَمٌ ، للذكورِ والإناثِ ، قد سُرِّحَت ، سودٌ كأسودِ ما يكونُ من الشَّعرِ ؛ وإذا طُلِبوا يُجلِسون مراتبَ دون مرتبةِ

برقة ثم الى آخر المغرب ، والبحر المحيط ، وفي الجنوب الى بلاد السودان . ويذهب كل موضع الى القبيلة التي تنازله . وقد اختلفت الآراء في اصل تسميهم : ولهم فضائل منها انهم يكرّمون الضيف ويطعمون المارّة . وكانوا يدينون قديماً بالنصرانيّة ، لهم منها الى الآن بعض رسومها وعاداتها .

١ . التال : كذا في النسخة التي اخذنا عنها ؛ وفي نسخة اخرى الاوال

وهذا نظنّه اصحّ : والاوال من اكبر الحيتان جسماً يبلغ نحواً من ثمانية عشر او عشرين متراً . وعظامهُ يُعمل منها البنكات والاواني الفريدة الشكل كما يشتغل عاج الفيل ؛ ومن لحمها يتخذ الدهن الوافر الكبير الثمن . ويتكون العنبر في بطنه حتى يقذفه ، فيجمد ويطفو على وجه الماء فيرميه البحر الى الساحل . فلا صحة اذاً لما ذكره المسعودي من ابتلاء الاوال للعنبر .

الرئيس ، ويَتشبَّهون في سائرِ أعمالِهم بالنَّاس . ومن القِردةِ باليمن ، ببلادِ مَأرِبٍ ، من بلاد صنعاء ، وقلعةِ كَهلانَ ، ما يكونُ في براري وجبالِ هنالك ، كأنَّها السُّحُبُ في تلك البراري والجبالِ لكثرتها .

تعذيب الهنود أنفسهم

والهندُ تعذِّب أنفُسَها بأنواعِ العَذابِ ، من دونِ الأُمم . وقد تيقَّنت أنَّ ما يناُلها من النَّعيمِ ، في المستقبلِ مؤجَّلًا ، لا يكونُ بغيرِ ما اسلَفته من تعذيبِ انفسِها ، في هذه الدارِ ، مُعجَّلًا . ومنهم من يصيرُ الى بابِ الملكِ يستأذِنُ في إحراقِه نفسَه ، فيدورُ في الأسواقِ ، وقُدَّامَه الطُّبولُ والصُّنوجُ ، وعلى يديهِ أنواعٌ من خِرَقِ الحريرِ ، قد مزَّقها على نفسِه ، وحولَه أهلُه وقرابتُه ، وعلى رأسِه إكليلٌ من الرَّيحانِ ، وقد تشرَّجلدَه عن رأسِه ، وعليها[1] الجمرُ ، وعليها الكِبريتُ والسِّندروس[2] ؛ فيسيرُ وهامتُه ، وروائحُ دِماغِه تفوحُ ، وهو يَمضَغُ ورقَ التَّنبولِ وحَبَّ الفوفَلِ[3] . والتَّنبولُ ، في بلادهم ، ورقٌ ينبُتُ كأصغرِ ما يكونُ من ورقِ الأُتْرُجِّ ، يُمضَغُ هذا الورقُ بالنُّورةِ المبلولةِ معَ الفوفَلِ ؛ وهو الذي غلبَ على أهلِ مكَّة وغيرِهم ، من بقيَّةِ أهلِ الحجازِ واليمنِ ، في هذا الوقتِ ، مَضغُه بدلًا من الطِّيبِ ؛ ويكونُ عند الصَّنادلةِ[4] للورمِ وغيرِ ذلك . فمنهم من يُسمِّيه الفوفلَ ، وهذا إذا مُضِغَ ، على ما ذكرنا بالورقِ والنورةِ ، شَدَّ اللِّثَةَ ، وقوَّى عُمورَ الأسنانِ ، وطيَّبَ النَّكهةَ ، وازالَ الرُّطوبةَ المؤذيةَ ، وشهَّى الطَّعامَ . . . وحمَّرَ الأسنانَ حتَّى تكونَ كأحمرِ ما يكونُ من حبِّ الرُّمانِ ، وأحدثَ في النَّفسِ طرباً وأريحيَّةً ، وقوَّى البدنَ وأثارَ من النَّكهةِ روائحَ طيِّبةً . والهندُ خواصُّها وعوامُّها

١ . عليها : الضمير عائد الى الرأس ، والتأنيث فيه ضعيف .

٢ . السندروس : صمغ الشجر ، ويجلب من نواحي ارمينية ، وهو من الادوية الجالبة .

٣ . الفوفل : نوع من النخل الهندي يعرف ثمره بجوز الفوفل .

وفي مفردات الاطباء هو ثمر نبات في الهند يشبه جوزة الطيب ، واهل الهند يتناولونه لتطييب النكهة وقوته قريبة من قوة الصندل .

٤ . الصنادلة : = صَندلاني ، لغة في الصيدلاني .

تستقبح من أسنانه بيضٌ ، وتجتنب من لا يضغ ما وصفنا . فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق ، انتهى إلى تلك النار ، وهو غير مكترث ، ولا متغير في مشيته ، ولا متهيب في خطوته . ففيهم من إذا أشرف على النار ، وقد صارت جمرًا ، كالتل العظيم ، يتناول خنجرًا ، ويدعى الحرمى عندهم ، فيضعه في أيته . ولقد حضرت ببلاد صيمور ، من بلاد الهند ، من اللارمن ، مملكة البلهرا ، وذلك في سنة اربع وثلثماية[1] ، والملك ، يومئذ على صيمور ، المعروف بجاج ، وبها ، يومئذ ، من المسلمين ، نحو من عشرة آلاف قاطنين ، بياسرة ، وسيرافيين[2] ، وبصريين ، وبغداديين ، وغيرهم من سائر الامصار ممن قد تأهل[3] وقطن في تلك البلاد ؛ وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى وإسحق الصيدابوري . وعلى الهيرمة ، يومئذ ، أبو سعيد معروف بن زكريا ؛ وتفسير الهيرمة يراد به رآسة ، يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة اليه . ومعنى قولهم البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند ؛ يدعون بهذا الاسم ، واحدهم بيسر ، وجمعهم بياسرة . فرأيت بعض فتيانهم ، وقد طاف على ما وصفنا ، في أسواقهم ، فلما دنا من النار أخذ الخنجر ، فوضعه على فؤاده فشقه ، ثم أدخل يده اليسرى ، فقبض على كبده ، فجذب منها قطعة ، وهو يتكلم ، فقطعها بالخنجر ، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاونًا بالموت ، ولذة بالنقلة[4] ، ثم هوى بنفسه في النار . واذا مات الملك من ملوكهم ، وقتل نفسه ، حرق خلق من الناس أنفسهم لموته ؛ يدعون هؤلاء البلالحرية ، واحدهم بلالحري ، وتفسير ذلك المصادق لمن يموت ، فيموت بموته ، ويحيا بحياته . وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل ، التي تألم عند ذكرها الأبدان ، ويصفر من ذكرها الانسان .

١ ـ ٩١٦ م .

٢ ـ سيرافيين : نسبة الى سيراف وكانت اهم فرضة في بلاد فارس

٣ ـ تأهل : تزوج واتخذ اهلا .

٤ ـ النقلة : اراد بها الانتقال من هذه الحياة الى حياة الآخرة .

ملوك الفرس

سابورُ ذو الاكتاف(١)

كان ملكه ، الى أن هلكَ ، اثنتين وسبعين سنة ، وخلّفه والدُه حَمْلًا(٢) ؛ فغلبتِ العربُ على سوادِ العراقِ ؛ وقامَ الوزراءُ بأمرِ التدبيرِ . وكانت جَمْرةُ العربِ ، ممّن غلبَ على العراقِ ، وُلْدُ إيادِ بنِ نِزارٍ ، وكانَ يُقالُ لها طَبَقُ لإطباقها على البلادِ ، ومَلِكُها يومئذٍ الحَرِثُ بنُ الأغرِّ الإياديّ . فلمّا بلَغَ سابورُ من السِنِ ستَّ عشرةَ سنةً ، أعدَّ أساورتَه(٣) بالخروجِ اليهم ، والإيقاعِ بهم . وكانت إيادٌ تَصيفُ بالجزيرةِ ، وتشتو بالعراقِ ؛ وكانَ في حبسِ سابورَ رجلٌ منهم يقالُ له لَقيطٌ ، فكَتَبَ إلى إيادٍ شعرًا يُنذرُهم به ، ويُعلِمُهم خبرَ من يَقصُدُهم .... فلم يَعبَئوا بكتابه ؛ وسَراياه(٤) تكرُّ نحو العراقِ وتُغيرُ على السَّوادِ .... فأوقعَ بهم فعَمَّهم القتلُ ؛ فما أفلت منهم إلّا نَفرٌ لِحقوا بأرضِ الرّومِ وخَلَعَ ، بعدَ ذلكَ ، سابورُ اكتافَ العربِ ، فسُمّي ، بعد ذلكَ ، بذي الأكتافِ . . .

وسارَ سابورُ نحوَ بلادِ الشّامِ ، فافتتَحَ المدنَ ، وقتلَ خلائفَ الرّومِ ؛ ثم طالَبَته نفسُه بالدخولِ إلى ارضِ الرّومِ مُستنكِرًا(٥) ليَعرِفَ اخبارَهم وسيرَهم ، فتنكّرَ وسارَ إلى القسطنطينية ، فصادَفَ وليمةً لقيصرَ قد اجتمع فيها الخاصُّ والعامُّ ، فدَخلَ في جملتِهم ، وجلسَ على موائدِهم . وقد كانَ قيصرُ أمرَ مصوِّرًا أتى عسكرَ سابورَ ، فصوّرَه له ، فلمّا جاءَ قيصرَ بالصّورةِ ، أمرَ بها فصوِّرَت على آنيةِ الشّرابِ من الذهبِ والفضّةِ . وأتاه من كانَ على المائدةِ ، التي عليها سابورُ ، بكأسٍ ، فنظرَ بعضُ الخدَمِ إلى الصّورةِ التي على الكأسِ ، وسابورُ مقابلٌ على المائدةِ ، فعَجِبَ من اتّفاقِ الصورتينِ ، وتقارُبِ الشّكلينِ ، فقامَ

١ ـ سابور : هو ابن هُرمُز بن نرسي ، ثامن ملوك الدولة الساسانية .

٢ ـ حملًا : اي في بطن امّه .

٣ ـ الاساورة : ج الاسوار ، قائد الفرس .

٤ ـ السرايا : ج السرية ، قطعة من الفرسان ، والضمير يعود الى سابور .

٥ ـ المستنكر : المجهول .

إلى الملكِ ، فأخبرَه ، فأمرَ به ، فمُثِّلَ بينَ يديه ، فسأله عن خبرِه ، فقالَ : أنا من أساورةِ سابورَ ، استحقَّيتُ العُقوبةَ لأمرٍ كانَ مني ، فدعاني ذلك إلى الدُّخولِ إلى أرضكم . فلم يُقبَل ذلك منه ، وقُدِّمَ الى السَّيفِ ، فأقرَّ ، فجعلَه في جلدِ بقرٍ . وسارَ قيصرُ في جنودِه ، حتَّى توسَّطَ العراقَ ، وافتتحَ المدائنَ وشَنَّ الغاراتِ ، وعضدَ النَّخلَ[1] ، وانتهى إلى مدينةِ جُندَيسابورَ ، وقد تحصَّنَ بها وجوهُ فارسَ ، فنزلَ عليها . وحضرَ عيدٌ لهم ، في تلك اللَّيلةِ ، الَّتي أشرفوا على فتحِ المدينةِ في صَبيحتِها ، فأغفلَ الموكَّلونَ أمرَ سابورَ ، وأخذ الشرابُ منهم وكانَ بالقُربِ من سابورَ جماعةٌ من أسارى الفرسِ ، فخاطبهم أن يَحُلَّ بعضُهم بعضاً ، وشجَّعهم وأمرَهم أن يَصُبّوا عليه زِقاقاً من الزَّيتِ كانت هنالك ، ففعلوا ، فلانَ عليه الجلدُ ، وتخلَّصَ ؛ وأتى المدينةَ ، وهم يتحارسُون على سُورِها ، فخاطبَهم ، فعرَفوه ، ورفعوه بالحبالِ ؛ ففتحَ أبوابَ خزائنِ السِّلاحِ ، وخرجَ بهم ، ففرَّقهم حولَ مواضعَ منَ الجيشِ ، والرُّومُ غارُونَ[2] ، مُطمئنُّون ، فكبَسَ الجيشَ عند ضربِ النَّواقيس . فأتوه بقيصرَ أسيرًا ، فاستحياه ، وأبقى عليه ، وضمَّ إليه من أفلتَ من القتلِ من رجالِه ؛ فغرَسَ قيصرُ ، بالعراقِ ، الزَّيتونَ بَدلاً مما عضَدَه من النَّخلِ فيها ، ولم يكن ، بالعراقِ ، الزَّيتونُ قبلَ ذلكَ ، وبنى شاذِروانَ مدينةِ تَستَرَ لنهرِها . والشَّاذِروانُ هو المُسَنَّاةُ[3] العظيمةُ والسِّكرُ[4] من الحجرِ والحديدِ والرَّصاصِ . وعمَرَ ما أخرَبَ في اخبارٍ يطولُ ذكرُها ، وانصرفَ قيصرُ الى بلادِ الروم .

أنو شروان

ولما مَلكَ أنوشروانُ[5] ، وقتلَ مَردَقَ[6] ، وأتبعَه بثمانينَ ألفاً من أصحابه ، وذلك بين حادرِ والنَّهروانِ من أرضِ العراقِ ، فسُمِّيَ من ذلك اليوم

١ ـ عضد النخل : قطعها بالمعضد ، وهو كالفأس يقطع به الشجر .

٢ ـ غارون : غافلون ، واحدها غارٌّ .

٣ ـ المُسَنَّاة : العَرِم ، السدّ ، يبقى ليرد المياه السائلة .

٤ ـ السِّكر : الاسم من سكرَ النهر سدّه .

٥ ـ انوشروان : هو ابن قباذ ، السابع عشر من ملوك الساسانية

٦ ـ مردق : كذا في الاصل ، والاصح مزدق ، او مزدك ، وهو صاحب مذهب المزدكية .

أنوشروانَ ، وتفسيرُ ذلك : جديدُ الملوكِ ؛ وجمعَ أهلَ مملكته على دينِ المجوسيّةِ ، ومنعَهم النَّظَر ، والحِجاجَ ، والخِلافَ في المِلل ؛ وسارَ نحوَ البابِ والأبواب ، وجبلِ الفتحِ ، لما كان هنالك من غاراتٍ من الملوكِ على بلادِه ؛ فبنى السُّورَ ، على أزقاقِ البقرِ المنفوخةِ ، بالصَّخرِ والحديدِ والرَّصاصِ ، فكلما ارتفعَ البناءُ نزلت تلك الأزقاقُ إلى ان استقرَّت في قرارِ البحرِ ، وقد ارتفعَ السّورُ على الماءِ ، وغاصَ الرجالُ حينئذٍ ، بالخناجرِ والسَّكاكينِ إلى تلك الزِّقاقِ فشقَّتها ، وتمكَّنَ السّورُ على وجهِ الماءِ ، في قرارِ البحرِ ، وهو باقٍ إلى وقتنا هذا ، وهو سنةُ اثنتينِ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ[1] . ويُسمّى هذا الموضعُ من السُّورِ ، في البحرِ ، الصَّدَّ[2] ، مانعاً للمراكبِ ، في البحرِ ، إن وَردَت من بعضِ الأعداءِ . ثمَّ مدَّ السّورَ في البحرِ ما بينَ جبلِ الفتحِ والبحرِ ، وجعلَ فيه الأبوابَ مما يلي الكُفّارَ ، ثمَّ مدَّ السورَ على جبلِ الفتحِ . . .

وانصرفَ أنوشروانُ إلى العراقِ ، ووفدَت عليه رُسُلُ الملوكِ وهداياها ، والوفودُ من الممالكِ . وكان فيمن وفدَ إليه رسولُ لملكِ الرّومِ قيصرَ بهدايا وألطافٍ[3] ، فنظرَ الرسولُ إلى ايوانِه ، وحسنِ بُنيانِه ، واعوجاجِ في ميدانِه ، فقالَ : كانَ يحتاجُ هذا الصحنُ أن يكونَ مُربّعاً ؛ فقيلَ له : إن عجوزاً لها منزلٌ من جانبِ الاعوجاجِ منه ، وإن الملكَ ارادَها على بيعِه ، وأرغبَها ، فأبَت ، فلم يُكرهْها الملكُ ، وبقيَ الاعوجاجُ من ذلك على ما تَرى . فقالَ الرّوميُّ : هذا الاعوجاجُ الآنَ أحسنُ من الاستواءِ . وسارَ أنوشروانُ في بلادِه ، ودارَ في مملكتِه ، فاحكمَ البُنيانَ ، وشيَّدَ القِلاعَ والحصونَ ، ورتَّبَ الرجالَ ، فعبرَ إلى الشّامِ ، فافتتحَ بها المدنَ . وكانَ مما افتتحَ بلادَ حلبَ ، وقِنّسرينَ ، وحمصَ ، وفامية ، وهي بينَ إنطاكيةَ وحمصَ . وسارَ إلى إنطاكيةَ ، وحاصرها ، وفيها أختٌ لقيصرَ ، فافتتحها وافتتحَ مدينةً عظيمةً كبيرةَ العُمرانِ ، عجيبةَ البنيانِ كانت في ساحلِ إنطاكيةَ ، رسومُها بيّنةٌ إلى هذه الغايةِ[4] ، وأثرُها قائمٌ ،

١ . ٩٤٣ م .

٢ . الصدّ : الجبل .

٣ . الألطاف : الهدايا .

٤ . الى هذه الغاية : اراد بها الى الآن .

تُدعى سلوقية . وأقبلَ يفتتحُ المدائنَ بالشامِ وأرضِ الرومِ ، ويغنمُ الغنائمَ والجواهرَ والأموالَ . وبذلَ السيفَ ، وبثَّ عساكرَه وسراياه ؛ فهادَنه قيصرُ ، وحملَ إليه الخراجَ والجزية ، فقبلَ ذلك منه . ونقلَ من الشامِ المرمرَ والرخامَ وانواع الفُسَيفساء والاحجارَ . والفُسَيفساء هي شيءٌ يُطبَخُ من الزجاجِ والأحجارِ ، ذو بهجةٍ وألوانٍ يدخلُ فيما فُرشَ من الأرضِ والبنيانِ كالفُصوصِ ؛ ومنه ، على هيئةِ الجامات[1] ، شافٌ[2] ؛ وحملَ ذلكَ الى العراقِ ، فبنى مدينةً نحوَ المدائنِ سمّاها بروميَةَ ، وجعلَ بنيانَها ، وما داخلَ سورِها ، بما ذكرنا من أنواعِ الأحجارِ ، يحكي بذلك إنطاكيَة وغيرَها من المدنِ في الشامِ . وهذه المدينةُ سورُها ، من طينٍ ، قائمٌ الى هذا الوقتِ ، خرابٌ ، وبابٌ يُعرفُ بما ذكرنا[3] .

وزوّجه خاقانُ ملكُ التُرك بابنتهِ وابنةِ اخيهِ ، وهادَنته ملوكُ السِندِ والهندِ ، والشمالِ والجنوبِ ، وسائرِ الممالكِ ، وحُملَت إليه الهدايا ، ووفدَت إليه الوفودُ خوفاً من صولتِه وكثرةِ جنودِه ، وعِظَمِ مملكتِه ، ولما يظهرُ من فعلِه بالممالكِ ، وقتلِه الملوكَ ، وانقيادِه الى العدلِ . وكتبَ إليه ملكُ الصينِ : من يعبورَ ملكِ الصينِ ، صاحبِ قصرِ الدُرِّ والجوهرِ ، الذي يجري ، في قصرِه ، نهرانِ يسقيانِ العودَ والكافورَ الذي توجدُ رائحتُه على فرسخينِ ، والذي تخدمهُ بناتُ ألفِ ملكٍ ، والذي في مربطِه ألفُ فيلٍ ابيضَ ، إلى اخيه كسرى أنوشروانَ ؛ وأهدى اليه فرساً من درٍ ، مُنضَّداً عينا الفارسِ والفرسِ من ياقوتٍ أحمرَ ، وقائمُ سيفِه[4] من نابتٍ[5] منضّدٍ بالجوهرِ ؛ وثوبَ حريرٍ صينياً عَثَرِيّاً[6] ، فيه صورةُ الملكِ جالساً في إيوانِه وعليه حِلتُه وتاجُه ، وعلى رأسِه الخَدَمُ ، وبايديهم المَذابُ ؛ صورةٌ منسوجةٌ بالذهبِ ، وأرضُ الثوبِ لازَوردٌ ، في سفَطٍ من ذهبٍ ، تحملُه جاريةٌ تغيبُ في شعرِها ، تتلألأ جمالاً ؛ وغيرَ ما ذكرنا من

١ . الجامات : واحدها الجام ، اناء من فضّة ، او ذهب ، من كأس ومشربة ونحوهما .

٢ . شاف : من شفّ رقّ حتى ظهر ما تحته .

٣ . بما ذكرنا : اي يعرف بباب يعرف رومية .

٤ . الضمير يعود الى الفارس .

٥ . النابت : اسم فاعل من نبت ، والطريّ من كل شيء .

٦ . العثري : ما سقته السماء من الاشجار والزرع ، وهذا لا يوافق المعنى ، وربما كان نوعاً من الحرير الصيني .

عجائبَ مما يُحمَلُ من ارضِ الصّينِ وتُهديه الملوكُ إلى اكفائِها . وكتبَ اليه ملكُ الهندِ: من ملك الهندِ ، وعظيمِ أراكنةِ[1] الشَّرقِ ، وصاحبِ قصرِ الذهبِ وأبوابِ الياقوتِ والدُّرِ ، الى أخيه ملكِ فارسَ ، صاحبِ التّاجِ والرّايةِ ، كِسرى انوشروانَ . وأهدى إليه ألفَ مَنٍّ[2] من عودٍ هنديّ يذوبُ في النّارِ كالشّمعِ ، ويختمُ عليه ، كما يُختمُ على الشّمعِ ، فتبينُ فيه الكتابةُ ؛ وجاماً من الياقوتِ الاحمرِ ، فتحتُهُ شِبرٌ ، مملوءا درّاً ؛ وعشرةَ أمنانٍ كافورٍ كالفُستُقِ واكبرَ من ذلك ؛ وجاريةً طولُها سبعةُ أشبارٍ ، تَضربُ أشفارُ عينيها خدَّها ، وكأنَّ بينَ أجفانِها لمعانَ البرقِ من بياضِ مُقلتيها ، معَ صفاءِ لونِها ، ودقّةِ تخطيطِها ، واتقانِ تشكيلِها ؛ مقرونةُ الحاجبَينِ لها ضفائرُ تجرُّها ؛ وفرشاً من جلودِ الحيّاتِ ألينَ من الحريرِ وأحسنَ من الموشيِّ . وكان كتابُه ، في لِحاءِ الشّجرِ المعروفِ بالكاذيِّ ، مكتوباً بالذهبِ الأحمرِ . وهذا الشجرُ يكونُ بأرضِ الهندِ والصينِ ، وهو نوعٌ من النباتِ عجيبٌ ، ذو لونٍ حسنٍ وريحٍ طيّبٍ ، لِحاؤه أرقُّ من الورقِ الصّينيِّ ، تَتكاتبُ فيه ملوكُ الصينِ والهندِ . وورَدَ عليه ، وهو في عسكرِه ، محارباً لبعضِ أعدائِه ، كتابُ ملكِ التُّبّتِ: من خاقانَ ملكِ تُبّتانَ[3] ، ومشارقِ الأرضِ المُتاخمةِ للصّينِ والهندِ ، إلى أخيه المحمودِ في السّيرةِ والقدرِ ، ملكِ المملكةِ المتوسّطةِ للأقاليمِ السبعةِ . وأهدى اليه انواعاً من العجائبِ ، التي تُحمَلُ من أرضٍ تبتَ ، منها مائةُ جَوشَنٍ[4] تُبّتيةٍ ، ومائةُ قطعةِ تَحافيفَ[5] ، ومائةُ بُرسٍ[6] تبتيّةٍ ، واربعةُ الافِ مَنٍّ من المسكِ في نَوافجِ غِزلانِه . وقد كانَ أنوشروانُ سارَ إلى ما وراءَ نهرِ بَلخَ ، وانتهى إلى جيلانَ[7] وقتلَ أحسوانَ ، ملكَ الهياطلةِ ، بجَدِّه فيروزَ وملكَ

١ ـ الأركون : الدهقان العظيم ، معرّب ارخون باليونانية ، ومنه يقولون : اركون الشياطين اي رئيسهم . والدهقان : التاجر ، ورئيس فلاحي العجم ، ورئيس الاقليم ، معرب دهخان بالفارسية .

٢ ـ المَنّ : كان شرعاً مائة وثمانين مثقالاً ، وعُرفاً مائتين وثمانين مثقالاً .

٣ ـ تبتان : زيادة الالف والنون تعني بلاد ، اي بلاد التبت .

٤ ـ الجوشن : الدرع .

٥ ـ تحافيف : هكذا في الاصل ، والصواب تجافيف : ج تِجفاف ، آلة للحرب تُلبَسها الخيول كالدروع .

٦ ـ البُرس : القطن ، وربما اراد منه ثوب من القطن .

٧ ـ جيلان : اقليم من العجم .

مملكته ، فاضافها إلى مُلكه . وقد كانَ نُقلَ إليه من الهندِ كتابُ كليلةَ ودمنةَ ، والشِطرَنجُ ، والخِضابُ الاسودُ المعروفُ بالهنديِّ ، وهو الخِضابُ الَّذي يَلمعُ سوادُه ، فيما يَظهرُ من اصولِ الشَعر ، سنةً كاملةً بصبغةٍ سوداء ، ولا يَنصلُ منه شيء . . . وكانَ لأنوشروانَ مائدة من الذَهبِ عظيمةٌ عليها أنواعٌ من الجَواهر ، مكتوبٌ عليها من جوانبها : لِيَهْنَه طعامُه من أكلَه من حِلِّه[1] ، وعادَ على ذوي الحاجةِ من فضلِه ما أكلته ، وانتَ تَشتَهيه ، فقد أكلتَه ، وما أكلتَه ، وانتَ لا تشتهيه ، فقد أكلكَ .

المناذرة والغساسنة

مقتلُ النُعمان[2]

وقد كانَ النُعمانُ قتلَ عَديَّ بنَ زيدٍ التَميميَّ ، وكانَ يكتُبُ لكِسرى ابَرْويزَ[3] ، ويترجمُ اذا وفدَ عليه زعماءُ العربِ ، لموجدةٍ[4] وجدَها عليه النعمانُ ، في خبرٍ طويلِ الشرح . فلمَّا صارَ زيدُ بنُ عديٍ مكانَ ابيهِ ، فذكرَ لابرويزَ جمالَ نساءِ آلِ المُنذرِ ، ووَصَفَهنَّ له ؛ فكتبَ الى النعمان يأمرُه أن يبعثَ إليه بأختِه ؛ فلمَّا قرأَ النعمانُ كتابَه ، قالَ للمرسولِ ، وهو زيدُ بنُ عديٍ : يا زيدُ ! أمَا لكِسرى في مَها السَوادِ كفايةٌ ، حتَى يتَخطَى إلى العربيَّات ؟ فقالَ زيدٌ : إنَّما أرادَ الملكُ إكرامَك ، أبيتَ اللَعنَ ، بصَهرِكَ ، ولو علِمَ أنَ ذلكَ يَشُقُّ عليكَ لما فعَلَه ؛ وسأُحسِّنُ ذلكَ عندَه ، وأعذِرُكَ بما يقبَلُه . فقالَ النعمانُ : فافعَل ، فقد تَعرِفُ ما على العربِ في تَزويجِ العجمِ من الغَضاضةِ والشَناعةِ . فأدَى اليه[5] قولَه[6] في مَها السَوادِ على أقبحِ الوجوهِ ،

١ * الحِل : الحلال . والجملة كلها ضعيفة التركيب معقّدة .

٢ * النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

٣ * ابرويز : هو ابن هرمز بن انوشروان .

٤ * الموجدة : الحقد ، والبغضاء .

٥ * ضمير ادى يعود ازيد ، وضمير اليه لكسرى .

٦ * قوله : اي قول النعمان .

وأوجده عليه . وقال[1] : ما لَهَا ؟ فقال[2] : البقرُ . فأخذَ[3] عليه وقال : ربَّ عبدٍ قد صارَ في الطُّغيانِ إلى اكثرَ من هذا . فلمَّا بلغَت كلمتُه إلى النعمانِ تخوَّفه ، فخرجَ هارباً ، حتَّى صار الى طيِّءٍ لصهرٍ كانَ له فيهم ؛ ثمَّ خرج من عندهم ، حتَّى اتى بني رواحةَ بنِ ربيعةَ بنِ مازنِ بنِ الحرثِ بنِ قطيعة ابنِ عبسٍ ، فقالوا له : أقِم معنا ، فإنَّا مانعوكَ ممَّا تمنعُ منه أنفسَنا ؛ فجزاهم الخيرَ ، ورحلَ عنهم يُريدُ كسرى ليرى فيه رأيه . . . . واقبلَ النعمانُ حتَّى أتى المدائنَ ، فصفَّ له كسرى ثمانيةَ آلافِ جاريةٍ ، عليهنَّ المُصبَّغاتُ ، صفَّين ، فلما صارَ النعمانُ بينهنَّ قُلنَ له : أما فينا للملكِ غِنىً عن بقرِ السَّوادِ ؟ فعَلِمَ النعمانُ أنَّه غيرُ ناجٍ منه ؛ ولَقِيَه زيدُ بنُ عديٍّ فقالَ له النعمانُ : أنتَ فعلتَ هذا بي ؟ لَئن تخلَّصتُ لأسقينَّك بكأس أبيك ! فقالَ له زيدٌ : امضِ تَغنَمْ ! فقد أخيتُ[4] لك أخيَّةً لا يَقطعُها المُهرُ الأرِنُ[5] . وأمرَ كسرى ، فجلسَ في مجلسِه بساباط المدائنِ ، ثم أمرَ به ، فرُميَ تحتَ أرجلِ الفيلةِ ؛ وقالَ بعضُهم : بل ماتَ محبوساً بساباطَ .

. . . ومما رُثِيَ به النعمانُ :

لم تَبكِه هندٌ ولا أختُها ... خرقاءُ ، واستعجَمَ ناعيهِ[6] ؛
بينَ فيولِ الهندِ ، يَخبِطنَه ، ... مُختبِطاً ، تدمَى نواحيه .

وقد كانَ النعمانُ حينَ أرادَ المَضيَّ إلى كسرى مستسلماً مَرَّ على بني شَيبانَ ، فاودعَهم سلاحَه وعيالَه عند هانىءِ بنِ مسعودِ بن هانىءِ الشَّيبانيِّ ،

١ . قال : اي كسرى .

٢ . فقال : اي عدي .

٣ . أخذَ عليه : من أخذ الهمزُ اعتراه ، استعاره هنا لشدة الغضب .

٤ . أخيت : من أخى للدابَّة عمل لها اخيَّة ، وهي حبل يُدفن طرفاه في الارض ويبرز طرفه كالحلقة تشد به الدابَّة ؛ واراد بذلك انه أوقعه في مهلكة لا ينجو منها

٥ . الأرن : النشيط .

٦ . هند سكت عجزاً . وخرقاء : بنتا النعمان ، استعجم

فلمّا أتى كسرى على النعمانِ[1] بعثَ إلى هانيء بن مسعودٍ ، وطالبَه بتركتِه ، فامتنعَ وأبى ان يخفِرَ الذمّةَ ، فكانَ ذلكَ[2] السببَ الذي أهاجَ[3] حربَ ذي قارٍ .

خرقاء بنت النعمان

وقد كانت خرقاء بنتُ النعمانِ بنِ المُنذرِ ، إذا خرجَت إلى بيعتِها[4] يُفرَشُ لها طريقُها بالحريرِ والدّيباج ، مُغشّى بالخزِّ والوَشْي ؛ ثمّ تُقبِلُ في جواريها ، حتّى تَصِلَ إلى بيعتِها ، وترجعَ الى منزلِها . فلمّا هلكَ النعمانُ لكمِّها[5] الزمانُ ، فأنزلها من الرِّفعةِ إلى الذِّلّةِ . ولمّا وفَدَ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ القادسيّةَ اميرًا عليها ، وهزمَ اللهُ الفرسَ ، وقُتِلَ رُستمُ[6] ، فأتت خرقاء بنتُ النعمانِ في حفَدَةٍ من قومِها وجواريها ، وهنّ في زِيّها ، عليهنّ المُسوحُ والمقطّعاتُ السُّودُ ، مترهّباتٍ ، تطلُبُ صِلَتَه ؛ فلمّا وقفنَ بينَ يديهِ أنكرهنّ سعدٌ ، فقالَ : أيكُنّ خرقاء ؟ قالَت : ها أناذا ! قالَ : أنتِ خرقاء ؟ قالت : نعَم ! فما تَكرارُك في استفهامي ؟ ثمّ قالَت : إنّ الدّنيا دارُ زوالٍ ، ولا تدومُ على حالٍ . تَنقُلُ أهلها انتقالًا ، وتعقُبُهم بعدَ حالٍ حالًا . كنّا ملوكَ هذا المِصرِ ، يُجبى لنا خَراجُه ، ويُطيعُنا أهلُه مدى المُدّةِ وزمانِ الدّولةِ ، فلمّا أدبرَ الأمرُ ، وانقضى ، صاحَ بنا صائحُ الدّهرِ ، فصدعَ[7] عصانا وشتّتَ شملَنا ؛ وكذلك الدّهرُ يا سعدُ ! إنّه ليسَ يأتي قوماً بمَسرّةٍ إلّا وتعقّبَهم بحَسرةٍ ، ثمّ أنشأت تقولُ :

فبينا نسوسُ النّاسَ ، والأمرُ أمرُنا ، إذا نحنُ فيهِم سُوقةٌ ليسَ نُعرَفُ ؛
وأفٍّ لدُنيا لا يدومُ نعيمُها ، تَقلّبُ ، تارات ، بنا ، وتَصرّفُ[8]

١ . اتى على النعمان : قتله .
٢ . ذلك : اسم كان . والسبب : خبرها .
٣ . اهاج : الصواب : هاج ، اي اثار .
٤ . البيعة : الكنيسة .
٥ . لكمها : ضربها .
٦ . رستم : قائد الفرس يوم القادسية .
٧ . صدع : شقّ ، وقولها صدع عصانا ، اي اراد به تكبتنا ، واذلنا .
٨ . تقلّب وتصرّف : اصلها تتقلّب وتتصرف ، حذف التاء مراعاة للوزن ، وللتخفيف .

فقالَ سعدٌ : قاتلَ اللهُ عدياً بنَ زيدٍ ، كأنّه ينظرُ اليها حيثُ يقولُ :

إنَّ للدهرِ صَولةً ، فاحذَرنّها ، لا تَبيتَنَّ قد أمِنتَ الدهورا ،
قد يَبيتُ الفتى معافىً ، فيَردى ، ولقد كانَ آمناً مسرورا.[1]

قالَ : فبينما هي واقفةٌ بينَ يدي سعدٍ ، إذ دخلَ عمرو بنُ مَعديكربَ ، وكانَ زَوّاراً لأبيها في الجاهليّةِ ، فلما نظرَ اليها ، قالَ : أنتِ خرقاء ؟ قالت : نَعَم ! قالَ : فما دَهمكِ ، فأذهبَ[2] بجُودات شِيَمكِ ؟ أينَ تَتابُعُ نِعمتِكِ وسَطَواتُ نَقمتِكِ ؟ فقالت : يا عمرو ! إن للدهرِ عَثَراتٍ وعِبَراتٍ ، تعثُرُ بالملوكِ وأبنائِهم ، فتَخفِضُهم بعدَ رِفعةٍ ، وتُفرِدُهم بعد مَنَعةٍ ، وتُذلُّهم بعدَ عِزٍّ ! إنَّ هذا الأمرَ كنّا نَنتظِرُه ، فلمّا حَلَّ بنا لم نُنكِرْه . قالَ : فأكرمَها سعدٌ وأحسنَ جائزَتها ؛ فلمّا أرادَت فراقَه ، قالت : حَيِّ أختَكَ بتحيّةِ ملوكِنا بعضِهم لبعضٍ ، لا نزَعَ اللهُ من عبدٍ صالحٍ نِعمةً إلّا جعلَكَ سبباً لرَدِّها عليه . ثمَّ خرجَت من عندِه ، فلَقيَها نساءُ المدينةِ ، فقُلنَ لها : ما فعلَ بكِ الأميرُ ؟ قالت : أكرمَ وجهي ؛ إنما يُكرِمُ الكريمَ الكريمُ !

جَبَلَةُ بنُ الأيهمِ[3]

ثمَّ ملكَ جَبَلَةُ بنُ الأيهمِ بنِ جبلةَ بنِ الحَرثِ بنِ ثَعلبَةَ بن مازنٍ ، وهو غسّانُ بنُ الأزدِ بنِ عوفٍ ، وهو الملكُ الذي امتدحَه حَسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ ، حيثُ يقولُ في شعرٍ طويلٍ :

أشهِرنّها[4] ، فإنَّ مُلكَكَ ، بالشامِ — إلى الرومِ ، فَخرُ كلِّ يمانِي !

وفيه يقول ايضاً :

لِمَنِ الدّارُ أقفرَت بمَغانٍ ، بينَ أعلى اليَرموكِ والصَّمّانِ ،
مِن قُرَيّاتٍ ، من ثلاثينَ ، عَدَّت ناسكاً منه بالقصورِ الدَّواني.[5]

١ * يردى : مضارع رَدِيَ : مات ، وهلك.
٢ * أذهب به : ازاله .
٣ * جبلة بن الايهم هو آخر الملوك الغسانيين اسلم ثم ارتد الى النصرانية ، لامر معروف .
٤ * اشهرنها : أظهرها ، والضمير عائد اما الى الفضائل والامجاد ، اوالى السطوة ، اوالى امر مذكور في بيت قبل هذا .
٥ * من ثلاثين ، اي من ثلاثين سنة .

قد دَنا الفِصحُ ، والولائدُ يَنظِمنَ — ، سِراعاً أكِلَّـةَ المَرجانِ ؛
ذاكَ مَغنىً لآلِ جَفنةَ ، في الدَّهرِ — ، وحقّاً تَصرُّفُ الازمانِ ؛
صلَواتُ المسيحِ ، في ذلكَ الدَّيرِ — ، دُعاءُ القسّيسِ والرُّهبانِ .

وهذه مواضِعُ قُرىً من غُوطةِ دمشقَ وأعمالِها بينَ الجَولانِ واليَرموكِ . وذَكرَ عِدّةٌ من الاخباريينَ أنَّ حسّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ زارَ الحَرثَ بنَ أبي شِمرٍ الغسّانيَّ ، وكانَ النُّعمانُ بنُ المنذرِ اللَّخميُّ يُساميه ، فقالَ له ، وهو عندَه : يابنَ الفُرَيعة[1] ! لقد نُبِّئتُ أنك تفضّلُ النُّعمانَ عليَّ ؟ فقالَ : وكيفَ أفضّلُه عليكَ ؟ فواللهِ لقَفاكَ أحسنُ من وجهه ، ولأُمّك أشرفُ من أبيه ، ولأبوكَ أشرفُ من جميعِ قومه ، ولشِمالك أجودُ من يمينِهِ ، ولحِرمانُكَ أنفعُ من نَداه ، ولقليلُك أكثرُ من كثيرِهِ ، ولكرسيِّكَ أرفعُ من سريرِه ، ولجدولُكَ أغزرُ من بحرِهِ ، ولَيومُكَ أطولُ من شهرِهِ ، ولشهرُكَ أمدُّ من حولِه ، ولحولُكَ خيرٌ من حُقبِه[2] ، ولزَندُكَ أورى من زَندِهِ ، ولجُندُكَ أعزُّ من جُندِه ؛ وإنك من غَسّانَ ، وإنّه من لَخمٍ ، فكيفَ أفضّلُه عليك ، وأعدِلُه بك ؟ فقالَ : يابنَ الفريعةِ ! هذا لا يُسمَعُ إلّا في شعرٍ ؛ فقالَ :

نُبِّئتُ أنَّ ابا مُنذرٍ يُساميكَ للحَرثِ الأصغرِ ؛
قفاكَ أحسنُ من وجهِهِ ، وأُمُّك خيرٌ من المنذرِ ،[3]
ويُسرى يَديك على عُسرِها كيُمنى يديهِ على المُعسِرِ .

وكانت ديار ملوك غسّانَ باليَرموكِ والجَولانِ وغيرِهما من غوطةِ دمشقَ وأعمالِها .

١ * الفريعة : اسم ام حسان .
٢ * الحُقب : قطعة من الدهر .
٣ * في حذف من كليهما حرفاً واحداً ، وهو فا، فعولن ، فصارت : عولن ، وهذا مستقبح اليوم .

ثمود وعاد

مُهلكُ ثمود(١

وبَعثَ اللهُ صالحاً نبيّاً ، وهو غُلامٌ حَدَثٌ ، لثمودَ ، على فَترةٍ كانت بينه وبينَ هُودٍ ، نحوَ من مائةِ سنةٍ ؛ فدعاهم الى اللهِ ، وملِكُهم ، يومئذٍ ، هو جَندعُ بنُ عمروٍ ، فلم يُجب صالحاً ، من قومِه ، إلّا نفرٌ يسيرٌ . وكَبِرَ صالحٌ ولم يَزدَد قومُه ، من الايمانِ ، إلّا بُعداً ؛ فلمّا تواترَ عليهم إعذارُه وإنذارُه(٢ ، ووعدُه ، ووعيدُه ، سألوه(٣ المُعجزاتِ وإظهارَ العلاماتِ ، ليمنَعُوه من دُعائِهم ، وليُعجزوه عن خِطابِهم . فحَضرَ عيدٌ لهم ، وقد أظهروا أوثانهم ؛ وكان القومُ أصحابَ إبلٍ ، فسألوه الآيةَ من جنسِ أموالِهم ، وطالبوه بما هو مُجانسٌ لأملاكِهم ، بعدَ اتفاقِ آرائهم . فقالَ له زعيمٌ من زعمائهم : يا صالحُ ! إن كنتَ صادقاً في قولِكَ ، وأنّكَ مُعبّرٌ عن ربِّك ، فأظهِر لنا من هذه الصَّخرةِ ناقةً ، ولتكُن وَبْراءَ ، سوداءَ ، عُشراءَ(٤ ، نَتوجاً ، حالكةً ، صافيةَ اللَّونِ ، ذاتَ عُرفٍ(٥ وناصيةٍ وشعرٍ ووبرٍ ؛ فاستغاثَ بربّه ، فتحرّكتِ الصَّخرةُ ، وتَململَت وبدا منها حنينٌ وأنينٌ ، ثمّ انصدَعَت ، من بَعدِ تمخّضٍ شديدٍ كتمخُّضِ المرأةِ حينَ الولادةِ ، وظهرَ منها ناقةٌ على ما طلَبوه من الصّفةِ ؛ ثم تلاها من الصَّخرةِ سَقبٌ(٦ لها نحوَها في الوصفِ ، فأمعَنا في رَعيِ الكلا ، وطلبِ المَرعى ؛ فآمَنَ خلقٌ ممّن حضَره(٧ ، وزعيمُهم الّذي سأله وهو جَندعُ بن عمروٍ . وأقامَت الناقةُ يَحلِبون من لبنِها ، ما يَعُمُّ شربُه ثمودَ كلَّها ، وضايقَتهم في الكلا والماءِ . وكانَ في ثمودٍ امرأتانِ ذواتا حُسنٍ وجمالٍ ، فزارَهما رجلانِ من

١ ـ الهُلك : الهلاك .

٢ ـ الاعذار : المبالغة في الموعظة ◉ الانذار : التحذير من العواقب .

٣ ـ سألوه : كلفوه .

٤ ـ الوبراء : كثيرة الوبر ◉ العشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة اشهر .

٥ ـ العرف : شعر العنق .

٦ ـ السقب : ولد الناقة ساعة يولد ويختص بالذكر .

٧ ـ حضره : شهده .

ثمودَ ، وهما قُدارُ بنُ سالفٍ ، ومصدعُ بنُ مفرِّجٍ ؛ والمرأتانِ عُنَيزةُ بنتُ زعيمٍ وصَدوفُ بنتُ المُحيا . فقالَت صَدوفُ : لو كان لنا في هذا اليوم ماءٌ لأسقيناكُم خمرًا ! وهذا يومُ الناقةِ ووُرودِها ، ولا سبيلَ لنا إلى الشُّربِ . فقالَت عنيزةُ : بلَى ! واللهِ لو أنَّ لنا رجالًا لكَفَونا إيّاها ؛ وهل هيَ إلّا بعيرٌ من الإبلِ ؟ فقالَ قُدارٌ : يا صَدوفُ ! إن أنا كفَيتُك أمرَ النّاقةِ ، فمالي عندَكِ ؟ فقالَت : نفسي ، وهل حائلٌ دونَها عنك ؟ فأجابتِ الأُخرى صاحبَها بنَحوِ ذلك ؛ فقالا : مِيلَا علينا بالخمرِ ! فشربا ، حتّى توسَّطا السُّكرَ ، ثمَّ خرجَا ، فاستَغوَيا[1] تسعةَ رَهطٍ ، وهم التِسعةُ الّذين أخبرَ اللهُ تعالى عنهم في كتابِه بقولِه : (وكانَ في المدينةِ تسعةُ رهطٍ يُفسِدون في الأرضِ ، ولا يُصلحون .) وقصدوا طريقَ النّاقةِ في حالِ صدورِها ، فضربَ قُدارٌ عُرقوبَها بالسيفِ فعرقَبَها[2] ؛ وأتبعَ صاحبُه الآخرُ العُرقوبَ الآخرَ ، فخرَّت الناقةُ لوجهِها ، ووَجَأَ[3] قُدارٌ لَبَّتَها ، فنحرَها ؛ ولاذَ السَّقبُ بصخرةٍ ، فلحِقَه بعضُهم فعقَروه . وورَدَ صالحٌ فنظَرَ إلى ما فعلوه فوعَدَهم العذابَ ، وكان ذلك يومَ الأربعاء ، فقالوا له مُستهزئين : يا صالحُ ! متى يكونُ ما وعدتَنا به من العَذابِ عن ربِّك ؟ فقالَ : تُصبِحُ وجوهُكم يومَ مُؤنسٍ ، وهو يومُ الخميسِ ، مُصفرَّةً ، ويومَ العَروبةِ ، محمرَّةً ، ويومَ شِيارٍ ، مسوَدَّةً ، ثمَّ يُصبحُكُم العذابُ يومَ اوّلَ[4] . . . فهمَّ التِسعةُ بقتلِ صالحٍ وقالوا : إن كانَ صادقًا كنّا قد عاجَلناه قَبلَ أن يعاجِلَنا ؛ وإن كان كاذبًا كنّا قد ألحقناه بناقتِه . فأتوه ليلًا ، فحالَتِ الملائكةُ بينَهم وبينَه ، وأمطَرَتهم الحجارةَ ، ومنعَه اللهُ منهم . فلمّا أصبحوا نظروا إلى وجوهِهم ، كما وعدَهم ، صفراءَ كأنّها الوَرسُ[5] ، قد حالَتِ الألوانُ وتغيَّرَت الأجسامُ ، وتيقَّن القومُ صِدقَ الوعيدِ ، وأنَّ العذابَ

١ * استغوى فلانًا : طلب غيّه واضلّه.

٢ * عرقب من الدابة ، والعرقوب الناقة قطع عرقوبها ، في رجلها ، بمنزلة الركبة في يدها اي بين موصل الوظيف والساق.

٣ * وجأ : ضرب بآلة تشق المكان المضروب.

٤ * يوم وكانت تسمّي الاثنين أهون ، والثلاثاء جبارًا ، والاربعاء دُبارًا ، والخميس مؤنسًا ، والجمعة عروبةَ ، والسبتَ شيارًا.

٥ * الورس : نبات كالسمسم اصفر يزرع في اليمن.

واقعٌ بهم. وخرجَ صالحٌ في ليلةِ الأحدِ، من بينِ ظَهرانَيهم[1]، معَ من خَفَّ من المؤمنين، فنزلَ مدينةَ الرَّملةِ، من بلادِ فِلَسطينَ، وأتاهم العذابُ يومَ الأحد.

هُلكُ عادٍ[2]

وبَغَت عادٌ في الأرضِ، ومَلِكُها الجُلجانُ بنُ الوهمِ، فكانوا يعبُدون ثلاثةَ أصنامٍ، وهي: صَمودُ، وصَداء، والهِباء؛ فبَعثَ اللهُ إليهم هُودًا، فكذَّبوه، فدعا عليهم هُودٌ، فمُنِعوا المطرَ ثلاثَ سِنينَ، وأجدَبتِ الأرضُ، فلم يَدُرْ عليهم ضِرعٌ. فوفدَت عادٌ إلى مكةَ يستَسقون[3] لهم، وكانَ بمكةَ يومئذٍ العمالِيقُ، فأتى الوفدُ مكةَ، فأقبلوا على الشربِ واللهوِ، حتى جاءتهمُ الجَرادتانِ، قَينتا معاويةَ بنِ بكرٍ، يُشرحنَ لهم ما وردوا من اجلِه، وهو:

ألا يا قيلُ ويحَكَ! قم فهَينِم، لعلَّ اللهَ يُمطِرُنا غَماما،[4]
فيَسقي قومَ عادٍ؛ إنَّ عادًا، قد أمسَوا لا يُبينون الكلاما،
من العطَشِ الشديدِ، فليسَ نرجو به الشيخَ الكبيرَ، ولا الغُلاما.
وإنَّ الوَحشَ تأتي أرضَ عادٍ، فلا تَخشى لراميهم سِهاما؛
وأنتم، ههنا، فيما اشتَهيتُم، نَهارَكم ولَيلَكم، التَّماما،[5]
فقُبِّحَ وفدُكم من وفدِ قومٍ، ولا لَقِيوا التَّحيةَ والسَّلاما.[6]

فاستيقظَ القومُ من غَفلتِهم، وبادروا الى الاستسقاء لقومهم؛ فأرسلَ

١ * ظهرانيهم: وسطهم.
٢ * مأخوذة بمعض اختصار.
٣ * يستسقون: يصلون لله تعالى صلاة الاستسقاء.
٤ * القيل: الملك بعد الملك الاعظم، مخصوص بملوك اليمن ◎ هينم: صلّ بصوتٍ خفيٍ.
٥ * المراد انهم آخذون في نهارهم وليلهم فيما اشتهوا التمام له من اللهو. او انهم آخذون بالشرب واللهو، والبا هم في مكة، لاجل ما اشتهوا تمامه من نزول المطر في ارض قومهم.
٦ * لقيوا: هكذا في الاصل، والصواب لقوا. ولعلّ اللفظة ألّوا، مجهول لقاه الشيء: تلقية طرحه اليه.

اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، على عادٍ ، الرِّيحَ العقيمَ[١] من وادٍ لهم ؛ فلمَّا رأوا ذلك ، قالوا : هذا عارضٌ مُمطِرُنا ، وتباشروا بذلك . فلمَّا سمِعَ هودٌ ذلك من قولهم ، قالَ : بل هو ما استَعجَلتم به ؛ ريحٌ فيها عَذابٌ أليمٌ — الآية — . فأتتهم الرِّيحُ يومَ الأربعاء فلم تأتِ الأربعاءَ الثانيةُ ومنهم حيٌّ ؛ فمن أجلِ ذلك كرِهَ النَّاسُ يومَ الأربعاء .

عهد ملوك اليمن

اسطورة خراب سد مأرب(٢)

وكانَ أوَّلُ شيءٍ وقعَ بمأرِبٍ ، وعُرِفَ من سَيلِ العَرِمِ[٣] ، أنَّ عُمرانَ الكاهنَ[٤] ، أخا عمرو[٥] ، رأى ، في كِهانتِه ، أنَّ قومَه سوفَ يُمزَّقون كلَّ مُمزَّقٍ ، ويُباعدُ بينَ أسفارِهم ؛ فذكَرَ ذلك لأخيه عمرٍو ، وهو الملكُ مُزَيقيا ، الَّذي كانَت محنةُ القومِ في ايَّامِ مُلكِه ، واللهُ أعلمُ بكَيفيَةِ ذلك . وبينا ظريفةُ[٦] الكاهنةُ ، ذاتَ يومٍ ، نائمةٌ ، إذ رأت ، فيما يرى النَّائمُ ، أنَّ سَحابةً غَشِيَت أرضَها ، وأرعدَت وأبرَقت ، ثمَّ صعقَت ، فاحرَقَت ما وقعَت عليه ؛ ووقعَت إلى الأرض ، فلم تقَع على شيءٍ إلَّا احرَقَته ؛ ففزِعت ظريفةُ لذلك ، وذُعِرَت ذُعرًا شديدًا ، وانتبهَت ، وهي تقولُ : ما رأيتُ مثلَ اليوم قد أذهَبَ عنِّي النَّومَ : رأيتُ غيماً أبرقَ وأرعدَ ، ثمَّ أصعقَ فما وقعَ على شيءٍ إلا أحرقَ ، فما بعدَ هذا إلَّا الغَرَقُ . فلمَّا رأوا ما داخلَها من الرُّعبِ خفَّضوها[٧] وسكَّنوها من جأشِها ، حتَّى سكَنَت . ثمَّ أنَّ عمرَو بنَ عامرٍ دخَلَ حديقةً من حدائقِه ، ومعه جاريتانِ . فبلَغَ ذلك ظريفةَ ، فأسرَعَت نحوَه ، وأمرَت

١ . العقيم : هنا غير الممطرة .

٢ . مأرب : اكتشف الرحالة الفرنج سد آثار هذا السد فجلوا تاريخ بنائه .

٣ . العرم : السد .

٤ . الكاهن : الذي يقضي بالغيب ويحدث به .

٥ . عمرو : هو عمرو بن عامر مزيقيا ابن ماء السماء . زعموا في تسميته مزيقيا انه كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعشي يكره العود فيهما ويألف ان يلبسهما غيره .

٦ . ظريفة : كاهنة عمرو الحميرية .

٧ . خفضوها : هوّنوا الامر عليها .

وصيفاً لها يقالُ له سِنانٌ أن يتبعَها ؛ فلمّا بَرزَت من بيتِها عارضَها ثلاثُ مَناجِدَ[1] مُنتصباتٍ على أرجلِهنَّ ، واضعاتٍ أيدِيَهنَّ على أعيُنِهنَّ ، وهي دَوابُّ يُشبِهن اليرابيعَ[2] يَكنَّ بأرضِ اليمنِ ؛ فلمّا رأتهنَّ ظريفةُ ، وضَعت يدَها على عينيها ، وقعَدَت ، وقالَت لوصيفِها : إذا ذهبَت هذه المناجدُ عنا ، فأعلمني ؛ فلمّا ذهبَت أعلمها ، فانطلقت مسرعةً ، فلمّا عارضَها خليجُ الحديقةِ ، أتي فيها عمروٌ ، وثَبَت من الماءِ سُلَحْفاةٌ ، فوقَعَت على الطريق ، على ظهرِها ، وجعَلَت تُريدُ الانقلابَ ، فلا تستطيعُ ، فتستعينُ بذَنَبِها ، وتَحثو التُّرابَ على بطنِها وجنبِها ، وتَقذِفُ بالبَول . فلمّا رأتها ظريفةُ جلَسَت الى الأرضِ ؛ فلما عادَت السُّلحفاةُ الى الماءِ ، مضَت إلى أن دخَلَت على عمروٍ الحديقةَ حينَ انتصفَ النَّهارُ ، في ساعةٍ شديدِ حرُّها ، فإذا الشَجرُ يَتَكفَّأُ من غيرِ ريحٍ ؛ فغَدَت ، حتّى دخَلَت على عمرو . . . قالَ لها : هَلُمّي يا ظريفةُ . . فتكهَّنَت وقالَت : والنُّورِ والظَّلماءِ ، والأرضِ والسَّماءِ ، إنَّ الشَّجرَ لهالكٌ ، وسيعودُ الماءُ لما كانَ في الدَّهرِ السّالفِ . قالَ عمروٌ : ومن خبَّرَكِ بهذا ؟ قالَت : أخبَرَني المَناجِدُ بسِنينَ شَدائِدَ ، يَقطَعُ فيها الوالدُ الواحدَ . قالَ : ما تقولين ؟ قالَت : أقولُ قولَ النَّدمانِ لَهْنًا ، قد رأيتُ سُلَحْفاً ، تَجرُفُ التُّرابَ جَرْفًا ، وتَقذِفُ بالبَولِ قذفاً ، فدخلتُ الحديقةَ فإذا الشجرُ يتكفَّأ . قالَ عمروٌ : متى تَرَين ذلك ؟ قالَت : هي داهيةٌ كبيرة ، ومصائبُ عظيمة ، لأمورٍ جسيمة . قالَ : وما هي ؟ قالَت : أجَلْ ! إنَّ لي الوَيلَ ، وما لكَ فيها من نَيْل ؛ فلي ولكَ الوَيلُ ، ممّا يجيءُ به السَّيلُ . فألقى عمروٌ نفسه على الفِراشِ ، وقالَ : ما هذا يا ظريفةُ ؟ قالَت : هو جَلٌ[3] جليلٌ ، وحُزنٌ طويلٌ ، وخَلفٌ[4] قليلٌ ، والقليلُ خيرٌ من تركِه . قالَ عمروٌ : وما علامةُ ذاكِ ؟ قالَت : تذهبُ الى السَّدِّ ، فاذا رأيتَ جُرَذًا يُكثِرُ في السَّدِّ الحَفرَ ، ويُقلِّبُ برجليهِ من الجَبلِ الصَّخرَ ،

١ ـ المناجد : ج الخلد من غير لفظه ، والخلد الفارة العمياء .

٢ ـ اليرابيع : ج اليربوع : نوع من الفار طويل الرجلين قصير اليدين جداً وله ذنب كذنب الجرذ يرقعه صُعُدًا ، في طرفه شبه النوّارة ولونه كلون الغزال .

٣ ـ الجل : الجليل ، وجل جليل ، أمر عظيم ، او داهية عظيمة

٤ ـ الخلف : العوض .

فاعلَم أنَّ النَّقرَ عَقْر[1]، وأنَّه قد وقَعَ الأمر. قالَ: وما هذا الأمرُ الَّذي يقَعُ؟ قالَت: وعدُ اللهِ نَزَلَ، وباطلٌ بطَلَ، ونِكالٌ بنا نزَل، فتعمَّدْه[2] يا عمرو، فليكن الشَّكل[3]. فانطلقَ عمروٌ إلى السَّدِ يحرُسه، فإذا الجُرَذُ يُقلِّبُ برجليه صخرةً ما يُقلِّبُها خمسون رجلًا، فرجعَ الى ظريفةَ، فأخبرَها الخبرَ. . فقالَت له ظريفةُ: إنَّ من علامةِ ما ذكرتُ لك أن تجلِسَ في مجلِسك، بينَ الجَنَّتَينِ، ثم تأمُرُ بزجاجةٍ، فتوضَعُ بينَ يديك، فإنها ستمتلئ، بينَ يديك، من ترابِ البَطحاء، من سهلةِ الوادي ورَملِه؛ وقد علِمت أنَّ الجِنانَ مُظلَّةٌ ما يدخُلُها شمسٌ ولا ريحٌ. فأمرَ عمروٌ بزجاجةٍ، فوضِعت بينَ يدَيه، فلم تمكُث إلَّا قليلًا، حتَّى امتلأت من ترابِ البَطحاء. فذهبَ عمرو إلى ظريفةَ، فأخبرَها بذلك، وقالَ: متى ترين هَلاكَ السَّدِ؟ قالت: فيما بينَك وبينَ السَّبعينَ سنةً. قالَ: ففي أيِّها يكونُ؟ قالَت: لا يعلَمُ ذلك إلَّا اللهُ تعالى، ولو علِمه أحدٌ لعلِمتُه؛ ولا يأتي عليك ليلةٌ، فيما بينَك وبينَ السَّبعين سنةً، إلَّا ظننتُ هلاكَه في غدِها، أو في تلك اللَّيلةِ. ورأى عمرو في النَّومِ سيلَ العرمِ؛ وقيلَ له: إنَّ آيةَ ذلك أن ترى الحِصباءَ قد ظهرَت في سَعَفِ[4] النَّخلِ. فذهبَ إلى سِربِ[5] النَّخلِ وسَعَفِه، فوجدَ الحِصباءَ قد ظهرَت فيها، فعلِمَ أنَّ ذلك واقعٌ بهم، وأنَّ بلادَهم ستخرَبُ، فكتَمَ ذلك وأخفاه، وأجمعَ[6] أن يبيعَ كلَّ شيءٍ له بأرضِ سبا، ويخرُجَ منها هو وولدُه. ثمَّ خشيَ أن يُستنكَرَ ذلك، فصنعَ طعاماً، وأمرَ بإبلٍ فنُحِرت، وبغنمٍ فذُبِحَت؛ ثمَّ دعا ابناً له يقالُ له مالكٌ، ويقالُ بل كانَ يتيماً في حُجرِه، فقالَ: إذا جلستُ أطعَمُ الطَّعامَ النَّاسَ، فاجلِس عندي، ونازعْني الحديثَ، واردُد عليَّ، وافعَل بي مثلَ ما افعَلُه بك. وجاءَ أهلُ مأربٍ، فلمَّا

١. النقر: النقب والحفر ◎ والعقر: الفرجة ما بين كل شيء.

٢. تعمّده: قصده، ولعلّ الاصح: فعمِّدْه، من عمّد الثيل سدّ جرنه بتراب.

٣. الشكل: ما يوافق الانسان ويصلح له.

٤. السعف: ◎ السعفة: جريدة النخل.

٥. السرب: جماعة النخل.

٦. اجمع: قرّر رأيه.

جلسوا ، أطعمَ النَّاس ؛ وجلَسَ عنده الَّذي أمرَ به ، فجعلَ ينازعُه الحديث ويردُّ عليه ؛ فضرَب عمروٌ وجهَهُ وشتَمَه ، فصنَعَ الصَّبيُّ بعمروٍ مثلَ ما صنَع بهِ ، فقامَ عمروٌ ، وصاحَ : واذُلّاه ! يومَ فخرِ عمروٍ ومجدِه ، يضربُ وجهَه صبيٌّ ؟! وحلَفَ ليَقتُلنَّه ؛ فلم يزالوا بعمروٍ حتَّى تَرَكه . . . ثمَّ قالَ : واللهِ لا أُقيمُ ببلدٍ صُنِعَ هذا بي فيهِ ، ولأبيعَنَّ عَقاري فيه ، وامواليَ . فقالَ : النَّاسُ بعضُهم لبعض : اغتنِمُوا غَضبةَ عمروٍ ، واشتَرُوا منه أمواله قبلَ أن يَرضى . فابتاعَ النَّاسُ منه جميعَ ما لَهُ بأرضِ مأربٍ . وفشا بعضُ حديثه فيما بلَغَه من شأن سيلِ العَرِمِ ، فخرَجَ ناسٌ من الأزدِ ، وباعوا أموالَهم ؛ فلمَّا أكثَروا البيعَ استنكرَ ذلك النَّاسُ ، فأمسكوا بأيديهم[1] . فلمَّا اجتمعَت إلى عمرو بن عامرٍ أموالُه ، أخبرَ الناسَ بشأنِ سيلِ العَرِمِ . . .

(وقيلَ إنَّه)[2] قد كانَ أهلُ مأربٍ يعبُدون الشَّمسَ ، فبَعثَ اللهُ اليهم رُسُلًا يدعونهم إلى اللهِ ، ويَزجرونَهم عمَّا هم عليه ، ويذكّرونهم آلاءَ اللهِ ونِعمتَه عليهم ؛ فجَحدوا قولَهم ، وردّوا كلامهم ، وأنكروا أنَّ للهِ عليهم نِعمةً ، وقالوا لهم : إن كنتم رُسُلًا ، فادعُوا اللهَ ان يَسلُبَنا ما أنعمَ به علينا ، ويُذهِبَ عنَّا ما أعطانا . . . فأرسلَ اللهُ عليهم سيلَ العرمِ ، فهدَمَ سَدَّهم ، وغَشِيَ الماءُ أرضَهم ، فأهلكَ شجَرَهم ، وأبادَه ، وأزالَ أموالَهم ، وأنعامَهم . فأتوا رسلَهم ، فقالوا : ادعُوا اللهَ ان يُخلِفَ علينا نِعمتَنا ، ويُخصِبَ بلادَنا ، ويَردَّ علينا ما شرَدَ من انعامنا ، ونُعطيكم موثِقًا أن لا نُشركَ باللهِ شيئًا . فسألَتِ الرسلُ رَبَّها ، فأجابَهم إلى ذلك ، وأعطاهم ما سألوا ، فاخصَبت بلادُهم ، واتَّسعَت عمائرُهم ، إلى ارضِ فلسطين والشام ، قُرىً ومَنازلَ واسواقًا ؛ فاتتهم رُسلُهم ، فقالوا : موعِدُكم أن تؤمنوا ! فأبَوا إلَّا طُغيانًا ، وكُفرًا ؛ فمزَّقهم اللهُ كلَّ ممزَّقٍ ، وباعدَ بينَ أسفارِهم

١ . امسكوا بايديهم : قبضوا ايديهم عن الشراء .

٢ . وقيل انه : زيدت لربط الكلام .

عهد الامويين

مقتل الحسن بن علي(١

حدّثنا جعفرُ بنُ محمدٍ عن أبيه ، عن جَدّهِ عليِّ بن الحسينِ بن عليِّ بن ابي طالبٍ ، رضي الله عنهم ، قالَ : دَخلَ الحسينُ على عمّي الحسنِ بنِ عليٍّ لما سُقيَ السُّمَّ ، فقامَ لحاجةِ الانسانِ ، ثمّ رَجعَ ، فقالَ : لقد سُقيتُ السُّمَّ مِرارًا ، فما سقيتُ مثلَ هذه ؛ لقد لفَظتُ طائفةً من كبِدي ، فرأيتُني أقلّبه بعُودٍ في يدي . فقالَ الحسين : يا أخي ! من سقاكَ ؟ قالَ : وما تُريدُ بذلك ؟ فإن كان الذي اظنُّهُ ، فاللهُ حَسيبُه ؛ وإن كانَ غيرَه ، فما أُحبُّ أن يُؤخذَ بي بريءٌ . فلم يلبَث بعدَ ذلك إلّا ثلاثًا ، حتّى تُوفي ، رضيَ اللهُ عنه . (وذُكِرَ) أنَّ امرأته جعدةَ بنتَ الأشعثِ بنِ قيسٍ الكِنديَ سقَتْه السُّمَّ . وقد كانَ معاويةُ دَسَّ اليها : أنّكِ إنِ احتلتِ في قتلِ الحسنِ ، وَجّهتُ اليكِ بمائةِ الفِ درهمٍ ، وزوّجتُك يزيدَ ؛ فكان ذلكَ الّذي بعثها على سَمّه . فلمّا مات وفى لها معاويةُ بالمالِ ، وأرسلَ اليها : أنّا لَمْ نُحبَّ حياةَ يزيدَ ، ولولا ذلك لوَفَينا لك بتزويجِهِ .

مقتل الحُسين بن علي

ولمّا ماتَ معاويةُ أرسلَ أهلُ الكوفةِ إلى الحسينِ بن عليٍّ : أنّا قد حبَسنا انفسَنا على بَيعتِك ، ونحنُ نموتُ دونَك ، ولسنا نحضُرُ جمعةً ، ولا جماعةً بسببِك . وطولبَ الحسينُ البَيعةَ ليزيدَ بالمدينةِ ، فسامَ التأخيرَ ، وخرجَ يتهادى بينَ مَواليه ، ويقول :

١ ـ استخلف الحسن سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م ، وعقد الصلح بينه وبين معاوية سنة ٤١ هـ ٦٦١ م ، وفي هذه السنة بويع معاوية ، وقتل الحسن ، وكان في الخامسة والخمسين من سنه .

لا ذعرتُ السَّوامَ في فَلَقِ الصُّبحِ مغيرًا ، ولا دُعيتُ يزيدا ،[1]
يومَ أُعطى ، مخافةَ الموتِ ، ضيماً ، والمنايا تَرصُدنَني أن أحيدا .[2]

ولَحِقَ بمكّةَ ، فارسلَ بابن عمّه مُسلمِ بن عقيلٍ إلى الكوفةِ ، وقال : سِر إلى أهلِ الكوفةِ ، فإن كانَ حقًّا ما كتبوا به ، عرّفني ، حتّى ألحقَ بك . فخرجَ مسلمٌ من مكّةَ في النِّصفِ من شهرِ رمضانَ ، حتّى قدمَ الكوفةَ لخمسٍ خلَونَ من شوّالٍ ، والأميرِ عليها النُّعمان بنُ بشيرٍ الأنصاريُّ ؛ فنزلَ على رجلٍ ، يقالُ له عوسجةُ ، مستترًا . فلمّا ذاعَ خبرُ قدومِه بايعه من أهلِ الكوفةِ اثنا عشرَ الفَ رجلٍ ، وقيلَ ثمانيةَ عشرَ ألفاً ، فكتبَ بالخبرِ إلى الحسينِ ، وسألَه القدومَ اليه . فلمّا همَّ بالخروجِ إلى العراقِ ، أتاه ابن عبّاسٍ ، فقالَ : يا ابنَ عمِّ ! قد بلَغَني أنك تريد العراقَ ، فلا تَعجَل ! وإن أبَيتَ إلا محاربةَ هذا الجبّارِ[3] ، وكرِهتَ المقامَ بمكّة ، فاشخَص الى اليمَنِ ، فإنها في عُزلةٍ ، ولك فيها أنصارٌ وإخوانٌ ، فأقِم بها وبُثَّ دعاتَك ، واكتُب إلى أهلِ الكوفةِ وأنصارِك بالعراقِ ، فيُخرجوا أميرَهم ؛ فإن قوُوا على ذلك ، ونفَوه عنها ، ولم يكن بها أحدٌ يُعاديكَ ، أتيتَهم ؛ وإن لم يفعلوا ، أقمتَ بمكانِك إلى ان يأتيَ اللهُ بأمره ، فإن فيها حصوناً وشِعاباً . فقالَ الحسينُ : يا ابنَ عمِّ ! إنك لي ناصحٌ وعليّ شفيقٌ ، ولكنّ مسلمَ بنَ عقيلٍ كتبَ اليَّ باجتماعِ أهلِ المِصرِ على بَيعتي ، ونُصرتي ، وقد أجمعتُ على المسيرِ . قالَ : إنّهم من جَرَت وجرَت[4] ، وهم أصحابُ أبيك وأخيك ، وقتلَتُك غدًا مع أميرِهم ؛ إنّك لو قد خرجتَ ، فبلَغَ ابنَ زيادٍ خروجُك ، استنفرَهم اليك ، وكانَ الّذين كتبوا اليك أشدَّ من عدوِّك ؛ فإن عَصَيتَني ، وأبيتَ إلّا الخروجَ إلى الكوفةِ ، فلا تُخرِجَنَّ نساءَك وولدَك معَك ! فواللهِ ،

١ * السوام : الابل الراعية . البيتان ليزيد تمثل بهما الحسين.

٢ * يريد : يوم اضام فاتحمل الضيم مخافة الموت والمنايا يرصدنني ولا محيد لي عنها ، فلا ذعرت الابل صباحاً في غارتي ، ولا دعيت يزيد ، اي فلأمت ، فالموت افضل . وقوله ترصدنني : هكذا في الاصل ، والصواب : يرصدنني .

٣ * يريد بالجبار يزيد بن معاوية .

٤ * اي من فعلوا وفعلوا كذا وكذا.

إني لخائفٌ ان تُقتلَ كما قُتِلَ عثمانُ ، ونساؤه وولْدُه ينظرون اليه . فكان الذي ردَّ عليه : لأن أُقتلَ ، واللهِ ، بمكانِ كذا ، أحبُّ إليَّ من ان استحلَّ بمكةَ ! فيئسَ ابنُ عباسٍ منه وخرجَ . واتصلَ الخبرُ بيزيدَ ، فكتب إلى عبيدِالله بنِ زيادٍ بتوليته الكوفةَ ؛ فخرجَ من البصرةِ مسرعاً ، حتى قدمَ الكوفةَ على الظُّهرِ ؛ فدخلَها في أهلِه وحشَمِه ، وعليه عمامةٌ سوداءُ قد تلثَّمَ بها ، وهو راكبٌ بغلةً ، والنَّاسُ يتوقعونَ قدومَ الحسينِ . فجعلَ ابنُ زيادٍ يسلِّمُ على النَّاسِ ، فيقولون : وعليكَ السَّلامُ يا ابنَ رسولِ اللهِ ! قدِمتَ خيرَ مَقدَمٍ ؛ حتَّى انتهى الى القصرِ ، وفيه النعمانُ بن بشيرٍ ، فتحصَّنَ فيه[1] ، ثمَّ أشرفَ عليه ، فقالَ : يا ابنَ رسولِ الله ! مالي ولكَ ، وما حملَك على قصدِ بلدي من بينِ البُلدانِ ؟ فقالَ ابنُ زيادٍ : لقد طالَ يومُك يا نُعيم[2] ! وحسَرَ اللِّثامَ عن فيهِ ، فعرفَه ، ففتحَ له . وتنادى النَّاسُ : ابنُ مرجانةَ[3] ، وحصَبُوه بالحَصباء ، ففاتَهم ، ودخلَ القصرَ . ولمَّا اتصلَ خبرُ ابنِ زيادٍ بمسلمٍ ، تحوَّلَ إلى هانىء بن عروة المُراديّ . ووضعَ ابنُ زيادٍ الرَّصدَ على مسلمٍ ، حتَّى علمَ بموضعِه ، فوجَّهَ محمَّدَ بنَ الأشعث بنِ قيسٍ إلى هانىء ، فجاءه فسأله عن مسلمٍ ، فأنكرَه ، فأغلظَ له ابنُ زيادٍ القولَ ، فقالَ هانىء : إنَّ لزيادٍ أبيك عندي بَلاءً حسناً ، وأنا أُحبُّ مُكافاتَه به ، فهل لك في خيرٍ ؟ قالَ ابنُ زيادٍ : وما هو ؟ قالَ : تشخصُ إلى أهلِ الشامِ ، انتَ واهلُ بيتك سالمين بأموالِكم ، فإنَّه قد جاءَ حقٌّ من هو احقُّ من حقِّك وحقِّ صاحبِك . فقالَ ابنُ زيادٍ : أدنُوه منِّي ! فأدنَوه منه ، فضربَ وجهَه بقضيبٍ كانَ في يدِه كسَرَ أنفَه ، وشقَّ حاجبَه ، ونثرَ لحمَ وَجنتِه ، وكسرَ القضيبُ على وجهِه ورأسِه . وضربَ هانىء بيدِه إلى قائمِ سيفِ شُرطيٍّ ، من تلك الشُّرَطِ ، فجاذبَه الرَّجلُ ، ومنعَه السَّيفَ . وصاحَ أصحابُ هانىء

١ ـ الضمير يعود الى النعمان .

٢ ـ يا نعيم : تصغير وترخيم النعمان .

٣ ـ مرجانة : امّ زياد ابن ابيه ، والد عبيدالله بن زياد ، وكانت امة .

بالبابِ : قُتِلَ صاحبُنا ! فخافَهم ابن زيادٍ ، فأمرَ مجلسه في بيتٍ إلى جانبِ مجلسه . وأخرجَ اليهم ابنُ زيادٍ شُريحا القاضيَ ، فشهدَ عندَهم أنّه حيٌّ ، لم يُقتلْ ، فانصرَفوا . ولما بلَغَ مُسلماً ما فعلَ ابنُ زيادٍ بهانىء ، أمرَ منادياً فنادى : يا منصورُ ! وكانت شِعارَهم ؛ فتنادى اهلُ الكوفةِ بها ، فاجتمعَ إليه ، في وقتٍ واحدٍ ، ثمانيةَ عشرَ الفَ رجلٍ ، فسارَ إلى ابنِ زيادٍ ، فتحصَّنَ منه ، فحصرَه في القصرِ ؛ فلم يُمسِ مُسلمٌ ومعَه غيرُ مائةِ رجلٍ . فلما نظرَ إلى الناسِ يتفرّقون عنه ، سارَ نحوَ بَوّابِ كِندةَ ، فما بلَغَ البابَ إلّا ومعَه منهم ثلاثةٌ ؛ ثم خرَجَ من البابِ ، فإذا ليسَ معَه أحدٌ ؛ فبَقيَ حائرًا لا يدري اينَ يذهبُ ، ولا يجِدُ أحدًا يَدلُّه على الطريقِ ؛ فنزلَ عن فرسِه ، ومشى ، متلدِّدًا[1] ، في أزقّةِ الكوفةِ ، لا يدري اين يتوجّهُ ، حتّى انتهى إلى بابِ مولاةٍ للأشعثِ بنِ قيسٍ ، فاستسقاها ماءً ، فسَقَتْه ؛ ثم سألته عن حالِه ، فاعلمها بقضيّتِه ، فرقّت له ، وآوَته . وجاءَ ابنُها فعلم بموضعِه ، فلما أصبحَ غدا إلى محمدِ بنِ الأشعثِ فاعلَمه ، فمضى ابنُ الأشعثِ الى ابنِ زيادٍ ، فأعلمه ، فقالَ : انطلِق ، فأْتِني بهِ ! ووجّهَ معَه عبدَاللهِ بنَ العبّاسِ السلميَّ في سبعينَ رجلًا ، فاقتحموا ، على مسلمٍ الدارَ ، فثارَ عليهم بسيفِه ، وشَدَّ عليهم ، فأخرجَهم ؛ ثمَّ حملُوا عليه الثانيةَ ، فشدَّ عليهم وأخرَجَهم ايضاً ؛ فلما رأوا ذلك ، علَوا ظُهرَ البيوتِ ، فرمَوه بالحجارةِ ، وجعلوا يُلهبون النارَ بأطرافِ القصَبِ ، ثم يُلقونها عليه من فوقِ البيوتِ ؛ فلما رأى ذلك ، قالَ : أكلَّ ما أرى ، من الاحلابِ ،[2] لقتلِ مسلمِ بنِ عقيلٍ ؟ يا نفسِ اخرُجي إلى الموتِ الّذي ليسَ عنه مَحيصٌ ! فخرَجَ إليهم مُصلتاً سيفَه ، إلى السِّكةِ ، فقاتلهم . واختلَفَ ، هو وبكيرُ بنُ حُمرانَ الأحمريُّ ، ضربتينِ : فضربَ بكيرٌ فمَ مسلمٍ ، فقطعَ السيفُ شفتَه العُليا ، وشرَعَ في السُّفلى ؛ وضربَه مسلمٌ ضربةً مُنكرةً في رأسه ، ثم ضربَه أُخرى على حبلِ العاتقِ ، فكادَ يَصلُ إلى جوفِه وهو يرتجزُ :

١ . متلدِّدًا : متحيّرًا .

٢ . الاحلاب : مصدر احلب القوم اذا اجتمعوا من كل صوب .

أُقسِمُ لا اقتُلُ إلّا حُرًّا ؛ وإن رأيتُ الموت شيئاً مُرًّا ؛
كل امرىء يوماً مُلاقٍ شرًّا ؛ أخافُ أن أكذِبَ أو أفِرًّا .

فلمّا رأوا منه ذلك ، تقدّمَ اليه الأشعثُ فقالَ له : فإنّك لا تكذِبُ ولا تفِرُّ ؛ وأعطاه الأمانَ ، فأمكنَهم من نفسِه ، وحملوه على بَغلةٍ ، وأتوا به ابنَ زيادٍ ، وقد سلّبَه ابنُ الأشعثِ ، حينَ أعطاه الأمانَ ، سيفَه وسلاحَه . فلمّا صارَ مسلمٌ إلى بابِ القصرِ نظرَ إلى قُلّةٍ مبرّدَةٍ ، فاستسقاهم منها ، فمنَعَهم مسلمُ بنُ عُمَرَ الباهليُّ ، أن يسقُوه ؛ فوجّهَ[1] عمرو بنَ حُرَيثٍ فأتاه بماءٍ في قدَحٍ ؛ فلمّا رفعَه إلى فيه امتلأَ القدَحُ دماً ، فصبَّه وملأَه له الثانية ؛ فلمّا رفعَه إلى فيه سقطَت ثَنايَاهُ فيه ، وامتلأَ دماً ؛ فقالَ : الحمد لله ! لو كانَ من الرّزقِ المقسومِ لشربتُه . ثمّ أُدخِلَ على ابن زيادٍ ، فلمّا انقضى كلامُه ، ومسلمٌ يُغلِظُ له في الجوابِ ، أمرَ به ، فأُصعِدَ إلى أعلى القصرِ ، ثم دعا الأحمريَّ ، الّذي ضربَه مسلمٌ ، فقالَ له : كن انتَ الّذي تضربُ عُنقَه لتأخذَ بثأرِك من ضربتِه ؛ فأصعدُوه إلى أعلى القصرِ فضربَ بكيرٌ الأحمريُّ عُنقَه فأهوى رأسُه الى الأرضِ ، ثم أتبعُوا رأسَه جسدَه . . . وكانَ ظهورُ مسلمٍ بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانِ ليالٍ مَضَينَ من ذي الحجّةِ سنةَ ستينَ[2] ، وهو اليومُ الّذي ارتحلَ فيه الحُسين من مكّةَ الى الكوفةِ . ثمّ أمرَ ابنُ زيادٍ بجثّةِ مسلمٍ فصُلِبَت ، وحُملَ رأسُه الى دمشقَ ؛ وهذا أوّلُ قتيلٍ صُلِبَت جُثّتُه من بني هاشمٍ ، وأوّلُ رأسٍ حُمل من رؤوسِهم الى دمشقَ . فلمّا بلغَ الحسينُ القادسيّةَ ، لقيَه الحرُّ ابنُ يزيدَ التّميميُّ ، فقالَ له : أينَ تريدُ يا ابنَ رسولِ الله ؟ قالَ : أريدُ هذا المِصرَ ؛ فعرّفَه بقتلِ مسلمٍ ، وما كانَ من خبرِه ؛ ثم قالَ : ارجِع ، فإني لم أدَع خلفي خيرًا أرجوه لك ! فهمَّ بالرّجوعِ ، فقالَ له أخو مسلمٍ : والله لا نرجِعُ حتّى نُصيبَ بثأرِنا ، او نُقتَلَ كلُّنا . فقالَ الحسينُ : لا خيرَ في الحياةِ بعدَكم . ثمّ سارَ ، حتّى لقيَ خيلَ عبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ ، عليها عمرو بنُ سعدِ بنِ ابي

١ ـ الضمير يعود الى مسلم .
٢ ـ ٦٧٩م .

وقاص، فعدلَ إلى كربلاء، وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة راجل؛ فلما كثُرت العساكرُ على الحسين أيقنَ أنه لا محيصَ له[1]، فقالَ: اللّهُمّ! احكُم بيننا، وبينَ قوم دعونا لينصُرونا، ثم هم يقتلوننا. فلم يزل يقاتلُ، حتى قُتلَ، رضوانُ اللهِ عليه[2]. وكانَ الّذي تولّى قتله رجلٌ من مذحج، واحتزّ رأسه، وانطلق به إلى ابنِ زيادٍ وهو يرتجزُ:

أنا قتلتُ الملكَ المحجّبا، قتلتُ خيرَ النّاسِ أمّاً وأبا،
وخيرَهم إذ يُنسَبون نسَبا.

فبعثَ به ابنُ زيادٍ إلى يزيدَ بنَ معاويةَ، ومعه الرأسُ، فدخلَ إلى يزيدَ وعندَه ابو بُردةَ الأسلميّ، فوضعَ الرأسَ بين يديه، فأقبلَ ينكُت[3] بالقضيب ويقولُ:

نفلِقُ هاماً من رجالٍ أحبّةٍ علينا، وهم كانوا أعقَّ واظلما!

فقالَ له أبو بُردةَ: ارفع قضيبَك! فطالَ، واللهِ، ما رأيتُ رسولَ اللهِ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ، يضَعُ فمَه على فمِه يَلثِمُه. وكانَ جميعُ من حضَرَ مقتلَ الحسينِ من العساكرِ ومحاربيه، وتولّى قتلَه، من أهلِ الكوفةِ خاصّةً، لم يحضُرهم شاميٌّ؛ وكانَ جميعُ من قُتِلَ مع الحسينِ، في يومِ عاشوراء، بكربَلاء، سبعةً وثمانينَ، منهم ابنُه عليُّ بنُ الحسينِ الاكبرُ. وأمرَ عمرو بنُ سعدٍ أن يُوطِئوا خيلَهم الحسينَ، فانتُدِبَ لذلك إسحقُ بنُ حيانَ الحضرميُّ في نفَرٍ معَه، فوطِئوه بخيلِهم. ودفَن أهلُ العامريّةِ، وهم قومٌ من بني عامرٍ، من بني اسدٍ، الحسينَ وأصحابَه بعدَ قتلِهم. وكانَ عِدّةُ من قُتِلَ من أصحابِ بن سعدٍ في حربِ الحسينِ، عليه السّلامُ، ثمانيةً وثمانين رجلاً[4].

١ * لا محيصَ: لا مفرّ.

٢ * قتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين. ووجد به يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة، واربع وثلاثون ضربة.

٣ * ينكت: يضرب.

٤ * اخذت هذه القطعة ببعض اختصار.

من اخبار يزيد وأفعالِه

وكانَ يزيدُ صاحبَ طربٍ ، وجوارحَ[1] ، وكلابٍ ، وقرودٍ ، وفهودٍ ، ومنادمةٍ على الشرابِ . وجلسَ ذاتَ يومٍ على شرابِهِ ، وعن يمينِه ابنُ زيادٍ ، وذلك بعدَ مقتلِ الحسينِ ، فاقبلَ على ساقيهِ ، فقالَ :

إسقني شربةً تروّي مُشاشي ، ثمّ مِلْ ، فاسقِ مثلَها ابنَ زيادِ ،[2]
صاحبِ السِّرِّ والأمانةِ عندي ، وللتسديدِ مَغنَمي وجهادي .

ثمّ أمرَ المغنّين ، فغنّوا . وغلبَ على اصحابِ يزيدَ وعُمّالِه ما كانَ يفعلُه من الفُسوقِ . وفي ايّامه ظهرَ الغِناء بمكّةَ والمدينة ، واستُعملتِ الملاهي ، وأظهرَ الناسُ شُربَ الشرابِ . . .

ولمّا شَمِلَ الناسَ جورُ يزيدَ وعُمّالِه ، وعمّهم ظُلمُه ، وما ظهرَ من فُسقِه من قتلِه ابنَ بنتِ رسولِ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّمَ ، وأنصارَه ، وما ظهرَ من شُربِ الخمورِ ، وسيرِه سيرةَ فِرعونَ ، بل كانَ فرعونُ أعدلَ منه في رعيّتِه ، وأنصفَ منه لخاصّتِه وعامّتِه ، أخرجَ أهلُ المدينةِ عاملَه عليهم ، وهو عثمانُ بنُ محمدِ ابنِ أبي سفيانَ ، ومروانَ بنَ الحكَمِ ، وسائرَ بني أميّةَ ؛ وذلكَ عندَ تنسُّكِ ابنِ الزُّبيرِ ، وتألُّهِه[3] ، وإظهارِ الدعوةِ لنفسِه ؛ وذلك في سنة ثلاثٍ وستّين[4] . وكانَ اخراجُهم ، لما ذكرنا من بني أميّةَ ، وعاملِ يزيدَ ، عن أذنِ ابن الزُّبير ؛ فاغتنمها مَروانُ منهم ، إذ لم يَقبِضوا عليهم ، ويحملوهم إلى ابن الزُّبير ، فحثّوا السَّيرَ نحوَ الشامِ . ونُمِيَ فعلُ أهلِ المدينةِ ببني اميّةَ وعاملِ يزيدَ الى يزيدَ ، فسيّرَ إليهم بالجيوشِ ، من أهلِ الشامِ ، عليهم مسلمُ بنُ عُقبةَ المُرّيُّ ، الذي أخافَ أهلَ المدينةِ ، ونهبَها ، وقتلَ أهلَها ، وبايعَه اهلُها على أنّهم عبيدٌ ليزيدَ[5] ،

١ . الجوارح : ج جارح ، كل طائر صياد .
٢ . المشاش : ج المُشاشة ، رأس العظم اللين الممكن المضغ .
٣ . تألّه : تعبّد .
٤ . سنة ٦٨٢ م .
٥ . يزيد سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م بعد وفاة ابيه معاوية ، وتوفي بحوارين من ارض دمشق سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م ، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة .

وسمّاها نَتِنَةَ ، وقد سمّاها رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ، طَيْبَةَ[1] ، وقالَ : من أخافَ المدينة أخافَه اللهُ ! فسُمّيَ مسلمٌ هذا ، لعنه اللهُ ، بمجرمٍ ومُسرفٍ ، لما كانَ من فعلِه . . .

ولما انتهى الجيشُ من المدينةِ إلى الموضعِ المعروفِ بالحَرّةِ ، وعليهم مسرفٌ ، خرجَ إلى حربِه اهلُها ، عليهم عبدُ اللهِ بنُ مُطيعٍ العَدَوِيُّ ، وعبدُ اللهِ بنُ حنظلةَ الأنصاريُّ ؛ وكانت وقعةً عظيمةً قُتلَ فيها خلقٌ كثيرٌ من النّاسِ ، من بني هاشمٍ ، وسائرِ قريشٍ والأنصار ، وغيرِهم من النّاسِ . وبايعَ الناسُ على أنّهم عبيدٌ ليزيدَ ، ومن أبى ذلك أمرَه مُسرفٌ على السّيفِ ، غيرَ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ ابي طالبٍ ، السّجّادِ ، وعليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبّاسِ بنِ عبدِ المطّلبِ . . .

ولما نزلَ بأهلِ المدينةِ ما وصَفْنا من القتلِ والنّهبِ ، والرّقِّ والسّبيِ ، وغيرِ ذلك مما عنه اعرضنا ، من مُسرفٍ ، خرجَ عنها يُريدُ مكّةَ في جيوشه من أهلِ الشّامِ ، ليوقعَ بابنِ الزّبيرِ وأهلِ مكّةَ ، بأمرِ يزيدَ . وذلك في سَنةِ اربعٍ وستّينَ[2] ؛ فلمّا انتهى إلى الموضعِ المعروفِ بقديدٍ ، ماتَ مسرفٌ ، لعنه اللهُ ، واستُخلفَ على الجيشِ الحُصَينُ بنُ نُميرٍ ؛ فسار الحصينُ ، حتى أتى مكّةَ ، وأحاطَ بها . وعاذَ ابنُ الزّبيرِ بالبيتِ الحرامِ ، وكانَ قد سمّى نفسَه العائذَ بالبيتِ ، وشُهِرَ بهذا ، حتّى ذكرَته الشعراء بأشعارها . . ونصَبَ الحصينُ ، فيمن معه من أهلِ الشّامِ ، المجانيقَ والعَرّاداتِ[3] على مكّةَ والمَسجدِ ، من الجبالِ والفِجاجِ ؛ وابنُ الزّبيرِ في المسجدِ ، ومعه المُختارُ بنُ ابي عُبيدٍ الثّقفيُّ ، داخلاً في جملتِه ، منضافاً الى بَيعتِه ، منقاداً الى إمامتِه على شرائطَ شرَطَها عليه ، لا يخالفُ له رأياً ، ولا يَعصي له أمراً ؛ فتواردَت أحجارُ المجانيقِ والعرّاداتِ على البيتِ ، ورُميَ ، مع الأحجارِ ، بالنّارِ والقِطرِ ومُشاقاتِ الكتّانِ ، وغيرِ ذلك من المحرقاتِ ؛ وانهدَمتِ الكعبةُ ، واحترقتِ البَنيّةُ . ووقعَت صاعقةٌ ، فاحرقَت

١ ، يقال : طَيْبة ، وطَيْبَة ، وطابة ، والمطيبة .

٢ ، سنة ٦٨٣ م .

٣ ، العرادات : ج العرادة ، من آلات الحرب ، اصغر من المنجنيق ، ترمي بالحجارة المرمى البعيد .

من أصحابِ المجانيقِ احدَ عشرَ رجلًا ، وقيلَ : أكثر من ذلك ، يومَ السَّبت لثلاثٍ خلونَ من شهر ربيعٍ الأوّلِ من السَّنةِ المذكورةِ ، قبلَ وفاةِ يزيدَ بأحدَ عشر يوماً[1] .

عُمرُ بنُ عبد العزيز[2]

ذكرَ جماعةٌ من الإخباريين أنَّ عمرَ لما وليَ الخلافةَ ، وفَدَ عليه وفودُ العربِ ، ووفَدَ عليه وفدُ الحجازِ ، فاختارَ الوفدُ غلاماً منهم ، فقدَّموه عليهم ليبدأ بالكلامِ . فلمَّا ابتدأ الغلامُ بالكلامِ ، وهو أصغرُ القومِ سنّ ، قالَ عمرُ : مهلًا يا غلامُ ! ليتكلَّمْ من هو اسنُّ منك . فقالَ : مهلًا يا أميرَ المؤمنين ! إنَّما المرء بأصغريه : لسانِه وقلبِه ، فإذا منَحَ اللهُ العبدَ لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجادَ له الحِلية ، ياأميرَ المؤمنين ! ولو كانَ التقدُّمُ بالسنِ لكانَ في هذه الأُمّةِ من هو أسنُّ منكَ . قالَ : تكلَّم يا غلامُ ! قالَ : نعَم يا أميرَ المؤمنينَ ؛ نحنُ وفودُ التَّهنئةِ لا وفودَ المَرزِئةِ[3] . قدِمنا إليك من بلدِنا نحمَدُ اللهَ الّذي منَّ بك علينا ؛ لم نُخرجنا اليكَ رَغبةٌ ولا رَهبةٌ : أمّا الرغبةُ فقد أتانا منْك إلى بلدِنا ؛ وأما الرَّهبةُ ، فقد أمّننا اللهُ بعدلِكَ من جَورِك . فقالَ : عِظنا ياغلامُ ، وأوجِز ! قالَ : نَعَم ، يا أميرَ المؤمنين ! إنّ أُناساً ، من النَّاسِ ، غرَّهم حِلمُ الله عنهم ، وطولُ أملِهم ، وحسنُ ثناءِ النّاسِ عليهم ؛ فلا يغُرَّنك حلمُ اللهِ عنك ، وطولُ املكَ ، وحسنُ ثناءِ النَّاسِ عليك ، فتزِلَّ قدَمُك . فنظَرَ عمرُ في سِنِّ الغلامِ ، فاذا هو قد اتَت عليه بضعَ عشرةَ سنةً ، فأنشأ عمرُ يقولُ :

تعلَّم ، فليسَ المرء يولَدُ عالمًا ، وليسَ أخو علمٍ ، كمن هو جاهلُ ؛
وإنَّ كبيرَ القومِ ، لا علمَ عندَه ، صغيرٌ ، اذا التفَّت عليه المحافلُ .

١ . اخذت هذه القطعة بعض اختصار .

٢ . استخلف وتوفي في دير سمعان من أعمال حمص سنة ١٠١هـ ٧١٩م وله من العمر ٣٩ سنة .

٣ . المرزئة : مصدر من رزاه : اصاب منه خيراً ، والمرزئة ايضاً المصيبة ؛ والمراد هنا إصابة الخير .

الوليد بن يزيد

كانَ الوليدُ بنُ يزيدَ صاحبَ شرابٍ ، ولهوٍ وطربٍ ، وسَماعٍ للغناء . وهو اوّلُ من حَملَ المغنّين ، من البلدانِ إليه ، وجالسَ المُلهين ، وأظهرَ الشرابَ والملاهيَ والعَزفَ . وفي ايّامه ، كانَ ابن سُرَيجٍ المغنّي ، ومَعبدٌ ، والغَريضُ ، وابنُ عائشةَ ، وابنُ مُحرِزٍ ، وطُوَيسٌ ، ودَحمانُ . وغلبَت عليه شَهوةُ الغِناء ، في ايّامه ، وعلى الخاصِّ والعامِّ ، واتّخذَ القيانَ . وكان متهتّكاً ، ماجناً ، خليعاً . وطربَ الوليدُ لليلتين خَلَتا من ملكه ، وأرِقَ ، فأنشأ يقولُ :

طالَ ليلي ، وبتُّ أسقى السُّلافه ، وأتاني نَعِيٌّ من بالرُّصافه ؛
وأتاني بِبُرْدَةٍ وقَضيبٍ ؛ وأتاني بخاتمِ الخلافه .

... والوليد يُدعى خليعُ بني مَروانَ . وقرأ ذاتَ يومٍ : واستفتحوا ، وخابَ كلُّ جَبّارٍ عنيدٍ من ورائه جهنّمُ ، ويُسقى من ماءٍ صديدٍ[1] . فدعا بالمُصحَفِ ، فنصبَه غرَضاً للنُّشّابِ ، وأقبلَ يَرميه وهو يقولُ :

أتوعِدُ كلَّ جَبّارٍ عنيدٍ ؟ فهـا أنا ذاكَ جَبّارٌ عنيدُ![2]
إذا ما جئتَ ربَّك يومَ حَشرٍ ، فقُل : يا ربِّ ! خرّقني الوليد .

فلم يُمهَل ، بعد قوله ، إلّا اياماً ، حتّى قُتلَ[3] .

انقراض ملك بني امية

كانَ جميعُ ملكِ بني اميّةَ ، إلى ان بُويعَ أبو العبّاسِ السَّفّاحُ ، الفَ شهرٍ كاملةً ، لا تزيدُ ولا تنقُصُ ، لأنّهم ملكوا تسعين سنةً ، واحدَ عشرَ شهراً ، وثلاثةَ عشرَ يوماً .

١ ـ الصَّديد : ماء الجرح ، الرقيق ، المختلط بالدم قبل ان تغلظ المادة . وقيل هو القيح المختلط بالدم .
٢ ـ العنيد : الجائر عن القصد ، الباغي ، والمخالف للحق الذي يردّه وهو يعرفه .
٣ ـ بويع الملك سنة ١٢٥هـ ٧٤٣م ، وقتل في البحراء ، قرية من قرى دمشق سنة ١٢٦هـ ٧٤٣م وله من العمر اربعون سنة

قالَ المسعوديُّ : فملك بنو العبّاسِ في سنة اثنتين وثلاثينَ ومائةٍ[1] ، وانقضى ملكُ بني أميّةَ .

أبو مُسلمٍ ونصرُ بنُ سيّارٍ

وقد تُنوزِعَ في أمرِ أبي مسلمٍ : فمن النّاسِ من رأى أنّه كانَ من العربِ ؛ ومنهم من رأى أنه كانَ عبدًا ، فأُعتِقَ . وكانَ من أهلِ البِرسِ والجامعَينِ[2] من قريةٍ يقالُ لها : حرطينةُ ؛ واليها تضافُ الثيابُ البرسيّة ، المعروفةُ بالحرطينيّة ؛ وتلك من اعمالِ الكوفةِ وسوادِها . وكانَ قهرماناً[3] لأدريسَ بنِ ابراهيمَ الجُعليِّ ؛ ثمّ آلَ أمرُه ، ونَمَت به الأقدارُ إلى أنِ اتّصلَ بمحمّدِ بنِ عليٍّ ، ثمّ بإبراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ ، فأنفذَه إبراهيمُ الى خُراسانَ ، وأمرَ أهلَ الدّعوةِ بإطاعتِه والانقيادِ إلى أمرِه ورأيِه ؛ فقويَ أمرُه ، وظهرَ سلطانُه ، وأظهرَ السّوادَ[4] ، وصارَ زينةً في اللّباسِ والأعلامِ والبنودِ . وكانَ أوّلَ من سوّدَ من أهلِ خراسان ، وأهلِ بَساندَ ، وأظهرَ ذلك فيهم ، أسيدُ بنُ عبدِاللهِ ، ثمّ نمّا ذلك في الاكثرِ من المُدنِ والكُورِ بخراسان .

وقويَ أمرُ ابي مسلمٍ ، وضعُفَ أمرُ نصرِ بنِ سَيّارٍ ، صاحبِ مروانَ ابنِ محمد ، على بلادِ خراسانَ ؛ وكانَت له مع أبي مسلمٍ حروبٌ ، اكثرُ فيها ابو مسلمٍ الحِيَلَ والمكايدَ من تفريقِه بينَ اليمانيةِ والنّزاريّةِ بخراسان ، وغيرَ ذلك ممّا احتالَ به على عدوّه . . . وطالَت مكاتبةُ نصرِ بنِ سيّارٍ مروانَ ، وإعلامُه بما هو فيهِ ، وإظهارُ أمرِ العبّاسيّةِ وتزايُدَه في كلِّ وقتٍ ؛ فكانَ فيما كتبَ به إليه إعلامُه بحالِ ابي مسلمٍ ، وحالِ من معَه ، وأنّه كشفَ عن أمرِه ، وبحثَ عن حالِه ، فوجَدَه يدعو إلى ابرهيمَ بنِ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ عبداللهِ بنِ العبّاسِ ، وضمّنَ كتابَه أبياتاً من الشّعرِ ، وهيَ :

١ ـ سنة ٧٤٩م .

٢ ـ البِرس : قرية بين الحلّة والكوفة ◎ الجامعان : هما الحلّة المزيدية بلد بناه صدقة بن منصور بن مَزيَد .

٣ ـ القهرمان : وكيل الدخل .

٤ ـ السواد : شعار العبّاسيين .

أرى بينَ الرَّمادِ وميضَ جمرٍ ، ويوشِكُ أن يكونَ له ضِرامُ ،[1]
فإنَّ النارَ بالعُودينِ تُرْكى ؛ وإنَّ الحربَ أوَّلُها الكلامُ ؛
فإن لم تُطفئوها تَجْنِ حرباً مشمِّرةً يشيبُ لهـا الغلامُ .
أقولُ من التعجُّبِ ! ليتَ شِعري ، أأيقـاظٌ أميَّةُ أم نيامُ ؟
فإن يكُ قومُنا أضحَوا نياماً ، فقل : قوموا ، فقد حان القيامُ !
ففرِّي عن رحالِك ، ثم قولي : على الإسلام والعربِ السلامُ !

فلمَّا وردَ الكتابُ على مروانَ وجدَه مشتغلاً بحروبِ الخوارجِ بالجزيرةِ وغيرِها ، وما كانَ من خبرِه في حروبِه مع الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ الحروريِّ ، حتَّى قتلَه مروانُ ، بعدَ وقائعَ كثيرةٍ ، بينَ كفرتُوثَى ورأسِ العينِ[2] . وكانَ الضَّحَّاكُ خرَجَ من بلادِ شهرَزورَ[3] ؛ فلم يَدرِ مروانُ كيفَ يصنعُ في امرِ نصرِ بنِ سيَّارٍ وخراسانَ ، وإنجازِه لما هو فيه من الحروبِ والفتنِ . فكتبَ اليه مروانُ ، مجيباً عن كتابه : إنَّ الشاهدَ يَرى ما لا يَراه الغائبُ ، فاجشِمِ التَّولاتِ[4] تملكْ ! فلمَّا وردَ الكتابُ على نصرٍ قالَ لخواصِّ أصحابِه : أمَّا صاحبُكم فقد أعلمكم أن لا نَصرَ عندَه . . ولمَّا يئسَ نصرُ بنُ سيَّارٍ من إنجادِ مروانَ ، كتبَ إلى يزيدَ بنِ عمرو بنِ هُبَيرةَ الفزاريِّ ، عاملِ مروانَ على العراقِ ، يستمدُّه ويسألُه النُّصرةَ على عدوِّه . . فلم يُجبه يزيدُ بنُ عمرٍو عن كتابه ، وتشاغلَ بدفعِ فتنِ العراقِ . . وقويَ أمرُ أبي مسلمٍ ، وغلَبَ على أكثرِ خراسانَ ، وضعفَ نصرُ بنُ سيَّارٍ من عدمِ النَّجدةِ ، فخرَجَ عن خراسانَ ، حتَّى أتى السَّريَّ ، وخرَجَ عنها فنزلَ ساوةَ ، بينَ بلادِ همذانَ والسَّريِّ ، فماتَ بها كمدًا . وكانَ نصرُ بنُ سيَّارٍ ، لمَّا صارَ بينَ السَّريِّ وخراسانَ ، كتبَ كتاباً إلى مروانَ يذكرُ فيه خروجه عن خراسانَ ، وأنَّ هذا الأمرَ الَّذي أزعجَه سينمو ، حتَّى يملأَ البلادَ ، وضمَّنَ ذلك أبياتاً من الشِّعر ، وهي :

١ ـ لهذه الابيات رواية اخرى تختلف عما هي عليه هنا .
٢ ـ رأس العين : بلد بين حرّان ونصيبين .
٣ ـ شهرزور : من بلاد فارس .
٤ ـ التولات : ج ثولة : الداهية المنكرة .

إنّا ، وما نَكَثتُ من أمرنا ، كالثَّور ، إذ قُدِّمَ للناخِعِ ![1]
كنّا نُرَفِّيها ، فقد مُزِّقَت ، واتّسعَ الخَرقُ على الرّاقِعِ ،[2]
كالثَّوب ، إذ أنهجَ فيهِ البِلى ، أعيا على ذي الحِيلةِ الصّانِعِ ![3]

فلم يَستتِمَّ مروانُ قِراءةَ هذا الكتابِ ، حتّى مثَلَ أصحابُه ، بينَ يديهِ ، ممّن كانَ قد وُكِّلَ بالطُّرُقِ ، رسولاً من خراسانَ من ابي مُسلمٍ إلى ابراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ ، يُخبِرُه فيه خبرَه ، وما آلَ إليه أمرُه . فلمّا تأمّلَ مروانُ كتابَ أبي مسلمٍ ، قالَ للرّسولِ : لا تُرَعْ ! كم دفَعَ لك صاحبُك ؟ قالَ : كذا وكذا . قالَ : فهذه عشرةُ آلافِ درهمٍ لك ، وإنّما دفعَ إليكَ شيئاً يسيراً ؛ وامضِ بهذا الكتابِ إلى إبرهيمَ ، ولا تُعلِمه بشيءٍ ممّا جرى ؛ وخُذ جوابَه ، فأْتِني به . ففعلَ الرّسولُ ذلك ؛ فتأمّلَ مروانُ جوابَ إبرهيمَ إلى أبي مسلمٍ بخطّه ، يأمرُه فيه بالجِدِّ والاجتهادِ والحيلةِ على عدوّه ، وغيرِ ذلك من أمرِه ونهيِه . فاحتبَسَ مروانُ الرّسولَ ، وكتَبَ الى الوليدِ بنِ معاويةَ بنِ عبدِ الملكِ ، وهو على دمشقَ ، يأمرُه أن يَكتبَ إلى عاملِ البَلقاء[4] ، فيسيرَ إلى القَريةِ المعروفةِ بالكدادِ والحُمَيمةِ[5] ، ليأخذَ إبراهيمَ بنَ محمدٍ ، فيشدَّه وِثاقاً ، ويَبعثَ به إليه في خيلٍ كثيفةٍ . فوجّهَ الوليدُ الى عاملِ البلقاء ، وهو[6] جالسٌ في مسجدِ القريةِ فأخذَه ، وهو ملفَّفٌ ، وحُمِلَ إلى الوليدِ ، فحمّلَه الى مروانَ ، فحبسَه في السِّجنِ شهرين . وقد كانَ جرى بينَ إبرهيمَ ومروان خطبٌ طويلٌ ، حين سألَ إبرهيمَ وأنكرَ كلَّ ما ذكرَه له مروانُ من أمرِ أبي مسلمٍ . فقالَ له مروانُ : يا منافقُ ! أليسَ هذا كتابُك إلى ابي مُسلمٍ ، جواباً عن كتابِه إليكَ ؟ وأخرجَ اليه الرّسولَ ، وقالَ : أتعرفُ هذا ؟ فلمّا رأى ذلك إبراهيمُ أمسكَ وعلِمَ أنّه

١ ـ الناخع : الذابح ، من نخع الذبيحة جاوز بالسكين منتهى الذبح فاصاب نخاعها .
٢ ـ رفأ الثوب : أصلح ما فيه من خروق .
٣ ـ انهج فيه البلى : أخلقه وأبلاه .
٤ ـ البلقاء : بلد بالشام .
٥ ـ الكداد والحميمة : بليدة بالبلقاء .
٦ ـ الضمير عائد الى ابرهيم الامام .

أتيَ من مأمنِه. واشتدَّ أمرُ أبي مسلمٍ؛ وكان في الحبسِ معَ إبرهيمَ جماعةٌ من بني هاشمٍ وبني أميَّة؛ فذكرَ أبو عُبيدةَ الثَّعلبيُّ، وكانَ معهم في الحبسِ، أنه هجمَ عليهم، في الحبسِ، وذلك بحرّانَ[1]، جماعةٌ من موالي مروانَ، من العجمِ وغيرِهم، فدخلوا البيتَ الذي كانَ فيهِ ابرهيم والعبَّاسُ وعبدُاللهِ[2]، فأقاموا عندَهم ساعةً، ثمَّ خرجوا، وأُغلِقَ البابُ؛ فلمَّا أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أُتيَ عليهم؛ ومعهم غلامانِ صغيرانِ من خدَمِهم كالموتى، فلمَّا رأونا أنِسوا بنا، فسألناهم الخبرَ، فقالا: امَّا العبَّاسُ وعبدُاللهِ فجُعِلَ على وجوهِهما مخادُّ، وقُعِدَ فوقَهما، فاضطربا ثم بَردا؛ وأمَّا إبرهيمُ فإنَّهم جعلوا رأسه في جرابٍ كانَ معهم، فيه نُورةٌ مسحوقةٌ، فاضطرَبَ ساعة، ثمَّ خمَد . . .

موقعة الزَّاب

ومقتل مروان بن محمد

وسارَ مروانُ، حتَّى نزَلَ على الزَّابِ الصغير[3]، وعقَدَ عليه الجسرَ؛ وأتاه عبدُاللهِ بنُ عليٍّ في عساكرِ أهلِ خراسانَ وقُوَّادِهم، لليلتينِ خلَتا من جُمادى الآخرةِ، من سَنةِ اثنتينِ وثلاثينَ ومائةٍ[4]. فالتقى مروان وعبدُاللهِ بنُ عليٍّ، وقد كَرْدَسَ[5] مروانُ خيلَه كراديسَ ألفاً وألفينِ، فكانت على مروانَ، فانهزمَ؛ وقُتلَ وغرِقَ من أصحابِه خلقٌ عظيمٌ؛ فكانَ فيمن غرقَ في الزَّابِ من بني أميَّةَ، ذلك اليومَ، ثلثمائة رجلٍ، دونَ من غرقَ من سائرِ النَّاسِ؛ وكانَ فيمن غرقَ في الزَّابِ، في ذلك اليومِ، من بني أميَّة: إبرهيمُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ المخلوعُ، وهو اخو يزيدَ الناقصِ[6] . . وكانت هزيمةُ مروانَ، من الزَّابِ، في

١ * حرّان: موضع بين النهرين.

٢ * العبَّاس: هو ابن الوليد ابن عبد الملك ابن مروان ◉ وعبدالله: هو ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان؛ وكان مروان قد سجنهما خوفاً على نفسه، وخشية ان يخرجا عليه.

٣ * الزَّاب الاعلى: نهر بين الموصل واربل، يفيض في دجلة؛ ويسمى بالزاب المجنون لشدة جريه. ومعنى لفظة الزاب: الماء الجاري.

٤ * سنة ٧٤٩م.

٥ * كردس الخيلَ: جعلها كراديس: جمع من الخيل.

٦ * سمّي بعض الجند فقالوا: يزيد الناقص. الناقص لانه نقص من ارزاق

يومِ السَّبتِ، لإحدى عشرةَ ليلةً خلَت من جُمادى الآخرة، في سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ. ومضى مروانُ في هزيمتِه، حتَّى أتى المَوصِلَ، فمنَعَه أهلُها من الدُّخولِ إليها، واظهروا السَّوادَ، لِما رأوه من تولية الأمرِ عنهُ؛ وأتى حرَّانَ، وكانَت دارَه، وكانَ مقامُه بها؛... وخرجَ مروانُ في أهلِه وسائرِ بني اميَّةَ، عن حرَّانَ، وعبَرَ الفُراتَ. ونزَلَ عبدُاللهِ بنُ عليٍّ على بابِ حرَّانَ، فهدَمَ قصرَ مروانَ؛ وقد كانَ أنفقَ عليه عشرةَ آلافِ درهمٍ؛ واحتوى على خزائنِ مروانَ واموالِه. وسارَ مروانُ، فيمن معَه من خواصِّه وعيالِه، حتَّى انتهى إلى نهرِ أبي فُطرُسَ[1] من بلادِ فلَسطينَ والأُردُنِّ، فنزَلَ عليه. وسارَ عبدُ الله بنُ عليٍّ، حتَّى نزَلَ دمشقَ، فحاصرَها، وفيها يومئذٍ الوليدُ بنُ معاويةَ بنِ عبدِ الملك، في خمسين ألفَ مقاتلٍ، فوقعَت بينَهم العَصَبيَّةُ في فضلِ اليمنِ على نِزارٍ ونِزارٍ على اليمنِ، فقُتلَ اوليدُ بنُ معاويةَ؛ وقد قيلَ: إنَّ أصحابَ عبدِ اللهِ ابنِ عليٍّ قتلوه. وأتى عبدَاللهِ بنَ عليِّ يزيدُ بنُ معاويةَ بنِ عبدِ الملكِ بن مروان، وعبدُ الجبَّارِ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ بن مروانَ، فحملَهما إلى أبي العبَّاسِ السفَّاحِ فقتلَهما وصلَبَهما بالحيرةِ. وقتلَ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ بدمشقَ خلقاً كثيراً. ولحِقَ مروان بمصرَ... ورحلَ صالحُ بنُ عليٍّ في طلبِ مروانَ، ومعَه ابو عونِ عبدُ الملكِ بنُ يزيدَ، وعامرُ بنُ إسمعيلَ المَذحِجيُّ، فلَحقوه بمصرَ، وقد نزَلَ بوصيرَ؛ فبايتوه، وهجمُوا على عسكرِه، وضربوا الطُّبولَ، وكبَّروا، ونادَوا: يا لثاراتِ إبرهيمَ! فظَنَّ مَن في عسكرِ مروانَ أن قد أحاطَ بهم سائرُ المسوِّدةِ، فقُتلَ مروانُ. وقد اختُلِفَ في كيفيةِ قتلِه، في المعركةِ، في تلك اللَّيلةِ، وكانَ قتلُه ليلةَ الأحدِ لثلاثٍ بقينَ من ذي الحِجَّة، سنة اثنتين وثلاثين ومئةٍ[2]. ولمَّا قتَلَ عامرُ بنُ اسمعيلَ مروانَ، وأرادَ الكنيسةَ، أُتي فيها بناتُ مروانَ ونِساؤه، إذا بخادمٍ لمروانَ شاهرٍ السَّيفَ، يُريدُ الدُّخولَ عليهنَّ

١ ـ فطرس: بطرس.

٢ ـ سنة ٧٤٩ م. وقد بويع مروان في دمشق سنة ١٢٧هـ ٧٤٤ م وكان عمره لما قتل ما بين الستين والسبعين؛ وكانوا يلقبونه بمروان الحمار لشدة صبره على الاعمال

فأخذوا الخادمَ ، فسُئلَ عن أمرِه ، فقالَ : أمرَني مروانُ ، إذا هو قُتلَ ، أن اضربَ رِقابَ بناتِـه ونسائِه . فلا تقتُلوني ، فإنكم ، واللهِ ، إن قتلتُموني ، ليُفقدَنَّ ميراثُ رسولِ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ! فقالوا له : انظُر ما تقولُ ! قالَ : إن كذَبتُ ، فاقتُلوني ! هلمُّوا ، فاتبَعوني ؛ ففعَلوا ، فأخرَجهم من القريةِ إلى موضعِ رملٍ ، فقالَ : اكشِفوا ! فإذا البُردُ والقضيبُ ، ومِخصَرٌ[1] قد دفنها مروانُ لئلا تصيرَ إلى بني هاشمٍ ؛ فوجَّهَ بها عامرُ بنُ إسمعيلَ إلى عبدِ الله بن عليٍّ ، فوجَّهَ بها عبدُ اللهِ إلى أبي العباسِ السَّفاحِ ، فتداولَت ذلكَ خُلفاءُ بني العباسِ إلى ايامِ المقتدرِ ، فيقالُ : إن البُردَ كانَ عليهِ يومَ مقتلِه . ولستُ أدري اكلُّ ذلكَ باتٍ مع المتقي للهِ إلى هذا الوقتِ ، وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلثمائةٍ[2] ، في نزولِه الرَّقَّةَ ، أم قد ضُيِّعَ ذلكَ . ثمَّ وجَّهَ عامرٌ ببناتِ مروانَ وجواريَه والأسارى إلى صالحِ بنِ عليٍّ ، فلما دخلنَ عليه تكلَّمت ابنةُ مروانَ الكبرى ، فقالت يا عمِّ ، يا أميرَ المؤمنينَ ! حَفِظَ اللهُ لكَ في الدُّنيا والآخرةِ ! نحنُ بناتُكَ وبناتُ أخيكَ ، فليَسَعْنا من عفوِكَ ما وسِعَكم من جورِنا . قال : أمَّا العَفوُ ، فنَعم قد وسِعَكم ؛ فإن شِئتِ زوَّجتُكِ من الفضلِ بنِ صالحِ بنِ عليٍّ ، وزوَّجتُ اختَكِ من اخيه عبدِ اللهِ بن صالحٍ ؟ فقالت : يا عمَّاه ، اميرَ المؤمنينَ ! وأيُّ أوانِ عِرسٍ هذا ؟ بل تُلحقُنا بحرَّانَ . قالَ : أفعلُ ذلكِ بكم ان شاء اللهُ . فأُلحِقنَ بحرَّانَ ؛ فعلَت أصواتُهنَّ ، عندَ دخولِهنَّ ، بالبُكاءِ على مروانَ ، وشقَقنَ جُيوبَهنَّ ، وأعوَلنَ بالصِّياحِ والنحيبِ ، حتَّى ارتجَّ العسكرُ بالبُكاءِ منهنَّ على مروانَ[3] .

١ . البُرد : هو برد النبيّ محمد ﷺ القضيب : قضيب الملك ﷺ المخصر : ولعله يريد المخصرة ، وهي ما يتوكأ عليه كالعصا ، وما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب .

٢ . سنة ٩٣٣م .

٣ . اخذت هذه القطعة باختصار .

عهد العبّاسيين

اوّل وزير عباسيّ

وكانَ أوّلُ من وقعَ عليه اسمُ الوزارةِ ، في دولةِ بني العبّاسِ ، أبو سَلَمةَ ، حَفْصُ بنُ سليمانَ الخلّالُ الهَمْدانيُّ ؛ وكانَ في نفسِ ابي العبّاسِ[1] منه شيءٌ ، لأنه كانَ حاولَ في ردِّ الأمرِ عنهم إلى غيرِهم . فكتبَ أبو مُسلمٍ إلى السَّفّاحِ يُشيرُ عليه بقتلِه ، ويقولُ له : قد أحلَّ اللهُ لكَ دمَه ، لأنّه قد نكثَ وغيَّرَ وبدَّلَ . فقالَ السّفّاحُ : ما كنتُ لأفتتحَ دَولتي بقتلِ رجلٍ من شيعتي ، لا سيّما مثلِ أبي سلمةَ ، وهو صاحبُ هذه الدعوةِ ، وقد عَرَّضَ نفسَه ، وبذَلَ مُهجتَه ، وأنفقَ مالَه ، وناصحَ إمامَه ، وجاهدَ عدوَّه . وكلّمه أبو جَعدةَ أخوه ، وداودُ بنُ عليٍّ عمُّه في ذلك ؛ وقد كانَ ابو مسلمٍ كتبَ اليهما يسألهما أن يُشيرا على السَّفّاحِ بقتلِه . فقالَ ابو العبّاس : ما كنتُ لأُفسدَ كثيرَ إحسانِه وعظيمَ بلائه ، وصالحَ ايّامِه ، بزَلّةٍ كانت منه ، وهي خَطْرَةٌ من خطَراتِ الشّيطانِ ، وغَفلةٌ من غفلاتِ الإنسان . فقالا له : فينبغي يا أميرَ المؤمنين ، أن تحترسَ منه ، فإنّا لا نأمَنُه عليك . فقالَ : كلّا ! إني لآمَنُه في ليلي ونهاري ، وسِرّي وجَهري ، ووَحدتي وجماعتي . فلمّا اتّصلَ هذا القولُ ، من ابي العبّاس ، بأبي مسلمٍ أكبرَه وأعظَمَه ، وخافَ ، من ناحيةِ ابي سلمةَ ، ان يَقصِدَه بالمكروهِ ، فوجّهَ جماعةً ، من ثقاتِ أصحابِه ، في إعمالِ الحيلةِ ، في قتلِ ابي سلمةَ . وقد كانَ أبو العبّاس يأنسُ بأبي سلمةَ ، ويستمرُّ عندَه ؛ وكان ابو سلمةَ فكهاً ، ممتعاً ، أديباً ، عالماً بالسياسةِ والتدبيرِ ؛ فيقالُ : إنّ ابا سلمةَ انصرفَ ليلةً من عندِ السَّفّاحِ ، من مدينتِه بالأنبارِ ، وليسَ معَه أحدٌ ، فوثَبَ عليه أصحابُ ابي مسلمٍ فقتلوه ؛ فلمّا اتّصلَ خبرُه بالسَّفّاحِ أنشأ يقول :

إلى النّارِ فليَذهَب ، ومن كانَ مثلُه ، على أيِّ شيءٍ فاتنا منه نأسَفُ ؟

[1] ابو العبّاس عبدالله بن محمد السفّاح . ابو بويع سنة ١٣٢هـ ٧٤٩م وتوفي في الانبار ؛ وهي المدينة التي بناها سنة ١٣٦ هـ ٧٥٣م ؛ وكان في الثالثة والثلاثين .

وكانَ أبو مسلمٍ يقالُ له : أمينُ آلِ محمدٍ ؛ وأبو سلمةَ حفصُ بنُ سليمانَ يُدعى : وزيرُ آلِ محمدٍ .

مقتلُ ابي مسلمٍ

ولمّا أرادَ المنصورُ[1] مقتلَ أبي مسلمٍ ، سقطَ بينَ الاستبدادِ برأيهِ والمشورةِ فيهِ ، فأرّقه ذلك ، فقالَ :

تقسّمني أمرانِ لم أمتحنهما ... بحَزمٍ ، ولم يعرُك قُوايَ الكراكرُ ؟[2]
وما شاورَ الاحشاءَ مثلُ دفينةٍ ... من الهمِّ ، ردّتها عليك المصادرُ ؟[3]
وقد علمت ابناءُ عدنانَ أنني ... على مثلِها ، مقدامةٌ ، متجاسرُ .

وقد كانَ عبدُاللهِ بنُ عليٍّ خالفَ على المنصورِ ، ودعا ، إلى نفسه ، من كانَ معه من أهلِ الشامِ ، وزعمَ أن السفّاحَ جعلَ الخلافةَ ، من بعدِه ، لمن انتُدبَ لقتلِ مروانَ ؛ فلمّا بلغَ المنصورَ ذلك من فعلِ عبدِاللهِ ، كتبَ اليه :

ساجعلُ نفسي منكَ حيثُ جعلتَها ؛ ... وللدّهرِ أيامٌ لهنّ عواقبُ ![4]

ثمّ بعثَ إليه بأبي مسلمٍ ، فكانَت له معه حروبٌ كثيرة ببلادِ نَصيبينَ المعروفةِ بديرِ الأعورِ . وصبرَ الفريقانِ شهورًا على حربِها ، واحتفروا الخنادقَ ؛ ثمّ انهزمَ عبدُاللهِ بنُ عليٍّ فيمن كانَ معه ، وسارَ في نفرٍ من خواصّه إلى البصرةِ ، وعليها أخوه سليمانُ بنُ عليٍّ ، عمُّ المنصورِ . فظفرَ أبو مسلمٍ بما كانَ في عسكرِ عبدِاللهِ ؛ فبعثَ إليه المنصورُ بيقطينَ بنِ موسى لقبضِ الخزائنِ ؛ فلمّا دخلَ يقطينُ على أبي مسلمٍ قالَ : السّلامُ عليك ايّها الاميرُ !

---

١ . المنصور سنة ١٣٦ هـ ٧٥٣ م ، يويع وتوفي في مكة سنة ١٥٨ هـ ٧٧٤ م .

٢ . القوى : الكراكر : ج الكركرة : الجماعة من الناس . وقوله : لم يعرك قواي الكراكر ، اراد به لم تحنكني التجارب .

٣ . شاور الاحشاء : ولعلّ الصواب : ساور الاحشاء ، اي واثبها .

٤ . يريد : ساجعل نفسي منك في موقف العداء الذي انت جعلتها فيه بخروجك عليّ .

قالَ : لا سلَّمَ اللهُ عليك ! أوتمنُ على الدماء ، ولا أوتمنُ على الأموال ؟ فقالَ : ما بدا منك هذا ايها الأميرُ ؟ قالَ : أرسلك صاحبُك لقبضِ ما في يدي من الخزائنِ ؟ فقالَ له : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن كانَ أميرُ المؤمنينَ وجَّهني إليك لغيرِ تهنئتك بالظفرِ . فاعتنقَه ابو مسلمٍ وأجلسَه إلى جانبِه ، فلمَّا انصرفَ ، قالَ لأصحابِه : واللهِ ! إنّي لأعلمُ أنّه قد طلَّقَ زوجتَه ، ولكنّه وفّى لصاحبِه . وسارَ أبو مسلمٍ من الجزيرةِ ، وقد أجمعَ على خلافِ المنصورِ ، واجتازَ على طريقِ خراسانَ ، متنكّباً للعراقِ ، يُريدُ خراسانَ ، وسارَ المنصورُ من الأنبارِ يريدُ المدائنَ ، فنزلَ برومية المدائنِ ، التي بناها كِسرى . وكتبَ إلى ابي مسلمٍ : أنّي قد أردتُ مُذاكرتَك باشياءَ لم يحملها الكتابُ فأقبِل ، فإن مقامَك عندنا قليلٌ ! فقرأ الكتابَ ، ومضى على حالِه . فسرّحَ اليه المنصورُ جريرَ بنَ يزيدَ بنِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليَّ ، وكانَ واحدَ زمانِه ، وداهيةَ عصرِه ؛ وكانتِ المعرفةُ بينَه وبينَ ابي مسلمٍ قديمةً بخراسانَ ؛ فأتاه ، فقالَ : أيها الأميرُ ! ضربتَ الناسَ عن عُرضِ[1] لأهلِ هذا البيتِ ، ثم تنصرفُ على هذه الحالةِ ؟ ما آمنُ ان يعيبَك مَن هنالك ، ومن ههنا ، وأن يقالَ : طلبَ بثأرِ قومٍ ، ثم نقضَ بيعتَهم ، فيُخالفُكَ من يأمن مخالفتَه اياك ؛ وإنَّ الأمرَ لم يبلُغ عندَ خليفتِك ما تكرهُ ؛ ولا أرى أن ينصرفَ على هذه الحالِ . فأرادَ ان يُجيبَ إلى الرُّجوعِ ، فقال له مالكُ بنُ الهيثمِ : لا تفعَل ! فقالَ لمالكٍ : ويلَكَ[2] لقد بُليتُ بإبليسَ ، وما بُليتَ بمثلِ هذا قطّ ! يعني الجَريري ؛ فلم يزَل حتّى اقبلَ على المنصورِ . وكانَ أبو مسلمٍ يَجدُ خبَرَه في الكتبِ السالفةِ ، ونعتَه ، وأنه يُقتلُ بالرّومِ ؛ وكانَ يُكثِرُ من قولِ ذلكَ ، وأنّه يُقتلُ بالرّومِ ، على حسَبِ ما وُجدَ في الملاحمِ ، وأنّه يُميتُ دولةً ، ويُحيي أخرى . فلمّا دخلَ على المنصورِ ، وقد تلقّاه النّاسُ ، رحّبَ به ، وقالَ له : كدتَ ان تمضيَ قبلَ أن أقضيَ عليك بما تريدُ . قالَ : فقد أتيتُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فأمُرْ بأمرِك ! فأمرَه

١ ـ عن عرض : يقال : ضرب الناس عن عرض ، اي عن شقّ وناحية كيفما اتفق ، لا يجاوز من ضرب .

٢ ـ ويلك : منصوب بفعل محذوف تقديره : الزمك الله ويلك .

بالانصراف الى منزله ، فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى ، وكان له فيه رأيٌ جميلٌ ، فسأله الرّكوبَ معه الى المنصور ليعزله بحضرته ؛ فأمره أن يتقدّمه إلى المنصور ، فإنه بالأثر . فتقدّمَ أبو مُسلم إلى مضرب المنصور وهو على دِجلة برومية المدائن ، فدخل وجلس تحتَ الشِراع ، وقبلَ الرّواق ، فأُخبرَ : أنَّ المنصورَ يتوضأُ للصّلاة وكانَ قد تقدّمَ[1] إلى صاحب حرسه عثمانَ في عِدّة ، فيهم شبيبُ بنُ رَواح المَرْوَزيُّ ، وأبو حنيفة حربُ بنُ قيس ، وأمرهم أن يقوموا خلفَ السرير ، الّذي وراءَ أبي مسلم ، وأمرهم ، إذا عاتبه وظهرَ صوته ، لا يظهروا ؛ فإذا صفّقَ بيدٍ على يدٍ ، فليظهروا ، وليضربوا عنقه ، وما ادركوا منه ، بسيوفهم . وجلسَ المنصورُ ، فقامَ أبو مُسلم من موضعه ودخلَ ، فسلّمَ عليه ، فردَّ عليه ، وأذنَ له بالجلوس ، وحادثه ساعةً ؛ ثمّ أقبلَ يعاتبهُ ، ويقولُ : فعلتَ وفعلتَ . فقالَ ابو مسلم : ليسَ يقالُ هذا لي بعدَ بَلائي[2] ، وما كانَ مني ! فقالَ له : يا ابنَ الخبيثة ، وإنّما فعلتَ ذلكَ بجَدِّنا ، وحظوظِنا ؛ ولو كانَ مكانَك أمَةٌ سوداء لأحزَّت[3] . ألستَ الكاتبَ إليَّ تَبدأ بنفسك ؛ والكاتبَ إليَّ تخطُبُ آسيةَ بنتَ عليٍّ ، وتزعُمُ أنكَ ابنُ سليطِ بن عبدِ اللهِ ابنِ العبّاس ؟ لقد ارتقيتَ ، لا امّ لكَ ، مُرتقى صعباً . فأخذَ أبو مسلم بيده يعرُكُها ، ويقبّلُها ، ويعتذرُ اليه . فقالَ : المنصورُ وهو آخرُ ما كلّمه به : قتلَني اللهُ إن لم أقتُلك ! وذكرَ له قتلَه لسليمانَ بنِ كثير ، ثمّ صفّقَ بإحدى يديهِ على الأُخرى ، فخرجَ إليه القومُ ، فبدرَه عثمانُ بنُ نهيكٍ ، فضربَه ضربةً خفيفةً بالسّيف قطعَت نِجادَ ابي مسلم ؛ وضربَه شَبيبُ بنُ رواحَ ، فقطعَ رجلَه ؛ واعتَورَته[4] السّيوف ، فخلطَت أجزاءَه ، وأُتيَ عليه ، والمنصورُ يصيحُ اضربوا ! قطعَ اللهُ أيديَكم ! وقد كانَ أبو مسلم ، على أوّلِ ضربة ، قالَ : استَبقني

١ * تقدم اليه : امره .
٢ * البلاء : البأس .
٣ * احزّت : اي زاد فعلها على فعلك .
٤ * اعتورته : تناولته من كل جانب .

لعدوك ! قال : لا أبقاني اللهُ إن ابقيتُكَ ! وأيُّ عدوٍ أعدى لي منكَ ؟ وكان قتله في شعبانَ سنةَ ستٍ وثلاثين ومائةٍ[1].

هارون الرشيد[2]

قال الأصمعيُّ : بينما أنا أسايرُ الرشيدَ ، ذاتَ ليلةٍ ، إذ رأيتُه قد قلِقَ قلقاً شديداً ؛ فكانَ يقعُدُ مرةً ، ويضطجعُ مرةً ، ويبكي ؛ ثمَّ أنشأ يقولُ :

قلِّد أمورَ عبادِ اللهِ ذا ثِقةٍ ، موحَّدِ الرأيِ ، لا نِكسٌ ، ولا بَرَمٌ[3]
واترُكْ مَقالةَ أقوامٍ ذوي خطَلٍ ، لا يفهمون ، إذا ما مَعشَرٌ فهموا[4]

فلمَّا سمعتُ ذلكَ منه ، علمتُ أنَّه يُريدُ أمراً عظيماً ؛ ثمَّ قالَ لمروانَ الخادمِ : عليَّ بيحيى ! فما لبثَ أن أتاه ، فقالَ : يا أبا الفضلِ ! إن رسولَ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ماتَ في غيرِ وصيَّةٍ ، والإسلامُ جَذَعٌ ، والإيمانُ جديدٌ ، وكلمةُ العربِ مجتمعةٌ ، قد آمنَها اللهُ بعد الخوفِ ، وعزَّها بعدَ الذلِّ ؛ فما لبثَ أن ارتدَّ عامَّةُ العربِ على أبي بكرٍ ، وكانَ من خبرِه ما قد علمتَ . وإن ابا بكرٍ صيَّرَ الأمرَ إلى عمرَ ، فسلَّمت الأمَّةُ ، ورضيَت بخلافتِه ؛ ثم صيَّرها عمرُ شُورى ، فكانَ بعدَه ما قد بلغَكَ من الفتنِ ، حتَّى صارَت إلى غيرِ أهلِها . وقد عُنيتُ بتصحيحِ هذا العهدِ ، وتصييرِه إلى من أرضى سيرتَه ، واحمدُ طريقتَه ، وأثِقُ بحسنِ سياستِه ، وآمنُ ضعفَه ووهنَه ، وهو عبدُاللهِ ؛ وبنو هاشمٍ مائلونَ إلى محمدٍ بأهوائِهم ، وفيه ما فيه من الانقيادِ لهواه ، والتصرُّفِ مع طويَّتِه ، والتبذيرِ لما حوَته يدُه ، ومشاركةِ النساءِ والإماءِ في رأيِه ؛ وعبدُاللهِ المرضيُّ الطريقةِ ، الأصيلُ الرأيِ ، الموثوقُ بـه في الأمرِ

١ * سنة ٧٥٣م .

٢ * الرشيد في بغداد سنة ١٧٠ هـ بويع ٧٨٦م ؛ ومات بطوس في قرية يقال لها سناباذ سنة ١٩٣هـ ٨٠٨م ، وله من العمر اربع واربعون سنة واربعة اشهر .

٣ * النكس : الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه ◉ البرم : اللئيم البخيل ◉ والبرم بضم الباء : الثقيل ، والغث الحديث .

٤ * الخطل : الفساد في المنطق .

العظيم ؛ فإن ملتُ إلى عبدالله اسخطتُ بني هاشم ؛ وإن أفردتُ محمّداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعيّة ؛ فأشر عليّ ، في هذا الأمر ، برأيك ، مشورةً يعُمّ فضلُها ونفعُها ، فإنّك ، بحمدالله ، مباركُ الرأي لطيفُ النّظر . فقالَ : يا امير المؤمنينَ : انّ كلّ زَلّةٍ مستقالةٌ ، وكلّ رأيٍ يُتلافى ، خلا هـذا العَهدَ ! فإنّ الخطأ فيه غيرُ مأمونٍ ، والزّلّةَ فيه لا تُستدرَك ؛ وللنّظرِ فيه مجلسٌ غيرَ هذا . فعلِمَ الرّشيدُ أنّه يريدُ الخلوةَ ، فأمرَني بالتّنحي ، فقمتُ ، وقعَدتُ ناحيةً بحيثُ اسمَعُ كلامَهما ، فما زالا في مناجاةٍ ومناظرةٍ طويلةٍ ، حتّى مضى اللّيلُ ، وافترقا على ان عُقِدَ الأمرُ لعبدِالله بعدَ محمدٍ .

فتنة الامين والمأمون[1]

لمّا همّ محمدٌ بخلعِ[2] المأمونِ شاورَ عبدَالله بنَ حازمٍ ، فقالَ له : أنشُدُكَ الله ، يا أميرَ المؤمنين ، أن لا تكونَ أوّلَ الخُلفاء نكثَ عهدَه ، ونقضَ ميثاقَه ، واستخفَّ بيمينِه . فقالَ : اسكُت ! فعبدُ الله بنُ صالحٍ كان افضلَ منك رأياً حيثُ يقولُ : لا يجتمعُ فحلانِ في أجمةٍ . وجمعَ القُوّادَ ، وشاورَهم ، فاتّبعوه في مرادِه . وكانَ عليُّ بنُ عيسى بن ماهانَ أوّلَ من أجابَ إلى خلعِ المأمونِ ، فسيّرَه في جيشٍ عظيمٍ نحو المأمونِ ؛ فلمّا قربَ من الرّيِّ ، قيلَ له : إنّ طاهرَ ابنَ الحسينِ مُقيمٌ بها ؛ فقالَ : ما طاهرٌ إلا شوكةٌ من أغصاني ، وشِرارةٌ من ناري ؛ وما مثلُ طاهرٍ يؤمَرُ على جيشٍ . فقالَ له ابنه : إنّ الشّرارةَ ربّما صارت ناراً ! فقالَ له : إنّ طاهراً ليسَ قِرناً في هذا الموضعِ ، وانّما تحترسُ الرّجالُ من اقرانها . وسارَ وبثّ عساكرَه من الرّيِّ . وأقبلَ طاهرٌ في نحوِ أربعةِ آلافِ فارسٍ ، فأشرفَ على عساكرِ عليٍّ وتبيّنَ كثرتَها ، فعلِمَ أن لا طاقةَ له بذلك

١ * بويع هرون الرشيد . امّه زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور . قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً ، ودفنت جثته في بغداد . وبويع للمأمون في خراسان سنة ١٩٧ﻫ الامينُ في طوس يومَ وفاة والده ٨١٢م . امّه أمةٌ باذغيسية اسمها مراجل . وتوفي سنة ٢١٨ﻫ ٨٣٣م في البليدون على عين العشيرة ، وحمل الى طرسوس فدفن فيها .

٢ * ابتدأ الغدرُ بالمأمون سنة ١٩٦ﻫ ٨١١م .

الجيش، فقالَ لخواصه : نجعلها خارجيةً[1]؛ وكردسَ خيله كراديسَ، وصمَدَ في نحرِ القلبِ، في سبعمائةٍ من الخُوارَزميةِ، وغيرهم من فرسانِ خُراسانَ. وخرجَ اليه من القلبِ العبَّاسُ بنُ اللَّيثِ، مولى المهدي، وكانَ فارساً، فقصدَه طاهرٌ، وضمَّ يديه على سيفهِ، فأتى عليه؛ وتمالأَ على رأسِه الرِّجالُ فتنازعوا خاتمَه ورأسه؛ فذبحه رجلٌ يعرفُ بطاهرِ بنِ السَّراجي، وقبضَ آخرُ على خُصلةٍ من شَعرِ لحيتهِ، وآخرُ على خاتمهِ. وكانَ سببَ هزيمةِ الجيشِ ضربةُ طاهرٍ بيديه جميعاً للعبَّاسِ بن اللَّيثِ، وبذلك سُمِّيَ طاهرٌ ذا اليمينينِ لجمعِه يديه على السَّيفِ؛ وقُتلَ في هذه المعركةِ عليُّ بنُ ماهانَ، فأُتيَ طاهرٌ برأسِه في مخلاةٍ، وبجثَّته، وقد شُدَّت يداه ورجلاه، كما يُفعلُ بالدَّوابِّ إذا ماتت؛ فأمرَ به طاهرٌ فأُلقيَ في بئرٍ؛ وكتبَ إلى المأمونِ بذلك، فسُرَّ المأمونُ، وسُلِّمَ عليه، في ذلك الوقتِ، بالخلافةِ. ثم سارَ طاهرُ بنُ الحسينِ فنزلَ حلوانَ، على خمسةِ أيامٍ من مدينةِ السَّلامِ، فتعجَّبَ النَّاسُ من أمرهِ، وإدبارِ اصحابِ الأمينِ وهزيمتهم؛ وايقنَ النَّاسُ بظهورِ[2] المأمونِ. ولما أُحيطَ بمحمَّدٍ الأمينِ من الجانبِ الشرقيِّ والغربيِّ، وكان هَرثمةُ بنُ أعينَ نازلاً مما يلي النَّهروانَ، بالقربِ من بابِ خراسانَ، وطاهرٌ من الجانبِ الغربيِّ، مما يلي النَّاشريَةَ وبابَ المُحوَّلِ، والكناسَ[3]، جمعَ قوَّاده، وقالَ: إني لأفارقُكم بقلبٍ موجعٍ، ونفسٍ حزينةٍ وحسرةٍ عظيمةٍ! إني محتالٌ لنفسي، فأسألُ اللهَ أن يلطُفَ بي بمعونتهِ. ثمَّ كتبَ إلى طاهرٍ: أمَّا بعدُ، فإنَّك تَنصَحتَ[4] فنَصَحتَ، وحاربتَ فنُصرتَ، وقد يُغلبُ الغالبُ، ويُخذَلُ المُفلِحُ. وقد رأيتُ الصَّلاحَ في معاونتي أخي والخروجِ إليه من هذا السلطانِ، إذ كانَ أولى به، وأحقَّ، فاعطني الأمانَ على نفسي، ووَلَدي، وأمي وجَدَّتي، وحاشيتي وأنصاري وإخواني، وأخرجُ إليه. وهذا الأمرُ إلى أخي فإن رأى الوفاءَ بأمانِك، وإلَّا كانَ أولى واحقَّ. فلمَّا قرأ طاهرٌ

١ * خارجية : على اسلوب الخوارج.
٢ * الظهور : من ظهر عليه، انتصر.
٣ * كل الاماكن التي تذكر اسماؤها هي في بغداد وضواحيها.
٤ * تنصحت : تشبهت بالنصحاء.

هذا الكتاب قال : الآنَ ضُيِّقَ خِناقُه ، وهِيضَ جَناحُه ، وانهزَمَ فُساقُه . لا ، والّذي نفسي بيدِه ، حتّى يضَعَ يدَه في يدي ، وينزِلَ على حُكمي . وانتقلَ طاهرٌ من النّاشريةِ ، فنزلَ بابَ الأنبار ، وحاصرَ أهلَ بغدادَ ، وغادى القتالَ وراوَحه ، وذلك سنة ١٩٦ ، وقاتلَ الأخُ أخاه ، والابنُ أباه ؛ هؤلاء محمّديّةٌ ، وهؤلاء مأمونيّةٌ ؛ وهُدِمت المنازلُ ، وأُحرِقت الدّيارُ ، وانتُهِبتِ الأموالُ . وبعَثَ هَرثمةُ ابنَ زُهَيرِ بنِ المُسيّبِ الضّبّيِ من الجانبِ الشّرقيّ ، فنزلَ في رَقّةِ كلواذا ، ونصَبَ على بغدادَ المَنجَنيقاتِ ، فتأذّى النّاسُ به ؛ وصمَدَ نحوَه خلقٌ من العيّارين[1] وأهلِ السّجونِ ، فكانوا يقاتلون عراةً ، في أوساطِهم السّامينُ والمَيازِرُ[2] ، وقد اتّخذُوا لرؤوسهم دَواخلَ من الخُوصِ[3] ، وسمّوها الخُوَدَ[4] ، ودرَقاً من الخُوصِ والبواري[5] قد قُرِنت وحُشيت بالحصى والرّملِ ؛ وفي أعناقِهم الجَلاجلُ ، والصّوفُ الأحمرُ والأصفرُ ، ومَقاوِدُ ، ولُجُمٌ من مكانسَ ومَذابَّ ؛ والنّظّارةُ ينظُرونَ الى حربِهم مع أصحابِ الخيولِ المعدّةِ ، والجواشن والدّروعِ ، والتّجافيفِ ، والرّماحِ ، والدّرَقِ الثّبّتيّةِ ؛ فهؤلاء عُراةٌ ، وهؤلاء على ما ذكرنا ؛ فكانَت للعُراةِ على زُهَيرٍ . وأتاهُ المَدَدُ من هَرثمةَ ، فانهزمتِ العراةُ ، ورمَت بهم خيولُهم ، وتحاصروا جميعاً ، وأخذَهم السّيفُ فقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ ، وقُتِلَ من النّظّارةِ خلقٌ . ولم تزلِ الحربُ بينَ الفريقين أربعةَ عشرَ شهراً ، وضاقَت بغدادُ بأهلِها ، وتعطّلتِ المساجدُ . واشتدَّ الأمرُ بين المأمونيّةِ والعُراةِ وغيرِهم من أصحابِ المخلوعِ ، وحُصِرَ محمّدٌ الأمينُ في قصرِه من الجانبِ الغربيّ . ولمّا نظرَ طاهرٌ إلى صَبرِ أصحابِ المخلوعِ ، قطَعَ عنهم موادَّ الأقواتِ وغيرِها ، فكانَ الخبزُ في حدِّ المأمونيّةِ عشرينَ رطلاً بدرهمٍ ؛ وفي حدِّ المحمّديّةِ رطلاً بدرهمٍ . وضاقتِ النّفوسُ ، وأيِسُوا من الفرَجِ وثارَ

١ * العيارين : ج العيّار : الذي يتردّد بلا عمل ، او الذي يخلي نفسه على هواها لا يردعها ، ولا يزجرها .

٢ * السامين : هكذا في الاصل والصواب الخلقان ، اي البالية . ولعل اللفظة عامية استعملها المسعودي ◉ الميازر : معرّب مآزر : ج مِئزر .

٣ * الدواخل : ج الدّوخلة ، وهي نسيجة من الخُوص ، اي ورق النخل ، يرضم فيها التمر .

٤ * الخُود : اي الخوذ ، عامية .

٥ * البواري : ج بوريّ ، الحصير المنسوج من القصب .

العراقُ في نحوِ مائةِ الفٍ بالرماحِ والقصبِ والطِّراداتِ[1]، ونفخوا في القَصَبِ وقرونِ البقرِ، وزحفوا، من مواضعَ كثيرةٍ، نحوَ المأمونيةِ، فبعثَ إليهم طاهرٌ بعدَّةِ قوّادٍ وأمراءَ من وجوهٍ كثيرةٍ، واشتدَّ الجلادُ وكثرَ القتلُ. وكانت للعراقِ على المأمونيةِ حتى الظهرِ؛ ثمّ ثارتِ المأمونيةُ على العراقِ، فغُرِّقَ منهم، وقُتلَ وأُحرقَ نحوُ عشرةِ آلافٍ. ولمّا اشتدَّ الأمرُ بمحمّدٍ المخلوعِ، وضيّقَ عليه طاهرٌ، راسلَ هرثمةَ، فوعدهُ هرثمةُ بكلِّ ما أحبَّ، وأنّه يمنعُه ممن يريدُ قتله، ووعدَه أن يأتيَه في حرّاقةٍ إلى مَشرعةِ[2] بابِ خراسان، فيصيرَ إلى عسكرِه، ومَن أحبَّ. وأتاه هرثمةُ في الحرّاقةِ إلى بابِ خراسانَ، فدعا الأمينُ بابنيه موسى وعبدِ اللهِ، فعانقهما، وشمّهما، وبكى، وقالَ: خليفتي اللهُ عليكم فلستُ ادري أتلقي معكما بعدُ أو لا؟! وسارَ، عليه ثيابٌ وطيلسانٌ أسودُ، وقُدّامَه شمعةٌ، حتى أتى بابَ خراسانَ إلى المشرعةِ، فنزلَ ودخلَ الحرّاقة. وقد كانَ طاهرٌ نُمِيَ إليه خروجُه، فبعثَ بالرجالِ والمَلّاحين في الزّوارقِ، وعلى الشطِّ؛ فدُفِعَتِ الحرّاقةُ، فأتى أصحابُ طاهرٍ عرّاةً فغاصوا تحتَها، فانقلبت بمن فيها؛ فلم يكن لهرثمةَ شاغلٌ إلّا بخُشاشةِ نفسِه، فتعلّقَ بزورقٍ، وصعدَ إليه من الماءِ، ومضى إلى عسكرِه، إلى الجانبِ الشرقيِّ؛ وشقَّ محمّدٌ ثيابَه عن نفسِه، وسبحَ، فوقعَ، نحوَ العُراقِ، إلى عسكرِ قرينِ الدّيرانيِّ، غلامِ طاهرٍ، فقبضَ عليه بعضُ أصحابِ طاهرٍ، وأُدخلَ بيتاً مظلماً، وهو عُريانٌ، عليه سَروايلُ وعمامةٌ تلثّمَ بها، وعلى كتفِه خِرقةٌ. ولم يلبثْ أن فُتحَ البابُ، فإذا قومٌ من العجمِ بأيديهم السّيوفُ مُصلتةٌ؛ فلمّا أحسَّ بهم محمّدٌ، قامَ قائماً، وقالَ: إنّا للهِ، وإنّا إليه راجعون؛ ذهبت واللهِ نفسي في سبيلِ اللهِ! . اما من حِيلةٍ، أما من مُغيثٍ؟! وجاؤوا، حتى قاموا على بابِ البيتِ، الّذي هو فيه، وجعلَ بعضُهم يقولُ: تقدّم! ويدفعُ بعضهم بعضاً؛ فأخذ محمّدٌ بيدهِ وسادةً، وجعلَ يقولُ: انا ابنُ عمّ رسولِ اللهِ؛ أنا ابنُ

١. الطرادات: الطراد: الرمح القصير.
٢. المشرعة: مورد الماء للشرب.

هرونَ الرّشيدِ ؛ أنا أخو المأمونِ ؛ اللهَ ، اللهَ في دمي ! فدخلَ عليه رجلٌ منهم مولًى لطاهرٍ ، فضربَه ، ضربةً في مقدّم رأسه ، فضربَ محمّدٌ وجههُ بالوسادةِ التي كانت في يده ، واتّكأ عليه ليأخذَ السّيفَ من يدِه ، فصاحَ ، بالفارسيّة ، قتلني الرّجلُ ! فدخلَ منهم جماعةٌ ، فنخسَه أحدُهم بسيفِه في خاصرتِه ، وكبّوه فذبحوه من قفاه ، وأخذوا رأسه إلى طاهر . ثمّ حُملَ الرأسُ إلى خراسان ، إلى المأمونِ ، في منديلٍ ، والقطنُ عليه ، والأطليةُ ، فبكى المأمونُ ، واشتدّ تأسّفه عليه ؛ فقالَ له الفضلُ بنُ سهلٍ : الحمدُ للهِ ، يا أميرَ المؤمنينَ ، على هذه النّعمةِ الجليلةِ ؛ فإنّ محمّدًا كانَ يتمنّى أن يراك بحيثُ رأيتَه . وطيّبَ المأمونُ الرأسَ ، وجعلَه في سفطِ وردٍ ، مع جثّته ، إلى العراق[1] .

المأمون والنبيّ الظّريف

حدّثَ ثُمامةُ بنُ أشرسَ ، قالَ : شهدتُ مجلساً للمأمونِ ، وقد أُتيَ برجلٍ ادّعى أنّه ابراهيم الخليلُ ؛ فقالَ المأمونُ : ما سمعتُ بأجرأ على اللهِ من هذا ! قلتُ : إن رأى أميرُ المؤمنينَ أن يأذنَ لي في كلامه . قال : شأنك وإيّاه : قلتُ يا هذا ! إنّ إبرهيمَ ، عليه السّلامُ ، كانت له براهينُ . قالَ : وما براهينُه ؟ قلتُ : أُضرمَت له النّارُ ، والقيَ فيها ، فكانَت عليه بَردًا وسلاماً ؛ فنحنُ نُضرمُ لك نارًا ونطرَحُك فيها ، فإن كانَت عليكَ بردًا وسلاماً آمنّا بك وصدّقناكَ . قالَ : هاتِ ما هو الينُ عليَّ ! قلتُ : فبراهينُ موسى ، عليه السّلامُ . قالَ : وما هي ؟ قلتُ : ألقى العصا ، فإذا هي حيّةٌ تسعى ، تَلقَفُ ما يأفكون ؛ وضربَ بها البحرَ ، فانفلقَ ، وبياضُ يدِه من غيرِ سُوء . قالَ : هذا اصعبُ ! ولكن ، هاتِ ما هو ألينُ من هذا ! قلتُ : فبراهينُ عيسى ، عليه السلامُ . قالَ : وما براهينُه ؟ قلتُ : إحياء الموتى . فقطَعَ الكلامَ في براهينِ عيسى ، وقالَ : جئتَ بالطّامّةِ الكبرى ؛ دَعني من براهينِ هذا ! قلتُ فلا بدَّ من براهينَ . قالَ : ما معي من هذا شيء ! قلتُ لجبريلَ : إنّكم تُوجّهوني إلى شياطينَ ،

١ . اخذت هذه القطعة باختصار .

فاعطوني حجّةً أذهبُ بها ، وإلّا لم أذهب ؛ فغضبَ جبريلُ ، عليه السّلامُ ، عليّ وقالَ : جئتَ بالشرِّ من ساعةٍ ! إذهب أولًا فانظُر ما يقولُ لك القومُ . فضحكَ المأمونُ ، وقالَ هذا من الانبياء ، التي تصلحُ للمنادمةِ .

المُعتصمُ والشيخُ الضعيفُ[1]

عبرَ المعتصمُ من سُرٍّ من رأى ، من الجانبِ الغربيّ ، وذلك في يومٍ مَطيرٍ ، وقد تبِع ذلك ليلةٌ مطيرةٌ ، وانفردَ من أصحابه ؛ وإذا حمارٌ قد زَلِقَ ، ورَمى بما عليه من الشَّوكِ ، وهو الشوكُ الّذي تُوقَدُ به التّنانيرُ بالعراقِ ؛ وصاحبُه شيخٌ ضعيفٌ ، واقفٌ ينتظرُ إنساناً يمرُّ فيُعينه على حملِه . فوقفَ عليه ، وقال : مالكَ يا شيخُ ؟ قالَ : فديتُكَ ! حماري وقعَ عنه هذا الحملُ ، وقد بقيتُ انظرُ انساناً يُعينُني على حَملِه . فذهبَ المعتصمُ ليُخرِجَ الحمارَ من الطّينِ . فقالَ : جُعلتُ فِداكَ ! تُفسِدُ ثيابَك هذه ، وطِيبَكَ الّذي أشمُّه ، من اجل حماري هذا ؟ قالَ : لا عليكَ ! فنزلَ ، واحتملَ الحمارَ بيدٍ واحدةٍ ، واخرَجه من الطّينِ ؛ فبُهتَ الشّيخُ ، وجعلَ ينظرُ اليه ، ويتعجّبُ ، ويتركُ الشّغلَ بحمارِه ؛ ثمّ شدَّ عِنانَ فرسِه في وسطِه ، وأهوى إلى الشوكِ ، وهو حِزمتانِ ، فحمَلَهما ، فوضَعهما على الحمارِ ، ثمّ دنا من غديرٍ ، فغسلَ يديه ، واستوى على فرسه . فقالَ الشيخُ السّوادي[2] : رضيَ اللهُ عنكَ . وقالَ بالنّبطيّةِ ! « أسعل فرمى بأجوافنا » وتفسير ذلك : فديتُكَ يا شابُّ . واقبلت الخيولُ ، فقالَ لبعضِ خاصّتِه : أعطِ هذا الشيخَ أربعةَ آلافِ درهمٍ ، وكن معه ، حتّى تجاوزَ به أصحابَ المسالحِ[3] وتبلُغَ به قريتَه .

١ ـ المعتصم : يوم وفاة المأمون ، بويع على عين البديدون ، سنة ٢١٨هـ ٨٣٣م ، واسمه محمد بن هرون ، وامه ماردة بنت شبيب ، تركية ؛ وتوفي سنة ٢٢٧هـ ٨٤١م وعمره ست واربعون سنة وعشرة اشهر .

٢ ـ السوادي : نسبة الى سواد العراق .

٣ ـ المسالح : ج المسلحة ، موضع السلاح كالثغر والمرقب ، والجماعة والقوم ذوو السلاح . واراد هنا باصحاب المسالح حرّاس الثغور .

أبو الفرج الأصبهاني

٨٩٧ - ٩٦٦ م

هو عليّ بن الحسين ، المكنّى بأبي الفرج ، امويُّ النجار ، شيعيّ على ندور التشيّع في الأمويين . ولد في اصبهان ، وإليها نسب ؛ ونشأ في بغداد فأخذ عن اكابر ايتها طرفاً صالحاً من العلوم اللغوية والادبية ، ومن الاخبار والسير والموسيقى ، فكوّن لنفسه شخصية علمية ادبية ، تتجلى بما في كتابه « الاغاني » من تاريخ وأدب . والتاريخ في « الاغاني » قائم فيما احتواه هذا الكتاب من تعريف وضبط للموسيقى والاصوات والنغمات ؛ ومن تراجم الشعراء والملحنين ؛ ومن اخبار القبائل العربية ، والمغازي ، وسير الخلفاء والامراء والقواد ونوادرهم ، وصفة بيئاتهم واما الادب فبارز في ذاك الاسلوب القصصي البليغ الذي سما بصاحبه ابي الفرج الى اعلى درجات الفنّ الانشائي ، بما فيه من صفاء طبع ، وطلاوة الفاظ وعلم بمواقعها ؛ ومن ايجاز واضح التعابير ، وجمل انيقة حية ، ومعرفة بمذاهب الكلام على اختلاف الاعصار والامصار ؛ ومن تمحيص للروايات المختلفة ، ولمحات نقدية لها .

آثاره

ترك أبو الفرج مصنّفاتٍ كثيرة في التاريخ والادب ، اشهرها « الاغاني » . وقد عرّفه صاحبه في مقدمته بقوله : انه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الاغاني العربية قديمها وحديثها ؛ ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه . . . واعتمد في هذا على ما وجده لشاعره او مغنّيه ، او السبب الذي من اجله قيل الشعر او صنع اللحن . وأتى في كل فصل بنُتف تشاكله ، ولُمع تليق به ، وفقر ، اذا تأمّلها قارئها ، لم يزل متنقّلاً بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفاً بها بين جد وهزل ؛ وآثار وأخبار ، وسير واشعار متصلة بأيام العرب المشهورة ، واخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية ، والخلفاء في الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها ، وتحتاج الاحداث الى دراستها . . .

طبع الاغاني في مصر في عشرين جزءاً سنة ١٨٦٨م ، ثم عثر على جزء في بعض خزائن الكتب في اوروبا ، فطبع في برونو سنة ١٨٨٨ ، فصار واحداً وعشرين جزءاً ، وضع لها الاستاذ جويدي ، المستشرق الايطالي ، فهرساً ابجدياً وهو يطبع اليوم طبعة مصححة متقنة ، مشروحة الالفاظ ، ذات فهارس ابجدية متنوعة ، في مطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة . وقد ظهر منه حتى اليوم اثنا عشر جزءاً .

وقد جعلنا ما اخذناه منه في اربعة ابواب : من تاريخ العرب . تراجم الشعراء واخبارهم . اخبار المغنين والقيان . حكايات وفكاهات .



تنصر النعمان

كانَ النُّعمانُ بنُ ماءِ السَّماءِ المُلَقَّبُ بأبي قابوسَ، قد نادَمَه رجلانِ من بني أَسَدٍ: أَحدُهما خالدُ بنُ المُضَلَّلِ، والآخرُ عَمرُو بنُ مسعودٍ، فأَغضَباه في بعضِ المَنطِقِ، فأمرَ بأن يُحفرَ لِكلِّ واحدٍ حَفيرةٌ بظَهرِ الحِيرةِ، ثمَّ يُجعَلا في تابوتينِ ويُدفَنا في الحُفرتَينِ؛ ففُعِلَ ذلكَ بهما؛ حتَّى إذا أَصبَحَ سألَ عنهما، فأُخبِرَ بهلاكِهما، فنَدِمَ على ذلكَ وغَمَّه. وفي عمرو بنِ مسعودٍ، وخالدِ بنِ المُضَلَّلِ، يقولُ شاعرُ بني أَسَدٍ[1]:

يا قَبرُ بينَ بيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ، جادَت عليكَ رواعدٌ وبروقُ!
أَمَّا البكاءُ فقَلَّ عنكَ كثيرُه، ولئن بكيتَ فللبُكاءِ خليقُ!

ثمَّ رَكِبَ النُّعمانُ، حتَّى نظَرَ إليهما، فأَمرَ ببناءِ الغَرِيَّينِ[2] عليهما، فبُنيا؛ وجَعَلَ لنفسِه يومينِ، في السَّنةِ، يَجلِسُ فيهما عندَ الغَرِيَّينِ، يُسمَّى أَحدُهما: يومَ نَعيمٍ، والآخرُ يومَ بؤسٍ؛ فأَوَّلُ من يَطلُعُ عليهِ يومَ نعيمِه يُعطيه مائةً من الإبلِ شُوْهاً أي سُودًا؛ وأَوَّلُ من يَطلُعُ عليه يومَ بُؤسِه يُعطيه رأسَ ظَربانٍ[3] أسودَ، ثمَّ يأمرُ به فيُذبَحُ، ويُغرَى بدَمِه الغَرِيَّان. فلبثَ بذلكَ بُرهةً من دهرِه، حتَّى مَرَّ به رجلٌ من طَيِّئٍ يُقالُ له حَنظَلةُ بنُ أبي عَفراءَ، كانَ آوى النُّعمانَ، في خِبائِه، يومَ خرَجَ إلى الصَّيدِ، وانفرَدَ عنه أصحابُه بسَبَبِ المطرِ؛ فرَحَّبَ بهِ حَنظلةُ، وهو لا يَعرِفُه، وذَبَحَ له شاةً فأَطعَمَه مِن لحمِها

١ ـ شاعر بني أسد: هو عبيد بن الابرص بن عوف بن جشم الاسدي.

٢ ـ الغريان: ويسميان بالظربانين وسبب تسميتهما بالغريين لان النعمان كان يغريهما بالدم. اما الظربان فهو كل بناء عال.

٣ ـ الظربان: دويبة فوق جرو الكلب تشبه الهرة والشمس منتنة الريح ويسميها الفرنج (Putois). ومن امثال العرب: انتن من الظربان.

وسقاهُ لبناً . فلمّا نظرَ إليهِ النُعمانُ وافِدًا إليهِ ساءه ذلكَ ، وقالَ له : يا حنظلةُ هلّا أتيتَ في غيرِ هذا اليومِ ؟ فقالَ : أبيتَ اللّعنَ لم يكن لي عِلمٌ بما أنتَ فيه . فقالَ له : أبشِر بقتلِك ! فقالَ لهُ وأللهِ قد أتيتُك زائرًا ، ولأهلي من خيرِكَ ماثرًا فلا تكن مِيرتُهم قتلي ، فقالَ : لا بُدَّ مِن ذلك ؛ فاسأل حاجةً أقضيها لك . فقالَ : تُؤجّلني سَنةً أرجِعُ فيها إلى أهلي ، وأُحكِمُ من أمرِهم ما أُريدُ ، ثمَّ أصيرُ إليكَ فانفِذْ فيَّ حُكمَكَ . فقالَ : ومن يكفُلُ بك حتّى تعودَ ؟ فنظَرَ في وُجوه جُلَسائِه فعرَفَ منهم شَريكَ بنَ عَمرو[1] فأنشَدَ :

يا شَريكٌ يا ابنَ عمرو ، يا أخا من لا أخالَهْ !
يا أخا شَيبانَ فُكَّ اليومَ رَهناً قد أنالَهْ ![2]
يا أخا كُلِّ مُصابٍ ، وحَيا من لا حَيالَهْ ![3]
إنَّ شَيبانَ قَبيلٌ ، أكرَمَ اللهُ رِجالَهْ[4]
وأبوكَ الخَيرُ عمرٌو ، وشَراحيلُ الحَمالَهْ ،[5]
رقّياكَ اليومَ في المجدِ ، وفي حُسنِ المقالَهْ .

فوثَبَ شريكٌ وقالَ : أبيتَ اللّعنَ ! يدي بيدِهِ ، ودَمي بدَمِه . وأمرَ للطّائيِّ بخمسِ مِائة ناقةٍ ، وقد جُعِلَ الأجلُ عاماً كاملًا من ذلكَ اليومِ إلى مثلِه من القابلِ . فلمّا حالَ الحولُ ، وقد بَقيَ منَ الأجلِ يومٌ واحدٌ ، قالَ النُعمانُ لشريكٍ : ما أراكَ إلّا هالِكاً غدًا فِداءَ لحنظلةَ ! فقالَ شريكٌ :

فإن يَكُ صَدرُ هذا اليومِ ولّى ؛ فإنَّ غدًا لناظِرِه قريبُ[6] .

١ * شريك بن عمرو : هو شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل الشيباني احد ارداف الملك النعمان . وكان جليساً له ومنادماً وهو من أسرته . وقيل انهُ اخو عمرو ابن هند .

٢ * فك رهناً قد انالهُ : هذه الرواية كفى . وفي رواية الميداني : فكَّ اليوم ضيفاً قد انى لهُ . وهذه الرواية اصح . والهاء من لهُ راجعة على الفكاك اي قد اتاك لتفكهُ . ثم اردف هذا البيت بآخر :

طال ما عالج كرب الموعِدِ لا ينعم بالهُ .

٣ * حيا من لا حيا لهُ : يريد حياة من لا حياة لهُ .

٤ * القبيل : العشيرة .

٥ * شراحيل الحمالة : الحمالة الدية يحملها قوم عن قومٍ . وهذا مدح لهُ بانهُ ذريةٌ من كانوا يحملون الديات عن الجناة .

٦ * الناظر : هو المنتظر .

فذهب قوله مثلاً . ولمَّا أصبحَ ، وقفَ النُّعمانُ بين قبري نديميه ، وأمرَ بقتل شريكٍ . فقالَ له وُزراؤه : ليسَ لك أن تقتلَه حتى يستوفيَ يومه . فتركهُ النُّعمانُ ، وكانَ يشتهي أن يقتلَه ليُنجيَ الطَّائيَّ . فلمَّا كادتِ الشمسُ تغيبُ قامَ شريكٌ مُجرَّدًا في إزارٍ على النَّطعِ ، والسيَّافُ إلى جانبه ؛ وكانَ النُّعمانُ أمرَ بقتله ، فلم يشعر إلَّا براكبٍ قد ظهرَ ، فإذا هو حنظلةُ الطَّائيُّ قد تكفَّنَ ، وتحنَّطَ ، وجاء بنادبته . فلمَّا رآهُ النُّعمانُ قالَ : ما الَّذي جاء بك وقد أفلتَّ منَ القتلِ ؟ قالَ : الوفاء . قالَ وما دعاكَ إلى الوفاء ؟ قالَ : إنَّ لي ديناً يمنعُني من الغدرِ . قالَ : وما دينُك ؟ قالَ : النَّصرانيَّةُ . قالَ : فاعرضها عليَّ ! فعرضها ، فتنصَّرَ النُّعمانُ ، وتركَ تلكَ السُّنَّةَ من ذلكَ اليومِ ، وعفا عن شريكٍ والطَّائيِّ ، وقالَ : ما أدري أيكما أكرمُ وأوفى ، أهذا الَّذي نجا منَ السَّيفِ فعادَ اليه ، أم هذا الَّذي ضمنهُ ؟ وأنا لا أكونُ ألأمَ الثَّلاثة . قالَ الميدانيُّ : وتنصَّرَ مع النُّعمانِ أهلُ الحيرةِ أجمعونَ وبنى النُّعمانُ في حاضرةِ ملكِهِ الكنائسَ العظيمةَ ؛ وقتلَهُ كِسرى بنُ هُرمُزَ أبروِيزُ[1] (٦٠٤ ب م) وانقطعَ المُلكُ عن لخمٍ[2] . ولم يلبث أن ظهرَ الإسلامُ بعدَ زمانٍ .

تراجم الشعراء واخبارهم

عديُّ بن زيدٍ – ٥٨٢ م

هو من أولاد نزارٍ ، وكانَ شاعرًا فصيحاً من شعراء الجاهليةِ ، وكانَ نصرانيًّا ؛ وكانَ أبوه لمَّا أيفعَ طرَحه في الكُتَّابِ ، حتَّى إذا حذقَ ، أرسلَه

١ * خبر مقتل النعمان في مختارات « مروج الذهب » للمسعودي صفحة ٣٠٥

٢ * انقطع الملك عن لخم : يريد ان دولة المناذرة انقطعت . لكنَّ كسرى ابروز ملك على العرب بعد النعمان ، إياس بن قبيصة الطائي سنة ٦٠٥م . فلما قدم ايياس الحيرة طلب من هانئ بن مسعود البكري خلفة النعمان وهي دروع وسلاح اودعهُ اياها قبل خروجه الى كسرى . فأبى هانئ وقال هذه امانة والحرّ لا يسلم امانته . فبعث ابروز الهرمزان في الفين من الاعاجم وبعث اقيًا من بهرا . فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم اتوا مكانًا من بطن ذي قار فنازلوه ووصلت اليهم الاعاجم فاقتتلوا ساعة وانهزمت الاعاجم هزيمة قبيحة سنة ٦١١م . ثم ملك بعد اياس على الحيرة زاذويه الهمذاني سنة ٦١٢ وكان ملكه سبع عشرة سنة الى ٦٢٩م وفي ايامه كانت الهجرة . ثم توفي بعدهُ المنذر الخامس ابن النعمان وسمتهُ العرب بالمغرور لانه في ايامه ورد خالد بن الوليد الحيرة واستولى عليها وقتل المنذر بالبحرين سنة ٦٣٣م (١١هـ).

المَرزُبانُ معَ ابنه شاهانَ مَرْدَ[1] إلى كُتّابِ الفارسيّةِ ، فكانَ يَختلِفُ مع ابنه ، ويتعلّم الكِتابةَ والكلامَ بالفارسيّةِ ، حتّى خرَجَ من أفهَمِ الناسِ بها ، وأفصَحِهم بالعربيّة ؛ وقالَ الشعرَ وتعلّمَ الرَّميَ بالنُّشّابِ ، فخرَجَ منَ الأساورةِ الرُّماةِ ؛ وتعلّمَ لَعِبَ العَجَمِ على الخيلِ بالصَّوالجةِ[2] وغيرِها . ثم أثبَتَه كِسرى معَ ولدِ المرزُبانِ ، فكان عَديٌّ اول من كتَبَ بالعَرَبيّة في ديوان كِسرى ، يُؤذَنُ له عليه في الخاصّةِ ، وهو مُعجَبٌ به ، قريبٌ منه ، فارتفَعَ ذِكرُ عَديٍّ . ولمّا تَوَلّى النُّعمانُ[3] بنُ المُنذِرِ ، على الحِيرةِ ، استدعى عديَّ بنَ زيدٍ منَ المدائنِ معَ أخوَينِ له ، اسمُها أبيٌّ وعامِرٌ ، فأكرَمَهم وأجزَلَ صِلاتِهم ، وزوّجَ عَديًّا ابنَته هِندًا وولّاه مملكتَه ، وكلّ شيءٍ سوى اسمِ الملكِ . ثم حسَدَه وحبَسَه في مَحبِسٍ لا يدخلُ عليه فيه أحدٌ ؛ فجعَلَ عَديٌّ يقولُ الشعرَ ، وهو في الحَبسِ ، فمن قولِه :

ألا من مُبلِغُ النُّعمانِ عنّي ؟ ... وقد تُهوى النَّصيحة بالمَغيبِ :
أحَظّي كانَ سِلسِلَةً وقَيدًا ، ... وغُلًّا ؟ والبيانُ لدى الطَّبيبِ[4] !
أتاكَ بأنّني قد طالَ حَبسي ، ... ولم تَسأم بمسجونٍ حَريبِ[5] ،
وبيتي مُقفِرٌ ، إلّا نِساءً ... أرامِلَ قد هَلَكنَ منَ النَّحيبِ ،
يُبادِرنَ الدُّموعَ على عَديٍّ ، ... كشَنِّ خانَه خَرَزُ الرَّبيبِ[6] ،
فهل لكَ أن تَدارَكَ ما لدينا ، ... ولا تُغلَب على الرَّأيِ المصيبِ ؟[7]

١ . ارسلهُ المرزبان مع ابنه شاهان مرد : هذا المرزبان كان من الدهاقين العظماء في ايام كسرى الوشروان ، وكان اسمهُ على ما روى صاحب الاغاني فروخ بن ماهان . وكان محسنًا الى خُمار جدّ عدي بن زيد ، فلمّا حضرت خُمارًا الوفاة اوصى بابنه زيد الى الدهقان ، فاشار على كسرى ان يجعلهُ على البريد فولّاهُ عليهِ زمانًا . وولد لزيد ابن سماهُ عديًّا تخرّج على الاداب مع شاهان بن فروخ واولاد المرازبة .

٢ . تعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة : الصولجان المحجّن وهو عصا طويلة تنتهي بكف مستديرة ، كان الفرس يضربون بها كرةً ويتناولونها ، وهم على الخيل . وهذا اللعب يسمّيهِ الفرنج (jeu du mail) . واول خليفة لعب بهِ عند العرب هو الرشيد .

٣ . النعمان : هو النعمان الخامس ابن المنذر الرابع .

٤ . البيان لدى الطبيب : يريد ان النعمان هو الذي يعرف سبب نكالهِ .

٥ . ولم تسأم بمسجون حريب : اي لم تضجر لنفسك فتحنن على مسجون مسلوب المال .

٦ . كشنّ خانهُ خرز الربيب : الشنّ القربة البالية ولعلّ خرز الربيب سداد القربة . والمراد كثرة الدموع وغزارتها .

٧ . تدارك ما لدينا : اي تصلح حالنا . ان وتدارك اصلهُ تتدارك .

فإنّي قد وكلتُ اليومَ أمري ، إلى ربٍّ قريبٍ ، مُستجيبِ !

وكتبَ الى أخيه أُبَيٍّ وهو مع كِسرى :

وتقولُ العُداةُ أودى عَدِيٌّ ؛ وبنُوه قد أيقنوا بعَلاقِ[1] ؛
يا أبا مُسهرٍ ، فأبلغ ، رسولًا ، إخوتي إن أتيتَ صحنَ العِراقِ[2] ؛
أبلغنْ عامرًا ، وأبلغ أخاه : أنّني موثَقٌ شديدٌ وثاقي ،
في حديدٍ مُضاعَفٍ ، وغِلالٍ ، وثِيابٍ مُنضّحاتٍ خِلاقِ ؛
فاركبُوا في الحرام ، فُكّوا أخاكم ! إنّ عِيرًا تجهّزَت لانطلاقِ[3] .

فلمّا قرأ أُبَيٌّ كتابَ عَدِيٍّ ، قامَ إلى كسرى ، فكلّمَه في أمرِه وعرّفَه خبرَه ؛ فكتبَ إلى النُّعمانِ يأمرُه بإطلاقِه ؛ فأتى النُّعمانَ أعداءُ عَدِيٍّ فأغروه على قتلِه ، فقتلَه[4] .

تأبّطَ شرًا (٥٣٠م)

هو ثابتُ بنُ جابرِ بن سُفيانَ الفَهميُّ ، احدُ محاضيرِ العربِ ومغاويرِهم المعدودين . وقد غلبَ عليه هذا اللقبُ لما اخبرهُ الأصمعيُّ قالَ : سارَ تأبّط شرًا في ليلةٍ ذاتِ ظلمةٍ وبرقٍ ورعدٍ ، فأخذَ عليه الطريقَ اسدٌ ، وقيلَ غولٌ ، فلم يراوغهُ ، وهو يطلبُه ، ويلتمسُ غِرّةً منهُ ، فلا يقدر عليه ، حتّى ظفرَ بهِ وقتلَه . فلمّا أصبحَ حَمَلهُ تحتَ إبطِه وجاءَ بهِ أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبّطتَ شرًا ! فقالَ :

ألا مَن مبلغٌ فتيانَ فَهمٍ بما لاقيتُ عندَ رَحى بطانِ ؟[5]

١ . قد ايقنوا بعلاق : اي بالهلاك ® والعلاق الدمجة والطفيف من الاكل والمرعى .

٢ . يا ابا مسهر فابلغ رسولًا اخوتي : ابو مسهر هو الرسول الذي اوفدهُ عدي الى اخوته ابيّ وعامرٍ وكانا عند كسرى ، ورسولًا منصوبة على الحاليّة .

٣ . اركبوا في الحرام . ان عيرًا تجهزت لانطلاق : اي سيروا للمدافعة عن حرمة اخيكم فان القوم تجهزوا للسفر . والعير القافلة .

٤ . توفّي عديّ (٧١٩م)

٥ . فَهم : قبيلة الشاعر ® رحى بطان : موضع بالحجاز زعم تأبّط شرًا انّه لقي فيه غولًا فقتلها .

وأني قد لقيتُ الغُولَ تَهوي ... بسَهبٍ كالصحيفةِ صَحْصَحانِ[1]؛
فقلتُ لها : كلانا نِضوُ أينٍ ، ... اخو سفرٍ ؛ فخلي لي مكاني![2]
فشَدَّت شدَّةً نحوي ، فأهوى ... لها كفّي بصقولٍ يماني ،
فأضربُها بلا دَهَشٍ ، فخرَّت ... صريعاً لليدينِ وللجرانِ.[3]
فقالت ثِنْ ! قلتُ لها : رُويدًا ! ... مكانك ! إنّني ثَبتُ الجَنانِ ؛
فلم انفكَّ متكئاً عليها ... لأنظرَ مُصبِحاً ماذا أتاني؟
اذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ، ... كرأسِ الهِرِّ ، مشقوقِ اللسانِ ،
وساقا مُخدَجٍ ، وشَواةُ كلبٍ ، ... وثوبٌ من عَباءٍ او شِنانِ[4].

ومن أخبارِه : أنّه كانَ يَشتارُ عسلًا في غارٍ من بلادِ هُذَيلٍ[5] يأتيه كلَّ عامٍ ؛ وأنَّ هُذَيلًا ذكَرَته فرَصدوه لإبّان ذلك ؛ حتى إذا جاء هو واصحابُه ، تدلّى فدخلَ الغارَ ، وقد أغاروا عليهم فأنفَروهم وسبَقُوهم ، ووقَفوا على الغارِ ؛ فحرّكوا الحبلَ ، فأطلَعَ تأبَطَ شرًّا رأسهُ ، فقالوا : اصعَد ! فقال : لا أراكم . قالوا : بلى ، قد رأيتُنا . فقال : فعَلامَ اصعَدُ أعلى الطَّلاقةِ ام الفِداء ؟ قالوا : لا شرطَ لك . قالَ : فأراكم قاتليَّ ، وآكلي جَنايَ ؛ لا واللهِ لا أفعلُ ! قالَ : وكانَ قبلَ ذلك نقَبَ في الغارِ نَقبًا اعدَّهُ للهربِ . قالَ : فجعَلَ يُسيلُ العسَلَ من الغارِ ويُهريقُهُ ، ثمَّ عمَدَ الى الزِّقِّ فشدَّهُ على صَدرِه ، ثم لصَقَ بالعسَلِ ، فلم يَعرَح يتزلَّقُ عليهِ ، حتى خرَجَ سليماً ، وفاتَهم موضعُه الذي وقَعَ فيه ، وبينَ القومِ مسيرةُ ثلاثٍ . فقال تأبَّط شرًّا في ذلك :

أقولُ لِلحيانِ ، وقد صفِرَت لهم ... وطابي ، ويومي ضيِّقُ الحِجرِ مُعورُ[6]

الفلاة ◉ الصحصحان : ما استوى من الارض .

١ . السهب

٢ . النضو : المهزول : الأين التعب : يقول : فقلت لها : اي للغول : اننا كلانا مهزول من التعب لانّا في سفر فافسحي لي مكانًا ودَعي .

٣ . الجران مقدم عنق البعير من منحره مذبحه . يقول : انها اكبت ساقطة على يديها ومقدّم عنقها .

٤ . المخدج : وَلَد الدابة الناقص ◉ الشواة جلدة الرأس ◉ الشنان : جمع شنّ : وهو القربة الخَلَق الصغيرة . اي ان ساقيها كساقي ولد الدابة الناقص ، وجلدة رأسها كجلدة رأس كلب ، وصوفها ، المكني عنه بثوب ، كالعباءة او كقربة عتيقة صغيرة .

٥ . هذيل : يُنسب بنوهذيل الى هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار .

٦ . لِحيان : قبيلة تنتسب الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس ابن مُضر . واللحيان في اللغة الوَشْل والصديع في الارض وهو اسم واقع ◉ المُعور : من اعور الفارس اذا بدا فيه خلل للضرب .

لكم خَصلةٌ : إمَّا فداءٌ ومِنةٌ ؛ وإمَّا دماً ، والقتلُ بالحُرِّ أجدَرُ ؛
وأخرى أُصادي النفسَ عنها وإنها لَموردُ حزمٍ ، إن ظفرتُ ومَصدَرُ[1] ،
فرَشتُ لها صَدري ، فزلَّ ، عن الصفا ، به جُؤجؤٌ صَلبٌ ، ومَتنٌ مُخصَّرُ[2] ،
فخالَطَ سهلَ الأرضِ ، لم يلدحِ الصفا بِهِ كدحةٌ ، خَزيانَ ، والموتُ يَنظُرُ[3] ،
فأبتُ الى فَهمٍ ، وما كنتُ آئباً ؛ وكم مثلها فارقتُها ، وهي تَصفِرُ[4] .
اذا المرءُ لم يَحتَلْ ، وقد جدَّ جِدُّهُ ، اضاعَ ، وقاسى امرَهُ ، وهو مُدبِرُ[5] ؛
ولكن أخو الحَزمِ ، الذي ليسَ نازلاً بِهِ الامرُ ، الَّا وهو للحزمِ مُبصرُ[6] ؛
فذاكَ قَريعُ الدهرِ ، ما كانَ حُوَّلاً ؛ إذا سُدَّ منهُ مِنخَرٌ جاشَ مِنخَرُ[7] ،
فإنَّكَ لو قايَستَ بالصَّبرِ حيلتي بِلحيانَ ، لم يَقصُرْ بِيَ الدهرُ ، مَقصِرُ[8] .

١ * الخَصلة : الخطة يقول : امّا ان تعفوا عني وتمنوا بالفداء واما ان تقتلوني وهو اولى بالرجل الكريم . وقوله : وأخرى أصادي النخ : المصاداة ادارة الراي في تدبير الشيء والاتيان به . قال التبريزي : يقول وعندي خصلة اعارض نفسي عنها واتدبر فيها وانها هي الموضع الذي يَرِدهُ الحزم ويصدر عنه ان فعلت . وقد قسم الكلام هذه الاقسام لانهُ رآهم يبنون امرهُ عليها ولانه نظر الى جهتي الجبل فعلم انه ان رضي الطريق التي عليها بنو لحيان لنفسه طريقاً كان فيها احدى الحالتين من الاسر والفداء او القتل زعموا ؛ وان احتال للجهة الاخرى فالحزم فيها لان خلاصه منها وكان امرًا ثالثاً.

٢ * فرشت لها صدري الخ : الفرش البسط ثم توسعوا فيه فقالوا فرشته امري . والضمير يرجع للخطة التي عبّر عنها باخرى . اي فرشت من اجل هذه الخصلة صدري على الصفا ؛ وذلك حين صبَّ العسل فزلق بو عن الصفا ◉ الجؤجؤ : الصدر ◉ المخصّر : الدقيق. وفي الكلام تجريد.

٣ * لَدَحَ : لطم ◉ الكدحة : الكدح والجهد. يقول : اسهلتُ ولم يؤثر الصفا في صدري اثرًا ولا خدشًا والموت حقاً قد طعم فيَّ فلمّا رآني قد تخلصت بقي مستحيًا ينظر ويتحيّر . والواو في الموت واو الحال وهذه استعارة حسنة ◉ وخزيان : حال مقدّم من الموت التقدير : والموت ينظر خزيانَ .

٤ * يقول : رجعت الى قبيلتي وكدت لا اعود لاشرافي على الهلاك لما لقيته من هول القوم ◉ وكم مثلها : اي مثل هذه الخصلة ◉ فارقتها بالخروج منها وهي مغلوبة تصفر والبا الغالب . استعاره من صفير الطائر . وعليه يكون المعنى كم مرّة فارقتها وأطلت الغيبة عنها اي عن القبيلة فهي تلفظ في امري وتكثر القول في شأني فمنهم من يقول اني قتلت ومنهم من يقول اني ظفرت فتعلو اصواتهم ويكثر كلامهم كالطير تجتمع وتصيح.

٥ * قال شارح الحماسة : يقول اذا نزل بالانسان مكروه ولم يجد ناصرًا فسبيله ان يحتال لان العرب تقول : الحيلة ابلغ من الوسيلة ◉ وجدّ جدّه : اي اشتدّ امرهُ ؛ اي انّ المرء اذا لم يطلب رشدهُ في اصلاح امره في الوقت الذي يجب آل به امره الى هذه الحال.

٦ * وقوله : ولكن .. معناه : ان صاحب الحزم هو الذي يستعد للامر قبل وقوعه اشار بأخي الحزم الى نفسه .

٧ * قريع الدهر : اي الذي اختارهُ الدهرُ فهو من قرَعتُهُ اي اخترتُه بقرعتي او من قرعه الدهر بنوائبه اي جرّبه ◉ وجاش المنخر : اهتاج يقول : ان صاحب الحزم يقرعه الدهر بنوائبه ولكنه عدّة دواهيه حيًّا لا يزال بصيرًا بتقليب الامور وتصرّ يفها ◉ وقوله : اذا سدَّ منه منخر : مثل للمضيَّق عليه ◉ ورجل حوّل : كثير الاحتيال او الحيل.

٨ * لم يقصر بي : لم يكفني ، ويردني ◉ المقصر : ما ليس فيه الكفاية.

وكانَ تأبطَ شرًّا أعدى ذي رِجلَين وذي ساقَين وذي عينَين ؛ وكانَ إذا جاع ، لم تقُم لهُ قائمةٌ ، فكانَ ينظُرُ الى الظِباء ، فينتقي ، على نظرِهِ ، اسمَنَها ، ثم يَجري خلفه ، فلا يفوتُهُ ، حتى يأخذَهُ ، فيذبَحَهُ بسيفِهِ ، فيَشويه ، ثم يأكُلَهُ . وقيلَ : إن تأبَط شرًّا لقي ذاتَ يومٍ رجلًا من ثَقيف ، يقالُ له أبو وَهبٍ كان جباناً اهوجَ وعليهِ حُلَّةٌ جيّدةٌ . فقالَ ابو وهبٍ لتأبطَ شرًّا : بِمَ تَغلِبُ الرِّجالَ يا ثابتُ ، وانتَ كما أرى دميمٌ ضئيلٌ ؟ قالَ : باسمي . إنّما اقولُ ساعةَ ما ألقى الرَّجلَ : انا تأبَط شرًّا ! فينخلِعُ قلبُه ، حتى أنالَ منهُ ما أردتُ . فقالَ لهُ الثقفيُّ : فهل لك أن تَبيعَني اسمَك ؟ قالَ : نعم ! فبِمَ تَبتاعُه ؟ قالَ : بهذه الحُلَّة وبِكنيتي . قالَ لهُ : أفعَلُ ، ففعلَ . وقالَ له تأبَط شرًّا : لك اسمي ولي كِنيتُك . وأخذ حُلّته وأعطاه طِمرَيه ، ثم انصرَفا ؛ وقالَ في ذلك يخاطب زوجة الثقفي :

ألا ! هـل أتى الحَسناء أنَّ حليلَها تأبَط شرًّا ، واكتَنيتُ ابا وهبِ ؟
فهَبه تَسمّى اسمي ، وسُمّيتُ باسمِهِ ، فاين لهُ صبري على مُعظَم الحُطبِ ؟
وأينَ لهُ بأسٌ كبأسي وسَورتي ، وأين لهُ في كلِّ فادحـةٍ قلبي ؟

وقُتلَ تأبَطَ شرًّا في هُذَيلٍ ، ورُمِيَ بهِ في غارٍ يقالُ لهُ رَخمان[1] .

أعشى قَيس
٦٢٩م

هو ميمونُ بنُ قيسِ بن جندلٍ ، ويكنى أبا بَصيرٍ . وهو احدُ الاعلامِ من شعراء الجاهليّةِ وفحولِهم ؛ وتقدَّمَ على سائرهم ، وليسَ ذلك بمُجمَعٍ عليهِ لا فيه ولا في غيرِه . وكانَ قومٌ يُقدِّمونَ الأعشى على سائرِ الشعراء ، فيحتجون بكَثرة تصرّفه في المديح والهجو وسائرِ فنونِ الشعرِ ، وليس ذلكَ لغيرِه . ويقالُ إنهُ أوّلُ من سألَ بشعره ، وانتجع به اقاصي البلادِ . وكانَ يغنّي في شعرِه فكانتِ

١ ، رخمان : قال ياقوت هو موضع في ديار هذيل عنده قتل تأبط شرًّا .

العربُ تسميه صَنَاجةَ العربِ[1] . ومن اخباره : انهُ أتى الأسودَ العَنسيَ ، وقد امتدحه ، فاستبطأ جائزته . فقالَ الأسودُ : ليسَ عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عرضاً ، فاعطاه خمسمائةِ مثقالِ دهناً ، وبخمسمائةِ حللاً وعنبراً . فلمَّا مرَّ ببلادِ بني عامرٍ خافهم على ما معه ، فأتى علقمةَ بنَ عُلاثةَ[2] ، فقالَ لهُ : أجرني ! فقالَ : قد اجرتُك قالَ : من الجنِّ والانسِ ؟ قال : نعم . قال : ومن الموتِ ؟ قالَ : لا . فأتى عامرَ بنَ الطفيل[3] ، فقالَ : اجرني ! قال : قد أجرتُك . قالَ : من الجنِّ والإنس ؟ قالَ : نعم . قالَ : ومنَ الموتِ . قالَ : نعَم . قالَ : وكيفَ تُجيرُني من الموت . قالَ : إن متَّ وانتَ في جواري ، بعثتُ إلى اهلِك الدِّية . فقالَ : الآن علمتُ أنَّك قد أجرتَني من الموتِ . فمدحَ عامراً وهجا علقمةَ . فقالَ علقمةُ : لو علمتُ الَّذي ارادَ كنتُ اعطيتُه اياهُ . ويُخبَرُ عن الأعشى : أنَّه لمَّا ظهرَ الاسلامُ وفَدَ على محمَّدٍ بقصيدةٍ ، فبلغ خبرُه قريشاً ، فرصَدوهُ على طريقهِ وقالوا : هذا صَنَاجةُ العربِ ، ما مدحَ احداً قط إلَّا رفعَ قدرَه . فلمَّا وردَ عليهم قالوا لهُ : أينَ أردتَ يا أبا بصيرٍ ؟ قالَ : اردتُ صاحبكُم هذا لأُسلِمَ . قالوا : إنَّه يَنهاكَ عن خِلالٍ ويُحرِّمها عليكَ ، وكأنَّها بك رفقٌ والك مُوافقٌ . قالَ : وما هنَّ . فقالَ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ : القمارُ . قالَ : لعلِّي إن لقيتُه أن أُصيبَ منهُ عِوَضاً من القِمارِ ، ثمَّ ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قالَ : ما دِنتُ ولا ادنتُ ، ثمَّ ماذا ؟ قالوا : الخمرُ . قالَ : أوَه ! ارجع الى صُبابةٍ قد

١ ـ الصنَّاجة : صاحب الصنج والصنج ضربان : احدهما صفيحة مدوّرة من النحاس يضرب بها على اخرى مثلها للطرب ، وهو معرب سنج بالفارسية . والاخر الصنج ذو الاوتار التي يضرب بها ، وكان مختصاً بالعجم . وهو معرب جنك بالفارسية . وقد اخذه العرب عن الفرس وسموه ايضاً : الجنك . وقيل للاعشى صَنَاجة لكثرة ما تغنى بشعره او لفصاحته ، وقيل لرقة شعره.

٢ ـ علقمة بن علاثة : هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر ابن كلاب العامري . كان من اشراف بني ربيعة بن عامر وكان من المؤلفة قلوبهم . وكان سيداً في قومه حليماً عاملاً ولم يكن فيه ذاك الكرم.

٣ ـ عامر بن الطفيل العامري ، شاعر من الطبقة الثالثة . كان احذق العرب بركوب الخيل واجوَدهم على متونها وابصرهم في التصرُّف عليها . وكان منادية ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحماه او جائع فنطعمه او خائف فنؤمّنه . وكان عقيماً لا يولد له ولد ، ادرك الاسلام ووفد على الرسول في اخر عمره مع ابن عمّ له يقال له اربد بن قيس وعمهم جماعة من بني عامر وذلك في سنة ١١ هـ (٦٣٣م) . ثم انصرف فمات في اثناء الطريق فواراه اصحابه التراب وجعلوا على قبره النصاباً.

بقيت لي في المِهراسِ[1] فاشرَبها . فقالَ له ابو سفيانَ : هل لك في خيرٍ مما همتَ به . قالَ : وما هو ؟ قالَ : نحنُ وهو الآن في عُدْنةٍ ، فتأخذُ مائةً من الابلِ ، وترجعُ الى بلدِكَ سَنَتَك هذه ، وتنظرُ ما يصيرُ اليهِ امرنا ؛ فان ظَهَرنا عليهِ كنتَ قد اخذتَ خلفاً ؛ وان ظَهَرَ علينا اتيتَه . فقالَ : ما اكرَهُ ذلك . فقالَ ابو سفيانَ : يامعشرَ قريشٍ ! هـذا الأعشى ، واللهِ لئن أتى محمّداً واتّبعهُ ليُضرمَنَّ عليكم نيرانَ العربِ بشعرهِ ، فاجمعُوا لهُ مائةً من الابلِ . ففعلوا ، فاخذَها ، وانطلقَ الى بلدهِ . فلمّا كانَ بِقاعِ منفوحة[2] رمى به بعيرُه فقتَله .

أبو زُبيدٍ
٦٤٥ م

هوَ حرملةُ بنُ المُنذرِ من بني طَيِّئٍ ؛ وكانَ نَصرانياً ، وعلى دينه ماتَ . وهو ممن أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ . كانَ يَزورُ المُلوكَ ، وخاصّةَ مُلوكَ العَجَمِ ، وكانَ عالماً بسِيَرِهم . وكانَ عُثمانُ بنُ عَفّانَ يُقرّبه إلى ذلك ، ويُدني مَجلِسَه . وكانَ يُكثرُ وَصفَ الأسدِ . فتذاكروا مآثرَ العربِ وأشعارَها ، فالتفتَ عُثمانُ إلى أبي زُبيدٍ ، وقالَ : يا أخا تُبَّعِ المسيحِ ، أسمِعنا بعضَ قولِكَ ! فقد أُنبِئتُ أنّكَ تُجيدُ . فأنشَدَه قصيدَته التي يقولُ فيها :

من مُبلِغٌ قومَنا النائينَ ، إذ شَحَطوا ، أنَّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ ، وَلِـعُ .

ووَصفَ الأسدَ ، فقالَ عُثمانُ : تاللهِ لَقتأ تَذكُرُ الأسدَ ما حَييتَ ! واللهِ إني لأحسَبُك جَباناً هَرّاباً . قالَ : كلّا يا أميرَ المؤمنين ! ولكني رأيتُ منه مَنظَراً ، وشَهِدت منه مَشهَداً ، لا يبرَحُ ذِكرُه يتجدّدُ ويَتَرَدَّدُ في قلبي ؛ ومَعذورٌ أنا ، يا أميرَ المؤمنينَ ، غيرُ مَلومٍ . فقالَ له عُثمانُ : وأنّى كانَ ذلك ؟ قالَ : خرَجتُ في صُيابةِ أشرافِ[3] من أبناءِ قبائلِ العربِ ، ذوي هَيئةٍ وشارةٍ

١ . المهراس : الصبابة البقية من الماء ، في والمراد بها بقية الخمر . والمهراس هو حجر منقور مستطيل ثقيل يُدق فيه ستعاره للدن .

٢ . قاع قريـة مشهورة بقرب وادي اليمامة كان يسكنها الاعشى .

منفوحة : القاء الارض ◎ ومنفوحة

٣ . صيابة اشراف : اعيانهم . والصيابة خيار كل شيء وخالصه .

حسَنةٍ ، تَرمي بنا المَهاريُّ بأكسائِها[١] ، ونحنُ نَزيدُ الحارثَ بن أبي شَمِرٍ الغَسّانيَ مَلِكَ الشّامِ . فاخرَوْطَ بنا السَّيرِ في حمارَةِ القَيظِ[٢] ، حتّى إذا عصَبَتِ الأفواه ، وذبلَتِ الشِّفاه ، وسالَتِ المياهُ ، وأذكَتِ الجوزاءُ المِعزاءَ ، وصَرَّ الجُندَبُ[٣] ، قالَ قائلٌ : أيُّها الرَّكبُ ، غُوروا بنا في ضَوجِ هذا الوادي[٤] ؛ وإذا وادٍ قد بَدا لنا كثيرُ الدَّغَل ، دائمُ الظِّلّ[٥] ، أشجارُهُ مُغِنَّةٌ ، وأطيارُهُ مُرِنَّةٌ[٦] ؛ فحطَطْنا رِحالَنا بأصولِ دَوحاتٍ كَنَهبَلاتٍ[٧] ، فأصَبْنا من فَضَلاتِ الزّادِ ، وأتبَعناها الماءَ البارِدَ . فإنّا لنَصِفُ حرَّ يومِنا ، ومَماطلَتَه[٨] ، إذ صرَّ أقصى الخَيلِ أذُنَيه[٩] ، وفحَصَ الارضَ بيديهِ ؛ فواللهِ ما لبِثَ أن جالَ ، ثُمَّ حمحَمَ الخَيلُ ، وتكَمكَمَتِ الابلُ ، وتَقَهقَرَتِ البِغالُ : فمن نافرٍ بِشِكالِه ، وناهضٍ بعِقالِه ؛ فعَلِمنا أن قد أُتينا[١٠] وأنّه السَّبُعُ . ففَزِعَ كلُّ واحدٍ منّا إلى سَيفِه فاستَلَّه من جرابِه ؛ ثمَّ وقفنا رَزدَقاً أرسالاً[١١] ، وأقبَلَ أبو الحارثِ[١٢] مِن أجَمَتِه ، يتَظالَعُ في مَشيَتِه[١٣] ؛ من نَعتِه كأنَّهُ مَجنوبٌ أو في هِجارٍ[١٤] ؛ بصَدرِه نَحيطٌ[١٥] ولَبلابِعِه

١ * ترمي بنا المهاري باكسائها : اي تحملنا الابل على كهولها ؛ والمهاري جمع مهرية وهي ابل نجائب تسبق الخيل وهي تنسب الى مهرة بن حيدان ◉ والاكساء جمع كسي مؤخر العجز والفخذ.

٢ * اخروط طال واعتد ◉ وحمارة القيظ شدته.

٣ * اذكت الجوزاء المعزاء : اي احرقت الارض بحرّها ◉ والمعزاء الارض الطابية الكثيرة الحصى ◉ صرّ الجندب : اي صوّت للحرّ ◉ والجندب ضرب من الجراد.

٤ * غوروا بنا في ضوج هذا الوادي : اي انزلوا في مقسم غور هذا الوادي ◉ الغور الارض المطمئنة ◉ وضوج الوادي منعطفه.

٥ * كثير الدغل دائم الظل : الدغل الشجر الكثير الملتف ◉ والظل الماء بين الاشجار لا جرية له ◉ وقوله اشجاره مغنة : اي كثيرة. يقال: غنّ الوادي واغنّ اي كثرة اشجاره

٦ * واطياره مرنة: اي كثيرة التغريد.

٧ * الدوحات الكنهبلات: الاشجار العظيمة الساهقة.

٨ * لنصف حرّ يومنا ومماطلته: اي اخذنا في وصف حرّ النهار وطوله.

٩ * اذ صرّ اقصى الخيل اذنيه : نصبهما؛ واقصى الخيل ابعدها.

١٠ . قد أتينا : اي قد هجم علينا العدوّ.

١١ * وقفنا رزدقا ارسالا : اي مصطفين جماعات ◉ الرزدق : الصف من الناس معرّب عن الفارسية ◉ والرسل الجماعة.

١٢ * ابو الحارث : كنية الاسد.

١٣ * يتظالع في مشيته : اي يمشي مشي الظالع وهو المتشفي العامز في مشيته.

١٤ * من نعته كأنه مجنوب : اي من صفاته كأنه مصاب في جنبه ◉ في هجار: اي ممتقل بهجار ، وهو حبل يُشدّ برجل الناقة وحقوها.

١٥ * بصدره نحيط : اي زفير وتردد صوت.

غَطِيطٌ[1]، ولِطَرْفِهِ وَمِيضٌ[2]، ولأرساغِهِ نَقِيضٌ[3]؛ كأنّما يَخبِطُ هَشِيماً[4]، أو يَطَأُ صَرِيماً؛ وإذا هـامَةٌ كالمِجَنِّ، وخَدٌّ كالمِسَنِّ[5]، وعينانِ سَجْراوانِ[6]، كأنّهما سِراجانِ يتّقِدانِ، وكَفٌّ شَثْنَةُ البَرَاثِنِ[7] الى مَخالبَ كالمَحاجِنِ[8]. فضَرَبَ بيدِهِ فأرهَجَ[9]، وكشَرَ فأفرَجَ عن أنيابٍ كالمعاولِ مصقولةٍ غيرِ مَفلولةٍ؛ ثمّ أقعى فاقشَعَرَّ؛ ثمّ مَثَلَ فاكفَهَرَّ؛ ثمّ تجهّمَ فازبأرَّ[10]. فلا وذُو بيتُه في السّماء[11] ما اتّقيناهُ إلّا بأخٍ لنا من فزارةَ، كانَ ضَخمَ الجزارةِ[12]، فوقَصَه، ثمّ نفَضَه نَفضةً فقَضقَضَ متنيهِ[13]، فجَعَلَ يلغُ في دَمِـه. فذَمرتُ لأصحابي[14]، فاختلَجَ رجلًا أعجَرَ، ذا حَوايا[15]، فنَفَضَه نَفضةً تَرايَلَت مَفاصِلُه. ثمّ نَهِمَ ففَرفَرَ؛ ثمّ زفَرَ فبَرْبَرَ؛ ثمّ زأرَ فجَرجَرَ[16]؛ ثمّ لَحَظَ، فوَاللهِ لخِلتُ البرقَ يَتطايرُ من تحتِ جُفونِه، من شِمالِه ويَمينِه؛ فأرعَشتِ الأيدي، واصطَكّتِ الأرجلُ، وأطّتِ الأضلاعُ[17]، وارتَجّتِ الأسماعُ، وشَخَصَتِ العُيونُ، وتحقّقتِ الظُّنونُ، وانخزلَتِ المُتونُ. فقالَ لهُ عُثمانُ: اسكُت! فقد رعبتَ قُلوبَ المُسلمين. ويُقالُ إنّ أبا زُبيدٍ عُمِّرَ مائةَ سَنَةٍ بِنَيْفٍ، ودُفِنَ في الرَّقّةِ في بِيعةِ النَّصارى.

١ * الغطيط : الهدير والزمجرة. ◎ البلعم : مجرى الطعام في الحلق.

٢ * الطرفه والوميض : اي تقدح عينه شررًا.

٣ * الارساغ : الرسغ مفصل الساق والمفاصل. ◎ والنقيض صوت الاضلاع

٤ * يخبط هشيماً او يطأ صريماً : الهشيم يابس النبات ◎ والصريم الارض المحصودة الزرع.

٥ * هامة كالمجن وخد كالمسن : المجن الترس ◎ والمسن الحجر الذي عليه تحدد السكاكين.

٦ * عينان سجراوان : السجراء من الاعين التي يخالط بياضها حمرة.

٧ * شثنة البراثن : اي غليظتها ◎ والبراثن مخالب الاسد.

٨ * المحجن : العصا الملتوية الراس.

٩ * ارهج : اثار الغبار.

١٠ * اقعى : جلس على مؤخره ◎ مثل فاكفهرّ : التصب وعبس وجهه ◎ تجهم فازبأرّ : تجهم : اي استقبلنا بوجه كريه باسر ◎ وازبأرّ : تهيّأ للشرّ.

١١ * وذو بيته في السماء : ذو اسم موصول بمعنى الذي : اي قسماً بمن سكناه السماء.

١٢ * الجزارة : اليدان والرجلان والرأس.

١٣ * وقضقض متنيه : كسر عظام خاصرته.

١٤ * ذمرت لاصحابي : اي حضضتهم على مقاتلة الاسد

١٥ * اختلج رجلًا اعجر ذا حوايا : اي اختلج عمد الاسد الى رجل ذي حوايا اعجر اي سمين غليظ فحركه. يقال : اختلجه اي التقرعه وحركه ◎ والحوايا المستدير من كل شيء.

١٦ * نهم ففرفر : صات واكثر في صياحه ◎ برير : اكثر الجلبة والصراخ ◎ وجرجر : ردد الصوت في حلقه.

١٧ * أطّت الاضلاع : اي تقصفت وتكسرت.

عُمَر والحسناء الجُمَحيّة

وُلِدت (لرَجلٍ من بني جُمَحَ)[1] من أهلِ مكّةَ ، جاريةٌ لم يُولد مثلُها في الحجازِ حسناً ، فقال ابوها : كأنّي بها وقد كَبِرَت ، فشبَّ بها عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ ، ونوَّه باسمِها كما فعَلَ بنساء قريشٍ ؛ واللهِ لا أقمتُ بمكّةَ . فباعَ ضيعةً له بالطائفِ ومكّةَ ، ورحَلَ بابنتِه إلى البصرةِ ، فأقامَ بها وابتاعَ هناك ضيعةً ، ونشأتِ ابنتُه من أجملِ نساء زمانِها . ومات أبوها ، فلم تَرَ أحداً من بني جُمَحَ حضَرَ جنازتَه ، ولا وجدَت لها مُسعِداً[2] ، ولا عليها داخلاً ، فقالَت لدايةٍ[3] لها سوداء : مَن نحنُ ؟ ومن ايِّ البلادِ نحنُ ؟ فخبَّرتها ، فقالَت : لا جرَمَ ، واللهِ لا أقمتُ في هذا البلدِ الذي أنا فيه غريبةٌ ! فباعَتِ الضيعةَ والدّارَ ، وخرَجت في ايّامِ الحجِّ . وكانَ عمرُ يَقدَمُ فيَعتَمِرُ[4] في ذي القَعْدَةِ ، ويُحِلُّ[5] ، ويلبَسُ تلكَ الحُلَلَ والوَشْيَ ، ويركَبُ النَّجائبَ المخضوبة بالحِنّاء ، عليها القُطوعُ[6] والدّيباجُ ، ويُسبلُ لِمّته ، ويَلقى العِراقيّاتِ ، فيما بينَه وبينَ ذاتِ عِرقٍ ، مُحرماتٍ ؛ ويتلقّى المَدَنيّاتِ الى مرّ ، ويتلقى الشاميات إلى الكَديدِ[7] . فخرَجَ يوماً للعِراقيّاتِ ، فإذا قُبّةٌ مكشوفةٌ فيها جاريةٌ كأنّها القمرُ ، تُعادلُها[8] جاريةٌ سوداء كالسُّبجَةِ[9] ، فقالَ للسوداء : من أنتِ ؟ ومن أينَ أنتِ يا خالةُ ؟ فقالت : لقد أطالَ اللهُ تَعبَكَ إن كنتَ تسألُ هذا العالمَ من هم ومن أين هم . قالَ : فأخبريني عسى أن يكونَ لذلكَ شأنٌ ! قالت : نحنُ من أهلِ العراقِ ؛ فأمّا الأصلُ والمنشأ

١ . زيدت لربط الكلام .

٢ . المسعد : من تساعد المرأة في النوح على فقيدها من جاراتها أو ذوات قرابتها .

٣ . الدّاية : المُرضِع وقد تظل مع الطفلة تربيها حتى تشبّ .

٤ . يعتمر : الأصل في الاعتمار الزيارة في موضع عامرٍ . وهي في الشرع زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة ، وهي الطواف بالبيت والسعيُ بين الصفا والمروة . والعمرة تكون في السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يكون الا في اشهره المعلومة ولا يصح الا مع الوقوف بعرفة .

٥ . يُحِلّ : يخرج من احرامه في العمرة .

٦ . القطوع : ج قطع وهو الطنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير .

٧ . ذات عرق ومرّ والكديد اماكنة في ذات ضواحي مكة .

٨ . تعادلها : تركب معها في احد شقي المحمل .

٩ . السبجة : كساء اسود .

فمكثَ ، وقد رجعنا إلى الأصل ، ورحلنا إلى بلدنا ؛ فضحكَ ، فلمّا نظرت الى سوادِ ثنيّتيه[1] ، قالت : قد عرفناك ! قالَ : وبمَ عرفتني ؟ قالت : بسوادِ ثنيّتيك ،[2] وبهيئتك التي ليست إلا لقريش ، فأنشأ يقولُ :

قلتُ : مَن انتُمُ ؟ فصدّت وقالت : أُمَيدٌ[3] سؤالك العالمينا

فلم يزل عمرُ بها حتى تزوّجها .

عُمَر وابنُ سُريج ويزيد بن عبد الملك

في موسم الحج

قالَ ابنُ الكلبيّ : حجَّ عُمر بن أبي ربيعةَ ، في عام من الأعوام ، على نَجيبٍ[4] له مخضوبٍ بالحِنّاء ، مشهّرِ الرَّحلِ بقِرابٍ[5] مُذهّبٍ ، ومعه عُبيدُ بنُ سُريجٍ على بغلةٍ له شقراء ، ومعه غُلامه جَنادٌ يقود فرساً له أدهمَ ، أغرَّ مُحجّلاً ؛ وكان عمرُ بنُ ابي ربيعةَ يسمّيه « الكوكبَ » ، في عنقه طوقُ ذهبٍ . ومع عمرَ جماعةٌ من حَشَمِه وغِلمانِه ومواليه ؛ وعليه حُلّةٌ موشّيةٌ يَمانيّةٌ ؛ وعلى ابنِ سُريجٍ ثوبانِ هَرَويّانِ[6] مُرتفعانِ ؛ فلم يمرّوا بأحدٍ إلّا عَجِبَ من حُسنِ هيئتهم . وكان عمرُ من أعطرِ النّاسِ وأحسنِهم هيئةً ؛ فخرجوا من مكّةَ ، يومَ التّرويةِ[7] ، بعد العصرِ ، يُريدون مِنى . .

١ * الثَّنيّة : واحدة الثنايا ، وهي من الاضراس الاربعة التي في مقدم الفم : اثنتان من فوق واثنتان من اسفل .

٢ * كان سواد ثنيّتي عمر ناتجاً عن اثر علي بن امية الاصفر ، لحادث بينهما ، بظاهر يدها . وكانت النساء اذ ذاك يتختمن في اصابعهن العشر ، فاصابت الخواتيم ثنيّتيه المذكورتين ، فقلقتا وكادتا تسقطان ، فقدم البصرة ، فعولجتا له ، فثبتتا واسودّتا .

٣ * أُميدٌ : اي اقتسم سؤالك على الناس واحداً واحداً ، حتى تعمّهم ؟ وهو من الميداد : التقسيم والتفريق .

٤ * النجيب ، هنا ، اراد به جملاً كريماً .

٥ * قِراب السيف : شبه جراب من جلد يضم الراكب فيه سيفه بجفنه وسوطه ، وعصاه ، وأداته .

٦ * هرويان : نسبة الى هراة ، وهو من الثياب الصفراء ، بدليل قولهم : هرّى ثوبه اتخذه هرويّاً ، او صبغه وصفّره .

٧ * التروية : اليوم الذي يتروّى فيه الحجاج من الماء ، وينهضون الى منى ولا ماء فيها .

ثم قالَ عمرُ لابنِ سريجٍ : يا أبا يحيى إني تفكَّرتُ في رجوعِنا مع العَشيةِ ، إلى مكةَ ، معَ كثرةِ الزحامِ والغُبارِ وجَلَبةِ الحاجِّ ، فثَقُلَ عليَّ . فهل لك أن نروحَ رَواحاً ، طيباً معتزلاً ، فنرى فيه من راحَ صادراً إلى المدينةِ من أهلِها ؛ ونَرى أهلَ العراقِ ، وأهلَ الشامِ ، ونتعلَّلَ في عشيتِنا ، ونستريحَ ؟ قالَ : وأنَّى ذلك يا أبا الخَطَّاب ؟ قالَ : على كَثيبِ أبي شَجْوةَ[1] المُشرفِ على بَطنِ يأججَ[2] ، بينَ مِنًى وسَرِفٍ ، فنُبصِرَ مرورَ الحاجِّ بنا ، ونَراهم ولا يَرَونا . قالَ ابنُ سريجٍ : طَيِّبٌ ، واللهِ ، يا سيِّدي . فدَعا بعضَ خدَمه ، فقالَ : اذهَبوا إلى الدارِ بمكةَ ، فاعمَلوا لنا سُفرةً[3] ، واحمِلوها مع شرابِ الى الكثيبِ ؛ حتَّى إذا أبرَدنا[4] ، ورَمَينا الجَمْرةَ[5] صِرنا اليكم . قالَ — والكثيبُ على خمسةِ اميالٍ من مكةَ ، مشرفٌ على طريقِ المدينةِ ، وطريقِ الشامِ ، وطريقِ العراقِ ، وهو كثيبٌ شامخٌ ، مستدقٌ ، منفردٌ عن الكُثبانِ — فصارا إليه ، فأكلا وشربا ، فلمَّا انتشَيا ، أخذَ ابنُ سريجٍ الدُّفَّ فنقَرَه ، وجعَلَ يُغنِّي ، وهم ينظُرون إلى الحاجِّ . فلمَّا أمسَيا ، رفَعَ ابنُ سريجٍ صوتَه ، فغنَّى في شعرٍ قاله عمرُ ؛ فسمِعَه الرُّكبانُ . فجعَلوا يَصيحون به : يا صاحبَ الصوتِ ! أما تتَّقي اللهَ ! قد حبَستَ النَّاسَ عن مَناسِكِهم ! فيسكُتُ قليلاً ، حتَّى إذا مضَوا ، رفَعَ صوتَه ، وقد اخذَ فيه الشَّرابُ ، فيقِفُ آخرون ؛ إلى أن مرَّت قطعةٌ من اللَّيلِ . فوقَفَ عليه ، في اللَّيلِ ، رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ[6] ، عربيٍّ ، مَرِحٍ ، مُستَنٍّ[7] ، فهو كأنَّه ثَمِلٌ ، حتَّى وقفَ بأصلِ الكثيبِ ، وثنى رجلَه على قَربُوسِ[8] سَرجِه ،

١ . شجوة : وفي اكثر النسخ ابو شجوة او ابو شجرة ، وهو تحريف ذكره ياقوت وضبطه .

٢ . يأجج : موضع من مكة على ثمانية اميال ، وكان من منازل عبدالله بن الزبير .

٣ . السفرة : طعام يتخذ للمسافر .

٤ . ابردنا : دخلنا في البرد عند الكسار الحرارة .

٥ . الجمرة : رمي الجمار من مناسك الحج .

٦ . العتيق : الفرس الرائع الكريم الاصل .

٧ . المستن : من استن الفرس : جرى في نشاطه على سننه ، في جهة واحدة .

٨ . القربوس : مقدم السرج ومؤخره ، ويقال لهما حنوا السرج وكل منهما قربوس .

ثُمَّ نادى : يا صاحبَ الصَّوتِ ، أيَسهُلُ عليك أن تَرُدَّ شيئاً مما سمعتُه ؟ قالَ : نعَم ، و نِعمةَ[1] عينٍ ، فأيُّها تُريدُ ؟ قالَ : تُعيدُ عليَّ :

ألا يا غُرابَ البينِ ! مالكَ كلَّما نَعبتَ بفِقدانٍ عليَّ تَحومُ ؟
أبالبَينِ من عَفراءَ أنتَ تُخبِري ؟ عَدِمتُك من طَيرٍ ، فأنتَ مَشُومُ ! . .

فغنَّاه ، فقالَ ابن سُرَيجٍ : أبَقيت لك حاجةٌ ؟ قالَ نعَم ، تَنزِلُ إليَّ لأُخاطبَك بِشفاهاً بما أريدُ ، فقالَ له عمرُ : انزِل إليه ! فنزَلَ ، فقالَ له : لولا أنّي أُريدُ وَداعَ الكعبةِ ، وقد تَقدَّمَني ثَقَلي وغِلماني ، لأَطلتُ المُقامَ معَك ، ولنزلتُ عندَكم ، ولكنّي أخافُ أن يَفضَحني الصَّبحُ ؛ ولو كانَ ثقلي معي لما رضِيتُ لك بالهَوينى ، ولكن خذ حُلّتي هذه ، ولا تُخدَع عنها ، فإن شِراءَها ألفٌ وخمسُمائةِ دينارٍ .

وذكر حَمّادُ بن إسحَقَ : أنَّ عمرَ قالَ لابنِ سريجٍ غنِّني صوتَك الجديدَ ! فاندفَعَ يُغنّيه ، فلم يستتمّه إلّا وقد طلَعَ عليهما رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلَّمَ ، ثم قالَ : أيُمكِنُك ، أعزَّكَ اللهُ ، أن تَرُدَّ هذا الصَّوتَ ؟ قالَ : نعم ، ونعمةَ عينٍ ، على أن تنزِلَ وتجلِسَ معنا . قالَ : انا أعجَلُ من ذلك ، فإن أجمَلتَ وأنعَمتَ أعَدتُه ، وليسَ عليك من وقوفي شيءٌ ولا مُؤنةٌ ؛ فأعاده ، فقالَ له : باللهِ ، أنتَ ابنُ سُريجٍ ؟ قالَ : نعم . قالَ : حيّاك اللهُ ! وهذا عمرُ بنُ ابي ربيعةَ ؟ قالَ : نعم . قالَ : حيّاك اللهُ يا ابا الخَطّاب ! فقالَ له : وأنتَ فحيّاكَ اللهُ ؛ قد عرَفتَنا فعرِّفنا نفسَك ! قالَ : لا يُمكِنُني ذلك . فغَضِبَ ابنُ سُريجٍ ، وقالَ : واللهِ ، لو كنتَ يزيدَ ابنَ عبدِ الملِك لما زادَ . فقالَ : أنا يزيدُ بنُ عبدِ الملِك ؛ فوثَبَ اليه عمرُ فأعظَمَه ، ونزَلَ ابنُ سريجٍ إليه فقبَّلَ ركابَه ، فنزَعَ حُلّتَه وخاتَمَه ، فدفعَهما إليه ، ومضَى يَركُضُ ، حتّى لَحِقَ ثَقَلَه . فجاءَ بهما ابنُ سريجٍ إلى عمرَ ، فأعطاه إيّاهما ، وقالَ له : إنّ هذين بك أشبَهُ منهما بي ؛ فأعطاه عمرُ

١ . نعمة عين : مثلثة النون . قال سيبويه : نصبوه على اضمار الفعل المتروك اظهاره ، اي افعل ذلك كرامةً لك وانعاماً لعينك اي قرّة لها .

ثلثمائة دينار ، وغدا فيها إلى المسجد ، فعرفها الناسُ ، وجعلوا يتعجّبون ويقولون : كأنّها ، والله ، حلّةُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، وخاتمُهُ ! ثم يسألون عمرَ عنها ، فيُخبرُهم أنَّ يزيدَ بنَ عبدِ الملك كساه ذلك .

نُصيبُ بنُ رَبَاح يُعتقُه شِعره

حدَّثَ كُليبُ بنُ إسماعيلَ ، مولى بني أميّةَ ، وكانَ حَدُثاً ، أي حسنَ الحديث ، قالَ : بلَغَني أنَّ نُصيباً كانَ حبشيّاً يَرعى إبلاً لمواليهِ ، فأضلَّ منها بعيراً ، فخرجَ في طلبِه ، حتّى أتى الفُسطاطَ ، وبهِ عبدُ العزيزِ بن مَروانَ ، وهو وليُّ عهدِ عبدِ الملكِ بنِ مَروانَ ، فقالَ نُصيبٌ : ما بعدَ عبد العزيزِ واحدٌ اعتمِدُه لحاجتي ! فأتى الحاجبَ ، فقالَ : استأذِنْ لي على الأمير ، فإنّي قد هيّأتُ له مديحاً ! فدخلَ الحاجبُ ، فقالَ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! بالبابِ رجلٌ اسودُ يَستأذِنُ عليك بمديحٍ قد هيّأه لك . فظَنَّ عبدُ العزيزِ أنّه ممّن يُهزأُ بهِ ويُضحكُهم ، فقالَ : مُره بالحضورِ ليومِ حاجتِنا إليه . فغدا نصيبٌ ، وراحَ إلى بابِ عبدِ العزيزِ أربعةَ اشهرٍ . وأتاه[1] آتٍ من عبدِ الملكِ فسرَّه ، فأمرَ بالتسريرِ ، فأُبرِزَ للنّاسِ ، وقالَ : عليَّ بالأسودِ ! وهو يريدُ أن يُضحِكَ منه الناسَ ؛ فدخلَ ، فلمّا كانَ حيثُ يُسمَعُ كلامُه ، قال :

لعَبدِ العزيزِ ، على قومِه ... وغيرِهمُ ، نِعَمٌ وافِرَه :
فبابُك ألينُ أبوابهم ؛ ... ودارُك مأهولةٌ عامِرَه ؛
وكلُّك آنسُ بالمُعتفين ، ... من الأمِّ بالإبنةِ الزّائِرَه ؛
وكفُّك ، حين تَرى السّائلين — أندى من الليلةِ الماطِرَه ؛
فمنكَ العطاءُ ، ومنّي الثّناءُ ... بكلِّ محبّرةٍ[2] سائِرَه .

فقالَ : أعطُوه ! أعطوه ! فقالَ : إني مملوكٌ . فدعا الحاجبَ ، فقالَ : اخرُج ،

١ * الضمير لعبد العزيز

٢ * محبّرة : اي قصيدة مكتوبة بالحبر .

فأبلغ[1] في قيمته ! فدعا المُقوِّمين ، فقالَ : قوِّموا غلاماً اسودَ ليسَ بـه عيبٌ ! قالوا : مائةُ دينارٍ . قالَ : إنَّه راعِ الإبلِ يُبصِرها ويُحسِنُ القيامَ عليهـا . قالوا حينئذٍ : مائتا دينارٍ . قالَ : إنه يَجري القِسيَّ ، ويُثقِّفُها ، ويَرمي النَّبلَ ، ويَريشُها . قالوا : اربعمائةِ دينارٍ . قالَ : إنـه راويةٌ للشِّعرِ بصيرٌ به ! قالوا : ستُّمائةِ دينارٍ . قال : إنَّه شاعر لا يُلحَقُ حِذقاً . قالوا : ألفُ دينار . قالَ عبد العزيز : ادفعوها اليه . قالَ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! ثمَنُ بعيري الَّذي أضلَلتُ . قال : وكم ثمنُه ؟ قالَ : خمسةٌ وعشرون دينارًا . قال : ادفعوها إليه . قال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! جائزتي لنفسي عن مديحي إيَّاك . قال : اشترِ نفسَك ، ثمَّ عُد إلينا .

نصيبٌ والهجاء

اخبرَ أبو عُبيدةَ قالَ : قالَ لي محمَّدُ بنُ عبدِ ربِّه : دخلتُ مسجدَ الكوفةِ ، فرأيتُ رجلًا لم أرَ قطُّ مثلَه ، ولا اشدَّ سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسنَ زيًّا ! فسألتُ عنه : فقيلَ : هذا نَصيبٌ . فدنَوتُ منه ، فحدَّثتُه ، ثم قلتُ : أخبِرني عنك وعن أصحابك ! فقالَ : جَميلٌ إمامُنا ، وعُمرُ بنِ ابي ربيعةَ أوصفُنا لرَبَّاتِ الحِجالِ ، وكُثيِّرٌ أبكانا على الدِّمَن ، وامدحُنا للملوكِ ، وأما انا ، فقد قلتُ ما سمعتَ . فقلتُ له : إنَّ النَّاسَ يزعُمونَ أنَّك لا تُحسنُ الهجاء ! فضَحِك ، ثمَّ قـالَ : أفتُراهم يقولون : إنِّي لا أُحسِنُ أن أمدَحَ ؟ فقلتُ : لا ! فقالَ : أفما تَراني أُحسنُ أن أجعلَ مكانَ عافاكَ اللهُ أخزاكَ اللهُ ! قالَ : قلتُ : بلَى ! قالَ : فإني رأيتُ النَّاسَ رجلينِ : إمَّا رجلٌ لم أسأله شيئاً ، فلا ينبغي أن اهجوَه فاظلِمَه ؛ وإمَّا رجلٌ سألتُه ، فمَنَعَني ، فنفسي كانت أحقَّ بالهجاء ، إذ سوَّلت لي ان أسأله ، وأن أطلُبَ ما لَدَيه .

١ * ابلغ في قيمته : يريد اوصل قيمته الى المبلغ الذي يستحقه .

اخبار المغنين والقيان

الوليد بن يزيد ومعبد

حدّث سليمانُ بنُ سَعدٍ الحَلَبيّ ، قالَ : سمعتُ القاري بنَ عديٍّ يقول : اشتاقَ الوليدُ بنُ يزيدَ إلى معبدٍ ، فوجّه إليه ، إلى المدينةِ ، فأُحضِرَ . وبلَغَ الوليدَ قدومُه ، فأمرَ ببِركةٍ ، بين يدَي مجلِسِه ، فمُلِئَت ماءَ وردٍ ، قد خُلِطَ بمِسكٍ وزَعفرانَ ؛ ثمَّ فُرِشَ للوليدِ ، في داخلِ البيتِ ، على حافّةِ البِركةِ ، وبُسِطَ لمعبدٍ مُقابلَه ، على حافّةِ البِركةِ ، ليسَ معهما ثالثٌ . وجيءَ بمعبدٍ ، فرأى سِترًا مُرخىً ومجلسَ رجلٍ واحدٍ ، فقالَ له الحُجّابُ : يا معبدُ ! سلِّم على أميرِ المؤمنين ، واجلِس في هذا الموضعِ . فسلَّمَ ، فردَّ عليه الوليدُ السَّلامَ ، من خلفِ السِّترِ ، ثمَّ قالَ له : حيّاكَ اللهُ يا معبدُ ! أتدري لِمَ وجّهتُ اليك ؟ قالَ : اللهُ أعلمُ ، وأميرُ المؤمنين . قالَ : ذكَرتُك ، فأحبَبتُ أن أسمعَ منك . قالَ معبدٌ : أأُغنّي ما حضَرَ أم ما يقترِحُه أميرُ المؤمنين ؟ قالَ : بل غنِّني :

ما زالَ يَعدو عليهم رَيبُ دهرِهمُ ، حتّى تَفانَوا ، ورَيبُ الدهرِ عَدّاءُ !

فغنّاه ، فلمّا فرَغَ منه ، حتّى رفَعَ الجَواري السِّجفَ ، ثمَّ خرجَ الوليدُ فألقى نفسَه في البِركةِ ، فغاصَ فيها ، ثم خرَجَ منها ، فاستقبلَه الجواري بثيابٍ غيرِ الثّيابِ الأُولى ، ثمَّ شرِبَ وسقى معبدًا ، ثم قال : غنِّني يا معبدُ :

يا رَبعُ ! مالَك لا تُجيبُ مُتيَّماً ، قد عاجَ ، نحوَك ، زائرًا ومُسلِّما ؟
جادَتك كلُّ سَحابةٍ هَطّالةٍ ، حتّى تُرى ، عن زَهرةٍ ، متبسِّما !
لو كنتَ تدري مَن دعاك أجبتَه ، وبكَيتَ ، من حُرَقٍ عليه ، إذًا دَما !

قالَ : فغنّاه ، وأقبلَ الجَواري ، فرفَعن السِّترَ ، وخرجَ الوليدُ ، فألقى نفسَه في البركةِ ، فغاصَ فيها ، ثم خرجَ فلبِسَ ثياباً غير تلك ، ثم شربَ وسقى معبدًا ، ثم قالَ : غنِّني ! فقالَ : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قالَ : غنِّني :

عَجِبت لمـّا رأتني أندُبُ الرَّبعَ المُحيلا[1] ،
واقفاً في الدَّار أبكي ، لا ارى إلا الطُّلولا !
كيفَ تبكي لأناسٍ لا يَلُون الـذَّمِيلا[2] ؟
كلّما قلتُ اطمأنّت دارُهم ، قالوا : الرحيلا !

قالَ : فلمّا غنّاه ، رمى نفسَه في البركـة ثم خرجَ ، فردُّوا عليه ثيابَه ، ثم شربَ وسقى معبدًا ، ثم أقبلَ عليهِ الوليدُ ، فقالَ له : يا معبدُ ! من أرادَ أن يَزدادَ عند الملوكِ حُظوةً ، فليكتُم أسرارهم ! فقلتُ : ذلك ما لا يحتاجُ أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقالَ : يا غلامُ ! احمل الى معبدٍ عشرةَ آلاف دينارٍ ، تُحصَّلُ[3] له في بلدِه ، وألفي دينارٍ لنفقةِ طريقهِ . فحُمِلَت إليه كلُّها ، وحُمِلَ على البَريدِ ، من وقتِه ، إلى المدينةِ .

معبدٌ والمتعصّبُ له

حدّث يونُسُ الكاتبُ ، قالَ : كانَ معبدٌ قد علّمَ جاريةً من جَواري الحِجازِ الغِناء ، تُدعى ظَبيةَ ، وعُنِيَ بتخريجها ؛ فاشتراها رجلٌ من أهل العراق ، فأخرجها إلى البصرةِ ، وباعَها هناك ، فاشتراها رجلٌ من أهلِ الأهوازِ ، فأعجِبَ بها وذهَبت به كلَّ مذهَبٍ ، وغلَبَت عليه . ثم ماتت بعد أن أقامت عندَه بُرهةً من الزّمانِ ، وأخذ جواريه أكثرَ غِنائِها عنها . فكانَ لمحبّتِه اياها ، واسفِه عليها ، لا يزالُ يَسألُ عن أخبارِ معبدٍ ، وأينَ مُستقرُّه ، ويُظهِرُ التَّعصُّبَ له ، والمَيلَ إليه ، والتَّقديمَ لغنائِه على سائرِ أغاني أهلِ عصره ، إلى أن عُرِفَ منه ذلك . وبلغَ معبدًا خبرُه ، فخرجَ من مكّةَ ، حتّى اتى البَصرةَ ؛ فلمّا وردَها ، صادفَ الرَّجلَ قد خرجَ عنها في ذلك اليوم إلى الأهوازِ ، فاكترى سفينةً ؛ وجاءَ معبدٌ يلتمِسُ سفينةً ينحدِرُ فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غيرَ سفينةِ الرجل ،

١ ـ المحيل : الذي مرّت عليه احوال فتغيّر . والاحوال : حول السنون .
٢ ـ الذميل : السير اللين .
٣ ـ تحصّل له : تدفع وتسلّم .

وليسَ يعرفُ أحدٌ منهما صاحبَه . فأمرَ الرَّجلُ المَلَّاحَ أن يُجلِسَه معَه في مُؤخَّر السَّفينةِ ، ففعَلَ ، وانحدَروا . فلمَّا صاروا في فمِ نهرِ الأُبُلَّةِ[1] ، تَغدَّوا وشرِبُوا ، وأمرَ جواريَه ، فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ ، وهو في ثيابِ السَّفرِ ، وعليهِ فَرْوٌ ، وخُفَّانِ غليظانِ ، وزِيٌّ جافٍ من زيِّ أهلِ الحجاز . إلى أن غنَّت إحدى الجواري :

بانَت سعادُ ، وأمسَى حبلُها انصرَما ، واحتلَّت الغَورَ ، والأجراعَ مِن إضَما ؟[2]
إحدى بَليٍّ ، ومـا هامَ الفؤادُ بها ، إلَّا السَّفاهَ ، وإلَّا ذِكرةً حُلُما .[3]

فلم تُجد أداءه ، فصاحَ بها معبدٌ : يا جاريةُ ! إنَّ غناءَكِ هذا ليسَ بمستقيمٍ . قالَ : فقالَ له مولاها ، وقد غَضِبَ : وانتَ ما يُدريك الغناء ما هو ؟ لِمَ لا تُمسِكُ وتَلزَمُ شأنك ؟ فأمسكَ . ثمَّ غنَّت أصواتاً من غناءِ غيرِه ، وهو ساكتٌ لا يتكلَّمُ ، حتَّى غنَّت :

بابنةِ الأزديِّ قلبي كئيبُ ، مستهامٌ عندَها ما يُنيبُ ؟[4]
ولقد لاموا فقلتُ : دعوني ! إنَّ من تَنهَون عنه حبيبُ ! . . .

فأخلَّت ببعضِه ، فقالَ لها معبدٌ : يا جاريةُ ! لقد أخلَلتِ بهذا الصَّوتِ إخلالًا شديدًا . فغضبَ الرَّجلُ وقالَ له : ويلَك ! ما أنتَ والغناء ؟ ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضولِ ؟ فأمسَك ، وغنَّى الجواري مَليًّا ، ثم غنَّت إحداهنَّ :

خليليَّ عُوجا منكما ساعةً معي على الرَّبعِ ، نَقضِ حاجةً ، ونُوَدِّعِ ،[5]
وقولا لقلبٍ قد سلا : راجعِ الهوى ؛ وللعَين : أذري من دموعِك أوذَعِي !

قالَ : فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها مَعبدٌ : يا هذه ! أما تقُومين على أداء صوتٍ واحدٍ ؟ فغضبَ الرجلُ وقالَ له : ما أراكَ تضَعُ هذا الفضولَ بوجهٍ او

١ * الابلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة .

٢ * الغور : المطمئن من الارض ◎ الاجراء : ج جرع ، وهو مفرد ، او جمع جرعة ، الرملة الطيبة المنبت لا وعولة اي لا صعوبة فيها ◎ الاضم : واد بجبل تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة .

٣ * بلي : اسم قبيلة . السفاه : الطيش وخفة العقل ◎ الذكرة : ضد النسيان ◎ الحلم : الرؤيا في المنام ، حرّك اللام الساكنة مراعاة لوزن الشعر .

٤ * ينيب : يتوب الى الله . وينيب : يرجع ويعود ، والشعر لعبد الرحمن ابن ابي بكر .

٥ * الشعر : لكثيّر عزّة .

بجيلةٍ ! وأُقسِمُ باللهِ لَئن عاودتَ لأُخرجنَّك من السفينةِ . فأمسكَ معبدٌ ، حتى إذا سكتَت الجواري سكتةً اندفعَ يُغني الصوتَ الأوّلَ حتى فرَغ منه . فصاح الجواري : أحسَنتَ يارجلُ ، فأعِده ! فقالَ : لا ، والله ، ولا كرامةَ ! ثمَّ اندفعَ يُغني الثاني ، فقُلنَ لسيّدهنَّ : ويحكِ ! هذا ، واللهِ ، أحسنُ النّاسِ غناءً فسَله أن يُعيده علينا ، ولو مرّةً واحدةً ، لعلّنا نأخُذُه عنه ، فإنّه ان فاتَنا ، لم نجد مثلَه ابدًا . فقالَ : قد سمِعتُنَّ سوءَ ردّهِ عليكنَّ ، وأنا خائفٌ مثله منه ؛ وقد اسلَفناه الإساءة ، فاصبِرنَ حتى نداريَه . ثمَّ غنّى الثالث ، فزلزَلَ الارضَ عليهم ، فوثَبَ الرجلُ ، فخرَجَ اليه ، وقبّلَ رأسه ، وقالَ : ياسيّدي أخطأنا عليك ، ولم نعرِف موضعك . فقالَ له : فهّلكَ لم تعرف موضعي ، قد كان ينبغي لك أن تتثبّتَ[1] ، ولا تُسرعَ إليَّ بسَوء العِشرةِ ، وجفاء القولِ . فقالَ له : قد أخطأتُ وأنا اعتذرُ اليك ممّا جرى ، وأسالُك أن تنزِلَ إليّ وتختلطَ بي . فقالَ له : أمّا الآن فلا . فلم يزَل يرفُقُ به ، حتى نزلَ إليه ؛ فقالَ له الرجلُ : ممّن أخذتَ هذا الغناء ؟ قالَ : من بعضِ أهلِ الحجازِ ؛ فمن أينَ أخذَه جواريك ؟ فقالَ : أخذنه من جاريةٍ كانت لي ، ابتاعها رجلٌ من اهلِ البصرةِ من مكةَ ، وكانت قد أخذَت عن ابي عبّادٍ معبدٍ ، وعُني بتخريجها ، فكانت تحُلُّ مني محلَّ الرّوحِ من الجسدِ ؛ ثم استأثرَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، بها ، وبقيَ هؤلاء الجواري وهنَّ من تعليمِها ؛ فأنا إلى الآن أتعصّبُ لمعبدٍ ، وأفضّلُه على المُغنّين جميعاً ، وأفضّلُ صَنعتَه على كل صَنعةٍ . فقالَ له معبدٌ : أوَ إنّك لأنتَ هو ؟ افتعرِفُني ؟ قالَ : لا . قالَ : فصَكَّ[2] معبدٌ بيدِه صلعَتَه ، ثم قالَ : فأنا ، واللهِ ، معبدٌ ، وإليك قدِمتُ من الحجازِ ، ووافيتُ البصرةَ ساعةَ نزَلتَ السفينة لأقصِدَك بالأهوازِ . واللهِ ، لاقصّرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلَنّ لك في كل واحدةٍ منهنّ خلَفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يدَيه ورجليه يقبّلونها ، ويقولون : كتمتَنا نفسَك طول هذا اليوم ، حتى جفَوناك في المُخاطبةِ ، وأسأنا عِشرتَك ،

١ ـ تتثبت : تتأنى . ٢ ـ صك : ضرب .

وأنتَ سيّدُنا ، ومن نتمنّى على الله أن نَلقاه . ثم غيّرَ الرجلُ زيّه وحالَه ، وخلَع عليه عدّةَ خِلَعٍ ، وأعطاه ، في وقتِه ، ثلاثةَ دينارٍ ، وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدرَ معه إلى الأهوازِ فأقامَ عندَه ، حتّى رَضِيَ حِذْقَ جواريه ، وما أخذنه عنه ، ثم ودّعه وانصرفَ إلى الحجاز .

ابنُ سُرَيجٍ وعديُّ بنُ الرِّقاعِ

كتبَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ إلى عاملِ مكةَ : أن أشخِص إليَّ ابنَ سريج فأشخصَه . فلمّا قدِمَ مكثَ أيّاماً لا يدعو به ولا يلتفتُ إليه . قالَ : ثم إنه ذكرَه ، فقالَ : ويلكم ! أينَ ابنُ سريجٍ ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قالَ : علَيَّ به . فقالوا : أجبْ أميرَ المؤمنين ! فتهيّأ ولبسَ ، وأقبلَ حتى دخلَ عليه ، فسلّم ، فأشارَ إليه : أن اجلِس ! فجلسَ بعيداً . فاستدناه ، فدنا ، حتى كانَ منه قريباً ، وقال : ويحَك يا عُبيدُ ! لقد بلغني عنك ما حملَني على الوفادةِ بك ، من كثرة أدبك وجَودةِ اختيارك مع ظَرفِ لسانِك ، وحلاوةِ مجلسِك فقالَ : جُعِلتُ فِداءَك يا أميرَ المؤمنين ! « تسمَعُ بالمُعيديِّ خيرٌ من أن تراه . » قالَ الوليدُ : إني لأرجو ألّا تكونَ انتَ ذاك ! ثم قالَ : هاتِ ما عندَك ! فاندفعَ ابنُ سريجٍ فغنّى بشعرِ الأحوصِ :

أمنزلتَي سَلمى ، على القِدَمِ ، اسلما ! فقد هِجتُما ، الشوقِ ، قلباً مُتيّما ،
وذكّرتُما عصرَ الشبابِ الذي مضى ، وجِدّةَ وَصلٍ ، حبلُه قد تجذّما .[1]

فقالَ الوليدُ : أحسنتَ والله ، وأحسنَ الأحوصُ ! علَيَّ بالأحوصِ . ثم قالَ : يا عبيدُ هِيهِ[2] ! فغنّاه بشعرِ عديِّ بنِ الرِّقاعِ العامليِّ يمدَحُ الوليدَ :

إنَّ الوليدَ ، أميرَ المؤمنين ، له مُلكٌ ، عليه أعانَ اللهُ ، فارتفعَا ؛
لا يمنَعُ الناسُ ما أعطى الذين همُ له عِبادٌ ، ولا يُعطون ما منَعَا .

١ ـ تجذّم : تقطع .
٢ ـ هِيهِ : كلمة استزادة .

فقالَ له الوليد : صدَقتَ يا عبيدُ ! أنّى لك هذا ؟ قالَ هو من عندِ اللهِ . قال الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدَبك . قالَ ابن سريج : ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه من يشاء . فقالَ الوليدُ : يَزيدُ في الخلق ما يشاء . قالَ ابن سريج : هذا من فضل ربّي ليَبلوني[1] أأشكرُ أم أكفُرُ . قالَ الوليدُ : لَعلمُك ، واللهِ ، أكبرُ وأعجبُ إليّ من غِنائِك ؛ غنّني ! فغنّاه بشعر عديّ بنِ الرّقاعِ العاملي يمدَحُ الوليدَ :

عرَفَ الدّيارَ توهُّمًا ، فاعتادَها ، من بعدِ ما شَمِلَ البِلى أبلادَها .[2]

فأشارَ الوليدُ إلى بعض الخدم فغطّوه بالخِلَعِ ، ووضعوا بين يديهِ كيساً من الدّنانيرِ ، وبِدَرًا من الدّراهم . . وقد كانَ أمرَ بإحضارِ الأحوصِ بنِ محمدٍ الأنصاريّ ، وعديّ بنِ الرّقاعِ العامليّ ؛ فلمّا قدِما أمرَ بانزالِهما حيثُ ابنُ سريجٍ ، فأنزلا منزِلًا إلى جَنبِ ابن سريج ، فقالا : واللهِ ، لقُربُ أميرِ المؤمنين كانَ أحبَّ الينا من قُربِك ، يا مَولى بني نوفلٍ ؛ وإنّ في قربك لما يَلذُنا[3] ، ويَشغَلنا عن كثيرٍ مما نُريدُ . فقالَ لهما ابنُ سريجٍ : أو قلّةُ شُكرٍ ؟ فقالَ له عديٌّ : كأنّك تمُنُّ علينا ؟ عليَّ وعليّ ، إن جمعَنا وإيّاك سقفُ بيتٍ ، او صَحنُ دار ، إلّا عندَ أميرِ المؤمنين . وأمّا الأحوصُ فقالَ : أوَ لا تحتمِلُ لأبي يَحيى الزّلّة والهَفوةَ ؟ كفّارةُ يمينٍ خيرٌ من عدمِ المَحبّةِ ، واعطاءُ النفسِ سُؤلَها خيرٌ من لَجاجٍ[4] في غيرِ منفعةٍ ! فتحوّلَ عديٌّ ، وبقيَ الأحوصُ عندَه . وبلّغَ الوليدَ ما جَرى بينهم ، فدعا ابنَ سريجٍ وأدخَلَه بيتاً ، وأرخى دونه سِترًا ، ثم أمَره ، إذا فرَغَ الأحوصُ وعديٌّ من كلمتيهما أن يُغنّيَ . فلمّا دخَلا وأنشداه مَدائحَ فيه ، رفَعَ ابنُ سريجٍ صوتَه ، من حيثُ لا يرَونه ، وضرَبَ بعودِه . فقالَ عديٌّ : يا أميرَ المؤمنين ! اتأذَنُ لي أن اتكلّمَ ؟ فقالَ : قل ، يا عامليُّ ! قالَ : أمِثلُ هذا عندَ أميرِ المؤمنين ، ويَبعَثُ إلى ابن سريج يَتخطّى به رقابَ

١ * بلاه : جرّبه ، واختبره .

٢ * اعتادها : اعاد النظر اليها مرة بعد أخرى ، لتروسها ، حتى عرفها .

٣ * يلذنا : عدّى هذا الفعل بنفسه ، وهو مما يعدّى باللام ، فيقال : لذّ لي .

٤ * اللجاج : التمادي في الخصومة . او الحلف على شيء ، ويرى ان غيره خير منه ، فيقيم على يمينه ولا يحنث ، فذلك آثم .

قريش والعرب من تهامة إلى الشام، ترفعه أرض، وتخفضه أخرى، فيقال: من هذا؟ فيقال: عُبيدُ بنُ سُريج، مولى بني نوفل، بعثَ أميرُ المؤمنين إليه ليسمعَ غناءه! فقالَ: ويحكَ، ياعديُّ! أو لا تعرفُ هذا الصوتَ؟ قالَ: لا، واللهِ، ما سمعتُه، ولا سمعتُ مثلهُ حُسناً! ولولا أنّـه في مجلسِ أميرِ المؤمنين، لقلتُ: طائفةٌ من الجنِ يتغنّون. فقالَ: اخرج اليهم! فخرجَ، فإذا ابنُ سريج. فقالَ عديٌّ: حُقَّ لهذا ان يُحمَلَ! حُقَّ لهذا أن يُحمَلَ! — ثلاثاً — ثم أمرَ لهما بمثل ما أمر به لابن سريج، وارتحلَ القومُ.

رَقطاء وصفراء

جاءَ سندةُ الخيّاطُ المَغنّي إلى الأفلحِ المخزوميّ، وكانَ يوصَفُ بعقلٍ وفضلٍ، فقالَ له: من أينَ أقبلتَ؟ وإلى اينَ تمضي؟ فقالَ: إليكَ قصدتُ من مجلسِ لبعضِ القُرَشيّين؛ أقبلتُ مُحاكِماً اليكَ. قال: فيماذا؟ قال: كنتُ عند هذا الرجلِ، وحضرتْ مجلسَه رَقطاءُ الحبَطيّين[1]، وصفراءُ العلقميّين[2]، فتناوَلتا بينهما رَمَلَ ابنِ سريجٍ:

ليتَ شِعري! كيفَ أبقى ساعةً ... مع مـا أَلقى، اذا الليلُ حَضَرْ؟
مَن يذُق نَوماً، ويهدأ، ليلَهُ؛ ... فلقـد بُدِّلتُ بالنومِ السَّهَرْ!

قلتُ: مَهلاً! إنّهـا جنّيّةٌ، ... إن تُخالِطها تَفُز منهـا بشَرّ[3]

فغنّتاه جميعاً، واختلفنا في تفضيلها ففضّلَ كلُّ فريقٍ منا إحداهما، فرَضِينا جميعاً بحُكمِكَ، فاحكم بيننا وبينهما. قالَ: فوجمَ ساعةً — وأهلُ الحجازِ، إذا ارادوا ان يحكُموا، تأمّلوا ساعةً ثم حكَموا، فإذا حَكمَ المحكَّمُ، مضى حُكمهُ كائناً ما كانَ، ففضّلَ من فضّلَه، وأسقَطَ من أسقَطَه، إذا تَراضى الخصمان به — فكرِهَ الأفلحُ أن يُرضيَ قوماً، ويُسخِطَ آخرين، فقالَ لسندةَ:

١ * الحبطيين: نسبة الى الحَبط، وهو الحرث بن مالك بن عمرو التميمي، ويقال له ايضاً الحِبَطات بفتح الباء وكسرها.

٢ * العلقميين: نسبة الى علقمة.

٣ * المخالطة: الممازجة، والمعاشرة.

صِنها أنتَ لي ، كيفَ كانتا ، إذ غنّتاه ، واشرَح لي مَذهَبها فيه كما سمعتَ ، وأنا أحكُم بعدَ ذلك . فقال سندَةُ : أما جاريةُ الحَبَطِيّين ، فإنها كانت تلوكُ لحنَه ، كما يلوكُ الفرسُ العتيقُ لجامَه ؛ ثم تُلقيه في هامةٍ لَدُنَةٍ ؛ ثم تُخرِجه من مَنخَرٍ أغنَّ . واللهِ ، ما ابتَدأته ، فتوسَّطته ، وأنا أعقِلُ ، ولا فرَغت منه ، فأفقتُ ، إلا وأنا أظُنُّ أني رأيتُه في نومي ؛ وأما صفراء العَلقميّين ، فإنها أحسنُها حَلقاً ، وأصحُّها صوتاً ، وألينُها تثنياً . واللهِ ، ما سمِعها أحدٌ قطُّ فانتفعَ بنفسِه . هذا ما عندي ، فاحكُم أنتَ ، يا أخا بني مخزومٍ ! فقالَ : قد حكَمتُ بأنّها بمنزلةِ العَينين في الرأسِ ، فبأيّها نظَرتَ أبصَرتَ ؛ ولو كانَ ، في الدنيا ، من عبيدِ بنِ سُريجٍ خَلَفٌ ، لكانتا . قالَ : فانصَرفوا جميعاً راضينَ بحُكمه .

ابنُ مُحرِزٍ والتَّجديد في الألحان

أخبرَ هارونُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ الماجُشونِ ، قالَ : اسمُ ابنِ مُحرِزٍ سَلمٌ ، وهو مَولى بني مخزومٍ . وذكرَ إسحاقُ أنه كانَ يسكُنُ المدينةَ مرّةً ، ومكّةَ مرّةً ؛ فإذا أتى المدينةَ ، أقامَ بها ثلاثةَ أشهرٍ يتعلّمُ الضَّربَ من عَزّةَ المَيلاء[1] ، ثم يرجعُ إلى مكةَ ، فيقيمُ بها ثلاثةَ أشهرٍ . ثم شخَصَ إلى فارسَ ، فتعلّمَ ألحانَ الفُرسِ وأخذَ غِناءَهم ؛ ثم صار إلى الشأمِ ، فتعلّمَ ألحانَ الرّومِ وأخذَ غِناءَهم ؛ فأسقطَ من ذلك ما لا يُستحسنُ من نَغَمِ* الفريقَين ، وأخذَ محاسنَها ؛ فمزَجَ بعضَها ببعضٍ ، وألّفَ منها الأغانيَّ التي صنَعَها في أشعارِ العربِ ، فأتى بما لم يُسمع مثلُه ؛ وكانَ يقالُ له : صَنّاجُ العربِ .

وقالَ إسحقُ : كانَ ابن محرزٍ قليلَ المُلابَسة للناسِ ، فأخملَ ذلك ذكرَه ، فما يُذكرُ منه إلا غناؤه . وأخذَت اكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديقٍ له من أهلِ مكةَ ، كانت تألفُه ، فأخذه الناسُ عنها . ومات بداء كانَ به .

[1] المَيلاء : احدى اوليات قيان الحجاز
* المقدمات في الغناء والضرب . ولقبت بها في هشيتها .

وسقطَ إلى فارسَ ، فأخذَ غناءَ الفرسِ ، وإلى الشامِ ، فأخذَ غناءَ الرومِ ، فتخيَّرَ من نغمِهم ما تَغنَّى به غناءَه . وكانَ يَقدَمُ بما يُصيبُه ، فيدفعُه الى صديقِه ، فيُنفقُه كيفَ شاءَ ، لا يسألُه عن شيءٍ منه ، حتى ، إذا كادَ أن يَنفَدَ ، جَهَّزَه ، وأصلحَ من أمرِه ، وقالَ له : إذا شِئتَ ، فارحَل ! فيَرحَلُ ، ثمَّ يعودُ . فلم يزَل كذلك ، حتى ماتَ . قالَ : وهوَ أوَّلُ من غنَّى بزَوجٍ من الشِّعرِ ، وعمِلَ ذلك بعدَه المُغنُّون اقتداءً به . وكانَ يقولُ : الأفرادُ لا تَتِمُّ بها الألحانُ . وذكرَ أنه ، أوَّلَ ما أخذَ الغناءَ ، أخذَه عن ابنِ مِسْجَحٍ . قالَ اسحق : وكانتِ العِلَّةُ ، التي ماتَ بها ، الجُذامَ ؛ فلم يُعاشِرِ الخلفاءَ ، ولا خالطَ الناسَ لأجلِ ذلك .

ابن مُحرزٍ وحُنَينٌ[1]

قالَ أبو أيوبَ المَدينيُّ في خَبَرِه : بلَغَني أنَّ ابنَ مُحرزٍ ، لمَّا شخَصَ يُريدُ العراقَ ، لَقِيَه حُنَينٌ ، فقالَ له : غنِّني صَوتاً من غنائِك ! فغنَّاه :

وحُسنُ الزَّبَرْجدِ ، في نَظمِه ، على واضحِ اللِّيتِ زانَ العُقودا ،[2]
يُفصِّلُ ياقوتَـه دُرَّه ، وكالجمرِ أبصرتَ فيه الفريدا .[3]

فقالَ له حنينٌ : كم أمَّلتَ من العراقِ ؟ قالَ : ألفَ دينارٍ ، فقالَ له : هذه خمسُمائةِ دينارٍ ، فخُذها وانصرِف ! قالَ : ولمَّا شاعَ ما فعَلَ لامَه أصحابُه عليه ؛ فقالَ : واللهِ ، لو دخلَ العراقَ ، لما كانَ لي معَه فيها خبزٌ آكُلُه ، ولأُطرِحتُ ، وسقَطتُ إلى آخرِ الدهرِ .

ابرهيم الموصلي والمهدي

حدَّثَ إبرَهيمُ المَوصِليُّ قالَ : كانَ المَهديُّ لا يشرَبُ الخمرَ ؛ فأرادَني على مُلازَمتِه ، وتَركِ الشُّربِ ، فأبَيتُ فحبَسَني . ثمَّ دعاني يوماً ، فعاتَبَني

١ * حنين الحيري : مغن عراقي مشهور .
٢ * اللِّيت : صفحة العنق .
٣ * الفريد : الدُّرُّ ، اذا نظمَ وفصَّلَ بغيره .

على شُربيَ الخمرَ في منازلِ النّاسِ ، وقالَ : لا تَدخُل على ولديَّ موسى وهارونَ البتّةَ ! ولَئن دخلتَ عليهما لأفعلَنَّ بك ولأصنعَنَّ[1] . فقلتُ : نعم . ثم بلّغه أني دخلتُ عليهما في نُزهةٍ لهما ؛ فسُعِيَ بهما وبي الى المَهديِّ ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ؛ فأمرَ بي فجُرِّدتُ ، فضُربتُ ثلاثمائةٍ وستّينَ سَوطاً . فقلتُ له ، وهو يَضربُني : إنّ جُرمي ليسَ من الاجرامِ التي يَحِلُّ لك بها سَفكُ دمي . فلمّا قُلتُ له هذا ، ضربَني بالسّيفِ ، في جَفنِه ، فشَجَّني به ، وسَقطتُ مَغشيّاً عليَّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيَّ فوقعتا على عينَيِ المَهديِّ ، فرأيتُها عيني نادمٍ ، وقالَ لابنِ مالكٍ[2] : خُذهُ اليكَ ! قالَ : فأخرَجني إلى دارِه ، وأنا أرى الدُّنيا في عَيني صَفراءَ وخَضراءَ من حَرِّ السَّوطِ[3] ، وأمَرَه أن يتّخذَ لي شَبيهاً بالقبرِ ، فيُصيّرَني فيه . فدعا بكَبشٍ وسلَخَه ، فألبَسَني جلدَه ليُسكِّنَ الضَّربَ ، ودفَعَني إلى خادمةٍ لهُ فصيّرَتني في ذلك القبرِ ، فتأذّيتُ بالتَّرِّ وبالبَقِّ[4] في ذلك القبرِ . وكانَ فيه خلاءٌ أستريحُ إليه ، فقلتُ للأمةِ : اطلُبي لي آجُرّةً عليها فَحمٌ وكُنْدُرٌ[5] يُذهِبُ عني هذا البقَّ ! فأتتني بذلك . فلمّا دخّنت أظلَمَ القبرُ عليَّ ، وكادَت نفسي تخرُجُ منَ الغَمِّ ؛ فاستَرَحتُ من أذاهُ الى التَّرِّ[6] ، فألصَقتُ به أنفي حتّى خَفَّ الدُّخانُ . فلمّا ظَنَنتُ أنّي قدِ استرَحتُ مما كنتُ فيه إذا حَيّتانِ مُقبلَتانِ نحوي ، من شِقِّ القبرِ ، تدورانِ حَولي بخَفيفٍ شديدٍ . فهَمَمتُ أن آخُذَ واحدةً بيدي اليُمنى والأُخرى بيدي اليُسرى ، فإمّا عليَّ وإما ليَ ! ثم كُفيتُهما[7] فدخَلتا مِنَ الثَّقبِ الذي خرَجتا منه ؛ فمكَثتُ في ذلك القبرِ ما شاءَ اللهُ وقلتُ في الحَبسِ :

١ * لافعلنَّ بك ولاصنعنَّ : قسم يقال في التحذير والتهديد .

٢ * ابن مالك : هو عبدالله بن مالك كان صاحب الشرط والعقوبات ايام المهدي ؛ ولاه الرشيد على قسم من جيشه ولما تحركت الخرّميّة ببلاد اذربيجان سار عبدالله الى محاربتهم في عشرة آلاف فقتل وسبى وعاد منصوراً ٨٠٩م ولم تعرف سنة وفاته .

٣ * من حر السوط : من المه .

٤ * التّر : ما يتحلب من الارض من الماء
* البق : البعوض ، وربما جاء ايضاً بمعنى القاقس ، لا سيما في بلاد الشام ، وهي الدويبة الصغيرة المنتنة .

٥ * الكندر : فارسي عربيته اللبان . وقيل بل هو صمغ اللبان .

٦ * استرحت من اذاه الى التر : اي تخلصت من اذى الدخان بالصاق وجهي في التر .

٧ * كفيتهما : اي نجوت منهما .

ألا طالَ ليلي أُراعي النُّجومَ ، أُعالجُ في الساقِ كَبلًا ثَقيلًا[1]،
بدارِ الهَوانِ ، وشرِّ الدِّيارِ ، أُسامُ بها الخَسفَ[2] ؛ صَبرًا جَميلًا!
كَثيرُ الأَخِلّاءِ عند الرَّخاءِ ، فلمّا جَلستُ أَراهم قَليلًا!
لطُولِ بلائيَ مَلَّ الصَّديقُ ؛ فلا يَأمَنَنَّ خَليلٌ خَليلًا!

ثم أخرَجَني المَهديُّ وأحلَفَني بكُلِّ يَمينٍ لا فَسحة لي فيها أن لا أدخُلَ على موسى وهارونَ أبدًا ولا أُغنّيهما وخَلّى سبيلي .

باب الفكاهات

ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد

قالَ الرَّشيدُ لإبرهيمَ بن المَهديِّ ، وإبرهيمَ المَوصليِّ ، وابنِ جامع[3] : باكِرُوني غدًا ، وليكُن كلُّ واحدٍ قد قالَ شعرًا ، إن كانَ يَقدِرُ أن يَقولَه ، وغَنّى فيه لحنًا ؛ وإن لم يَكُن شاعرًا ، غَنّى في شِعرِ غَيرِه . قالَ إبرهيمُ بن المَهديِّ : فقُمتُ في السَّحَرِ ، وجَهَدتُ أن أَقدِرَ على شيءٍ أَصنَعُه فلم يتَّفِق لي ؛ فلمّا خِفتُ طُلوعَ الفَجرِ دعَوتُ بغِلماني وقُلتُ لهم : إني أُريدُ أن أمضِيَ إلى مَوضِعٍ لا يَشعُرُ بي أحدٌ حتّى أَصيرَ إليه ؛ وكانوا في زُبَيدِيّاتٍ[4] لي يَبيتونَ فيها على بابِ داري . فقُمتُ ، فرَكِبتُ في إحداها ، وقَصَدتُ دارَ إبرهيم المَوصليِّ . وكان قد حدَّثني أنّه إذا أرادَ الصَّنعةَ لم يَنَم حتّى يدبِّرَ ما يَحتاجُ إليه ، واعتَمَدَ على خشبةٍ له ، فلم يزل يقرَعُ عليها حتّى يفرَغَ منَ الصَّوتِ ويَرسَخَ في قلبه . فجِئتُ حتّى وقَفتُ تحت دارِه فإذا هو يُردِّدُ صَوتًا أَعدَّه . فما زِلتُ واقِفًا أستَمِعُ منه الصَّوتَ حتّى أَخذتُه . ثم غَدَونا إلى الرَّشيدِ ، فلمّا جلَسنا للشُّربِ خرَجَ الخادمُ إليَّ فقالَ : يقولُ لك أميرُ المُؤمنين : يا ابنَ أُمي[5] غَنِّني ! فاندفَعتُ ،

١ * اعالج في الساق كبلا ثقيلا : يشير الى اغلاله التي تحمّل اذاها .

٢ * أُسام بها الخسف : اي تذللت بها المشقة . يقال سامهُ الخسف اي اولاهُ اياهُ وارادهُ عليهِ ، والخسف الذل والنقيصة وقوله : صبرًا جميلًا ، مصدر لفعل محذوف تقديره اصبر .

٣ * ابن جامع : هو ابو القاسم اسماعيل ابن جامع بن عبدالله المكي المغني المشهور توفي سنة ٨٠٩ م .

٤ * زبيديات : العربات والعجلات .

٥ * يخاطب ابرهيم بن المهدي وهو اخوه لابيه ، وانما قال له : ابن امي ، توددًا .

فغنّيتُ هـذا الصّوتَ ، والموصليُّ في الموتِ ، حتّى فرغتُ منه . فشَرِبَ عليهِ وأمَرَ لي بثلاثمائة ألف درهمٍ . فوثَبَ إبرهيمُ الموصليُّ فحلَفَ بالطّلاقِ وحياةِ الرّشيدِ أنّ الشّعر له قالَه البارحةَ ، وغنّى فيه ما سبقَه إليه أحدٌ . فقالَ ابنُ المَهديِّ : يا سيّدي فمن أينَ هو لي أنا ، لولا كَذِبُه وبُهتُه ؟! وإبرهيمُ يَضطربُ ويَضِجُّ . فلمّا قضيتُ أرَباً من العَبَثِ به قلتُ للرّشيدِ : الحقُّ أحقُّ أن يُتّبعَ وصَدقتُه . فقالَ للمَوصليِّ : أمّا أخي فقد أخذَ المالَ ولا سبيلَ إلى رَدّه . وقد أمَرتُ لك بمائةِ ألفِ دِرهمٍ عِوَضاً ممّا جَرى عليه . فأمَرَ له بها فحُمِلَتْ إليه .

ابليس وابرهيم الموصلي

حدّث ابرهيمُ ، قالَ : سألتُ الرّشيدَ ان يَهَبَ لي يوماً ، في الجُمعةِ ، لا يبعَثُ فيه إليَّ بوجهٍ ، ولا بسببٍ ، لأخلوَ فيه بإخواني . فأذِنَ لي في يومِ السّبتِ ، فقالَ : هو يومٌ استثقلُه ، فآلَهُ فيه بما شئتَ . قالَ : فاقمتُ ، يومَ السّبتِ ، بمنزلي ، وتقدّمتُ ، في إصلاحِ طعامي وشرابي ، بما احتَجتُ اليه ، وأمَرتُ بَوّابي ، فأغلقَ الأبوابَ ، وتقدّمتُ اليه[1] ألّا يأذَنَ عليَّ لأحدٍ . فبينا أنا في مجلسي ، والخدَمُ قد حفّوا بي ، وجواريَّ يتردّدنَ بينَ يديَّ ، إذا أنا بشيخٍ ذي هيئةٍ وجمالٍ ، عليه خِفّانِ قصيرانِ ، وقميصانِ ناعمانِ ، وعلى رأسِه قَلَنْسُوَةٌ لاطيةٌ[2] ، وبيدِه عُكّازةٌ مُقَمَّعةٌ بفِضّةٍ ، وروائحُ المِسكِ تفوحُ منه ، حتى ملأَ البيتَ والدارَ ! فداخَلني ، بدُخولِه عليَّ ، مع ما تقدّمتُ فيه ، غيظٌ ما تداخَلني قطُّ مثلُه ، وهممتُ بطرد بَوّابي ، ومَن حجَبَني ، لأجلِه . فسلّمَ عليَّ أحسنَ سلامٍ ؛ فرَدَدتُ عليه ، وأمرتُه بالجلوسِ ، فجلَسَ . ثم أخذَ في أحاديثِ الناسِ ، وأيامِ العربِ وأحاديثِها وأشعارِها ، حتّى سُرّيَ[3] ما بي من الغضَبِ ، وظَنَنتُ أنّ غِلماني تحرّوا

١ * تقدمت اليه : امرته .

٢ * لاطية : اما اسم فاعل للمؤنث من لطى ، اي لزق ، او من اللاطية وهي ، عند الشرقيين من النصارى ، منديل يجعله الاكليروس فوق القلنسوة .

٣ * سُرّيَ ما بي : كشف عني ما كنت أجده من الغضب .

مَسرَّتي بإدخالِهم مثلَه عليَّ لأدبِهِ وظَرفِه . فقلتُ : هل لك في الطَّعامِ ؟ فقالَ : لا حاجةَ لي فيه . فقلتُ : هل لك في الشَّرابِ ؟ فقالَ : ذلك إليك . فشربتُ رطلًا ، وسقَيتُه مثلَه . فقالَ لي : يا أبا إسحقَ ، هل لك ان تُغنِّيَ لنا شيئاً من صَنعتِك ، وما قد نفَقتَ به عندَ الخاصِّ والعامِّ ؟ فغاظَني قولُه ، ثم سهَّلتُ على نفسي أمرَه ، فأخذتُ العودَ ، فجَسَستُه ، ثم ضرَبتُ ، فغنَّيتُ . فقالَ : أحسَنتَ ، يا إبرهيم ! فازدادَ غَيظي ، وقلتُ : ما رَضيَ بما فعلَه من دخولِه عليَّ بغيرِ إذنٍ ، واقتراحِه أن أُغنِّيَه ، حتى سمّاني ولم يكنِّني ، ولم يُجمِل مُخاطَبتي . ثم قالَ : هل لك أن تَزيدَنا ؟ فتذمَّمتُ ، فأخذتُ العودَ ، وتغنَّيتُ . فقالَ : أجَدتَ ، يا أبا إسحقَ ، فأتِمَّ حتى نُكافئَك ونُغنيَك . فأخذتُ العودَ ، وتغنَّيتُ ، وتحفَّظتُ ، وقُمت بما غنَّيتُه إيّاه تامًّا ، ما تحفَّظتُ مثلَه ، ولا قمتُ بغناءٍ ، كما قمتُ به له ، بينَ يدَي خليفةٍ قطُّ ، ولا غيرِه ، لقولِه لي : أُكافئُك . فطربَ ، وقالَ : أحسَنتَ يا سيّدي ! ثم قالَ : أتأذَنُ لعبدِك بالغناء ؟ فقلتُ : شأنَكَ ! واستضعَفتُ عَقلَه في أن يغنّيَ بحَضرتي بعدَ ما سمعَه منّي . فأخذَ العودَ ، وجَسَّه ، وحبَسَه[1] ؛ فواللهِ لخِلتُه يَنطِقُ بلسانٍ عربيٍّ لحسنِ ما سمعتُه من صوتِه ؛ ثم تغنّى :

ولي كَبِد مَقروحةٌ ! مَن يَبيعُني بها كَبِدًا ليسَت بذاتِ قُروحِ ؟[2]
أباهـا عليَّ الناسُ لا يَشترونها ؛ ومن يَشتري ذا عِلّةٍ بصحيحِ ؟![3]

قالَ إبرهيمُ : فواللهِ ، لقد ظَننتُ الحِيطانَ والابوابَ ، وكلَّ ما في البيتِ ، يُجيبُه ، ويتغنّى معَه من حسنِ غنائِه ؛ حتى خِلتُ ، واللهِ ، أني وعِظامي وثِيابي تُجاوبُه . وبقيتُ مبهوتاً لا استطيعُ الكلامَ ، ولا الجوابَ ، ولا الحركةَ لما خالطَ قلبي . ثم غنّى :

ألا يا حماماتِ اللِّوى عُدنَ عَودةً ! فإنّي ، إلى أصواتِكنَّ ، حزينُ ![4]

١ ـ حبسه : (دوزنه) .
٢ ـ المقروحة : المشقوقة ، المجروحة ، القروح : الجراح .
٣ ـ البيتان لكثير عزة .
٤ ـ لمجنون ليلى .

فكادَ ، واللهِ ، عَلِمَ اللهُ ، عقلي أن يَذهبَ طرَباً وارتياحاً لِما سمعتُ . ثم غنّى :

ألا يا صَبا نجدٍ ، متى هِجتِ من نجدِ ؟ فقد زادني مسراكِ وجداً على وجدِ![1]

ثم قالَ : يا إبراهيمُ ! هذا الغناء الماخوري[2] ، فخُذه ، وانحُ نحوَه في غنائك ، وعلّمه جواريَك ! فقلتُ : أعِده عليَّ ! فقالَ : ليسَ تحتاجُ ، قد اَخذتَه ، وفرَغتَ منه ، ثمّ غابَ من بينِ يديَّ ؛ فارتَعبتُ ، وقُمتُ إلى السّيفِ فجرّدتُه ، وعدَوتُ نحوَ أبوابِ الحُرَمِ ، فوجدتُها مُغلَقةً ؛ فقلتُ للجواري : ايَّ شيءٍ سمِعتُنَّ عندي ؟ فقلنَ : سمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِعَ قطُّ . فخرَجتُ متحيّرًا إلى بابِ الدّارِ ، فوَجدتُه مُغلقاً ؛ فسألتُ البوّابَ عن الشيخِ ؛ فقالَ لي : أيُّ شيخٍ هو ؟ واللهِ ما دخلَ اليك اليومَ أحدٌ . فرجعتُ لأتأمّلَ أمري ، فإذا هو قد هتَفَ من بعضِ جوانبِ البيتِ : لا بأسَ عليكَ ، يا أبا إسحقَ ! أنا إبليسُ ، وأنا كنتُ جليسَك ونديمَك ، فلا تُرَعْ ! فركِبتُ إلى الرّشيدِ ، وقلتُ : لا أُطرِفُه[3] أبدًا بطُرفةٍ مثلِ هذه . فدخلتُ اليه ، فحدّثتُه بالحديثِ ، فقالَ : ويحَكَ ! تأمّل هذه الأبيات ، هل أخذتَها ؟ فأخذتُ العودَ أمتحِنُها ، فإذا هي راسخةٌ في صَدري كأنها لم تزَل . فطرِبَ الرّشيدُ ، وجلَسَ يشربُ ولم يكن عزَمَ على الشرابِ ، وأمرَ لي بصِلةٍ .

حكايات وفكاهات

هلال[4] والعهد المصارع

حدّث هلالٌ ، قالَ : قدمتُ المَدينةَ ، وعليها رجلٌ من آل مَروانَ ؛ فلم أزَل أضَعُ عن إبلي ، وعليها أحمالٌ للتجّار ، حتى أخذَ بيدي ، وقيل : أجِب

١ . الشعر لعبدالله بن الدمينة : شاعر إسلامي .
٢ . الماخوري : نسبة الى الماخور : مجلس الخمّارين والسّقاة .
٣ . اطرفه : آتيه بشيء جديد .
٤ . هلال بن الاسعر شاعر وفارس إسلامي .

الأميرَ ! قالَ : قلتُ لهم : ويلَكم ! إبلي وأحمالي ؟ فقيلَ : لا بأسَ على إبلك وأحمالك . قالَ : فانطُلقَ بي ، حتى أُدخلتُ على الأمير ، فسلَّمتُ عليه ، ثم قلتُ : جُعلتُ فِداك ! إبلي وأمانتي ؟ (قالَ) فقالَ : نحنُ ضامنون لإبلك وامانتِك ، حتى نؤدِّيها إليك . (قال) فقلتُ عندَ ذلكَ : فما حاجةُ الأمير إليّ ؟ جعَلني اللهُ فِداه ! فقالَ لي ، وإلى جنبِه رجلٌ أصفرُ لا ، واللهِ ، ما رأيتُ رجلًا أشدَّ خَلقًا منه ، ولا أغلظَ عُنقًا ، ما أدري أطولُه اكثرُ ام عَرضُه : إنّ هذا العبدَ ، الّذي تَرى ، لا واللهِ ، ما تَرَكَ بالمدينةِ عبدًا يصارعُ إلّا صرَعَه . وبلَغني عنك قوةٌ ، فأردتُ أن يُجريَ اللهُ صَرعَ هذا العبدِ على يديك ، فتُدركَ ما عنده من أوتارِ[1] العربِ . (قال) فقلتُ : جعَلَني اللهُ فِداءَ الأميرِ ! إني لَغِبٌ ، نَصِبٌ[2] ، جائعٌ ! فإن رأى الأميرُ أن يـدَعَني اليومَ ، حتى أضع عن إبلي ، وأؤدِّيَ أمانتي ، وأُريحَ[3] يومي هـذا ، وأجيئَه غدًا ، فليَفعل . (قالَ) فقالَ لأعوانه : انطلِقوا معَه ، فأعِينوه على الوضعِ عن إبله ، وأداءِ أمانتِه ، وانطلِقُوا به إلى المَطبَخِ ، فأشبعوه . ففعلُوا جميعَ ما أمرَهم ؛ (قالَ) فظلِلتُ بَقيّةَ يومي ذلك ، وبِتُّ ليلتي تلك بأحسنِ حالٍ شِبَعًا ، وراحةً ، وصلاحَ أمرٍ . فلمّا كانَ من الغدِ ، غدَوتُ عليه ، وعليّ جُبّةٌ لي صُوفٌ ، وبَتٌّ[4] ، وليسَ عليّ إزارٌ ، إلّا أنّني قد شدَدتُ بعمامتي وَسطي . فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليّ السّلامَ ، وقالَ للأصفرِ : قم إليه ! فقد أرى اللهَ أتاكَ بما يُخزيك . فقالَ العبدُ : اتَّزِر ، يا أعرابي ! فأخذتُ بَتّي ، فاتّزرتُ به على جُبّتي . فقالَ : هيهاتَ ! هذا لا يثبُتُ ، إذا قبَضتُ عليه جاء في يدي . (قالَ) فقلتُ : واللهِ ، مـا لي من إزارٍ . قالَ : فدعا الأميرُ بمِلحَفةٍ ما رأيتُ قبلَها ، ولا على جلدي ، مثلَها ؛ فشدَدتُ بها على حَقوي ،[5]

١ . أوتار : جمع وتر : الثأر .

٢ . اللغب : الإعياء الشديد . النصب التعب والإعياء .

٣ . اراح : صار في راحة ، ورجعت اليه نفسه بعد الإعياء .

٤ . البتّ : كساء غليظ ، مربع .

٥ . الحقو : الكشح ، ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، ومعقد الازار .

وخلعتُ الجبَّةَ . (قالَ) : وجعلَ العبدُ يدورُ حولي ، ويُريدُ ختلي[1] ، وأنا منه وَجِلٌ ، ولا أدري كيفَ أصنعُ به . ثم دنا مني دَنوَةً ، فنفَذَ جُبهتي بظِفرِه نَفذةً ظننتُ أنه قد شجَّني ؛ وأوجعَني . فغاظَني ذلك ، فجعلتُ أنظُر في خَلقِه بِمَ أقبضُ منه ؟ فما وجدتُ في خلقِه شيئاً اصغرَ من رأسه ؛ فوضعتُ إبهامي في صُدغِه ، وأصابعي الأُخَر في أصلِ أُذنِه الأُخرى ، ثمَّ غمَزتُه غمزةً صاحَ منها : قتلتني ! قتلتني ! فقالَ الأميرُ : اغمس رأسَ العبدِ في التُّرابِ ! (قالَ) فقلتُ له : ذلك لك عليَّ ! (قال) : فغمَستُ ، واللهِ ، رأسَه في التراب ؛ ووقعَ شبيهاً بالمَغشيِّ عليهِ . فضَحِكَ الأميرُ ، حتى استلقَى ، وأمرَ لي بجائزةٍ ، وصلةٍ ، وكُسوةٍ ، وانصرفت .

بدويٌّ في عُرسٍ حضريٍّ

حدَّثَ الفضلُ بنُ العبَّاس الهاشميُّ ، من وُلدِ قُثَم[2] بنِ جعفر بنِ سليمانَ ، عن أبيه قالَ : كانَ ناهضُ بنُ نُومةَ الكِلابيُّ يفِدُ على جَدّي قُثَم ، فيمدَحُه ؛ ويَصِلُه جدّي وغيرُه . وكانَ بدوياً جافياً كأنه من الوَحشِ ، وكانَ طيّبَ الحديثِ . فحدَّثَه يوماً أنهم انتجعُوا ناحيةَ الشامِ ، فقصدَ صديقاً له ، من وُلدِ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ ، كانَ يتزِلُ حلبَ ؛ فإذا نزَلَ في ضواحيها ، أتاه فمدَحَه ؛ وكانَ بَرّاً به . وقالَ : فمرَرتُ بقريةٍ يقالُ لها قريةُ بَكرِ بنِ عبدِاللهِ الهِلاليِّ ، فرأيتُ دُوراً مُتباينةً ، وخِصاصاً[3] قد ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ . وإذا بها ناسٌ كثيرٌ مقبلون ومدبرونَ ، عليهم ثيابٌ تحكي الوانَ الزَّهرِ . فقلتُ في نفسي : هذا أحدُ العيدينِ : الأضحى او الفِطرِ . ثمَّ ثابَ إليَّ ما عزَبَ[4] عن عقلي ، فقلتُ : خرجتُ من أهلي ، في بادية البصرةِ ، في صفَرٍ ، وقد مضى العِيدان قبلَ ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟ فبينا أنا واقفٌ ، متعجّبٌ ، أتاني رجلٌ

١ ـ الختل : الخداع .

٢ ـ القثم : الكثير العطاء ، ولذلك سمّوا به . ممنوع من الصرف للعلمية والعدل عن قاثم .

٣ ـ الخصاص : ج الخُص : البيت من شعر او قصب .

٤ ـ عزب : غاب وخفيَ .

فأخذَ بيدي، فأدخلني دارًا قوراء[1]، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِدَ في وجهِهِ فَرشٌ[2]، ومُهِّدَ، وعليه شابٌّ ينالُ فروعُ شعرِه منكِبَيه، والناسُ حولهُ سِماطانِ. فقلتُ في نفسي: هذا الأميرُ الذي حُكيَ لنا جلوسُه على الناسِ[3]، وجلوسُ الناسِ بينَ يديهِ. فقلتُ، وأنا ماثلٌ بين يدَيه: السَّلامُ عليكَ، أيها الأميرُ، ورحمةُ اللهِ وبَرَكاتُه. فجذَبَ رجلٌ بيدي، وقالَ: اجلس، فإنَّ هذا ليسَ بأميرٍ! قلتُ: فما هو؟ قال: عروسٌ. فقلتُ: واثُكلَ أماه! لرُبَّ عروسٍ، رأيتُه في البادية، أهوَنَ على أهلِه. فلم أنشَبْ[4] أن دخلَ رجالٌ يحملون هَناتٍ[5] مدوَّراتٍ. أمَّا ما خَفَّ منها فيُحمَلُ حملًا؛ وأمَّا ما كَبُرَ وثَقُلَ فيُدحرَجُ. فوُضِعَ ذلك أمامَنا، وتحلَّقَ القومُ عليه حَلَقًا. ثم أُتينا بخُرَقٍ بيضٍ، فأُلقيت بين أيدينا فظَنَنتُها ثيابًا، وهَمَمْتُ أن اسألَ القومَ منها خِرَقًا أقطعُها قميصاً. وذاك أني رأيتُ نَسجاً متلاحماً لا يبينُ له سَدًى ولا لُحمةٌ. فلمَّا بسَطَه القومُ بينَ أيديهم، إذا هو يتمزَّقُ سريعاً؛ وإذا هو، فيما زعموا، صِنفٌ من الخُبزِ لا أعرفُه. ثم أُتينا بطَعامٍ كثيرٍ بينَ حُلوٍ وحامضٍ، وحارٍّ وباردٍ؛ فأكثرتُ منه، وأنا لا اعلمُ ما في عُقبِه[6] من التُّخَمِ والبَشَمِ[7]. ثم أُتينا بشرابٍ أحمرَ في غُثاءِ شَنٍّ[8]، فقلتُ: لا حاجةَ لي فيه، فإني أخافُ أن يقتلَني. وكانَ إلى جَنبي رجلٌ ناصحٌ لي، أحسنَ اللهُ جزاءَه، فإنه كانَ ينصحُ لي من بينِ أهلِ المجلسِ؛ فقالَ: يا أعرابيُّ: إنَّك قد اكثرتَ من الطعامِ؛ وإن شربتَ الماءَ هما بطنُك[9]. فلمَّا ذكَرَ البطنَ، تذكَّرتُ شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي، قالوا: لا تَزالُ حيًّا،

١. قوراء: واسعة.
٢. الفرش: المفروش من متاع البيت، تسمية بالمصدر.
٣. اراد: بجلوسه على الناس، جلوسه للقضاء والفصل في امورهم.
٤. لم: النشب: لم البث.
٥. هنات: اشياء، واحدها هَنة.
٦. العُقب: العاقبة.
٧. التخم: ج التُخمة: فساد الطعام واستحالته في المعدة الى كيفية غير صالحة ◉ البشم: الامتلاء والتقل، والتخمة من طعام دسم.
٨. الغثاء: الزبد، والبالي من ورق الشجر المتطاير لزبد السيل، وكل هذا لا يوافق المعنى، ولعل في اللفظة تحريف، وربما الاصل: غشاء شنٍّ، اي غطاء، او وعاء، بالرغم من تمتنا بالمصدر.
٩. هما: لغةٌ في همى: سالَ.

ما زالَ بطنُكَ شديدًا ، فإذا اختلفَ[1] ، فأوصِ ! فشربتُ من ذلك الشرابِ لأتداوى به ، وجعلتُ أكثرُ منه ، فلا أملُ شربَه . فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفُه من نفسي ؛ وبُكاءٌ لا أعرفُ سببَه ، ولا عهدَ لي بمثلِه ؛ واقتدارٌ على أمرٍ أظنُّ معه أني لو اردتُ نيلَ السقفِ لبلغتُه ، ولو شأوتُ[2] الأسدَ لقتلتُه . وجعلتُ ألتفتُ إلى الرجلِ الناصحِ لي ، فتحدثني نفسي بهشمِ أسنانِه ، وهشمِ[3] أنفِه . وأهمُّ أحياناً أن أشتمَه . فبينا نحنُ كذلك ، إذ هجمَ علينا شياطينُ أربعةٌ : أحدُهم قد علقَ في عُنقِه جُعبةً فارسيةً ، مسنَّجةَ[4] الطرفين ، دقيقةَ الوسطِ ، مشبوحةً[5] بالخيوطِ شبحاً منكرًا ؛ ثم بدرَ الثاني فاستخرجَ من كُمِّه هنةً سوداءَ كخُرطومِ الفيلِ ، فوضعَها في فيه ، وصوَّتَ بها صوتاً لم اسمع ، وبيتِ الله ، أعجبَ منه ؛ فاستتمَّ بها أمرُهم ؛ ثم حرَّكَ أصابعَه على أحجرةٍ[6] فيها فأخرجَ منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها ، لمَّا حرَّكَ أصابعَه ، بصوتٍ عجيبٍ ، متلائمٍ ، متشاكلٍ بعضُه لبعضٍ ، كأنه ، علمَ اللهُ ، ينطقُ . ثمَّ بدا ثالثٌ كزٌّ[7] ، مَقيتٌ ، عليه قميصٌ وسخٌ ، معه مِرآتانِ ؛ فجعلَ يصفقُ بهما بيديه احداهما على الأخرى ، فخالطَت بصوته ما يفعلُه الرجلانِ . ثمَّ بدا رابعٌ عليه قميصٌ مَصونٌ[8] ، وسَراويلٌ مَصونٌ ، وخفَّانِ أجزمانِ[9] لا ساقَ لواحدٍ منهما ؛ فجعلَ يقفزُ كأنه يثبُ على ظهورِ العقاربِ ؛ ثم التبطَ[10] به على الأرضِ ؛ فقلتُ : مَعتوهٌ ، وربِّ الكعبةِ ! ثم ما برحَ مكانه ، حتى كانَ أغبطَ القومِ عندي ؛ ورأيتُ القومَ يحذفونه بالدراهمِ حذفاً مُنكرًا . ثم أرسلَ النساءُ الينا : أن أمتِعونا

١ * اختلف : من قولهم اختلف الى الخلاء : صار به اسهال فتردد اليه .

٢ * شأى : سبقه ، واراد انه لو سبق الاسدَ في الشأو ، الامد والغاية ، او القوة .

٣ * الهشم : للاسنان : الكسرُ ، كالهشم للأنف .

٤ * مسنَّجة : مخططة .

٥ * مشبوحة : ممدودة .

٦ * احجرة : ج حجر ، وهو جمع نادر .

٧ * الكزّ : المنقبض ، الشحيح ® المقيت : الممقوت المُبغَض .

٨ * المصون : لعلها من قولهم ثوب مصون ، اي موقى من العيب ، او ربما اراد بها ثوبًا مقفلًا غير مفتوح .

٩ * الاجزم : المقطوع ، وفسر ذلك في قوله : لا ساق لواحد منهما .

١٠ * التبط به : سقط على الارض كالمغشي عليه .

من لهوكم! فبعثوا بهم ؛ وجعلنا نسمعُ أصواتهم من بعدٍ . وكانَ معنا في البيتِ شابٌ لا آبَهُ له[1] ، فعلَتِ الأصواتُ بالثناء عليه ، والدُّعاء . فخرَجَ ، فجاء بخشَبَةٍ عيناها في صدرِها ، فيها خيوطٌ اربعةٌ ، فاستخرَجَ من خِلالها عودًا ، فوضعهُ على أُذنه ، ثم عرَكَ آذانها ، وحرَّكها بخشبةٍ في يدهِ ، فنطقت ، وربِّ الكعبةِ ؛ وإذا هي أحسنُ قينةٍ رأيتُها قطُّ ؛ وغنَّى عليها ، فاطربني ، حتى استخفَّني من مجلسي . فوثبتُ ، فجلستُ بينَ يديه ، وقلتُ : بأبي انتَ وأُميا ما هذه الدَّابَّةُ ؟ فلستُ اعرفها للأعرابِ ، وما أراها خُلقَت إلَّا قريباً . فقالَ : هذا البَربَطُ[2] . فقلتُ : بأبي أنتَ وأُمي ! فما هـذا الخيطُ الأسفلُ ؟ قالَ : الزِّيرُ . قلتُ : فالذي يَليهِ ؟ قالَ : المَثنى . قلتُ : فالثالثُ ؟ قالَ : المَثلَثُ . قلتُ فالأعلى ؟ قالَ : البَمُّ[3] . فقلتُ : آمنتُ باللهِ أولًا ، وبك ثانياً ، وبالبربطِ ثالثاً ، وبالبمِّ رابعاً .

قال : فضحكَ أبي ، واللهِ ، حتى سقَطَ ؛ وجعَلَ ناهضٌ يُعجَبُ من ضَحِكهِ . ثم كانَ ، بعدَ ذلك ، يستعيدُه هذا الحديثَ ، ويُطرِفُ به إخوانه ، فيُعيدُهُ ، ويضحكون منه .

ابان بن عثمان والاعرابي

حدَّثنا بنُ زَبَنَّجٍ[4] ، قالَ : كانَ أبانُ بنُ عُثمانَ[5] من أهزلِ النَّاسِ وأعبثِهم ؛ فبينا نحنُ ذات يومٍ عندَه ، وعندَهُ أشعَبُ ، إذ أقبَلَ أعرابيٌّ ومعَه جملٌ له . والأعرابيُّ أشقرُ ازرقُ أزعرُ غَضوبٌ يتلظَّى كأنَّه أفعى ، ويَتبيَّنُ الشَّرُّ في وجهِهِ ؛ ما يَدنو منه أحدٌ إلَّا شَتَمَه ونَهَرَه . فقالَ أشعبُ لأبانَ هذا من البادية ادْعُه . فدُعِيَ وقيلَ له : إنَّ الأميرَ أبانَ بنَ عُثمانَ يَدعوكَ . فأتاهُ فسلَّمَ عليه ؛

١ * لا آبَهُ له : لا التفت اليه .

٢ * البربط : العود ، معرب بَربط بالفارسية ، ومعناه صدر الأوز لانه يشبهه .

٣ * البم ، والمثلث ، والمثنى ، والزير ، اسماء اوتار البربط .

٤ * ابن زبنج : هو احد محدثي القرن الثاني من الهجرة . كان اديبا يعرف باخبار العرب ولسبهم اخذ عن ابن هرمة وكان كاتبا في المدينة لامير ها ابان ابن عثمان .

٥ * ابان بن عثمان هو ابو سعيد ابان بن عثمان الخليفة القرشي المدني . كان من الطبقة الاولى من تابعي اهل المدينة ، سمع اباه وخلائق من التابعين . وكان من فقهاء المدينة المشهورين كبير العلم بالحديث واتفق العلماء على انهُ ثقة . تولى مدة امرة المدينة لعبد الملك بن مروان ثم عزلهُ سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) فاستعمل عوضهُ هشام المخزومي . كانت وفاتهُ سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م)

فسأله أبان عن نسبه فانتسب له ، فقال : حياك الله يا خالي ! حبيب ازداد حبًا ! فجلس . فقال له : إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان ، فلم أجده ، كما أشتهي ، بهذه الصفة ، وهذه القامة واللون والصدر والورك والأخفاف ؛ فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه . أتبيعه ؟ فقال : نعم أيها الأمير . فقال : فإني قد بذلت لك به مائة دينار ؛ وكان الجمل يساوي عشرة دنانير . فطمع الأعرابي ، وسر ، وانتفخ وبان السرور والطمع في وجهه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك[1] (يعني الطمع) ، فأوسع له مما عندك[2] ! فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة[3] . فقال له أبان : يا خالي ! إنما زدتك في الثمن على بصيرة ، وإنما الجمل يساوي ستين دينارًا ، ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا ؛ وإني أعطيك به عروضًا تساوي[4] مائة . فزاد طمع الأعرابي ، وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير . فأسر إلى أشعب فأخرج شيئًا مغطى . فقال له : أخرج ما جئت به ! فأخرج جرد عمامة[5] خز خلق تساوي أربعة دراهم . فقال له : قومها يا أشعب ! فقال له : عمامة الأمير تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ؛ خمسون دينارًا . فقال : ضعها بين يديه ؛ وقال لابن زبنج : أثبت قيمتها ! فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظًا ، ولم يقدر على الكلام . ثم قال[6] : هات قلنسوتي ! فأخرج قلنسوة طويلة ، خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن ، وتخرقت ، تساوي نصف درهم . فقال : قوم ! قال : قلنسوة الأمير تملو هامته ، ويصلي فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ؛ ثلاثون دينارًا . قال : أثبت[7] ! فأثبت ذلك

١ * هذا من اهلك واقاربك : يقول ذلك لان اشعب كان يضرب فيه المثل بالطمع .

٢ * اوسع له مما عندك : اي اره شيئا من فنونك .

٣ * بأبي انت وزيادة : هذا قول اشعب ، اي سأريه من فنوني وازيد على ما تعرف مني .

٤ * اعطيك عروضا : العروض جمع عرض هي الامتعة يقابلها النقد ، وهي الدراهم . قال ابو عبيدة : العروض الامتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا .

٥ * جرد عمامة : اي عمامة رثة . يقال ثوب جرد اي خلق بال .

٦ * الضمير يعود الى ابان .

٧ * الضمير يعود الى ابن زبنج .

ووُضِعَتِ القَلَنْسُوَةُ بينَ يَدَيِ الأعرابيِّ ، فتَرَبَدَ وجهُهُ ، وجحَظَت عيناهُ ، وهَمَّ بالوثوبِ ، ثمَّ تماسَكَ وهو مُتقلقِلٌ . ثمَّ قالَ لأشعبَ : هاتِ ما عندَكَ ! فأخرَجَ خُفَّينِ خَلَقَينِ قد نُقِبا وتَقَشَّرا وتَفَتَّقا ، فقالَ : قَوِّم ! قالَ : خِفَّا الأميرِ يطأُ بهما الرَّوضة ، ويعلو بهما المِنبَرَ ، أربعونَ دينارًا . فقالَ : ضعهما بين يديه ! فوضعهما ، ثمَّ قالَ الأعرابيِّ : اضمُم إليكَ مَتاعَكَ ! وقالَ لبعضِ الأعوانِ : اذهَب فخُذِ الجملَ ! وقالَ لآخرَ : امضِ معَ الأعرابيِّ فاقبِض منه ما بقيَ لنا عليه من ثمنِ المتاعِ وهو عشرونَ دينارًا ! فوثَبَ الأعرابيُّ ، فأخذَ القُماشَ ، فضَرَبَ به وجوهَ القومِ لا يألو في شِدَّةِ الرَّميِ به[٢] ، ثمَّ قالَ الأميرُ : أتدري ، أصلَحَكَ اللهُ ، من أيِّ شيءٍ أموتُ ؟ قالَ : لا ! قالَ : لَمْ أُدرِكْ أباكَ عُثمانَ فأشتَرِكَ واللهِ في دمِهِ إذ ولَدَ مِثلَكَ ثمَّ نَهَضَ مِثلَ المجنونِ حتَّى أخذَ برأسِ بعيرِهِ . وضَحِكَ أبانٌ حتَّى سقَطَ ، وضَحِكَ كلُّ من كانَ معَهُ . وكانَ الأعرابيُّ بعدَ ذلكَ إذا لقِيَ أشعَبَ يقولُ له : يا ابنَ الخَبيثةِ ! حتَّى أكافِئَكَ[٣] على تَقويمِكَ المتاعَ يومَ قُوِّمَ ، فيَهرُبُ أشعَبُ منه[٤] .

حِيَلُ أشعَبَ في التَّكسُّبِ

حدَّثَ يحيى بنُ محمدِ بنِ أبي قُتَيلَةَ ، قالَ : غذَّى أشعَبُ جَدْيًا بلبنِ زوجتِهِ وغيرِها ، حتى بلَغَ غايةً[٥] ، ثمَّ جاءَ به إلى اسمعيلَ بنِ جعفرِ بنِ محمدٍ ، فقالَ : باللهِ ، إنَّه لابني قد رضِعَ بلبنِ زوجتي ، حبَوتُكَ[٦] به ، ولم أرَ احدًا يستأهلُه سواكَ . قالَ : فنظرَ اسماعيلُ إلى فِتيَةٍ من الفِتيانِ ، فأمرَ به ، فذُبِحَ ، وسُبِطَ . فأقبلَ عليه أشعبُ ، فقالَ : المكافأةُ ؟ فقالَ ما عندي ، واللهِ ، اليومَ شيءٌ ، ونحنُ من تَعرفُ ، وذلكَ غيرُ فائتٍ لكَ ! فلمَّا ينسَ منه قامَ من عندِهِ ، فدخلَ على أبيهِ جعفرِ بنِ محمدٍ ، ثمَّ اندفَعَ يشهَقُ حتى التقَت أضلاعُه ، ثمَّ قالَ : أخلِني[١] ! قالَ : ما معَنا أحدٌ يسمَعُ ، ولا عينٌ[٢] عليكَ . قالَ :

٢ . لا يألو في شدة الرمي به : اي لا يقصر .

٣ . اكافئك : الجملة غير تامة يريد حتى تعال حتى اكافئك .

٤ . اشعب : رجل من المدينة ، كان مولى لعثمان بن عفان ، وكان شديد الطمع يضرب به المثل ، فيقال : اطمع من اشعب ، ولذلك يقال له : اشعب الطماع .

٥ . حتى بلغ غاية : اي غاية من السمن .

٦ . حباه : اعطاه .

١ . اخلني : اجعلني معك في خلوة .

٢ . العين : الرقيب ، الجاسوس .

وثبَ ابنُكَ إسمعيلُ على ابني فذبحَه ، وأنا انظرُ إليه . (قالَ) فارتاعَ جعفرٌ ، وصاحَ : ويلَك ! وفيمَ[٣] ؟ وتُريدُ ماذا ؟! قالَ : أمّا ما أُريدُ ، فواللهِ ، ما لي في إسمعيلَ حيلةٌ ؛ ولا يسمعُ هذا سامعٌ ابدًا بعدَكَ . فجزاه خيرًا ، وأدخلَه منزلَه ، وأخرجَ له مائتي دينار ، وقالَ له : خُذ هذه ! ولك عندَنا ما تُحبُّ . (قالَ) وخرجَ إلى اسماعيلَ لا يُبصِر ما يطأُ عليه ؛ فإذا به مترسِّلٌ في مجلسِه ؛ فلمّا رأى وجدَ أبيه[٤] نَكرَ[٥] ، وقامَ اليه . فقال : يا اسماعيلُ ، أوَ فعلتَها باشعبَ ؟ قتلتَ ولدَه ! (قالَ) فاستضحكَ وقالَ : جاءني بجَدي من صِفتِه كذا . . وخبّرَه الخَبَر ؛ فأخبَرَه أبوه ما كانَ منه ، وصارَ اليه[٦] (قالَ) فكانَ جعفرٌ يقولُ لأشعبَ : رعبتَني ، رعبَكَ اللهُ افيقولُ : رَوعةُ ابنِك ، واللهِ ، إيّاي في الجَدي أكبرُ من روعتِكَ[٧] انت في المائتي دينارٍ .

الحمار المحبوس

كانَ على المدينةِ طائفٌ يُقالُ له صَفوانُ ؛ فجاءَ الحزينُ الدّيلي[٨] إلى شيخٍ من أهلِ المدينةِ فاستعارَه حمارَه ، وذهَبَ إلى العَقيقِ[٩] فشَرِبَ ، وأقبلَ على الحمارِ وقد سَكِرَ . فجاءَ الحمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجدِ كما كانَ صاحبُهُ عوّده إيّاه . فمرَّ به صَفوانُ ، فأخذَه فحبَسَه ، وحبَسَ الحمارَ ، فأصبحَ الحمار محبوساً معَه ، فأنشأ يقولُ :

أيا أهلَ المدينةِ خبّروني ! بأيِّ جريرةٍ حُبِسَ الحمارُ ؟
فما للعَيرِ من جُرمٍ إليكُم ؟ وما بالعَيرِ إن ظُلِمَ انتصارُ !

فرَدّوا الحمارَ على صاحبِه ، وضربوا الحزين الحدَّ .

٣ * وفيمَ : اراد : وفيمَ قتله .

٤ * الوجد : الغضب .

٥ * نكر : اراد انكر ذلك منه .

٦ * اي ما كان من اشعب ، وما صار اليه من العطاء ، والمال .

٧ * الروعة الاولى في الكلام من راعه : افزعه ، والثانية من راء منه : فزع ؛ وهذا الفعل لازم ومتعد .

٨ * الديلي : هو ابو الشمقاء عمر ابن عبيد بن وهيب الديلي . هو شاعر حجازي مطبوع من شعراء الدولة الاموية ليس من الفحول ، وكان هجّاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس . توفي سنة ٧٢١م .

٩ * العقيق : هو واد واسع بناحية المدينة ، وفيه عيون ونخيل وقصور ودور ومنازل وقرى ، وعليه اموال اهل المدينة ، يبعد عنها مسافة ثلاثة اميال . والعقيق في اللغة كل هيل ماء شقه السيل في الارض ، فانهره ووسعه .

بديع الزمان الهمذاني

٩٦٧ ؟-١٠٠٧ م

هو أحمد بن الحسين ؛ كنيته ابو الفضل ، ولقبه بديع الزمان . وُلد ونشأ في همذان (١ فنسب اليها ؛ ودرس على ابي الحسين بن فارس ، فأخذ عنه جميع ما عنده ؛ ثم التحق بالصاحب بن عباد فتزوّد من ثمار ادبه . كان خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، حلو الصداقة ، مر العداوة (٢ . واشتهر بذكائه ، وسرعة خاطره ، وقوة حافظته ، وقد رويت ، في ذلك عنه ، روايات لا تخلو من المبالغة . ولّي نيسابور ، سنة ٩٩٣ ، فأملى فيها مقاماته ، وناظر ابا بكر الخوارزمي ؛ ثم استقر ، بعد ذلك ، في هراة (٣ ، فعاش فيها عيشة راضية الى ان توفي . قيل انه اصيب بسكتة ، فظن انه مات فعجّل دفنه فأفاق في قبره ، وسمع صوته ليلًا ، فنبش عنه ، فاذا هو قابض على لحيته من هول القبر وقد مات .

وشهرة البديع لا تقوم على ما له من شعر ورسائل ؛ وانما تقوم على مقاماته ، فهو اول من جاء عنه فن المقامات . ومقاماته حكايات قصيرة ، مختلفة المواضيع ، قليلة الحظ من الفن القصصي ، لان غرض البديع فيها كان التفنن في الانشاء ، وإيراد الحكم والامثال ، وتصوير شخصية بطلها ، وحيله واساليبه في التسوّل ، والكُدية (٤ ، ولذلك سماها : «مقامات الكُدية» . على ان ضعف الفن القصصي فيها لم يمنع ان يكون في بعضها ، كالمقامة المضيرية ، مثلًا ، روحًا قصصية مبتكرة ، تريك الاشخاص احياء يتردّدون في صفاتهم واخلاقهم ، ويمثلون امامك في صور ملوّنة تحسّ فيها البراعة ، والسخر ، وخفة الروح .

والبديع من المتأنقين المتصنّعين في انشائهم ، ولكن صنعته لا يمجها الذوق الادبي لما فيها من الطبع وجمال الفن وحسن التأليف ، بخلاف انشائه المتكلّف في رسائله .

١ * همذان : مدينة في شمالي فارس .

٢ * هذه النعوت لصاحب اليتيمة .

٣ * هراة : بلدة من خراسان .

٤ * الكدية : من كدّى الرجل وتكدّى تكلّف السؤال وتسوّل ، فهو مكدٍ .

آثاره

للبديع آثار شعرية ونثرية ، اهمها المقامات . ويقول الثعالبي في « يتيمته » : « انها بلغت اربعمائة مقامة » ولكن لم يعثر منها الا على احدى وخمسين . وهي كناية عن حكايات قصيرة موضوعة على لسان راوية خيالي اسمه عيسى بن هشام ، يروي مغامرات بطل وهمي اسمه ابو الفتح الاسكندري .

وقد وجدت لهذه المقامات في الاستانة نسختان خطيتان : احداهما في مكتبة ايا صوفيا ، كتبها ، احمد بن السهروردي في سنة ١٢٩٢ لخزانة الملك المعظم ظهير الدين ؛ والثانية في مكتبة النور العثماني ، وهي لا تبلغ درجة الاولى في الصحة ، ولكن فيها مقامات خلت منها الاولى ، طبعتها الجوائب في كتاب واحد سنة ١٨٨٠ . ويقول يوسف النبهاني مصحح مطبعة الجوائب : « ولم نجد في كتبها (النسختين) اسماء لهذه المقامات فسميناها بما وقع عليه الاختيار ، واقتضته المناسبة . » ثم طبعت في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ . ثم طبعتها المطبعة الازهرية في مصر سنة ١٩٢٣ مشروحة شرحاً موسعاً لمحمد محيي الدين عبد الحميد .

وقد اخترنا منها ثلاث مقامات فقط : القريضية ، والمضيرية ، والبشرية .



حدَّثنا عيسى بنُ هِشامٍ قالَ : طرَحتني النَّوى مَطارِحها[1] حتَّى إذا وَطِئتُ جُرجانَ الأَقصى[2] . فاستظهرتُ على الايام بضِياعٍ أَجلتُ فيها يَدَ العِمارَة[3] . وأموالٍ وَقَفتُها على التِّجارةِ . وحانوتٍ جعلتُه مَثابَةً[4] . ورُفقةٍ اتَّخذتُها صَحابةً . وجَعلتُ للدارِ حاشيتَيِ النَّهارِ ، وللحانوتِ ما بينَهما . فجلَسنا يوماً نَتَذاكَرُ القريضَ وأهلَهُ ، وتِلقاءَنا شابٌّ قد جَلَسَ غيرَ بعيدٍ يُنصِتُ وكأنه يَفهَم . ويسكتُ وكأنَّه لا يعلم . حتَّى اذا مالَ الكلامُ بنا مَيلَه . وجَرَّ الجدالُ فينا ذَيلَه . قالَ : قد أَصبتُم عُذَيقَه . ووافيتُم جُذَيلَه[5] . ولو شِئتُ للَفظتُ وأَفَضتُ[6] . ولو قُلتُ لاصدَرتُ وأوردتُ[7] ، وَجَلَوتُ الحقَّ في مَعرِضِ بيانٍ يُسمِعُ الصُمَّ . ويُنزِلُ العُصمَ[8] . فقُلتُ : يا فاضِلُ ادنُ فقد منَّيتَ . وهاتِ فقد أثنَيتَ[9] . فدَنا وقالَ : سلُوني أُجبكُم . واسمَعُوا أُعجِبكُم . فقلنا : ما تقولُ في امرىء القَيسِ ؟ قالَ :

١ * طرحتني النوى مطارحها : اي تقلبت بي الاسفار ◉ والنوى : الوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر ◉ والمطرح : المكان الذي يطرح به الشيء .

٢ * جرجان الاقصى : يريد مدينة الجرجانية وهي مدينة عظيمة على شاطي جيحون وقصبة اقليم خوارزم .

٣ * استظهرت على الايام بضياع : اي باقتنائه ضياع اخذت في حراثتها وعمارتها .

٤ * المثابة : المستقر والمنزل وهو في الاصل المكان الذي يثاب اليه اي يرجع اليه مرة بعد اخرى . وفي سورة البقرة : جعلنا البيت مثابة للناس واصلاً . والمراد جعلته مُجتمعاً للاحباب .

٥ * العُذيق : تصغير العذق : النخلة بحملها ◉ الجذيل : تصغير الجذل : عود ينصب للجربى من الابل لتحتك به . وفي هذا اشارة الى قول الحُباب بن المنذر : « انا عذيقها المرجّب ، وجذيلها المحكك » اي انه صاحب الامر المضروب به المثل والمرجب من الشجر المدعوم بما يمنعه من الانكسار والسقوط لثقل الحمل .

٦ * لفظت : نطقت واسترسلت واقتضت في الكلام .

٧ * اصدرت واوردت : اي لاريتكم عجائب غرائب كفى بذلك عن ايراد الماء والاصدار عنه .

٨ * العُصم : ج اعصم وهو من الوعول والظباء ما كان في ذراعيه او في احدهما بياض وكان سائره اسود او احمر ◉ وقوله : ينزل العصم لان الظباء تسكن المستوعر من الجبال يريد انه يقرب الصعب .

٩ * قد اثنيت : اي اكثرت من الثناء على نفسك .

هو أولُ من وَقَفَ بالدِّيارِ وعَرَصاتِها . واغتدى والطَّيرُ في وُكُناتِها[١] . ووصفَ الخيلَ بصفاتها . ولم يَقُلِ الشِّعرَ كاسباً ولم يُجِدِ القولَ راغباً[٢] . ففضَل من تَفتَّقَ للحيلة لسانُه . وتَنَجَّع للرَّغبة بَنانُه . قلنا : فما تقولُ في النابغة؟ قالَ : يَنْسُبُ إذا عَشِقَ . ويَثلِبُ اذا حَنِقَ[٣] ويمدَحُ إذا رَغِبَ . ويَعتذرُ إذا رَهِبَ . ولا يَرْمِي إلّا صائباً قلنا : فما تقول في زُهَيرٍ ؟ قالَ : يُذيبُ الشعرَ والشِّعرُ يُذيبُه[٤] ويَدعو القولَ والسِّحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقولُ في طَرَفَةَ؟ قالَ : هُو ماءُ الأشعارِ وطينتُها[٥] . وكَنْزُ القوافي ومَدينتُها . ماتَ ولَم تَظهَرْ أسرارُ دَفائنه . ولم تُفتَح أغلاقُ خزائنه قلنا : فما تقولُ في جَريرٍ والفَرَزدَق . وأيُّهما أسبقُ ؟ فقالَ : جريرٌ أرَقُّ شِعراً . وأغزَرُ غَزراً[٦] . والفرزدقُ أمتنُ صخراً . وأكثرُ فخراً وجريرٌ أوجعُ هجواً وأشرف يوماً[٧] . والفرزدقُ أكثرُ رَوماً[٨] وأكرمُ قوماً . وجريرٌ إذا نَسَبَ أشجى[٩] وإذا ثَلَبَ أردى . وإذا مدَحَ أسنَى . والفرزدق اذا افتخَرَ اجزى[١٠] . وإذا احتقَرَ أزرى . وإذا وَصَفَ أوفى . قلنا : فما تقولُ في المحدَثينَ منَ الشعراء والمُتقدِمين منهم ؟ قالَ : المُتقدِّمون أشرفُ لفظاً . واكثرُ من المعاني حظّاً . والمُتأخرون الطفُ صُنعاً وأرقُّ نسجاً . قلنا : فلو أريتَ من اشعارك . ورَويتَ لنا من أخبارِك . قالَ : خُذهما في مَعرِضٍ واحدٍ ، وقالَ :

١ . اشارة الى مطالع قصائد امرىء القيس بها يذكر الديار وطللها البالي ◉ وقوله : اغتدي والطير في وكناتها : لمام بقوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل

٢ . لم يجد القول راغباً : لم يحسن صياغة شعره رغبة في المال فقاق من ينطقون بالشعر توسلا للمعاش وزاد فضله مع ذلك على من تقصد ابوابهم . يقال : انتجع فلان فلانا : اي اتاه طالباً معروفه .

٣ . يثلب اذا حنق : اي اذا نقم على احد يعيبه وينتقصه .

٤ . يذيب الشعر والشعر يذيبه : يريد باذابة الشعر حسن سبكه واستيفاء شروطه ◉ وقوله : والشعر يذيبه : اي يهزله وينهك قواه كانه يمتص قريحة عقله

٥ . ماء الاشعار وطينتها : الماء كناية عن رونق شعره ، والطينة عن متانته .

٦ . اغزر غزرا : اي اغزر قريحة والغزر مصدر من قولهم : غزرت الناقة والماشية تغزر اذا كثرت البانها .

٧ . اشرف يوما : اي ان جريرا ادل على شرف قومه اذا ذكر ايامهم .

٨ . اكثر روما : الروم مصدر رام اي طلب . اي هو ادرك لمطالب الشرف لقومه . ووردت هذه اللفظة في نسخة الجوالب : اكثر رويا .

٩ . اذا نسب اشجى : اي اذا دار شعره على النسيب والمعاني الرقيقة أطرب رهيج العواطف .

١٠ . اجزى : اي اغنى فخره عن كل فخر سواه .

أَمـا تَرونِي أَتقَشَّى طِمرا ، مُتَطيّاً في الضُّرِّ أَمرًا مُرًّا؟ (١)
مُنطوياً على اللَّيـالي غِمرا ، مُلاقياً منهـا صُروفاً حُمرا؛ (١)
أقصى أمـانيَّ طُلوعُ الشِّعرى ؛ فقد عُنينا بالامـاني دَهرا، (٢)
وكانَ هذا الحُرُّ أعـلى قَدرا ، وما هذا الوجهِ أغلى سِعرا. (٤)
ضربتُ للسِرِّ قِبـاباً خُضرا ، في دَارِ دَارَا وإوانِ كِسرى؛ (٥)
فانقلَبَ الدّهرُ لبَطنٍ ظَهرا ، وعادَ عُرفُ العيشِ عندي نُكرا، (٦)
لم يُبقِ من وَفريَ إلّا ذِكرا ؛ ثُمَّ إلى اليومِ هَلُمَّ جَرّا. (٧)
لولا عجوزٌ لي بِسُرَّ من رآ ، وأفرُخٌ دونَ جبالِ بُصرى، (٨)
قد جلب الدهر عليهم ضُرّا ؛ قتلتُ يا سادة نفسي صَبرا.

قالَ عيسى بنُ هشام : فأَنلتُه ما تاحَ . وأعرَضَ عنا فراحَ . فجعَلتُ أنفيه

١ * اتقشى طمرا : الطمر الثوب البالي . اي تلفع به وتغطى ◉ وقوله : ممتطيا امرا مرا : اي راكبه . وهذا كناية عن ستوطه في البلاء والحاجة .

٢ * منطوياً على الليالي غمرا : اي ابيت ليلي على الطوى والجوء كالمَغل ◉ والغمر مثلث الغاء الذي لم يجرّب الامور والجاهل والاحمق ◉ والصروف الحمر : البلايا الشديدة . ويروى : مضطمناً على الليالي غمرا : اي حاملاً في ضمنه دون ابطه ، حقدا ◉ الغمر : الحقد .

٣ * اقصى اماني طلوع الشعرى : وذلك ان الشعرى تطلع في الصيف فتمنى طلوعها ليتخلص من ضنك الشتاء . والشعرى شعريان الشامية واليمنية ؛ فالشامية سميت بذلك لانها تغيب في شق الشام ، وهي ابهى نجوم الكلب الاصغر ، وتسميها ايضا العرب الشعرى الغميصاء لان عندهم الشعرى اخت سهيل ، وانه لما عبرت الشعرى اليمانية المجرّة الى الجنوب وناحية سهيل بقيت هذه في الناحية الشرقية الشمالية من المجرة فبكت على سهيل حتى غمصت عيناها ، والشعرى اليمنية هي النيرة العظيمة من الكلب الاكبر . وتسميها العرب الشعرى العبور لانها قد عبرت على زعمهم المجرّة الى ناحية الجنوب . وذلك انهم يزعمون ان الشعريين هما اختا سهيل وان سهيلا اخاهما غرّهما الجوزاء ثم تعدّى عليها وكسر ظهرها فهرب نحو الجنوب خوفاً من ان يطلب بدم الجوزاء فعبرت اليه الشعرى اليمنية فسميت العبور . وتسمى باليمنية أو اليمانية لان مغيبها في شق اليمن ◉ وعنينا بالاماني دهرا : كناية عن التململ بالاماني .

٤ * يقول انه كان قبلا رجلا شريفاً عالي القدر يصون ماء وجهه .

٥ * السر زوجته ... والثياب الخضر : سرر خدرها .

٦ * انقلب الدهر لبطن ظهرا : كني ببطن الدهر عن حسن حاله ، وبظهره عن سوء حاله ◉ عرف العيش : رغده ◉ ونكره دهاره وشدّة امره ، اي ارافي الدهر الشدّة بعد الرخاء .

٧ * ثم الى اليوم هلم جرّا : اي قس على ذلك ◉ هلم : اسم فعل بمعنى تعال ◉ وجرّا : مصدر جرّ اي سحب ، وهو مفعول مطلق محذوف العامل اي جرّ جرّا ، او يكون نصبه على الحالية لتأويل الصفة اي هلم جارّا .

٨ * من را : هذا تخفيف سرّ من رأى ◉ وتسمى سامرّا ◉ وقوله : افرخ دون جبال بُصرى : اي صغار تركتهم قرب جبال بصرى .

وأثبتُه[١]. وأنكرُه وكأني أعرفُه. ثمّ دلّتني عليه ثناياه[٢]. فقلتُ: الاسكندريُّ وَاللهِ. فقد كانَ فارَقَنا خِشفاً. ووافانا جِلفاً[٣]. ونهضتُ على إثرِه. ثمّ قبضتُ على خَصرِه، وقلتُ: ألستَ أبا الفَتح ألم نُرَبِّك فينا وليداً، ولَبثتَ فينا من عُمرِك سِنين. فأيّ عجوزٍ لك بِسُرَّ مَن رَا؟ فضَحِك إليّ وقالَ:

ويحك! هذا الزّمانُ زُورُ؛ فـلا يَغُرَّنك الغُرورُ؛
لا تَلتزِم حالةً، ولكن، دُرْ باللّيالي كما تدُورُ.

المقامةُ المَضِيريّةُ

حدَّثنا عيسى بنُ هِشام، قالَ: كنتُ بالبصرةِ، ومعي أبو الفَتحِ الاسكندريُّ، رجلُ الفصاحةِ، يدعوها فتجيبُه، والبلاغةِ، يأمُرُها فتُطيعُه. وحضَرنا معَه دعوةَ بعضِ التُّجّارِ، فقُدِّمت الينا مضيرةٌ[٤] تُثني على الحَضارةِ[٥]، وتتَرجرَجُ في الغَضارةِ[٦]، وتُؤذِنُ بالسَّلامةِ، وتَشهَدُ لمعاويةَ، رحِمهُ اللهُ، بالإمامةِ[٧]؛ في قَصعةٍ يَزِلُّ عنها الطَّرفُ، ويموجُ فيها الظَّرفُ. فلمّا اخذَتْ من الخُوانِ مكانَها، ومن القلوبِ اوطانَها، قام أبو الفتحِ الاسكندريُّ يَلعَنُها وصاحِبَها، ويَمقُتُها[٨] وآكلَها، ويَثلِبُها[٩] وطابخَها. وظنَنّاه يَمزَحُ، فإذا الأمرُ بالضِدِّ؛ وإذا المِزاحُ عينُ الجِدِّ. وتنحّى عن الخُوانِ وتركَ مُساعدةَ الإخوانِ.

١ * انفيه واثبته: اي انفي تارة معرفته وتارة التحقق معرفته.

٢ * دلتني عليه ثناياه: اي عاقبة امره وعرض حاجته علينا. او تكون الثنايا بمعنى الاضراس الاربعة المحددة التي في مقدم الفم.

٣ * الخشف: ولد الظبي اوّل مشيه. والجلف: الغليظ الجافي، اي فارقنا انيساً خفيفاً على القلب فرجع جافياً.

٤ * المضيرة: لحم يطبخ بالدبن المضير، اي الحامض، وربما خلط بالحليب واضيف اليه التوابل والابزار.

٥ * اراد بقوله: تثني على الحضارة، انها تدل على ان اهل الحضر اقدر في صنعها من البدو، فتشهد لهم بذلك.

٦ * الغضارة: القصعة الكبيرة.

٧ * قوله: تشهد لمعاوية بالامامة، اشارة الى طعام معاوية الذي كان جلساؤه يقولون عنه انه دسم، ولم يشابهه في امامته، حال حياة علي بن ابي طالب الا مريدوه فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعي التنافر حوله.

٨ * يمقتها: يظهر بغضه لها.

٩ * يثلبها: يعيبها.

ورَفعناها ، فارتفَعَت معَها القلوبُ ، وسافرَت خَلفَها العيونُ ، وتحلَّبَت[1] لها الأفواهُ وتلمَّظَت[2] لها الشِفاهُ ، واتَّقدَت لها الأكبادُ ، ومضى في إثرِها الفؤادُ . ولكنّا ساعدناه على هَجْرِها[3] ، وسألناه عن أمرِها ، فقالَ : قِصَّتي معَها أطولُ من مُصيبتي فيها . ولو حدَّثتُكم بها لم آمَنِ المَقتَ ، وإضاعةَ الوقتِ . قلنا : هاتِ ! قالَ :

دعاني بعضُ التُّجّارِ الى مضيرةٍ ، وأنا ببغداد ، ولَزِمني مُلازمةَ الغريمِ[4] ، والكلبِ لأصحابِ الرَّقيمِ[5] . إلى ان أجبتُه اليها ، وقُمنا ، فجَعَلَ ، طولَ الطَّريقِ ، يُثني على زوجتِه ، ويُفَدّيها بمُهجتِه ، ويَصِفُ حِذقَها في صَنعتِها ، وتأنُّقَها في طبخِها ، ويقولُ : يامولايَ ، لو رأيتَها ، والخِرقةُ[6] في وَسطِها ، وهي تدورُ في الدُّورِ ، من التَّنُّورِ إلى القُدورِ ، ومنَ القدورِ إلى التَّنُّورِ ؛ تَنفُثُ[7] بفِيها النارَ ، وتَدُقُّ بيدَيها الأبزارَ[8] . ولو رأيتَ الدُّخانَ ، وقد غبَّرَ في ذلك الوَجهِ الجميلِ ، وأثَّرَ في ذلك الخَدِّ الصَّقيلِ ، لرأيتَ مَنظَرًا تحارُ فيه العيونُ ! وأنا أعشَقُها لأنَّها تعشَقُني ؛ ومن سعادةِ المرءِ أن يُرزَقَ المساعدةَ من حليلتِه ، وأن يُسعَدَ بظعينتِه ،[9] ولا سيَّما إذا كانت من طينتِه[10] . وهي ابنةُ عمي لحًّا[11] ؛ طِينتُها طِينَتي ، ومدينتُها مَدينتي ، وعُمومتُها عمومتي ، وأرومتُها[12] أرومتي . لكنَّها أوسعُ مني خُلقًا ، وأحسنُ خَلقًا .

وصدَعَني[13] بصِفاتِ زوجتِه ؛ حتى انتهينا إلى محلّتِه . ثمَّ قالَ : يامولايَ ،

١ * تحلَّب الفم : سال لعابه .

٢ * التلمظ : ان يخرج الانسان لسانه بعد الاكل والشرب ليمسح به شفتيه .

٣ * هجرها : تركها .

٤ * الغريم : الدائن .

٥ * اصحاب الرقيم : اصحاب الكهف كانوا سبعة ، وكان ثامنهم كلبهم ولم يكن يفارقهم .

٦ * الخرقة : ما يضعه الطاهي على صدره تقية للوسخ والدهن ، ورشاش الطعام ، وهي ما نسميه بالمريلة ، (المريول – الفوطة) .

٧ * تنفث : تنفخ .

٨ * الابزار : ما يوضع على الطعام لتطييب نكهته كالفلفل والقرنفل ونحوهما .

٩ * الظعينة : المراة ما دامت في الهودج ، واراد بها هنا المراة مطلقا .

١٠ * اراد بالطينة : المنبت ، اي ان طينهما مشتركان في المنبت .

١١ * لحًّا : قرابة متصلة ملتصقة .

١٢ * الارومة : الاصل .

١٣ * وصدعني : الصدع : الشق ، واراد : لهكني وأجهدني وضايقني

تَرى هذه المَحلَّةَ ؟ هي أشرفُ محالِّ بغدادَ ؛ يتنافسُ[1] الأخيارُ في نُزولِها ، ويتغايرُ[2] الكبارُ في حُلولِها . ثم لا يسكنُها غيرُ التُجَّار ؛ وإنَّما المرءُ بالجارِ . وداري السِّطَةُ[3] من قِلادتِها ، والنُّقطةُ من دائرتِها . كم تقدِّرُ ، يا مولايَ ، أُنفِقَ على كلِّ دارٍ منها ؟ قُلْه تخميناً إن لم تعرفه يقيناً . قلتُ : كثيرٌ ! فقالَ : يا سُبحانَ اللهِ ! ما اكبرَ هذا الغلطَ ! تقولُ : الكثيرَ ، فقط ! وتنفَّسَ الصُّعَداءَ ؛ وقالَ : سبحانَ من يعلمُ الأشياءَ .

وانتَهينا إلى بابِ داره ، فقالَ : هذه داري . كم تقدِّرُ ، يا مولاي ، انفقت على هذه الطَّاقةِ[4] ؟ انفقتُ ، واللهِ ، عليها فوقَ الطَّاقةِ ، ووراءَ الفاقةِ . كيف تَرى صَنعَتَها وشكلَها ؟ أرأيتَ ، باللهِ ، مثلَها ؟ أنظُر إلى دَقائقِ الصَّنعةِ فيها ، وتأمَّل حسنَ تَعريجِها ! فكأنَّما خُطَّ بالبِركارِ ! وانظُر الى حِذقِ النَّجَّارِ في صَنعةِ هذا البابِ ! اتَّخَذَه من كم ؟ قُل ! ومن أينَ ؟ اعلَم ! هو ساجٌ[5] من قِطعةٍ واحدةٍ ، لا مَأروضٌ[6] ولا عَفِنٌ . إذا حُرِّكَ أنَّ ؛ وإذا نُقِرَ طَنَّ . من اتَّخَذَه يا سيِّدي ؟ اتَّخَذَه ابو إسحقَ بنُ محمدٍ البصريُّ ؛ وهو ، واللهِ ، رجلٌ نظيفُ الأثوابِ ؛ خفيفُ اليدِ في العملِ . للهِ درُّ ذلكَ الرجلِ ! بحياتي لا استعنتَ الَّا به على مثلِه ! وهذه الحلقةُ ، تَراها ؟ اشتريتُها في سوقِ الطَّرائفِ ، من عِمرانَ الطَّرائفيِّ بثلاثةِ دنانيرَ مُعزِّيةٍ[7] . وكم فيها ، يا سيدي ، من الشَّبهِ ؟ فيها ستَّةُ ارطالٍ ؛ وهي تدورُ بلَولبٍ في البابِ . باللهِ ، دَوِّرها ! ثم انقُرها وأبصِرها ! وبحياتي عليك ، لا اشتريتَ الحلقَ إلَّا منه ! فليسَ يَبيعُ إلا الأعلاقَ[8] .

ثم قرَعَ البابَ ، ودَخلنا الدِّهليزَ ، وقالَ : عمَّرَكِ اللهُ ، يادارُ ! ولا خرَّبكِ

١ * يتنافسون : يتبارون ويتزايدون .

٢ * يتغاير الكبار في نزولها : يغير بعضهم بعضاً ، اي يثير غيرته من نزوله فيها .

٣ * السطة : مصدر وسط القوم قعد وسطهم وهي من القلادة والعقود النفس ما يكون من الجواهر الواسطة فكأنه يقول انه يقطن اشرف نقطة المحلة .

٤ * الطاقة : الناقدة ، مولدة ، سميت كذلك لاستدارتها والعطافها كالطوق .

٥ * الساج : ج الساجة : نوع من الشجر الهندي كبير ، ويطلق على الخشب كله .

٦ * مأروض : اي اصابته الأرضة ، السوسة .

٧ * المعزية : نسبة الى المعز لدين الله ، وسوق الطرائف محلة كانت في بغداد .

٨ * الاعلاق : ج العلق : النفيس من كل شيء .

يا جدارُ ! فما أمتَنَ حيطانَك ! وأوثقَ بُنيانَك ! وأقوى أساسَك ! تأمّل ، بالله ، مَعارجَها[١] ، وتبيّن دَواخلَها ، وخوارجَها ! وسَلني : كيفَ حَصّلتُها ؟ وكم من حِيلةٍ احتَلتُها ، حتّى عقدتُها[٢] ؟ كان لي جارٌ يُدعى ابا سُلَيمانَ يَسكُنُ هذه المحلّةَ ، وله ، من المالِ ، ما لا يَسَعُهُ الخزنُ ، ومن الصامتِ[٣] ، ما لا يحصُرُه الوزنُ . ماتَ رَحِمَهُ اللهُ ، وخلّفَ خلَفاً أتلَفَه بين الخمرِ والزَمرِ ، ومزّقه بينَ النَردِ والقَمرِ[٤] . وأشفقتُ[٥] أن يسوقَه قائدُ الاضطرار ، إلى بيعِ الدّارِ ، فيبيعُها في الضَجَرِ ، أو يَجعلُها عُرضةً للخطَرِ . ثم أراها ، وقد فاتَني شِراها ، فانقطَعُ عليها حسراتٍ ، إلى يومِ المماتِ . فعَمَدتُ إلى أثوابٍ لا تَنِضُ[٦] تجارتُها ، فحملتُها إليه ، وعرَضتها عليه ، وساومتُه على أن يشتريَها نسيئةً[٧] ، والمدبّرُ[٨] يحسِبُ النسيئةَ عطيّةً ، والمتخلّفُ[٩] يعتدُّها هديّةً . وسألتُه وثيقةً بأصلِ المالِ ، ففعلَ وعقدَها لي . ثم تغافلتُ عن اقتضائه ، حتى كادت حاشيةُ حالِه تَرِقُّ ، فأتيتُه ، فاقتضيتُه ، واستمهَلَني ، فانظَرتُه[١٠] ، والتمَسَ غيرَها من الثيابِ ، فاحضَرتُه ، وسألتُه ان يجعَلَ دارَه رهينةً لديّ ، ووثيقةً في يـديّ ، ففعلَ . ثمّ درّجتُه بالمعاملاتِ إلى بيعِها ، حتّى حصَلَت لي بجَدِّ[١١] صاعدٍ ، وبَختِ مساعدٍ ، وقوّةِ ساعدٍ ، وربَّ ساعٍ لقاعدٍ ! وأنا ، بحمدِ اللهِ ، مجدودٌ[١٢] في مثلِ هذه الأحوالِ . وحسبُكَ يا مولايَ ، أني كنتُ منذُ ليالٍ نائماً في البيتِ ، مع مَن فيه ، إذ قُرِعَ علينا البابُ ، فقلتُ : من الطّارقُ المُنتابُ[١٣] ؟ فإذا امرأةٌ عليها عِقدُ لآلٍ ، في جِلدةٍ

١ * المعارج : جمع المعرج ، والمعراج : السلّم ، والمصعد .

٢ * عقدتها : اي عقدت شراءها .

٣ * الصامت : المال من الذهب والفضة ونحوهما من المعادن والجوهر ، ويقابله الناطق وهو المال من الحيوان .

٤ * القمر : المقامرة .

٥ * اشفقت : خفت .

٦ * لا تنضّ : تكسد .

٧ * النسيئة : التأجيل في دفع الدين .

٨ * المدبّر : المالك الذي يعتق المملوك بعد موته .

٩ * المتخلف : المتأخر ، ويريد به المتأخر عن دفع ما استحق عليه من دين .

١٠ * انظره : أمهله .

١١ * الجد : الحظ .

١٢ * المجدود : المحظوظ .

١٣ * المنتاب : اسم فاعل من الانتياب : اتاه مرة بعد مرة واراد به هنا الطارق ليلاً

ماء ورقةِ آلٍ[١]، تعرِضُه للبيعِ. فأخذتُه منها أخذةَ خلسٍ، واشتريتُه بثمنٍ بَخسٍ؛ وسيكونُ له نفعٌ ظاهرٌ، وربحٌ وافرٌ، بعونِ اللهِ، ودولتِك. وانّما حدّثتُك بهذا الحديثِ، لتعلَمَ سعادةَ جدّي في التجارةِ، والسّعادةُ تُنبطُ الماءَ من الحجارةِ. اللهُ اكبرُ! لا يُنبئُك أصدقُ من نفسِك، ولا أقربُ من أمسِك! اشتريتُ هذا الحصيرَ في المُناداةِ[٢]، وقد أُخرجَ من دُورِ آلِ الفُراتِ[٣]، وقت المصادراتِ، وزمنِ الغاراتِ. وكنتُ اطلُبُ مثلَه منذُ الزّمنِ الأطولِ فلا أجدُ، والدّهرُ حُبلى ليسَ يُدرى ما يَلِدُ. ثمّ اتّفقَ أني حضرتُ بابَ الطّاقِ[٤]، وهذا يُعرَضُ في الأسواقِ، فوزنتُ فيه كذا وكذا دينارًا. تأمّل، بالله، دِقّتَه ولِينَه وصَنعَه ولونه! فهو عظيمُ القدرِ، لا يقعُ مِثلُه إلّا في النّدرِ! وإن كنتَ قد سمعتَ بابي عِمرانَ الحصيريّ، فهو عملُه؛ وله ابنٌ يَخلُفُهُ الآنَ في حانوتِه، لا يوجدُ أعلاقُ الحُصرِ إلا عندَه. فبحياتي، لا اشتريتَ الحُصرَ إلّا من دكانِه! فالمؤمنُ ناصحٌ لإخوانِه، لا سيّما من تحرّمَ بِخُوانِه[٥].

ونعودُ إلى حديثِ المضيرةِ، فقد حان وقتُ الظّهيرةِ. يا غلامُ، الطَّستَ والماءَ. فقلتُ: اللهُ أكبرُ! ربّما قرُبَ الفرَجُ، وسهُلَ المَخرَجُ! وتقدّمَ الغلامُ، فقالَ: تَرى هذا الغلامَ؟ إنه رومِيُّ الأصلِ، عراقيُّ النَشْءِ. تقدّم يا غلامُ، واحسِر عن رأسِك، وشمّر عن ساقِك، وانضِ[٦] عن ذراعِك، وافتِرّ[٧] عن اسنانِك، وأقبِل، وأدبِر. ففعَلَ الغلامُ ذلك. وقالَ التّاجرُ: باللهِ، من اشتراه؟ اشتراه ابو العبّاسِ، من النّخّاسِ. ضعِ الطّستَ، وهاتِ الابريق. فوضعَه الغلامُ؛ وأخذَه التاجرُ، وقلّبه وأدارَ فيه النّظرَ، ثم نقرَه، فقالَ: انظُر إلى هذا الشّبَهِ، كأنّه جُذوةُ اللّهَبِ، أو قِطعةٌ من الذّهبِ! شَبَهُ الشامِ، وصَنعةُ

١. الآل: ما يبدو من السراب، وكفى بجلدة الماء ورقة الآل عن صفاء اللألاء ولمعانها.

٢. في المناداة: في سوق التزايد.

٣. آل الفرات: اسرة مشهورة تولى احد افرادها علي بن محمد بن موسى الوزارة للمقتدر بالله العباسي، ثم لكبه المقتدر وصادره على اموالة سنة ٩٣٦م.

٤. باب الطاق: من ابواب بغداد. وقد ذكره الشعراء كثيرًا في شعرهم.

٥. تحرّم: تمشم، واراد بقوله: تحرّم بخوانه: انه اكل من طعامه فاصبح في ذمته، لا يغشه ولا يخدعه بل يوليه النصح ويوضح له الامر.

٦. انضِ: ازِرْ، واخلع، واكشف.

٧. افتر: ابتسم حتى تنكشف اسنانك.

العراق ! ليس من خُلقانِ الأعلاقِ ! قد عرفَ دورَ الملوكِ ودارَها[1] ! تأمل حُسنَه ! وسلني : متى اشتريتُه ؟ اشتريتُه ، واللهِ ، عامَ المَجاعةِ ، وادَّخرتُه لهذه الساعة . يا غلامُ ، الابريقَ ! فقدَّمه . وأخذَه التاجرُ ، فقلَّبه ؛ ثم قالَ : وأنبوبُه[2] منه ! لا يَصلُحُ هذا الإبريقُ إلَّا لهذا الطَّستِ ؛ ولا يَصلُحُ هذا الطَّستُ إلَّا معَ هذا الدَّستِ[3] ؛ ولا يحسُنُ هـذا الدَّستُ إلا في هذا البيتِ ؛ ولا يجمُلُ هذا البيتُ إلَّا معَ هذا الضَّيفِ .

أرسِلِ الماءَ ، يا غلامُ ، فقد حانَ وقتُ الطَّعامِ . باللهِ ، تَرى هذا الماءَ ما أصفاه ! ؟ أزرقُ كعينِ السِّنَّورِ ؛ وصافٍ كقضيبِ البِلُّورِ ! استُقِيَ من الفُراتِ ، واستُعملَ بعدَ البَياتِ[4] ؛ فجاءَ كلسانِ الشَّمعةِ ، في صَفاءِ الدَّمعةِ . وليسَ الشأنُ في السَّقاءِ الشَّأنَ في الإناءِ ! لا يدُلُّكَ ، على نظافةِ اسبابه ، أصدقُ من نَظافةِ شَرابه .

وهذا المِنديلُ ؟ سَلني عن قِصَّتِه ! فهو نَسجُ جُرجانَ ، وعَملُ أرَّجانَ . وقَعَ إليَّ ، فاشتريتُه ؛ فاتَّخذت امرأتي بعضَه سَراويلًا ، واتَّخذت بعضَه منديلًا . دخلَ في سراويلها عشرون ذِراعاً ، وانتزَعتُ من يدِها هذا القَدرَ انتزاعاً ؛ وأسلمتُه الى المطرِّزِ حتى صَنعَه كما تراه ، وطرَّزَه . ثمَّ رَددتُه من السُّوقِ ، وخزَنتُه في الصُّندوقِ ، وادَّخرتُه للظِّرافِ ، من الأضيافِ ، لم تُذِلَّه[5] عربُ العامَّةِ بأيديها ، ولا النِّساءُ لمآقيها ؛ فلكلِّ عِلقٍ يومٌ ، ولكلِّ آلةٍ قومٌ . يا غلامُ ، الخُوانَ ، فقد طالَ الزَّمانُ ؛ والقِصاعَ ، فقد طالَ المِصاعُ[6] ؛ والطَّعامَ ، فقد كثُرَ الكَلامُ .

فأتى الغلامُ بالخُوانِ ، وقلَّبه التاجرُ على المكانِ ، ونقَرَه بالبَنانِ ، وعَجَمَه[7] بالاسنانِ ، وقالَ : عمَّرَ اللهُ بغدادَ ! فما أجودَ مَتاعَها ، وأظرفَ صُنَّاعَها !

١ * دارها : طاف بها ، والاصل دار بها عدَّاه بنزع الخافض .

٢ * انبوب : الابريق : المكان الذي ينزل منه الماء .

٣ * الدست : صدر الدار ، المهيأ لاستقبال الضيوف .

٤ * البيات : اي بعد ان برّد في الماء ليلًا .

٥ * اراد بقوله : تذله العامة ، انه محفوظ لم يستعمله احد فيهان ، فكانه جعل استعمال غير الظراف له ، مذلة وهوانا ، ومسح النساء دموعهن به حقارة له .

٦ * المصاع : الجدال ، والقتال .

٧ * عجمه : عضه ليختبره .

٢٩٨ ـــــــ

قِدْرُها ؟ وأجّجت نارُها ؟ ودُقّت أبزارُها ؛ حتّى أجيدَ طَبخُها ، وعُقِدَ مَرَقُها ؟ وهذا خَطبٌ يطُم[1] ؛ وأمرٌ لا يَتِمّ[2] !

فقمتُ . فقالَ : اينَ تريدُ ؟ فقلتُ : حاجةً أقضيها . فقالَ : يا مولاي ، تريدُ كنيفاً يُزري بربيعي[3] الأمير ، وخريفيّ الوزير ؟ فقد جُصِّصَ[4] أعلاه ، وصُهرِجَ أسفلُه ، وسُطِحَ سقفُه ، وفُرِشت بالمرمرِ أرضُه ؟ يَزِلُّ عن حائطِه الذَّرُّ ، فلا يَعلَقُ ؛ ويَمشي على أرضِه الذُّبابُ فيَزلَقُ ؟ عليه بابٌ غِيرانُه[5] من خليطَي ساجٍ وعاجٍ ، مزدوجينِ أحسنَ ازدواجٍ ؛ يَتَمَنّى الضَّيفُ أن يأكُلَ ! فقلتُ : كُلْ ، أنتَ ، من هذا الجِرابِ ؛ لم يكنِ الكنيفُ في الحسابِ . وخرجت نحو البابِ ، وأسرعتُ في الذّهابِ ؛ وجَعلتُ أعدو ، وهو يَتبَعُني ، ويَصيحُ : يا أبا الفَتحِ ، المضيرةَ ! وظَنَّ الصِّبيانُ أن المضيرةَ لقَبٌ لي ، فصاحوا صياحَه ! فوميتُ احدَهم بحَجَرٍ ، من فرطِ الضَّجَرِ ، فلقِيَ رجلٌ الحَجَرَ بعِمامتِه ، فغاصَ في هامتِه . فأُخِذتُ ، من التّعالِ ، بما قدُم وحدُثَ ؛ ومن الصَّفعِ ، بما طابَ وخبُثَ ؛ وحُشِرتُ إلى الحَبسِ ، فأقمتُ عامينِ في ذلكَ النَّحسِ . فنَذَرتُ أن لا آكلَ مضيرةً ما عِشتُ ! فهل أنا في ذا ، يا آلَ همذانَ ، ظالمٌ ؟

قالَ عيسى بنُ هِشامٍ : فقبِلنا عُذرَه ، ونَذَرنا نَذرَه ؛ وقلنا : قديماً جنَتِ المَضيرةُ على الأحرارِ ، وقدَمتِ الأراذِلَ على الأخيارِ .

المقامة البشريّة[6]

حدَّثنا عيسى بنُ هشامٍ ، قال : كانَ بِشرُ بنُ عَوانةَ العبديُّ صُعلوكاً[7] ؛ فأغارَ على ركبٍ فيهم امرأةٌ جميلةٌ فتزوّجَ بها ، وقالَ : ما رأيتُ كاليومِ ! فقالت :

١ * يطم : يشتد ويعظم .

٢ * يزيد : الأمر لا يستطيع تحمله ، فهو سيهرب وينجو من حصوله .

٣ * الربيعي : المكان يقام فيه في الربيع ، وكذلك الخريفي الذي يقام فيه في الخريف .

٤ * جصص : طلي بالجص ، الجبس او الكلس .

٥ * غيرانه : الفواصل بين الواحه .

٦ * هذه المقامة موضوعة في طبيعة الجوانب بين الملح التي رواها البديع ، لا بين المقامات .

٧ * الصعلوك : الفقير المعدم ، والذي تأباه النفس وتمجه ، ثم سموا به كلا من ذؤبان العرب ولصوصها ، لان الفقر كثيراً ما كان يحملهم على السرقة ، فصار معنى الصعلوك : اللص الفاتك .

٣٠٠ ـــــــ

مَهْرًا[١] ؛ ولا أرضاها إلَّا من نوقِ خُزاعةَ[٢]. وغَرَضُ العمِّ كانَ أن يسلُكَ بِشرٌ الطَّريقَ بينه وبينَ خُزاعةَ ، فيفترسَه الأسدُ ؛ لأنَّ العربَ قد تحامَت[٣] عن ذلك الطريقِ : وكانَ فيه أسدٌ يُسمَّى داذًا ، وحيَّةٌ تُدعى شُجاعًا ، يقولُ فيهما قائلهم :

أفتكُ[٤] من داذٍ ومن شجاعِ ؛ إن يكُ داذٌ سيِّدَ السِّباعِ ،
فإنها سيدةُ الأفاعي .

ثم إن بِشرًا سلكَ ذلك الطريقَ ؛ فما نصَفَه[٥] ، حتى لقِيَ الأسدَ ، وقَمَصَ[٦] مُهرَهُ ؛ فنزلَ وعقرَه[٧] . ثمَّ اخترطَ سيفَه إلى الاسدِ[٨] ، واعترضَه ، وقطَّه[٩] ؛ ثم كتَبَ بدمِ الأسدِ على قميصِه إلى ابنةِ عمِّه :

أفاطمُ لو شَهِدتِ ببَطنِ خَبتٍ ، وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشرا ،[١٠]
إذًا ، لرأيتِ لَيثًا أمَّ لَيثًا ، هِزَبْرًا أغلبًا ، لاقى هِزَبرا .
تبهنَسَ ، ثمَّ أحجَمَ عنه مُهري ، محاذرةً ؛ فقلتُ : عُقِرتَ مُهرا ![١١]
أنِل قَدَمَيَّ ظَهرَ الأرضِ ، إنِّي رأيتُ الأرضَ أثبتَ منك ظهرا .
وقلتُ لـه ، وقد أبدى نِصالًا محـدَّدةً ، ووَجهًا مكفهِرًّا ؛[١٢]
يكفكِفُ ، غِيلةً ، إحدى يديهِ ، ويبسُطُ ، للوثوبِ عليَّ ، أُخرى ،[١٣]

١ • المهر : ما يجب على الرجل دفعه للمرأة التي يريد التزوج بها. وكانه في نظير ما تبذل من نفسها في خدمته والقيام على بيته.

٢ • خزاعة : من كبريات قبائل العرب.

٣ • تحامت عنه : تباعدت عنه.

٤ • افتك : تفضيل من فتك به ، بطش ، او انتهز منه فرصة فقتله.

٥ • نصَّفه : بلغ نصفه.

٦ • قمص الفرس وغيره : رفع يديه معًا وطرحهما معًا وعجن برجليه ، ولا يكون ذلك من الفرس المروّض الا اذا عرض له ما يفزعه.

٧ • عقره : قطع قوائمه بالسيف.

٨ • اخترط سيفه اليه : استل سيفه ومشى اليه

٩ • قطه : قطعه.

١٠ • افاطم : منادى بالهمزة ، ومرخم فاطمة ، يجوز ان يبقى على الفتح على لغة من ينتظر الحرف المحذوف للترخيم ، ويجوز ان يبقى على الضم على لغة من لا ينتظر الحرف ، فكأنه يعد فاطم اسمًا لم تكن فيه تاء ◉ بطن خبت : اسم مكان ◉ الهزبر ، والليث : من اسماء الاسد

١١ • تبهنس : تبختر ◉ احجم : تراجع . عليه بالعقر لاحجامه .

١٢ • النصال : ج نصل ، حديدة السيف ، استعارها لانياب الاسد بجامع التحديد ◉ المكفهر : العابس ، الكثير التقطيب من الغضب.

١٣ • يكفكف : يقبض ◉ غيلة : خدعة .

يُدِلُّ بِخَلَبٍ ، وبجِدٍّ نابٍ ، وباللَّحظاتِ تَحسَبُهنَّ جَمرا ،[1]
وفي يُمنايَ ماضي الحدِّ ، أبقى ، بمَضربِهِ ، قِراعُ المَوتِ أثرا :[2]
ألم يبلُغك ما فعلَت ظُباه ، بكاظمةٍ ، غداةَ لقيتَ عمرا ؟[3]
وقلبي مثلُ قلبك ، ليسَ يَخشى مصاولةً ؛ فكيفَ يَخافُ ذَعرا ؟[4]
وأنتَ تروم للأشبالِ قُوتا ، وأطلُبُ لابنةِ الأعمامِ مَهرا .
ففيمَ تسومُ مثلي أن يُوَلّي ، ويَجعَلَ في يديك النفسَ قَسرا ؟[5]
نَصحتُك ؛ فالتمِس ، يا ليثُ ، غيري طَعاماً ؛ إنَّ لَحمي كانَ مُرّا !
فلمّا ظَنَّ أنَّ الغِشَّ نُصحي ، وخالَفَني ، كأني قلتُ هُجرا ،[6]
مشَى ، ومشَيتُ ؛ من أسَدينِ راما مَراماً ، كانَ ، إذ طلَباه ، وَعرا .
هَززتُ له الحُسامَ ، فخِلتُ أني سلَلتُ به ، لدَى الظَّلماء ، فَجرا ،
وجُدتُ له بجائشةٍ أرَتْه بأن كَذِبَتْه ما مَنَّته غَدرا ،[7]
وأطلَقتُ المهنَّدَ من يميني ، فقدَّ له من الأضلاعِ عَشرا ،
فخَرَّ مُضرَّجاً بدمٍ ، كأني هدَمتُ به بِناءً مُشمَخِرّا ،[8]
وقلتُ له : يَعِزُّ عليَّ أني قتَلتُ مُناسبي جَلَدًا وفخرا !
ولكن ، رُمتَ شيئاً لم يَرُمه سواكَ ؛ فلم أُطِق ، يا ليثُ ، صَبرا !

١ * يدل : يتيه ، ويظهر تكبره .

٢ * الأثر : أثر الجرح بعد البرء استعاره هنا لما بقي في السيف من الثلوم من مقارعة الابطال .

٣ * الظبي : ج ظلبة : حد السيف ، وجاء بصيغة الجمع هنا ان للسيف ظلبة واحدة تفخيماً ◉ كاظمة : موضع على ساحل بحر فارس بينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين .

٤ * الذعر : بالفتح : الاخافة والترهيب .

٥ * تسوم : من ساومه الشيء ذكر له قيمته وفاوضه في بيعه ، استعاره هنا لما اظهره الاسد من حركات الاغتيال كأنه يرغبه في الفرار ◉ القسر : القهر .

٦ * الجائشة : النفس . يقول : تكرمت عليه بنفس اعلمته انها كذبته اذ منته بالفتك بي ، وغدرت به .

٧ * خرّ : سقط ◉ المضرّج بالدم : المخضب به ، ويروى : هجدا اي مصروعاً على الجدالة ، وهي الارض ◉ المشمخر : الشامخ ، العالي .

تُحاولُ أن تُعلِّمَني فرارًا ؟ لَعمرُ أبيكَ ، قد حاولتَ نُكرا![1]
فلا تَجزَع ، فقد لاقيتَ حُرًّا ، يُحاذِرُ أن يُعابَ ، فَمُتَّ حُرّا![2]
فان تكُ قد قُتِلتَ ، فليسَ عارًا ؛ فقد لاقيتَ ذا طَرَفينِ حُرّا.[3]

فلمَّا بلَغتِ الأبياتُ عمَّه ندِمَ على ما منَعَه من تَزويجِها ، وخشِيَ أن تَغتالَه الحيّةُ ، فقامَ في أثرِه ، وبلَغَه وقد مَلَكَته سَورةُ[4] الحيّةِ . فلمَّا رأى عمَّه ، أخَذَته حميّةُ الجاهليّةِ ، فجعَلَ يدَه في فمِ الحيّةِ وحكَّمَ سيفَه فيها ، فقالَ :

بِشرٌ ، إلى المجدِ ، بعيدٌ همُّهُ ؛ لمَّا رآه بالعَراء عمُّهُ ،[5]
قد ثَكِلَتْه نفسُه وأمُّهُ ؛ جاشَت به جائشةٌ تَهُمُّهُ ؛[6]
قامَ إلى ابنِ للفلا يؤمُّهُ ، فغابَ فيه يدُه وكُمُّهُ ،[7]
ونفسُه نَفسي ، وسَمِّي سَمُّهُ[8]

فلمَّا قتلَ الحيّةَ ، قال عمُّه : إني عرَّضتُك طمعًا في أمرٍ قد ثنَى اللهُ عِناني[9] عنه ؛ فارجِع لأزوِّجَك ابنتي . فلمَّا رجَعَ جعَلَ بِشرٌ يملأُ فمَه فخرًا ، حتى طلَعَ أمردُ كشِقِّ القمرِ ، على فَرسِه ، مُدجِّجا في سلاحه . فقالَ بِشرٌ : يا عمِّ ، إني أسمَعُ حِسَّ صيدٍ . وخرَجَ ، فإذا بغلامٍ على قَيدِ[10] ، فقالَ : ثَكِلَتْك أمُّك ، يا بِشرُ ، أن قتَلتَ دودةً قَملًا ما ضَغيكَ[11] فخرًا ؟ أنتَ في أمانٍ ،

١ * النكر : المنكر ، الذي لم تألفه النفس .
٢ * لا تجزع : لا يهتضم قلبك ، وتتألم نفسك . الحر : هنا بمعنى الكريم .
٣ * ذو طرفين : ذو ابوين معروفين اصيلين ، عريق في النسب شريف الحسب . الحر : هنا : الصريح النسب الذي لا شبهة في نسبه .
٤ * سورة الحية : سطوتها .
٥ * الهم : الهمّة ◎ العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشيء .
٦ * في قد ثكلته نفسه واهه اي قد رآه وقد اشرف على الهلاك ، فكأن امه قد فقدته ؛ والحال الثالية : جاشت به . اي هاجت به . والجائشة : صفة لمحذوف اي الحية الهائجة ◎ تهمه : تجعل الهم في قلبه .
٧ * ابن الفلا : الحية . وقوله : غاب فيه اي غاب في فمه ◎ يؤمه : يقصده .
٨ * يريد انه حية مثل ابن الفلا فنفسه نفسه ، وسمه سمه .
٩ * ثنى عنانه عنه : عطفه ، وردّه .
١٠ * على قيد : اي على قيد رمح ، وهو طوله .
١١ * الماضغان : اصول اللحيين عند منبت الاسنان . وقوله : ان قتلت : معناه : لانك قتلت .

إن سلّمتَ عَمَّك. فقالَ بشرٌ : مَن انتَ ؟ لا أمَّ لك ! قالَ : اليومُ الاسودُ والموتُ الاحمرُ . فقالَ بشرٌ : ثَكِلَتْك من سَلَحَتك[1] ! وكرَّ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه. فلم يتمكّن بشرٌ منه ، وأمكنَ الغلامَ عشرون طعنةً في كُليةِ بشرٍ ؛ كلّما مسَّه شَبا[2] السِّنانِ حماه عن بدنِه ، إبقاءً عليه. ثم قالَ : يا بشرُ ، كيفَ ترى ؟ أليسَ لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرُّمحِ[3] ؟ ثم ألقى رمحَه ، واستلَّ سيفَه ؛ فضَرَبَ بشرًا عشرين ضربةً بعَرضِ السَّيفِ ، ولم يتمكّن بشرٌ من واحدةٍ. ثم قالَ : يا بشرُ ، سلِّم عمَّك ، واذهب في أمانٍ. قالَ نعم ؛ ولكن ، بشَريطةِ أن تقولَ لي مَن أنت. فقالَ : أنا ابنُك. فقالَ : يا سبحانَ اللهِ ! ما قارنتُ عقيلةً[4] قطُّ ، فأنّى هذه المِنحةُ ؟ ! فقالَ : أنا ابنُ المرأةِ التي دلَّتك على ابنةِ عمّك. فقالَ بشرٌ :

تِلكَ العَصا من هذه العُصَيَّهْ ، هل تَلِدُ الحيَّةُ إلا الحيَّهْ[5].

وحلَفَ : لا رَكِبَ حِصاناً ، ولا تزوَّجَ حَصاناً[6] ؛ ثم زوَّجَ ابنةَ عمِّه لابنِه.

١ * سلحتك : رمت بك من بطنها .

٢ * شبا السنان : طرفه

٣ * انياب ج ناب ، وناب الرمح سنانه ، وليس له الا سنان واحد ، والجمع باعتبار تعدّد الطعنات . وقد شبه الرمح بمفترس له انياب ؛ على التخييل.

٤ * اي ما تزوجت امرأة كريمة.

٥ * العصا من العصيه : اي ان الشيء الجليل يكون في بدء امره صغيرًا: مثل من امثال العرب اول من قاله الاقمى الجرهمي ، حينما جاءه ابناء نزار يسألونه ان يقسم بينهم تراث ابيهم . وقيل : ان العصا اسم فرس كانت لجذيمة بن مالك بن نصر ، الذي يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح لبرص كان فيه ، وهو الذي قتلته الزباء في الاسطورة العربية . والعصية اسم امه اي ام جذيمة ، والمراد انه يحكي امه في كرم العرق وشرف العنق.

٦ * الحصان والحصان ، بكسر الحاء : الفرس ، بفتح الحاء : المرأة العفيفة.

الحريري

١٠٥٤ - ١١٢٢ م

هو القاسم بن علي بن محمد ، كنيته ابو محمد ، ولقبه الحريري . ولد في المشان[١] ، وجاء البصرة في طلب العلم وسكن في محلة بني حرام ، فقيل له الحرامي . فطفق يجالس العلماء ، ويشهد مجالس الادب فتضلّع من اللغة وآدابها ، ولكنه اشتغل شغل المقلدين الذين كل همهم ان يجاروا من تقدّمهم لا المبدعين الذين يحسنون ما يعملونه ، ويندفعون الى عمله بدافع نفسي ؛ فألّف المقامات ، واشار في مقدمتها الى انه تلا فيها تلوّ البديع ، ولم يعن بالفن القصصي فيها وانما كانت كل عنايته في حسن الصياغة ، والتلاعب في الالفاظ ، والاتيان بكل شيء غريب سواء كان في الالفاظ ، او في المحسّنات المعنوية واللفظية ، فأتت مقاماته جامدة ، لا حيوية في اشخاصها ؛ وعلى ذلك اشتهرت اكثر من مقامات البديع على قرب هذه من الفن القصصي ، وبُعد تلك عنه ؛ ذاك بان ايام الحريري ، كانت بدء عهد الانحطاط ، وايام تقليد وتصنّع ، ففتن اهلها ومن جاء بعدهم ما رأوا فيها من تنميق العبارات ، ورونق الالفاظ ، والاغراب في السجعات ، فحذوا حذوه ، واتخذوه اماماً لهم ، فساد التقليد والتصنع حتى الاسفاف .

١ . المشان : بليدة فوق البصرة كثيرة النخل والوخم .

آثارُه

للحريري آثار كثيرة اشهرها المقامات ، راويتها الحرث بن همام وبطلها ابو زيد السروجي ، وغايتها الكدية . والوسائل الى الكدية فيها كثيرة منها الاحتيال ، واللصوصية ، والدناءة وغيرها . وقد اخترنا منها ثلاثاً ، المقامة الاسكندرية ، والمقامة البغدادية ، والمقامة الكرجية .



قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ: طحا بي مَرَحُ الشَّبابِ[1] . وهَوى الاكتِسابِ. إلى أن جُبتُ ما بينَ فرغانةَ[2] . وغانةَ[3] . أخوضُ الغِمارَ[4] . لأجني الثِمارَ . واقتحمُ الأخطارَ لكي أُدرِكَ الأوطارَ . وكُنتُ لَقِفتُ[5] من أفواهِ العُلَماء . وثَقِفتُ[6] من وصايا الحُكَماء . أنَّه يَلزَمُ الأديبَ الأريبَ . إذا دخَلَ البَلَدَ الغريبَ . أن يَستَمِيلَ قاضِيَه . ويَستَخلِصَ مَراضِيَه[7] . ليَشتَدَّ ظَهرُه عندَ الخِصامِ . ويأمَنَ في الغُربةِ جورَ الحُكامِ . فاتَّخذتُ هذا الأدبَ[8] إماماً . وجَعَلتُه لصالحي زِماماً[9] . فما دخلتُ مدينةً . ولا وَلَجتُ عَرينةً[10] . إلّا وامتَزَجتُ بحاكِمِها امتِزاجَ الماءِ بالراحِ . وتَقَوَّيتُ بعِنايتِه تَقَوِّيَ الأجسادِ بالأرواحِ . فبينما أنا عندَ حاكِمِ الإسكندريَّةِ . في عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ[11] . وقد أحضَرَ مالَ الصَّدَقاتِ . ليَفُضَّه على ذوي الفاقاتِ . إذ دَخَلَ شَيخٌ عِفرِيةٌ[12] . تعتَلُه امرأةٌ مُصيبةٌ[13] . فقالت : أيَّدَ اللهُ القاضيَ . وأدام

١ * طحا بي: ذهب في الارض ◉ مرح الشباب : لشاطه ◉ وهوى الاكتساب ، اي محبة اكتساب المال .

٢ * فرغانة : مدينة في اقصى خراسان ، في ما وراء النهر ، وراء جيحون ، بينها وبين سمرقند نحو ثلاثة وخمسين فرسخاً . وكانت مدينة جليلة القدر عظيمة الامر وبانيها انوشروان ملك فارس . قيل وبها سمي اقليم فرغانة وقصبتها مدينة اسبيذبلان .

٣ * غانة : هي مدينة في بلاد السودان في بلاد التبر (Wankara) .

٤ * الغمار : ج غمرة هي المياه الكثيرة . والمراد الامور الصعبة .

٥ * لقفت : حفظت واخذت . واللقف اخذ ما يرمى اليك بيدك .

٦ * ثقفت : ادركت .

٧ * مراضيه : ج مرضاة : الرضى ، اي يطلب رضاه ويحوزه .

٨ * الادب : الامر الظريف المستحسن . واتخذته اماماً اي قدوة .

٩ * زماماً : حبلاً اسلك على سيره .

١٠ * ولجت : اي دخلت منزلاً خطراً ◉ والعرينة مأوى الاسد .

١١ * عرية : باردة شديدة البرد ، والعري الريح الباردة .

١٢ * عفرية : خبيث شديد الدهاء . والعفرية من العفر اي التراب كالذي لشدة نو يعفر اقرانه اي يصرعها . ومنه ليث عفر وهو ليث ليوث لانه يعفر فريسته .

١٣ * تعتله : تجره بعنف وجفاء ◉ والمصيبة ذات الصبيان .

بهِ التَّراضي[١] . إني امرأةٌ مِنْ أكرَمِ جُرثُومةٍ[٢] . وأطهرِ أَرُومةٍ[٣] . وأشرفِ خُؤُولةٍ وعُمُومةٍ . ميسمي الصَّونُ[٤] . وشيمتي الهَونُ[٥] . وخُلقي نِعمَ العَونُ . وبَيني وبَينَ جاراتي بَونٌ[٦] . وكانَ أبي إذا خطَبَني بُناةُ المجدِ . وأربابُ الجدِّ . سكَّتَهم وبكَّتَهم . وعافَ وُصلَتَهم وصِلَتَهم[٧] . واحتجَّ بأنه عاهَدَ اللهَ تعالى بحَلفةٍ . أن أن لا يُصاهرَ غيرَ ذي حِرفةٍ[٨] . فقَيَّضَ القَدَرُ لنَصبي[٩] . ووَصبي[١٠] . أن حضَرَ هذا الخُدَعةَ[١١] نادي أبي . فأقسمَ بينَ رَهطِه . أنَّه وَفقُ شَرطِه وادَّعى أنَّه طالما نظَمَ دُرَّةً إلى دُرَّةٍ[١٢] . فباعَها ببَدرةٍ[١٣] . فاغترَّ أبي بزُخرُفةِ مُحالِه[١٤] . وزوَّجَنيه قبلَ اختبارِ حالِه . فلمَّا استخرَجَني من كِناسي[١٥] . ورَحلَني عن أُناسي . ونقَلَني إلى كَسرِه[١٦] . وحصَّلَني تحتَ أسرِه . وجدتُه قُعدةً جُثَمةً[١٧] . وألفيتُه ضُجَعةً نُومةً[١٨] وكُنتُ صحبتُه برياشٍ وزيٍّ[١٩] . وأثاثٍ وريٍّ[٢٠] . فما بَرحَ يَبيعُه في سُوقِ الهضمِ[٢١] ويُتلِفُ ثمنَه في الخَضمِ والقَضمِ[٢٢] . إلى أن مزَّقَ ما لي بأسرِه . وأنفَقَ

١ . اي ابقاه الله التراضي الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمغلوب ، وهو دعاء لحكمه بالعدل .

٢ . اي من اكرم نسب ◉ والجرثومة اصل النخلة .

٣ . الأرومة : اصل الشجرة استعير لاصل الحسب .

٤ . الصون : علامتي العفاف ميسمي والصيانة . واصل الميسم الآلة التي يكوى بها ويعلم .

٥ . شيمتي الهون : عادتي الرفق بزوجي .

٦ . البون : البعد والتفاوت في الفضل .

٧ . عاف وصلتهم وصلتهم : كره قربهم وعطاياهم .

٨ . ذي حرفة : ذي صناعة .

٩ . قيّض القدر لنصبي : قدر الله لتعبي .

١٠ . وصبي : مرضي والمي .

١١ . ان : مخفف انه ◉ الخدعة : الكثير الخداع .

١٢ . اي ادعى انه جوهري ينظم اللآلي والدرر .

١٣ . البدرة : عشرة آلاف درهم

١٤ . زخرفة محاله : اي تزيين ضلاله الباطل . .

١٥ . كناسي : بيت ابي . واصل الكناس منزل الظبي .

١٦ . كسره : داره . وكسر البيت جانبه .

١٧ . القعدة : الكثير القعود ◉ الجثمة : الكثير الجثوم . والجثوم ملازمة الموضع والالتصاق بالمكان .

١٨ . الضجعة النومة : الكثير الاضجاع والنوم .

١٩ . الرياش والريش : بمعنى وهما اللباس الناخر ◉ والزي : الهيئة الحسنة .

٢٠ . اثاث : متاع البيت ◉ الري : الحالة الحسنة . وهو مصدر روى رويا ورياً استعير لحسن الهيئة والنعمة . وقيل اصله رزي بالهمز فسهل وادغم لموافقة زي وهو المنظر .

٢١ . سوق الهضم : اي باقل من القيمة ◉ هضمه حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه .

٢٢ . اي ينفقه في الوان المآكل واللذات ◉ واصل الخضم الاكل باقصى الاضراس او بجميع الفم ◉ والقضم باطراف الاسنان ومنه المثل : يبلغ الخضم بالقضم اي تدرك الغاية البعيدة بالرفق .

مالي في عُسرِه فلمّا أنساني طَعمَ الرّاحةِ . وغادرَ بَيتي أنقى منَ الرّاحةِ[١] . قُلتُ له : ياهذا إنّه لا مخبأ بعدَ بُوسٍ[٢] . ولا عِطرَ بعدَ عروسٍ[٣] . فانهَض للاكتِساب بصناعَتِكَ . واجنِني ثمرةَ بَراعتِكَ فزعَمَ أنّ صِناعتَهُ قد رُميت بالكَسادِ . لِما ظَهرَ في الأرض منَ الفَسادِ . ولي منه سُلالةٌ[٤] . كأنّه خِلالةٌ[٥] . وكِلانا ما يَنالُ معَه شُبعة . ولا تَرقأ له منَ الطّوى دمعة[٦] . وقد قُدتُه إليكَ . وأحضَرتُه لَديكَ . لتَعجُمَ عُودَ دَعواهُ[٧] وتَحكُمَ بيننا بما أراكَ اللهُ . فأقبَلَ القاضي عليه وقالَ له : قد وعَيتَ قَصَصَ عِرسِك . فبرهِن الآن عن نَفسِك والّا كشَفتُ عن لَبسِكَ . وأمرتُ بحَبسِكَ . فأطرَقَ إطراقَ الأفعُوانِ[٨] . ثمّ شمّرَ للحَربِ العَوانِ[٩] وقالَ :

إسمَعْ حَديثي ، فإنّـه عجَبُ ، يُضحَكُ من شَرحِه ، ويُنتَحَبُ :
أنا امرُؤٌ ليسَ في خَصائِصِهِ عَيبٌ ، ولا في فَخارِهِ رِيَبُ ،
سَرْوجُ دارِي ، الّتي وُلدتُ بها ، والأصلُ غَسّانُ حينَ أنتَسِبُ ،
وشُغلي الدّرسُ ، والتّبحُّرُ في الـ عِلمِ طِلابي ، وحَبّذا الطَّلَبُ[١٠] ،
ورأسُ مالي سِحرُ الكَلامِ الّذي منه يُصاغُ القَريضُ ، والخُطَبُ ،
أغوصُ في لُجّةِ البَيانِ ، فأختارُ اللّآلي منها ، وأنتَخِبُ[١١] ،

١ * انقى من الراحة : مثل يضرب في الفراغ والخلوّ ◎ والراحة باطن الكف .

٢ * لا مخبأ بعد بوس : اي لا ستر ولا اختفاء بعد الفقر والشدة .

٣ * لا عطر بعد عروس : مثل يضرب في ذمّ اذخار الشيء وقت الحاجة اليه وقيل ان اول من قالهُ امرأة من عذرة يقال لها اسماء بنت عبدالله مات عنها رجلها . وكان اسمه عروس فتزوّجها آخر اسمه ثوب وكان ابخر اعسر بخيلاً ذميماً . فلمّا اراد الرحيل بها قالت : لو اذنت لي في زيارة قبر ابن عمي . فاذن لها فاتت وبكت عند قبره فلمّا ظنّ بها قال لها : ضمي اليك عطرك . وكان رأى سقط عطرها مطروحاً فاجابته وقالت : لا عطر بعد عروس . فذهب قولها مثلاً .

٤ * سلالة : ولد صغير . وفلان كريم السلالة اي الاصل .

٥ * كانه خلالة : اي رقيق يشبه برقته الخلالة وهي العود الذي تنظف به الاسنان

٦ * اي لا تنقطع دموعه من الجوع .

٧ * عجم العود : العض عليه لاختبار متانته . وعجم عود دعواه : اختبر صحتها .

٨ : اطرق اطراق الافعوان : اي كما يطرق الشجاع ◎ الاطراق : تنكيس الرأس والنظر الى الارض ◎ والافعوان في الاصل الحية الذكر .

٩ * وشمر للحرب العوان : اي اسرع لها واحتزم .

١٠ * التبحر في العلم : التوسع والتعمق فيهِ .

١١ * اللجة : معظم البحر واللآلي والدرر . اراد بها ملح المعاني ، اي اتعمق في بحر العلوم فاستخرج منها ابلغ المعاني فالتخبها لنظم الكلام .

وأجتني اليانعَ الجنيَّ منَ الـ قول ، وغيري للعود يحتطبُ [١] ،
وآخذُ اللفظَ فضةً ، فإذا ما صُغته ، قيلَ إنه ذهبُ ،
وكنتُ ، من قبلُ ، أمتري نشباً بالأدب المقتنى ، وأحتلبُ [٢] ،
ويتخطي أخمصي ، لحرمته ، مراتباً ، ليسَ فوقها رتبُ [٣] ،
وطالما زُفتِ الصلاتُ إلى ربعي ، فلم أرضَ كلَّ من يهبُ .
فاليومَ ، من يعلقُ الرجاءَ به ، أكسدُ شيء ، في سُوقه ، الأدبُ ؛
لا عِرضُ أبنائه يُصانُ ، ولا يُرقَبُ فيهم إلٌّ ، ولا نسبُ [٤] ؛
كأنهم ، في عراصِهم ، جِيَفٌ ، يُبعَدُ من نَتْنِها ويجتنبُ ؛
فحارِ أبي لما منيتُ به منَ الليالي ؛ وصرفُها عجبُ [٥] ،
وضاقَ ذرعي لضيق ذاتِ يدي ، وساورتني الهمومُ والكربُ [٦] ،
وقادني دهريَ المليمُ إلى سُلوك ما يستشينُهُ الحسبُ [٧] ،
فبعتُ ، حتى لم يبقَ لي سَبَدٌ ، ولا بتاتٌ إليه أنقلبُ [٨] ،
وادنتُ ، حتى أثقلت سالفتي بحملِ دَينٍ ، من دونه العطبُ [٩]
ثمَّ طويتُ الحشا ، على سَغَبٍ ، خمساً ، فلما أمضني السَّغبُ [١٠] ،

١ . اليانع : الزاهي ◉ والجني الطري من الثمر ◉ واحتطب . اجمع الحطب . يريد انه يكتسب من الاداب احسن مما يكتسبه غيره .

٢ . امتري : استخرج يقال : مريت الضرع حلبته وامترى يعني احتلب ◉ والنشب المال . اي كنت قبلا اكتسب مالا بما عندي .

٣ . الخمص : القدم : ما ارتفع منها عن الارض .

٤ . العرض : موضع المدح والذم من الانسان . اي لا يصان شرف اصحاب الادب ◉ الال : العهد والقرابة . اي لا يحفظ له جوار ولا يرعى له عهد ولا صلة .

٥ . منيت به : بليت ◉ والليالي صروف الزمان ◉ وصرفها عجب : اي تقلبها عجيب .

٦ . ضاق الذرع : اي عيل صبري . واصل ضاق الذرع انما هو بسط اليد كانك مددت يدك اليه فلم تنله ◉ وذات اليد : المال والسعة ◉ وساورتني : واثبتني وغلبتني .

٧ . المليم : الذي يأتي بما يُلام عليه ◉ يستشينه الحسب : تستعيبه الفاخر ويستشينه الشرف

٨ . السبد : الصوف يريد ذات الصوف من المواشي ◉ والبتات متاع البيت . والمعنى لم يبق لي شيء ارجع اليه .

٩ . يريد اني استقرضت وتحملت الديون الفادحة حتى ثقلت سالفتي ◉ والسالفة صفحة العنق او مقدمه وقوله : من دونه العطب : اي ان الهلاك اهون منه .

١٠ . السغب : الجوع اي اصطبرت وتجلدت على الجوع ◉ خمساً اي مدة خمس ليال ◉ امضني : احرقني واوجعني .

لم أرَ ، إلّا جِهازَها ، عَرَضاً ، أجولُ في بَيعِهِ ، وأضطَرِبُ[1]،
فجُلْتُ فيه ، والنَّفسُ كارهةٌ ، والعَينُ عَبرَى ، والقلبُ مُكتئِبُ ،
وما تجاوزتُ ، إذ عَبِثتُ بِهِ ، حَدَّ التَّراضي ، فيَحدُثَ الغَضَبُ[2].
فإن يكُن غائظها توهُّمُها أنَّ بنائي بالنَّظمِ تَكتَسِبُ ؛
أو أنني ، إذ عزمتُ خِطبَتها ، زَخرَفتُ قولي لِيَنجَحَ الأَرَبُ ،
فالّذي سارتِ الرِّفاقُ إلى كعبته ، تَستَحثُّها النُّجُبُ ،
ما المَكرُ بالمُحصَناتِ من خُلُقي ؛ ولا شِعاري التَّمويهُ والكذِبُ[3]،
ولا يَدي ، مُذ نشأتُ نِيطَ بها ، إلّا مواضي اليَراعِ والكُتُبُ ؛
بل فِكرتي تَنظمُ القَلائِدَ ، لا كَفّي ، وشِعري المَنظومُ ، لا السُّخُبُ[4].
فهذه الحِرفةُ المُشارُ إلى ما كُنتُ أحوي بها ، وأجتَلِبُ[5].
فأذن لشَرحي ، كما أذِنتَ لها ، ولا تُراقِب واحكم بما يَجِبُ[6]!

قالَ : فلمّا أحكمَ ما شادَه[7]. وأكملَ إنشادَه . عطَفَ القاضي إلى الفتاة .

١ . الجهاز : فاخر متاع البيت وهو ايضاً ما تأتي به العروس لزوجها ◉ والعرض المال وحطام الدنيا قال الشريشي : اراد عرضاً فحرحكهُ ضرورة ، والعرض هنا الامتعة ◉ اضطرب : اتردد ، اي لم اجد ما ابيعه والصرف به غير امتعة زوجتي .

٢ . عبثُ : لعب به وتحكم فيه . يقول لمّا تصرفت ببيع مالها لم اتعدّ شروط الرضى كي تفتاظ لذلك ، وانما صار الامر برضى منها ومني .

٣ . هذه الابيات الاربعة مرتبطة ببعضها ارتباطاً موثقاً يقول ان اغضبها ظنها بي ان اصابعي تكتسب لها مالاً ، او كان غيظها من كوني مؤهت الحديث لما خطبتها الى ابيها فكذبت عليه لافوز بمطلوبي . فاني اقسم بالله الذي تسير الحجّاج الى بيته الحرام وهم ممتطون نوقاً تعجل بخفتها سيرهم ، ان خداع عفاف النساء ليس من طبعي وتزيين الكلام ليس من عادتي ◉ والتوهم : الظن ◉ والبنان : طرف الاصابع ◉ والرفاق : ج رفقة يريد بها ركب الحجاج والمترافقين ◉ والنجب : ج نجيبة وهي الكريمة من الابل ◉ والهاء في : تستحثها ، عائدة الى الرفاق ◉ والمحصنات : النساء العفاف ◉ والشعار : العلامة .

٤ . اي قلت امراني لكن عقلي هو ناظمها ، وهذه العقود ليست سخباً اي قلائد القرنفل التي تجعل في اعناق الاطفال ، وانما هي جواهر الشعر ◉ واليراع : القلم .

٥ . يقول هذه هي الصنعة التي قلت لابيها اني احوز واكتسب بها . قال المطرزي : المشار صنة من الحرفة ، وكان من حقه ان يقول : المشار اليها . الا انه لما كانت ما مراداً بها الحرفة اغنت عن الراجع الى الموصول يدل على ذلك تأنيث الضمير في بها .. ويحتمل ان تكون ما مصدرية ويكون المعنى: وهذه الحرفة المشار الى الحواية بها . او يجوز ان تكون ما موصولة ويتعلق الجار والمجرور بالمشار .

٦ . اأذن : من اذن اي سمع ◉ لا تراقب : لا تراع منّا احداً ولا تؤثره على صاحبه ، وهو من المراقبة وهي المحافظة والمراعاة .

٧ . شاد : رفع وبنى . يقال : شاد البناء اذا اعلاه وطلاه بالشيد وهو الجص . اي لمّا اتقن ما قاله وانشاه .

بعدَ أن شُغف[1] بالأبياتِ، وقالَ: أما إنَّه[2] قد ثبَتَ عندَ جميعِ الحُكّامِ. وولاةِ الأحكامِ. انقراضُ جيلِ الكِرامِ. ومَيلُ الأيّامِ إلى اللئامِ. وإني لإخالُ بعلكَ صَدوقاً في الكَلامِ. بريئاً منَ الملامِ. وها هو قد اعترَفَ لكِ بالقَرضِ[3] وصرَّحَ عن المحضِ[4]. وبيَّنَ مِصداقَ النَّظمِ[5]. وتبيَّنَ أنَّه معروقُ العَظمِ[6]. وإعنائُ المُعذرِ مَلأمةٌ[7] وحَبسُ المُعسرِ مأثَمةٌ. وكتمانُ الفقرِ زَهادةٌ[8]. وانتظارُ الفَرجِ بالصَّبرِ عِبادةٌ. فارجعي إلى خِدرِكِ. واعذري أبا عُذرِكِ. وانهَيي عن غَربِكِ[9] وسَلّمي لقَضاءِ ربِّكِ. ثمَّ إنَّه فرضَ لها في الصَّدقاتِ حِصَّةً. وناولَها من دراهمِها قَبصَةً[10]. وقالَ لها: تعلَّلا بهذه العُلالةِ[11]. وتندَّيا بهذه البُلالةِ[12]. واصبِرا على كَيدِ الزَّمانِ وكَدِّه. فعَسى اللهُ أن يأتيَ بالفَتحِ أو أمرٍ من عندِه[13]. فنَهَضا وللشيخِ فَرحةُ المُطلَقِ منَ الإسارِ[14] وهِزّةُ المُوسِرِ[15] بعدَ الإعسارِ. قالَ الرَّاوي: وكُنتُ عرَفتُ أنَّه أبو زيدٍ ساعةَ بزَغت شَمسُه[16] وتزَغّت عِرسُه[17].

١. شغف : ويروى : شغف وكلاهما بمعنى فتن واعجب يقال شغفه الحب اي شمله وغشيهُ.

٢. اما : انه : اما حرف تنبيه معناه : اعلم.

٣. القرض : السلف اراد به ما اعطته من ثمن جهازها سلفاً اي اقرَّ انه باع جهازك وثبت لكِ في ذمته قرض.

٤. المحض : الخالص والصريح من اللبن ما لا رغوة فيه. اي كشف عن خالص نيته وهذا مثل يضرب في انكشاف السر.

٥. المصداق : في الاصل : آلة الصدق وما كان شاهداً لصدق الرجل : بيّن انه صدق في قوله ان نظمهُ هو الشعر لا الجوهر.

٦. عرق العظم : اذا فصل اللحم عن العظم. والمراد انهُ شديد الفقر.

٧. اعنته : اوقعه في العنت اي الشدة. اي ان حمل المبدي بعذره على المشقة لؤمٌ.

٨. المعسر : من عجز عن قضاء دينه ◉ المأثمة : الاثم. اي انهُ لإثم ان يلقي الفقير في الحبس ◉ وكتمان الفقر زهادة: اي هو من اعمال الزهد والقناعة.

٩. خدرك : بيتك : واصل الخدر ستر يمدّ على الجارية ومنهُ الجارية المخدّرة اي المحجوبة ◉ ابا عذرك زوجك الاوّل ◉ ونهنهي عن غربك : الغرب الحدة : اي ازجري نفسك وكفي من حدّة لسانك ◉ وقيل الغرب ايضاً فيض الدموع اي غيضي من دموعك.

١٠. القبصة : ما اخذت باطراف اصابعك ويروى: قبضة.

١١. العلالة : الشيء القليل يتعلل به اي يتلاهى واصلها بقية اللبن. اي تشاغلا وتلاهيا بهذا المال القليل.

١٢. اي قدر ما يبل به الشيء.

١٣. عسى عنده : يريد بالامر الاعانة. وهذا من سورة المائدة.

١٤. الإسار : قيد الاسير.

١٥. وهزة الموسر اهتزاز الغني وانشاطه.

١٦. بزغت شمسه : طلعت بهجة وجهه.

١٧. وتزغت عرسه : زغ خبث اي لأم خاصمته مراته.

وكدتُ أفصِحُ عن افتنانِه[١]. وأثمارِ أفنانِه[٢]. ثمَّ أشفقتُ من غُرورِ القاضي على بُهتانِه وتزويقِ لسانِه. فلا يَرى عندَ عِرفانِه، أن يُرشحه لإحسانِه[٣]. فأحجمتُ عن القولِ إحجامَ المُرتابِ[٤]. وطويتُ ذِكرَه كطَيِّ السِّجِلِّ للكِتابِ[٥]. إلَّا أني قُلتُ بَعدَ ما فَصَلَ. ووصَلَ إلى ما وصَلَ: لو أنَّ لنا من يَنطلِقُ في أثَرِه. لأتانا بفَصِّ خبَرِه. وبما يُنشَرُ من حِبَرِه[٦]. فأتبعَه القاضي أحدَ أمنائِه. وأمَرَه بالتَّجسُّسِ عن أنبائِه. فما لَبِثَ أن رجعَ متدَهدِهاً[٧]. وقهقَرَ مُقهقِهاً. فقالَ له القاضي: مهيم[٨]. يا أبا مريم. فقالَ: لقد عايَنتُ عجَباً وسمِعتُ ما أنشأ لي طرَباً. فقالَ له: ماذا رأيتَ. وما الَّذي وعَيتَ. قالَ: لم يزَل الشَّيخُ مُذ خرَجَ يُصفِّقُ بيديهِ. ويُخالفُ بينَ رجلَيهِ. ويُغرِّدُ ببِلهِ شِدقيه[٩]: ويقولُ:

كدتُ أصلى بِبَلِيَّه ... من وَقاحٍ شَمَّرِيَّه[١٠]
وأزُورُ السِّجنَ، لولا ... حاكمُ الإسكندريَّه.

فضَحِكَ القاضي حتَّى هوَت دنَيتُه. وذوَت سَكينَتُه[١١]. فلمَّا فاءَ[١٢] إلى

١. افصح عن افتنانه: اي اكشف عن اخاديعه المتفننة. يقال: افتن في حديثه اذا جاء بالافانين وهي الاساليب المتنوعة.

٢. اثمار افنانه: يجوز اثمار بفتح الهمزة مصدر اثمر اي جاء بالثمرة. وبكسرها جمع ثمرة. وبكسرها وبفتحها جمع ثمر اي جاء بالثمرة ◉ والافنان: ج فنن: هي الاغصان.

٣. اي اهلا لاحسانه ◉ والترشيح التأهيل والتهيئة.

٤. احجمت: امتنعت. وتأخرت عنه تأخر الشاك في امره.

٥. السجل: الورق وطومار الكتابة والكتاب المكتوب فيهما. اي ستر امره كما يستر الكتاب ما كتب فيه. وقيل السجل اسم كاتب كان لرسول المسلمين. وقيل ايضاً هو اسم ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه. ورجا في سورة الانبياء: في القيامة يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب. وقوله: بعد ما فصل اي ذهب والفصل.

٦. بفص فص الشيء: من الاخر اي الترعه ونصله ◉ والحبر: الدرود اليمنية جمع حبرة استعارها لما ينشر من الخبر.

٧. متدهدهاً: مسرعاً. يقال: دهدهت الحجر اذ دحرجته.

٨. مهيم: اي ما الخبر. قيل هي كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك ◉ يا ابا مريم: كلمة مولدة تقال لعون القاضي. ويقال ايضاً لمن يأتي امراً عجيباً: ابو مريم.

٩. المخالفة بين الرجلين: الرفن والرقص واصله تقديم الرجل على الاخرى ◉ والتغريد: تطريب الصوت؟ والشدقان جانبا الفم.

١٠. اصلى ببلية: اي احترق بها وابتلي ◉ الوقاح: ج وقاحة وهي صلابة الوجه. وقيل الوقاح الرجل القليل الحياء. وكذلك المرأة تشبيهاً بالحافر الوقاح اي الصلب ◉ الشمرية مؤنث الشمري هو الماضي في الامور. والمعنى اوشكت ان اصاب ببلية من امراة وقحة شديدة الفحة.

١١. هوت دنيته: سقطت ◉ والدنية قلنسوة طويلة يلبسها القضاة طالما منسوبة الى الدن لشبهها به في طولها واستدارتها ◉ وذوت سكينته: زال وقاره وخفي.

١٢. فاء: عاد.

الوَقارِ . وعَقَّبَ الاستِغرابَ بالاستغفارِ[1] . قالَ : أللّهُمَّ بحُرمةِ عِبادِكَ المُقرَّبين حَرِّم حَبسي على المُتأدِّبين . ثمَّ قالَ لذلك الأمينِ : عَلَيَّ به[2] . فانطَلَقَ مُجِدًّا بطلَبه . ثمَّ عادَ بعدَ لأيه . مُخبرًا بنَأيه[3] . فقالَ له القاضي : أما إنَّه لو حضَرَ لكَفَيَ الحذَرَ . ثمَّ لأوليتُه ما هو به أولى[4] . ولأريتُه أنَّ الآخِرةَ خيرٌ له من الأُولى . قالَ الحارثُ بنُ هَمَّامٍ : فلمَّا رأيتُ صَغوَ القاضي اليهِ . وفَوتَ ثمرةِ التَّنبيهِ عليهِ . غَشِيَتْني نَدامةُ الفَرَزدَقِ حينَ أبانَ النَّوارُ[6] . والكُمَيتِ لمَّا استبانَ النَّهارُ[7] .

المقامة البَغدادِيَّة

رَوى الحارثُ بنُ هَمَّامٍ . قالَ : نَدَوتُ[8] بضواحي الزَّوراءِ[9] . مع مشيخةٍ منَ الشُّعراءِ . لا يَعلَقُ لهم مُبارٍ بغُبارٍ . ولا يَجري معهم سُمارٍ في مِضمارٍ[10] . فأفضنا في حديثٍ يَفضَحُ الازهارَ[11] . إلى أنْ نَصفَنا النَّهارَ . فلمَّا غاضَ دَرُّ الافكارِ[12] . وصبَتِ النُّفوسُ إلى الأوكارِ[13] . لمحنا عجوزًا تُقبِلُ من البُعدِ . وتُحضِرُ إحضارَ لُجُودٍ[14] .

١ . الاستغراب : شدّة الضحك والمبالغة فيه . اي واتبع هذا بذلك مستغفرًا عنه .

٢ . عليَّ به : اي ائتِ به واحضره .

٣ . لأيه : بعد ابطائه ◉ النأي : بعد البعد .

٤ . لكفي : اي لدفع عنه الخوف ◉ اولى : احق ، اي لوصلته بصلة خير مما وصلته اوّل مرة .

٥ . الصغو : الميل .

٦ . غشيتني : حضرتني واتتني ◉ النوار : امراة الفرزدق الشاعر ، وكان قد طلقها ثم ندم والشد :

لدعت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوارُ :
وكانت جنتي ، فخرجت منها
كآدم حين اخرجه الضرارُ :
فكنت كفاقئ عينيه عمدًا
فاصبح ما يضيء له النهارُ .

٧ . الكُسعي : هو عامر بن الحرث نسبته الى كسع ، حي من ثعلبة ، كان راعيًا وعمل قوسًا بعد طول تعب ، ثم رمى عنها ليلًا فنفذت سهامه في الرمايا ، ولكن سهمًا وقع في حجر فقصد منه الشرار فظنّ انه اخطأ الرمية ، فعمد الى القوس فكسرها ، وبات ليلته فلما اصبح تبين ان اسهمه ، وكانت خمسًا ، قد اصابت كلها ، فندم ندمًا شديدًا ، فضرب به المثل في الندامة .

٨ . ندوت : اجتمعت ، ونادي فلان حضر النادي وهو مجلس القوم .

٩ . الزوراء : اسم نهر دجلة ببغداد ، ثم اطلق على المدينة . وقيل بل الزوراء الجانب الشرقي منها وسميت زوراء لازورار قبلتها اي لانحرافها .

١٠ . اي لا يلحق بغبارهم معارض ، ولا يجاريهم مخاصم في ميدان الجدال والسباق .

١١ . افاض : في الحديث : شرع فيه والدفع اي خضنا في حديث اشهى من الازهار طيبًا ورقةً .

١٢ . الدرّ : اللبن ، استعاره للمعاني ◉ غاض : نقص وجف اي لما انقطعت مادة الافكار ونتائج القرائح .

١٣ . اي ثاقت ومالت الى البيوت .

١٤ . احضر : الفرس اذا عدا واسرع ◉ والجرد الخيل الكريمة القصيرة الشعر .

وقد استتلت صبية[1] أنحف من المغازل . وأضعف من الجوازل[2] . فما كذبت[3] إذ رأتنا . أن عرتنا[4] . حتى إذا ما حضرتنا . قالت : حيا الله المعارف[5] . وإن لم يكن معارف[5] . اعلموا يا مآل الآمل . ومثال الأرامل[6] . أني من سروات القبائل . وسريات العقائل[7] . لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ، ويسيرون القلب[8] ويطون الظهر[9] . ويولون اليد[10] . فلما أردى الدهر الأعضاد[11] . وفجع بالجوارح الأكباد[12] . وانقلب ظهرا لبطن[13] . نبا الناظر[14] . وجفا الحاجب[15] وذهبت العين[16] . وفقدت الراحة . وصلد الزند[17] . ووهنت اليمين[18] . وضاع اليسار . وبانت المرافق[19] . ولم يبق لنا ثنية ولا ناب[20] . فمذ اغبر[21] العيش الأخضر . وازور المحبوب الأصفر[22] . أسود يومي الأبيض[23] .

١ . استتلت صبية : جعلتهم تلوها يتبعونها .

٢ . الجوازل : جمع جوزل وهو فرخ الحمامة .

٣ . ما كذبت ان فعل ماض : اي لم يتوقف ولم يتأخر . يقال كذب عن القتال اي جبن . واصله ان يظن بك الظن فتحققه ولا تكذبه .

٤ . عرتنا : قصدتنا .

٥ . المعارف : ج معرفة وهو الوجه . اي انعش الله الوجوه وان كنت لا اعرفها .

٦ . ومثال الارامل : اي معتصمهن ◎ ومثال القمر سيدهم وغياثهم والذي يعولهم .

٧ . سريات العقائل : اي شريفاتهن ◎ والسريات ج سرية الرفيعة القدر ◎ والعقيلة الكريمة من النساء .

٨ . يسيرون القلب : اي يمشون في قلب الجيش ، وهو مقام الملوك .

٩ . اي يركبون الناس الابل ◎ واعطا واعطاه : دابة يركب مطاها اي ظهرها .

١٠ . يولون اليد : يخولون النعم .

١١ . ارداه : اهلكه ◎ والعضد : العون ، واصله الذراع الذي بين المرفق والمنكب استعاره لما يتقوى به .

١٢ . الجوارح : اعضاء الانسان التي يكتسب بها كاليد والرجل . واراد هنا بالجوارح الاولاد والخدم . اي احزن القلوب بفقد الخدم .

١٣ . مثل يضرب في تحول الامور واضطرابها اي انقلب الدهر بعد ان كان مستقيما . والتصاب ظهرا على التمييز واللام في : لبطن للاختصاص .

١٤ . اي تباعد وتجافى من كان ينظر الينا نظر الاجلال والاحترام . وفي هذا اشارة الى نبوّ الناظر اي كلال العين تريد ان العين لم تنم . والناظر انسان العين .

١٥ . اي ظلم الخادم ، او يريد حاجب العين اي لم يطبق الجفن سهرا

١٦ . العين : الذهب . او يريد انه لكثرة السهر كاد يعمى .

١٧ . صلد الزند : لم يور ◎ والزند : حجر النار . اي لم يور بنار ، وهو كناية عن الخيبة ، وفيه اشارة الى الزند وهو مقدم الذراع .

١٨ . وهنت اليمين : ضعفت القوة . ويشير الى التكاك العهود .

١٩ . بانت المرافق : فارقتنا المرافق ، وهي المناقم وفيه المام بالمرفق وهو موصول الذراع بالعضد .

٢٠ . الثنية : الفتية من الشوق ◎ والناب : المسنة . وفي كليهما تلميح الى ثنايا الاسنان والانياب منها .

٢١ . اغبر : عاشه الغبرة . اي كدرت المعيشة الطيبة

٢٢ . ازور : مال والقبض ◎ والمحبوب الاصفر : الذهب .

٢٣ . اليوم الابيض : كناية عن صفاء العيش .

وابيضَّ فَوديَ الأسود[1] . حتَّى رَثَى لي العدوُّ الأزرَق[2] . فحَبَّذا الموتُ الأحمر[3] . وتِلوي من تَرَوُنَ ، عَيْنُه فِراره[4] . وتَرْجُمانُه اصْفِراره[5] . قُصوى بِغية أحدهم تُرْدة[6] . وقُصارى أُمنِيّته بُردة[7] . وكُنتُ آليتُ أن لا أبذُلَ الحُرَّ إلَّا للحُرِّ[8] . ولو أني مُتُّ منَ الضُّرِّ . وقد ناجتني القَرونة[9] . بأن تُوجدَ عِندكم المعونةُ . وآذنتني فِراسةُ الحَوباء[10] . بأنكم يَنابيعُ الحِباء . فنَضَّرَ اللهُ أمرءً أبرَّ قسَمي[11] . وصَدَّقَ تَوسُّمي . ونظَرَ إليَّ بعينٍ يُقذيها الجُمودُ . ويُقَذيها الجُودُ[12] . قالَ الحارثُ بنُ هَمَّام : فهِمنا[13] لبَراعةِ عِبارتِها . ومُلَحِ استعارتِها . وقُلنا لها : قد فتَنَ كَلامُكِ . فكيفَ إلحامُكِ[14] . فقالَت : يُفجِّرُ الصَّخرَ[15] . ولَا فخرَ . فقُلنا : إن جَعلتِنا من رُواتِكِ . لَمْ نَبخَل بُمؤاساتِكِ . فقالت : لأُرِيَنَّكم اولًا شِعاري ، ثم لأُروِينَّكم أشعاري . فأبرَزَت رُدنَ درعٍ دَريس[16] . وبرزَت بِرزةَ عجوزٍ دَردَبيس[17] . وأنشَدَت :

أشكُو إلى اللهِ ، اشتِكاءَ المريضْ ، رَيبَ الزَّمانِ المُتعَدِّي ، البَغيضْ !

١ * الفود : جانب الرأس ، اي شاب شعر رأسي .

٢ * العدو الازرق : الشديد العدارة .

٣ * الموت الاحمر : هو القتل بالسيف او الموت فجأة .

٤ * الفرار : بالفاء المكسورة ، المعرفة وهو مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه ، اي لنظرك اليه يغنيك عن فره . والفر في البهائم كشف اسنانها لمعرفة عمرها .

٥ * اي ان صفرة لونه تنبئ عن سوء حاله وجوعه .

٦ * اي منتهى ما يبتغيه ثردة وهي الخبز المثرود بماء اللحم .

٧ * اي غاية ما يتمناه كساء يلبسه .

٨ * الحر : الاولى : ماء الوجه ، والثانية الكريم .

٩ * ناجتني : حدثتني ◉ القرونة : النفس لاقترانها بالجسد .

١٠ * آذنتني : اعلمتني ◉ الفراسة : الفطنة ◉ الحوباء : من الحوب ، وهي النفس الامارة بالشر .

١١ * نضره : جعله ناضرًا ناعمًا ◉ وابرّ قسمي : راعاه . اي لعن الله رجلًا صان حلفي من الحنث وصدّق ظني فيه .

١٢ * يقذيها الجمود ، يقذيها : يلقي فيها القذى وهو ما يسقط في العين ◉ والجمود البخل ◉ ويقذيها الجود يزيل قذاها .

١٣ * تحيرنا لفصاحة كلامها ومحاسن نظمها . يقال : هام يهيم هيمًا وهيمانًا اي تحير .

١٤ * الحامك : لسجك الشعر . والحمك الشعر نظمه مثل حاكه واصلهما في الثوب .

١٥ * يفجّر الصخر : يخرج منه ماء . مراده انه يأتي بالبديع العذب من الشعر ولعل مراده بالصخر البخيل اي يقوى على اخذ ماله .

١٦ * رُدن درع دريس : اي كمّ قميص بال .

١٧ * برزت برزة عجوز دردبيس : اي ظهرت ظهورها ◉ والدردبيس العجوز المسنة ذات المكر والدهاء .

يا قومُ ! إني من أناسٍ غَنُوا دهرًا ، وجَفنُ الدَّهرِ عنهم غضيضْ ؛[١]
فخارُهم ، ليسَ له دافعٌ ، وصِيتُهم ، بينَ الورى ، مُستفيضْ .
كانوا ، إذا ما نُجعةٌ أعوزَت في السَّنةِ الشَّهباءِ ، رَوضًا أريضْ ؛[٢]
تُشبُ للسَّارينَ نيرانُهم ، ويُطعمون الضَّيفَ لحمًا غريضْ ؛[٣]
ما باتَ جارٌ لهمُ ساغبًا ؛ ولا لروعٍ قالَ : حالَ الجريضْ .[٤]
فغَيَّضَت منهم صُروفُ الرَّدى بجارَ جُودٍ ، لم نَخلها تغيضْ ؛
وأُودِعت منهم بُطونُ الثَّرى أُسدَ التَّحامي ، وأُساةَ المريضْ !
فمَحِلي ، بعدَ المَطايا ، المطا ، ومَوطني ، بعدَ اليفاعِ ، الحَضيضْ ؛[٦]
وأفرُخي ما تأتَلي تشتكي بُؤسًا لَه ، في كلِّ يومٍ ، وميضْ !
إذا دعا القانِتُ ، في ليله ، مَولاهُ ، نادوهُ بدَمعٍ يَفيضْ :[٨]
يا رازقَ الغُرابِ في عُشِّه ؛ وجابرَ العَظمِ الكَسيرِ ، المهيضْ !
أتِح لنا ، اللَّهمَّ ، مَن عِرضُه ، من دَنَسِ الذَّمِّ ، نَقيٌّ رَحيضْ ،
يُطفِئُ نارَ الجُوعِ عَنَّا ، ولو بمَذقةٍ من حازِرٍ ، أو مَخيضْ !
فهل فتًى يَكشِفُ ما نابَهم ، ويَغنَمُ الشُّكرَ الطَّويلَ ، العَريضْ !

١ . غنوا دهرًا الخ . . غنى فلان بالمكان اقام ◎ الغضيض : المنكسر وهو كناية عن كون الدهر لم يصبهم باذى .

٢ . النجعة : طلب الماء والكلا ◎ واعوزت فقدت ◎ السنة الشهباء : المجدبة التي لا خضرة فيها ولا مطر ◎ الروض الاريض : البقعة الطيبة . اي عند ما لا يقضي طلب المراعي الى وجود روض انيق في السنة الماحلة تراهم يوقدون النار للسارين اي الماشين بالليل .

٣ . الغريض : الطري .

٤ . الساغب : الجائع ◎ وقوله : ولا لروع قال حال الجريض : اي ان جارهم لا يخاف حتى يقول هذا المثل . يريد انه في امن من الموت . واصل المثل : حال الجريض دون القريض ، والجريض غصة الموت . قاله عبيد بن الابرص لما اراد النعمان بن المنذران يقتله في يوم بؤسه وطلب منه ان يقول الشعر .

٥ . بطون الثرى : القبور ◎ واسد التحامي : فرسان الحماية والمنعة ◎ اساة المريض : جمع آس وهو الطبيب ونصب أسد واساة على المفعولية لاودعت .

٦ . المطا : الظهر ◎ والمحل : موضع الحمل وما يحمل عليه الاثقال . اي انها صارت تحمل على ظهرها ما كانت تحمله على ابلها ◎ واليفاع : ما ارتفع من الارض . اي مسكني في بلاد الغور بعد ان كان في عالي الارض ولعله يريد انها تنام على حضيض الارض بعد ان كانت على فرش وثيرة .

٧ . ما تأتلي : لا تزال صبيتي تشكو من ضيق حال يلمع لهم كل يوم لمعان البرق اي يظهر لهم بيلايا .

٨ . القانت : العابد . اي يصلون الى الله بدمع فائض ساعة يدعوه المتحكم العابد .

٩ . المذقة : الجرعة ◎ الحازر : اللبن الحامض الشديد الحموضة ◎ المخيض : اللبن الذي يمزج بالماء ليخرج زبده وهو يسمى حازرًا اذا طال مكثه واشتدت حموضته .

قالَ الرَّاوي : فواللهِ لقد صدَّعتْ بأبياتِها أعشارَ القُلوب[١] . واستخرَجتْ خَبايا الجُيوبِ . حتّى ماحها مَن دِينُه الامتياحُ[٢] . وارتاحَ لرِفدِها مَن لم نَخَله يَرتاح[٣] . فلمّا افعوعَمَ جَيبُها تِبرًا[٤] . وأولاها كلٌّ منّا بِرًّا . تَوَلَّت يَتلُوها الأصاغِر . وفُوها بالشُّكرِ فاغِر[٥] . فاشرأبّتِ[٦] الجماعةُ بعدَ مَمَرِّها ، إلى سَبرِها[٧] لتَبلوَ مَواقعَ بِرِّها[٨] . فكَفلتُ لهم باستِنباطِ السِّرِّ المَرموزِ . ونهضتُ أقفو أثَرَ العجوزِ . حتّى انتَهَت الى سُوقٍ مُغتَصَّةٍ بالأنامِ . مُختَصَّةٍ بالزِّحامِ . فانغمَسَت في الغُمارِ[٩] . وامَّلَست منَ الصَّبيةِ الأغمارِ[١٠] . ثمَّ عاجت[١١] بخُلوٍ بالٍ . إلى مَسجِدٍ خالٍ . فأماطَتِ الجِلبابَ[١٢] . ونَضَتِ النِّقابَ[١٣] . وأنا ألمَحُها من خَصاصِ البابِ[١٤] . وأرقُبُ ما ستُبدِي منَ العُجابِ . فلمّا انسَرَت أهبةُ الخَفرِ[١٥] . رأيتُ مُحيّا أبي زيدٍ قد سفَرَ . فهَمَمتُ أن أهجُمَ عليه . لأُعنِّفَهُ على ما أجرى إليه[١٦] . فاسلَنقى اسلِنقاءَ المُتمرِّدين[١٧] . ثمَّ رفَعَ عَقيرَةَ المُغرِدين[١٨] . واندفَعَ يُنشِدُ :

١ * صدعت ... اعشار القلوب : شققتها قطعها واجزاؤها ج عشر وهو القطعة تكسر من القدح او الرمح وهي القدر من الحجر .

٢ * ماح : اعطى ، واصله من ماح الماء . والامتياح طلب المعروف . اي وصلها من عادته طلب العطاء ، يريد مشيخة الشعراء وعادتهم الاستعطاء .

٣ * ارتاح : نشط ، لعطائها من لم تحسبه يهتز للكرم والعطاء .

٤ * افعوعم تبرًا : امتلأ ذهبًا .

٥ * فاغر : فاتح ، بمعنى منفتح اي فمها منطلق بالشكر .

٦ * اشرأب الرجل : مدّ عنقه لشرب الماء ، ثم استعمل لرفع الرأس عند النظر .

٧ * السبر : الاختبار . اي نظرت الجماعة وطمعت في ان تختبر امرها بعد ذهابها .

٨ * اي لتعرف الجماعة مواضع صلتها . اي اوقعت اكرامها في من يستحقه ام لا .

٩ * الغمار : كثرة الخلق وجماعتهم التي تغمر الارض اي تغطيها .

١٠ * امّلست : تخلصت . والاملاس ان يسقط الشيء من يدك ولا تشعر ◉ والاغمار : الجهّال ، ج غمر وهو الذي لم يجرب الامور .

١١ * عاجت : مالت ورجعت

١٢ * اماطت الجلباب : ازالته .

١٣ * نضت النقاب : اي كشفت البرقع .

١٤ * خصاص الباب : شقوقه وفرجه .

١٥ * انسرت : انكشفت ◉ اهبة الخفر : هيئة الحياء ، اي النقاب .

١٦ * ما واجرى اليه : يقال : جرى الى الشيء . اجرى اليه اذا قصده ويروى : على ما اجترأ عليه .

١٧ * فاسلنقى : استلقى ونام على ظهره منبسطًا ◉ والمتمردون : الشياطين .

١٨ * العقيرة : الصوت : اي صاح طربًا .

يا ليتَ شِعري ! أدَهري أحـاطَ علماً بقَدري ؟
وهل دَرى كُنهَ غَوري ، في الخَدع ، أم ليسَ يَدري ؟[١]
كم قد قَرتُ بَنيهِ ، بحِيلتي ، وبمَكري ؟[٢]
وكم برَزتُ بعُـرفٍ ، عليهـمُ ، وبنُكرِ ؟[٣]
أصطـادُ قوماً بوَعظٍ ، وآخـرين بشِعـرٍ ،
وأستَفِزُّ ، بخَـلٍ ، عَقلاً ، وعَقلاً بخَمرِ ،[٤]
وتارةً أنا صَخـرٌ ؛ وتارةً أختُ صَخرٍ .[٥]
ولو سلَكتُ سبيلاً مألوفـةً طولَ عُمري ،
لخابَ قِدحي ، وقَدحي ، ودامَ عُسري وخُسري .[٦]
فقُـل لمن لامَ : هذا ، عُذري ، فدُونَك عُذري !.[٧]

قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ : فلَمّا ظهرتُ على جليّةِ أمرِه . وبَديعةِ إمرِه[٨] . وما زَخرَفَ في شِعرِهِ من عُذرِهِ . عَلِمتُ أنّ شَيطانَه المَريد[٩] . لا يسمَعُ التّفنيد[١٠] . ولا يَفعَلُ إلّا ما يُريدُ . فثنيتُ إلى أصحابي عِناني . وأبثَثتُهم ما أثبتَه عِياني[١١] . فوَجَمُوا[١٢] لضَيعةِ الجَوائزِ . وتعاهدُوا على حَرمةِ العَجائزِ[١٣] .

١ . كنه غوري : غاية عمق عقلي ◉ والكنه الحقيقة ◉ والغور آخر الأمر والقعر .

٢ . قرت بنيه : اي غلبت بني الدهر وخدعت اهله .

٣ . اي كم ظهرت بامور معروفة وتارة بامور منكرة .

٤ . استفزّه : استخفه ◉ والخل : كناية عن الشر والخمر كناية عن الخير . والمعنى اخدع البعض بالخير والبعض بالشر .

٥ . صخر : هو صخر بن الشريد اخو الخنساء ، واخت صخر هي الخنساء الشاعرة المشهورة . اراد انه يظهر تارة بزي الرجال وتارة بزي النساء .

٦ . القِدح : بالكسر السهم من سهام الميسر . والقَدح مصدر قدح الزند اذا ضربه على الزندة ليخرج النار ◉ والعسر : الضيق ضد اليسر ◉ والخُسر بالخاء الخسران .

٧ . اي قل لمن عابني : ان هذا عذري فاقبلوه .

٨ . الإمر : بالكسر : الدهاء ، والامر العجب .

٩ . المريد : الخبيث العاتي .

١٠ . التفنيد : اللوم والتوبيخ .

١١ . اي اخبرتهم وشرحت لهم ما حققته معاينتي ونظري .

١٢ . وجموا لضيعة الجوائز : اي غضبوا لما اضاعوه من العطايا .

١٣ . اي تحالفوا على منع العجائز وحرمانهن من العطايا .

المقامة الكرجية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ : شتوتُ بالكرجِ لدَينٍ أقتضيه[١] ، وأربٍ أقضيه فبلَوتُ من شتائها الكالحِ . وصرها النافحِ[٢] . ما عرَّفني جهدَ البلاء . وعكَفَ بي على الاصطلاء[٣] . فلم أكُن أزايلُ وجاري[٤] . ولا مُستوقدَ ناري إلا لضَرورةٍ أدفَعُ إليها ، أو إقامةِ جماعةٍ أحافظُ عليها[٥] . فاضطررتُ في يومٍ جوُّه مُزمهرٌ[٦] . ودَجنُه مُكفهرٌ[٧] . إلى أن برزتُ من كِناني لمُهمٍّ عناني[٨] . فإذا شيخٌ عاري الجلدةِ . بادي الجردةِ[٩] . وقد اعتمَّ بريطةٍ . واستتفَرَ بفُويطةٍ[١٠] . وحوالَيه جمعٌ كثيفُ الحواشي . وهو يُنشِدُ ولا يُحاشي[١١] :

يا قومِ ألا يُنبئكم ، عن فقري ، أصدقُ من عُربي ، أوانَ القُرِّ ؟
فاعتبِروا ، بما بدا من ضُرِّي ، باطِنَ حالي ، وخفيَّ أمري ؛
وحاذروا انقلابَ سِلمِ الدَّهر ، فإنني كُنتُ نسيَ القَدرِ ،
آوي إلى وَفرٍ ، وحدِّ يفري ؛ تُفيدُ صُفري ، وتُبيدُ سُمري ،[١٢]
وتشتكي كُومي غداةَ أقري ؛ فجرَّدَ الدَّهرُ سُيوفَ الغَدرِ ،[١٣]

١ . الكرج : مدينة بين اصبهان وهمذان شديدة البرد. كانت في ازل امرها مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن . وابنيتها ابنية الملوك وهي قصور واسعة ذات زرع ومواش . واوّل من مصّرها ابو دلف العجلي وجعلها مدينة عظيمة ودار اجناد ومحل وفود وقصّاد .

٢ . شتائها الكالح : اي الشديد . واصل الكلاح ابداء الاسنان من العبوس ◎ والصرّ : البرد القارس ◎ والنافح : المتحرك بالريح الباردة . والنفح للبرد بمنزلة اللفح للحرّ .

٣ . البلاء : غاية الشدة ومنتهى المشقة ◎ عكف بي على الاصطلاء : اي اضطرني الى مجاورة النار . والاصطلاء دنو المقرور من النار .

٤ . وجاري : بيتي . واصله بيت الشعاب .

٥ . يريد بالجماعة جماعة الصلاة . اي لحضور صلاة الجماعة التي اراعيها .

٦ . مزمهر : شديد البرد من الزمهرير .

٧ . دجنه مكفهر : اي سحابه معظم وغيمه متراكم .

٨ . الكنان : وقاء كل شيء . وستره والبيت ◎ لمهم عناني : اي لحاجة اهتمني .

٩ . بادي الجردة : اي ظاهر البشرة . واصل الجردة ما تجرّد من الثوب .

١٠ . اعتم : اتخذ عمامة ◎ الريطة : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة اراد به هنا شبه الكراز يجعله اهل المغرب على رؤوسهم ◎ الفويطة : تصغير فوطة ◎ واستفر بها : اتزر بها وثنى طرفها فاخرجه من بين فخذيه .

١١ . كثيف الحواشي : كثير الازدحام ◎ لا يحاشي لا يبالي ولا يستثني .

١٢ . آوي : اميل وارجع الى مال كثير والى سيف يقطع . والمراد كنت ذا مال وعدة ◎ تفيد صفري : اي دنانيري الصفر تفني الفقير . ورماحي تهلك اعدائي .

١٣ . الكوم : ج كوماء وهي الناقة العظيمة السنام ◎ واشتكاؤها كناية عن نحرها لها اي اكثرت من نحرها حتى تظامت واشتكت .

وشَنَّ غاراتِ الرَّزايا الغُبرِ ، ولم يزَل يَسحَتُني ، ويَبري ، [١]
حتَّى عَفت داري ، وغاضَ دَرّي ، وبارَ سِعري ، في الورى ، وشِعْري ، [٢]
وصِرتُ نِضوَ فاقةٍ وعُسرِ ، عاري المَطا ، مُجرَّدًا مِن قِشري ، [٣]
كأنَّني المِغزَلُ في التَّعرّي ؛ لا دِفءَ لي في الصِنِّ والصَنَبرِ ، [٤]
غيرُ التَّضَحّي واصطِلاء الجَمرِ ! فهل خِضَمٌّ ذو رِداء غَمرِ ، [٥]
يَستُرُني بُطرَفٍ ، أو طِمرِ ، طِلابَ وجهِ اللهِ لا لِشُكري ؟!

ثمَّ قالَ : يا أربابَ الثَّراء . الرَّافلين في الفِراء . من أُوتيَ خيرًا فَلْيُنفِق [٦] . ومَن استطاعَ أن يُرفِقَ فلْيُرفِق . فإنَّ الدُّنيا غرورٌ [٧] . والدَّهرَ عَثورٌ [٨] . والمُكنَةَ زَورةُ طَيف . والفُرصةَ مُزنةُ صَيفٍ [٩] وإنّي ، واللهِ ، لطالما تلَقَّيتُ الشِّتاءَ بكافاته [١٠] . وأعدَدتُ الأُهبَ له قبلَ مُوافاتِه [١١] . وها انا اليَومَ ، ياسادَتي . ساعِدي وسادَتي وَجلدتي بُردتي . وحَفنتي جَفنتي . فليَعتَبِرِ العاقلُ بحالي . وليُبادِرِ صَرفَ اللَّيالي . فإنَّ السَّعيدَ من اتعَظَ بسِواهُ . واستَعَدَّ لمَسراهُ [١٢] .

١ * يريد : ان الدهر دفع عليه طائفة مصائبه الشديدة ◉ والغبر في الاصل : الاتية في زمان المحل ◉ يسحتني ويبري : اي يستأصل مالي ويبريني بري القلم .

٢ * عفت : فرغت او درست ◉ غاض دري : اي نقص لبني ◉ بار سعري : كسد ثمني بين الناس وانحط قدري .

٣ * النضو : الهزيل اي مهزول من الفقر ◉ المطا : الظهر ◉ القشر : الثوب .

٤ * كانني : المغزل في التعري : مثل يضرب لمن هو في شدة الفقر والتعري فيقال : اعرى من المغزل لانتزاء الغازلة عن المغزل ما تلبسه من الغزل ◉ الصن والصنبر : يومان شديدا البرد يعدان من ايام العجوز ، وهي سبعة ايام تأتي في عجز الشتاء اي في آخره ، اولها الصن ثم الصنبر ثم الوبر ثم الآمر ثم المؤتمر ثم المعلل ثم مطفئ الجمر جمعها ابن احمر بقوله :

كم الشتاء بسبعة غبر
بالصن والصنبر والوبر
وبآمر واخيه مؤتمر
ومعلل وبمطفئ الجمر .

٥ * التضحي : من تضحى فلان برز للشمس ◉ الخضم : الكريم ، واصله البحر الكثير الماء ◉ ذو رداء غمر : اي واسع الرداء وهو كناية عن الجواد .

٦ * الرافلين : في الفراء : المتبخترين في الفراء وهي ج فروة وقوله : من اوتي خيرًا فلينفق ، من سورة الطلاق .

٧ * اي غارة .

٨ * الدهر عثور : اي كثير العثار والسقوط باهله .

٩ * المكنة : القدرة والغنى . اي ان الثروة كزيارة خيال المنام ◉ والفرصة : ما تهيأ لك وتيسر من مطالبك يريد انها سريعة الزوال كسحابة الصيف .

١٠ * تلقيت : الشتاء بكافاته : اشارة الى بيتي ابن سكرة الواردين في صفحة تالية .

١١ * الاهب : ج اهبة : العدة .

١٢ * ساعدي وسادتي : اي اسند رأسي الى ذراعي ◉ وجلدتي بردتي : اي كسائي جلدي ◉ وحفنتي جفنتي : الحفنة من الكف اي قصعتي كفي ◉ لمسراه : اي لذهابه الى الآخرة .

فقيلَ له : قد جلَوت علينا أدبَك . فاجلُ لنا نسَبَك . فقالَ : تَبًّا لمفتخرٍ بعظمِ نَخِرٍ . إنَّما الفَخرُ بالتُّقى . والأدبِ المُنتقى . ثمَّ أنشدَ :

لعَمرُك ، ما الإنسانُ إلَّا ابنُ يومِه ، على ما تجَلَّى يومُه لا ابنُ أمسِهِ ،[1]
وَما الفخرُ بالعظمِ الرَّميمِ ، وإنَّما فخارُ الَّذي يَبغي الفَخارَ بنَفسِهِ .

ثمَّ إنَّه جلسَ مُحقوقِفاً . واجرَنثمَ مُقفقِفاً[2] . وقالَ : أللَّهمَّ ايا من غمَرَ بنَوالِه . وأمَرَ بسُؤالِه . أعِنِّي على البردِ وأهوالِه . وأتِح لي حُرًّا يُؤثِرُ من خَصاصةٍ . ويُؤاسي ولو بقُصاصةٍ[3] . قالَ الرَّاوي : فلمَّا جَلَى عن النَّفسِ العِصاميَّةِ . والمِلَحِ الأصمَعيَّةِ[4] . جعلَت مَلامِحُ عيني تعجُمُه[5] . ومَرامي لَحظي تَرجُمُه[6] . حتَّى استَبَنتُ أنَّه أبو زيدٍ . وأنَّ تَعرِيَهُ أُحبولةُ صَيدٍ . ولَمَحَ هو أنَّ عِرفاني قد أدرَكه . ولم يَأمن أن يَهتِكَه . فقالَ : أُقسِمُ بالسَّمَرِ والقَمَرِ . والزُّهرِ والزَّهرِ[7] . إنَّه لن يستُرَني إلَّا من طابَ خِيمُه[8] . وأشرَبَ ماءَ المُروءةِ أديمُه[9] . فعَقَلتُ ما عناه . وإن لم يَدرِ القومُ مَعناهُ . وساءني ما يُعانيه من الرِّعدةِ . وأقشِعرار الجلدةِ . فعَمَدتُ لفَروةٍ هي بالنَّهارِ رِياشي[10] . وفي اللَّيلِ فِراشي . فنَضَوتُها عنِّي[11] .

١ * المراد ان الانسان بحسبه لا بنسبه .

٢ * محقوقفاً : منحنياً معوجاً ◎ اجرنثم : اجتمع مرتعدًا . واجرنثم من الجرثومة وهي ما اجتمع حول الشجرة من تراب . واصل قفقف قف ضوعف للمبالغة يقال : قف الشعر اذا ارتفع من الخوف ◎ وامر بسؤاله : اشارة الى قول القرآن في سورة النساء : اسألوا فضله .

٣ * اتح قدر لي يؤثر من خصاصة : اي يختار غيره بطعامه ويفضله على نفسه مع حاجته اليه ◎ والخصاصة : الفقر والحاجة . وقد ورد في سورة الحشر عن المؤمنين : ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ◎ يؤاسي ولو بقصاصة : اي يحسن ولو بعطاء يسير . واصل القصاصة ما اخذه المقص من الشعر .

٤ * العصامية : نسبة الى عصام بن شهر حاجب النعمان المنذر ، كان خادماً ونفسه شريفة ◎ الاصمعية : نسبة الى الاصمعي ، وهو ابو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي المشهور بنوادره الغريبة ، وحلو المسامرة . وكان من ندماء الرشيد .

٥ * ملامح : العين : مواقعها ◎ وتعجمه : تتفرسه وتختبره .

٦ * مرامي لحظي ترجمه : المرامي جمع مرماة وهي السهم استعارها لتجديد النظر ، اي ترميه وتقع عليه نظرات عيني .

٧ * جا : في الامثال : حلفت بالسمر والقمر اي بسواد الليل وبياضه بطلوع القمر . ويقال : لا اتيك السهر والقمر ابدًا . ويروى : اقسم بالشمس والقمر ◎ والزهر والزهر : الزهر جمع ازهر وهي النجوم ، والزهر كالازهار .

٨ * الخيم : السجية والطبيعة والكرم ، اي لا يكتم امري وحيائي الا كريم .

٩ * اي : سقى وجهه ماء الجميل . يريد من لاح على وجهه سمة الاحسان .

١٠ * رياشي : لباسي وزينتي .

١١ * نضوتها عني : نزعتها .

وقُلتُ لهُ : اقبلها مني . فما كذَّبَ أن افتراها[١] . وعيني تراها . ثمَّ أنشدَ :

لله مَن ألبَسَني فَروَةً ، أضحَت منَ الرِعدَةِ لي جُنَّهْ ؛
ألبَسَنهـا واقياً مُهجَتي ، وُقيَ شرَّ الإنسِ والجِنَّهْ !
سيكتَسي اليومَ ثَنائي وفي غَدٍ سَيُكسى سُندُس الجَنَّهْ .[٢]

قالَ : فلمَّا فتَنَ قُلوبَ الجماعة . بافتِتانه في البَراعة . ألقوا عليه منَ الفِراء المُغشَّاة[٣] . والجِبابِ المُوشَّاة . ما آده[٤] ثِقَلُه . ولم يكد يُقِلُّه فانطَلَقَ مُستبشِرًا بالفَرَج . مُستَسقياً المكرَج[٥] . وتَبِعتهُ إلى حيثُ ارتفَعَتِ التَّقيَّة[٦] . وبَدَتِ السَّماء نَقيَّة . فقُلتُ له : لشدَّ ما قرسَكَ البردُ[٧] . فلا تتعرَّ من بعدُ . فقالَ : ويكَ![٨] ليسَ منَ العدلِ . سُرعةُ العَذلِ . فلا تَعجَل بلومٍ هو ظُلمٌ . ولا تَقفُ ما ليسَ لكَ به عِلمٌ[٩] . فوالَّذي نَوَّرَ الشَّيبة . وطيَّبَ تُربةَ طَيْبة[١٠] . لو لم أتعرَّ لرُحتُ بالخَيبة . وصَفرِ العَيبة[١١] . ثمَّ نزَعَ إلى الفِرارِ وتبرقَعَ بالاكفهرارِ[١٢] . وقالَ : أما تَعلَمُ أنَّ شِنشنتي الانتقالُ من صَيدٍ إلى صَيدٍ . والانعطافُ من عَمرٍو الى زيدٍ . وأراك قد عُقتَني وعَقتَني[١٣] . وأفتَني أضعافَ ما أفدتَني[١٤] .

١ * افترى : ليس الفروة . اي ما لبث ان لبسها .
٢ * الجُنَّة : بالضم في البيت الاول: الستر والوقاية . وبالكسر في الثاني: الجنّ . وبالبيت الثالث : سكنى الصالحين ◎ والسندس : الديباج الرقيق .
٣ * الفراء المغشاة : التي عليها الاغطية من ثياب الحرير والصوف ونحوها .
٤ * ما آده : ما الثقل يقال : آده الحمل يؤوده اذا غلب على قواه .
٥ * مستسقياً للكرج : اي داعياً لمدينة الكرج بقوله سقاها الله .
٦ * ارتفعت التقية : زال الاتقاء والاحتراز .
٧ * لشد ما قرسك البرد : اللام لام القسم وما اسم نكرة في موضع النصب . ومعنى الكلام التعجب اي لشديد عليك اذى البرد ◎ وقرّسه : آذاه من القرس وهو البرد الشديد .
٨ * ويك اي عجباً لك اصله وي لحق به الكاف .
٩ * لا تقف ما ليس لك به علم : اي لا تتهم ما لم تعلم به . وهو من قول القرآن جاء في سورة الاسرى .
١٠ * فوالذي نوّر الشيبة : اي قسماً بالله الذي جعل الشيبة نورًا وفي هذا تلميح الى قول القرآن : اشتعل الراس شيبًا او يكون المعنى الذي بيّض شعر الراس ◎ وطيب تربة طيبة : طيبها ازكاها . وطيبة اسم يثرب مدينة الرسول سماها بذلك نبي المسلمين بعد هجرته اليها .
١١ * الخيبة : الحرمان وخلوّ الوعاء ◎ العيبة : وعاء تجعل فيه الثياب وصَفرها : فراغها .
١٢ * تبرقع بالاكفهرار : اي ستر وجهه بالعبوس .
١٣ * عقتني وعلقتني : اي منعتني عن الرحيل وعصيتني .
١٤ * افتني : اي حرمتني اضعاف ما اكسبتني .

٣٢٤ ـــــــ

ياقوت الحموي

البيد

- ١٢٢٨ م

هو ابو عبدالله ياقوت الملقب بشهاب الدين . أُسر من بلاد الروم صغيرًا ، وحمل الى بغداد ، فابتاعه تاجر اسمه عسكر الحموي ، فنسب اليه ، وقيل له ياقوت الحموي . وكان عسكر لا يحسن الخط ، فجعل ياقوت في الكتّاب لينتفع به في ضبط تجارته ، ففرأ ياقوت شيئًا من النحو واللغة . ثم شغله سيّده بالاسفار في متاجره ، ولم يلبث ان اعتقه وابعده عنه ؛ فاشتغل ياقوت بنسخ الكتب ، متكسّبًا ، فأفاد بالمطالعة علمًا . ثم عاد الى مولاه ، فعطف عليه وسفّره في تجارته . ولما عاد وجد سيده قد مات ، فأخذ من تركته ما يكفيه للاتجار . كان متعصّبًا على عليّ ، فناظر في رحلة له الى دمشق بعض المتعصبين لعلي ، فثار عليه الناس ، فخاف وفرّ هاربًا الى حلب . ثم اخذ يتنقل من حلب ، الى إربيل ، فخراسان ، فمرو ، فنسا ، حتى استقرّ في خوارزم ، ولبث فيها الى ان زحف اليها جنكزخان بجموله سنة ١٢١٩ ، فاضطرم ياقوت الى الموصل لا يحمل شيئًا من ماله ؛ ثم سار الى سنجار ، فحلب ، واقام في ظاهر حلب الى ان مات . وقد استفاد جغرافيًا في رحلاته الكثيرة ، فالّف كتابه « معجم البلدان » . وكان اذا ذكر بلدًا اورد شيئًا من تاريخه ، ومما قيل فيه من شعر ، وذكر من اشتهر فيه ، أو نسب اليه من الادباء والشعراء والفقهاء واهل العلم ؛ فلم يكن بذلك ، كتابه معجمًا جغرافيًا وحسب ، وانما كان ايضًا كتاب تاريخ وادب يرجع اليه لمعرفة الاماكن التي ذكرها ، ومعرفة تاريخها وصفاتها وضبط اسمائها .

آثارُه

لياقوت مؤلفات عديدة اشهرها «معجم الادباء» «ومعجم البلدان»، وهذا الاخير هو الذي اخذنا منه بعض قطع لهذا الكتاب. طبعه الناشر وستنفيلد، لاول مرة، في ليبسيك سنة ١٨٦٦ - ١٨٧٠ في اربعة مجلدات، الحقها بمجلدين آخرين للفهارس، ولما علّق عليه من حواشٍ. وتمتاز هذه الطبعة بان الناشر اشار في ذيول صفحات الفهارس الى اماكن وجود تراجم الاعلام الوارد ذكرها في الكتاب. وفي صدر الكتاب مقدّمة في الجغرافيا، وفصل في تفسير الالفاظ الاصطلاحية التي وردت فيه، ثم اسماء البلدان مرتبة على حروف المعجم. وطبع ايضاً في مصر سنة ١٩٠٦ في عشرة مجلدات مصححة، ومرتبة على حروف المعجم، ومذكور فيه ما استدرك على المؤلف.

ما تحت الارض[1]

واختلفوا فيما تحتَ الأرضِ ، فزعَمَ بعضُ القدماء أن الأرضَ يُحيطُ بها الماء ، والماء يُحيطُ به الهواء ، والهواء يُحيطُ به النّارُ ، والنّارُ تحيط بها السّماء الدّنيا ، ثمّ الثانيةُ ، ثمّ الثالثةُ ، إلى السابعةِ ؛ ثمّ يحيطُ بها فلكُ الكواكب الثّابتةِ ؛ ثمّ فوقَ ذلك الفلكُ الأعظمُ المستقيمُ ؛ ثمّ فوقه عالمُ النّفسِ ، وفوقَ عالمِ النّفسِ عالمُ العقلِ ، وفوقَ عالمِ العقلِ الباري جلّت عظَمتُه ، ليس وراءه شيء . فعلى هذا الترتيب أنّ السّماء تحتَ الأرضِ كما هي فوقها . .

وفي أخبارِ قُصّاصِ المسلمين أشياء عجيبةٌ تضيقُ بها صدورُ العقلاء ، أنا أحكي بعضها غيرَ معتقدٍ لصحّتها . . رووا : أنّ اللهَ تعالى خلَقَ الأرضَ تُكفأ[2] كما تُكفأُ السّفينةُ . فبعثَ اللهُ ملَكاً ، حتّى دَخلَ تحتَ الأرضِ ، فوضَعَ الصّخرةَ على عاتقِه ؛ ثمّ أخرَج يدَيه ، إحداهما بالمشرقِ والأُخرى بالمغربِ ؛ ثمّ قبَضَ على الأرَضين السّبعَ فضبطَها ، فاستقرّت ولم يكن لقَدَمِه قَرارٌ ؛ فأهبط اللهُ ثوراً ، من الجَنّةِ ، له أربعون الفَ قَرنٍ وأربعون الفَ قائمةٍ ، فجَعَلَ قَرارَ قدَمي الملَكِ على سَنامِه ، فلم تصل قدماه اليه ؛ فبعَثَ اللهُ ياقوتةً خضراءَ من الجَنّةِ ، مسيرُها كذا ألفَ عامٍ ، فوضَعَها على سَنامِ الثورِ ، فاستقرّت عليها قدماه . وقرونُ الثورِ خارجةٌ من اقطار الأرض ، مُشبّكةٌ تحت العَرش ، ومَنخَرُ الثورِ في ثُقبَينِ من تلك الصّخرةِ ، تحتَ البحرِ ، فهو يتنفّسُ كلّ يوم نفَسَينِ : فاذا تنفّس مَدّ البحرُ ؛ وإذا ردّه جَزَرَ . ولم يكن

١ . أخذت هذه القطعة من الباب الأول « في صفة الارض وما فيها من الجبال والبحار وغير ذلك » .

٢ . تكفأ : تكب وتقلب .

لقوائم الثور قرارٌ فخلق الله له كُمكماً[1] كغلظ سبع سموات وسبع أرضين، فاستقرت عليه قوائم الثور. ثم لم يكن للكُمكم مستقرٌ، فخلق الله، تعالى، حوتاً يقال له: بلهوت، فوضع الكُمكم على وبر ذلك الحوت — والوبر الجناح الذي يكون في وسط ظهر السمكة — وذلك الحوت على ظهر الريح العقيم[2]، وهو مزموم بسلسلة كغلظ السموات والأرضين، معقودة بالعرش. قالوا: إن إبليس انتهى إلى ذاك الحوت، فقال له: إن الله لم يخلق خلقاً أعظم منك، فلم لا تزلزل الدنيا؟ فهم بشيء من ذاك، فسلط الله عليه بقة في عينه، فشغلته ... وزعم بعضهم أن الله سلط عليه سمكة كالشطبة[3]، فهو مشغول بالنظر اليها، ويهابها.

وقالوا: وأنبت الله من تلك الياقوتة، التي على سنام الثور، جبل قاف، فأحاط بالدنيا، فهو من ياقوتة خضراء. فيقال، والله أعلم: إن خضرة السماء منه. ويقال: إن بينه وبين السماء قامة رجل؛ وله رأس ووجه ولسان. وأنبت الله، تعالى، من قاف، الجبال وجعلها أوتاداً الأرض، كالعروق للشجر؛ فإذا أراد الله، عز وجل، أن يزلزل بلداً، أوحى الله إلى ذلك الملك: أن زلزل ببلد كذا، فيحرك عرقاً مما تحت ذلك البلد، فيتزلزل؛ وإذا أراد أن يخسف ببلد، أوحى الله إليه: أن أقلب العرق! فيقلبه، فيخسف البلد.

وزعم وهب بن منبه: أن الثور والحوت يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض، فإذا امتلأت أجوافهما قامت القيامة.. وقال آخرون: إن الارض على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة على سنام الثور، والثور على كُمكم، من الرمل متلبد، والكمكم على ظهر الحوت، والحوت على الريح العقيم،

١. الكمكم: ضبط هذه اللفظة المستشرق وستنفلد في طبعة ليبزيك بضم الكافين، ولم يفسرها، ولم تضبط في طبعة مصر ولم تفسر. ولم نجد لها اثرًا في ما بين ايدينا من المعاجم القديمة والحديثة، ومساق الحديث يدل على ان معناها: كثيب او جرم كبير: بدليل قول المؤلف فيما يأتي من الكلام: «والثور على كمكم من الرمل متلبد». وربما كانت مأخوذة من لفظة قمقم الاراهرة، ومعناها: تل.

٢. الريح العقيم: التي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا.

٣. الشطبة: جريدة النخل.

والريحَ على حجابٍ من الظُّلمةِ ، والظُّلمةَ على الثَّرى ، و إلى الثَّرى ينتهي علم الخلائقِ ، ولا يَعلَمُ ما وراءَ ذلك إلا اللهُ . قالَ اللهُ ، تعالى : (له مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثَّرى).

إرَمُ ذاتُ العِمادِ

.. وروَى آخَرون : أنَّ إرَمَ ذاتَ العِمادِ ، التي لم يُخلَق مثلُها في البلادِ ، باليمن بينَ حضرَموتَ وصَنعاء ، من بناءِ شدّادِ بنِ عادٍ . ورووا : أنَّ شدّادَ ابنَ عادٍ كانَ جبّارًا ، ولمّا سَمِعَ بالجنّةِ ، وما أعدَّ اللهُ فيها لأوليائه ، من قصور الذَّهبِ والفضّةِ ، والمساكن ، التي تجري من تحتِها الأنهارُ ، والغُرَفِ ، التي من فوقِها غُرفٌ ، قالَ لكُبرائه : إنّي متَّخذٌ في الأرضِ مدينةً على صِفةِ الجنّةِ ؛ فوكّلَ بذلك مائةَ رجلٍ من وكلائه وقهارمتِه[1] ، تحتَ يدِ كلّ رجلٍ منهم ألفٌ من الأعوانِ ، وأمرَهم ان يطلبوا فضاءَ فلاةٍ من أرضِ اليمنِ ، ويختاروا أطيبَ تُربةٍ ؛ ومكّنهم من الأموالِ ، ومثّلَ لهم كيفَ يعملون . وكتبَ إلى عُمّاله الثلاثةِ : غانمِ بنِ عُلوانَ ، والضحّاكِ بنِ عُلوانَ ، والوليدِ بنِ الرّيانِ ، يأمرُهم أن يكتبوا الى عمّالِهم ، في آفاقِ بُلدانهم ، أن يجمعوا جميعَ ما في أرضِهم من الذهب والفضّة ، والدُّرّ والياقوتِ ، والمسكِ والعَنبَرِ والزعفرانِ ، فيوجّهوا به اليه ؛ ثم وجه الى جميعِ المعادن فاستخرج ما فيها من الذّهب والفضّةِ ؛ ثمّ وجّهَ عُمّالَه الثلاثةَ إلى الغوّاصين الى البحارِ ، فاستخرجوا منها أمرًا عظيماً ؛ فأمرَ بالذّهبِ فضُربَ أمثالَ اللَّبِنِ[2] ، ثم بُنيَ بذلك تلكَ المدينةَ . وأمرَ بالدُّرِّ والياقوتِ ، والجزعِ والزَّبرجد ، والعقيقِ ، ففضّضَ به حيطانَها ، وجعلَ لها غُرَفاً ، من فوقِها غُرَفٌ مُعَمَّدٌ[3] جميعُ ذلك باساطينِ[4] الزَّبرجدِ والياقوتِ . ثمّ أجرى تحتَ المدينةِ وادياً ، ساقه اليها من

١ . القهارمة . ج قهرمان ، لفظة اعجمية استعملتها العرب بمعنى الوكيل ، او امين الدّخل والخرج .

٢ . اللبن : ج اللبنة ، وهي ما يضرب من الطين مربعاً للبناء .

٣ . معمد : اسم مفعول من عمّده ، جعل له عواميد .

٤ . اساطين : ج اسطوانة ، السارية العمود .

تحتِ الأرضِ أربعينَ فَرسخاً كَهَيئةِ القناةِ العظيمةِ ؛ ثم أمرَ فأُجريَ من ذلك الوادي سَواقٍ في تلك السِّكك والشَّوارع والازقّةِ ، تَجري بالماء الصَّافي ، وأمرَ بحَافَتَي ذلك النَّهرِ وجميع السَّواقي فطُليت بالذَّهب الأحمرِ ؛ وجَعلَ حَصاه[1] أنواعَ الجواهر الأحمرِ والأصفرِ والأخضرِ ؛ فنَصَبَ على حافَتي النَّهر والسَّواقي أشجارًا من الذَّهبِ مُثمِرةً ، وجعَلَ ثمرَها من تلك اليواقيتِ والجواهرِ . وجعَلَ طولَ المدينةِ اثني عشرَ فرسخاً ، وعرضَها مثلَ ذلك ، وصيَّرَ سُورَها عالياً مُشرِفاً ، وبَنى فيها ثلاثمائةِ الفِ قصرٍ مُفضَّضاً بوَاطنُها وظواهرُهـا بأصنافِ الجواهرِ ؛ ثمّ بنى لنفسه ، في وَسط المدينةِ ، على شاطىء ذلك النَّهرِ ، قصرًا مُنيفاً ، عالياً ، يُشرفُ على تلك القصور كلِّها ؛ وجعلَ بابَها[2] يُشرعُ[3] إلى الوادي بمكانٍ رحيبٍ ، واسعٍ ، ونَصَبَ عليه مِصراعَينِ من ذهبٍ ، مُفضَّضَينِ بأنواعِ اليواقيت ، وأمرَ باتّخاذ بنادقَ من مِسكٍ وزعفرانٍ ، فأُلقيت في تلك الشَّوارعِ والطُّرقات ؛ وجعَلَ ارتفاعَ تلك البيوتِ ، في جميعِ المدينة ، ثلاثمائةِ ذراعٍ في الهواء ؛ وجعَلَ السُّورَ مرتفعاً ثلاثمائةِ ذراعٍ ، مفضَّضاً خارجُه وداخلُه بأنواعِ اليواقيتِ وطَرائفِ الجواهرِ . ثم بنى ، خارجَ سورِ المدينةِ ، أكماماً يدورُ[4] ثلاثمائةِ مَنظَرةٍ[5] بلَبِنِ الذهبِ والفضَّة ، عاليةٍ ، مرتفعةٍ في السَّماء ، مُحدِقةٍ بسورِ المدينةِ ليُنزِلَها جنودَه . ومكَثَ ، في بنائها ، خمسمائةِ عامٍ .

وإنَّ اللهَ ، تعالى ، أحبَّ أن يتَّخِذَ الحُجَّةَ عليه وعلى جُنودِه بالرِّسالةِ ، والدُّعاء الى التَّوبةِ ، والإنابةِ[6] ، فانتخَبَ ، لرسالتِه إليه ، هُودًا ، عليه السَّلامُ ، وكان من صميمِ قومِه وأشرافِهم . .

ثمّ إن هودًا ، عليه السَّلامُ ، أتاه ، فدعاه إلى اللهِ ، تعالى ، وأمرَه

١ . الضمير في حصاه يعود الى الوادي ، اي النهر.

٢ . الضمير في بابها يعود الى المدينة.

٣ . يُشرع : يفتح.

٤ . الاكم : شبه جمع للأكمة . وذكّر الضمير في يدور مراعاة للفظ.

٥ . المنظرة : المكان المرتفع المشرف جمعها مناظر.

٦ . الإنابة : من اناب الى الله رجع اليه.

بالايمانِ والاقرارِ بربوبيةِ اللهِ ، عزَّ وجلَّ ، ووحدانيته ؛ فتمادى في الكفرِ والطغيانِ ، وذلك حينَ تمَّ لملكه سبعمائةِ سنةٍ ؛ فأنذرَه هودٌ بالعذابِ ، وحذرَه ، وخوَّفه زوالَ مُلكهِ ، فلم يرتدع عما كانَ عليهِ ، ولم يُجب هودًا إلى ما دعاه اليه .

ووافاه الموكلون ببناء المدينةِ ، وأخبروه بالفراغِ منها ، فعزمَ على الخروج إليها في جنوده ، فخرجَ في ثلاثمائةِ الفٍ من حرسه وشاكريَّته[1] ومواليه ، وسار نحوها ، وخلَّفَ على مُلكهِ ، بحضرموتَ وسائر ارضِ العرب ، ابنه مرثدًا ابنَ شدَّادٍ ، وكانَ مرثدٌ ، فيما يقالُ ، مؤمنًا بهودٍ ، عليه السَّلامُ ؛ فلما قربَ شدَّادٌ من المدينةِ ، وانتهى الى مرحلةٍ منها ، جاءت صيحةٌ من السماء ، فماتَ هو وأصحابُه أجمعون ، حتَّى لم يَبقَ منهم مُخبرٌ ، ومات من كان بالمدينةِ من الفعلةِ والصُّنَّاعِ ، والوكلاء والقهارمةِ ، وبقيت خلاءً لا أنيسَ بها ، وساختِ[2] المدينةُ في الأرضِ ، فلم يَدخُلها ، بعدَ ذلك ، أحدٌ ، الا رجلٌ واحدٌ في أيَّامِ معاويَة ، يقالُ له عبدُ اللهِ بنُ قلابةَ . فإنَّه ذُكرَ في قِصَّةٍ طويلةٍ تلخيصُها أنَّه خرجَ من صَنعاء في بغاء[3] إبلٍ له ضلَّت ، فأفضَى به السَّيرُ إلى مدينةِ صِفتُها كما ذكرنا ، وأخذَ منها شيئاً من بنادقِ المسكِ والكافورِ ، وكانَ قد اصفرَّ وغيَّرته الأزمنةُ ، فأرسلَ معاويةُ إلى كعبِ الأحبارِ[4] وسأله عن ذلك ، فقالَ : هـذه إرمُ ذاتُ العمادِ التي ذكرَها اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، في كتابه ؛ بناها شدَّادُ ابنُ عادٍ . ولا سبيلَ الى دخولها ، ولا يدخُلها إلا رجلٌ واحدٌ ، صِفتُه كذا ؛ ووصفَ صِفَةَ عبدِ اللهِ بنِ قِلابةَ . فقالَ معاويةُ : أمَّا انتَ ، يا عبدَ اللهِ ، فقد أحسَنتَ في نُصحِنا ، ولكن ما لا سبيلَ إليه لا حيلةَ فيهِ . وأمرَ له بجائزةٍ ، فانصرف .

١ * الشاكرية : ج الشاكري ، معرب جاكري بالفارسية ، ومعناه الاجير والمستخدم .

٢ * ساخت : دخلت في الارض وغابت .

٣ * بغاء : طلب .

٤ * كعب الاحبار : عالم من علماء زمانه ؛ اصله يهودي من خيبر .

ذو نُواس وشهداء نَجرانَ

ولم تَزل تَتوالى الملوكُ على حِمْيَرَ حتَّى صارَ المُلكُ إلى ذي نُواس، (٤٩٠ب م). واتَّفقَ أهلُ الأخبارِ كلُّهم أنَّ ذا نُواس هو ابنُ تُبانٍ، أسعدُ، واسمُه زُرعةُ؛ وأنَّه لمَّا تغلَّبَ على مُلكِ آبائه التَّبابعةِ، تسمَّى يوسُفَ وتعصَّبَ لدينِ اليَهوديَّةِ، وحمَلَ عليه قبائلَ اليمنِ، فاستجمَعَت معه حِمْيَرُ على ذلك. وأرادَ أهلَ نَجرانَ عليها، وكانوا، من بين العربِ، يَدينونَ بالنَّصرانيَّة، ولهم فَضلٌ في الدِّينِ واستقامةٌ على حُكمِ أهلِ الإنجيلِ؛ ولهم رأسٌ يقالُ له عبدُ اللهِ بنُ ثامِرٍ[1]. وكانَ هذا الدِّينُ وقَع إليهم قديماً من بَقيَّةِ أصحابِ الحَواريِّينَ، من رجلٍ سقَطَ لهم من مُلكِ التُّبَّعةِ[2] يقالُ له فيمون[3]. وكانَ رجلًا صالحًا، مُجتهِدًا في العِبادةِ، مُجابَ الدَّعوةِ، وظهَرَت على يده الكَراماتُ في شِفاء المَرضى. وكانَ يَطلُبُ الخَفاءَ عنِ النَّاسِ جُهدَه. وكانَ لا يأكُلُ إلَّا من كسبِ يدِه، ويُعظِّمُ يومَ الأحدِ فلا يَعمَلُ فيه شيئاً. فقَطِنَ لشأنِه رجُلٌ من أهلِ الشَّامِ اسمُهُ صالِحٌ، فلزِمَه وخرَجا فارِّينِ بأنفُسِهما، حتَّى وطِئا بلادَ العَرَبِ؛ فاختطَفَتهما سَيَّارةٌ فباعوهما بنَجرانَ. وأهلُ نَجرانَ، يَومئذٍ، على دينِ العَرَبِ، يَعبُدُونَ نخلةً[4]

١ * عبدالله هذا: هو القديس الحارث بن كعب، كما رواه بعض المؤرخين الاقدمين، اخذ النصرانية عن رجلين صالحين انقطعا الى العبادة بجوار مدينة نجران وكان الحارث لمّا تنصر ابن سبع عشرة سنة وتنصر نحو سنة ٥٤٥م فجرت على يده المعجزات وبشر بالمسيح في وطنه ودان اهل نجران بدين النصرانية؛ ثم أقيم الحارث اسقفاً على المدينة وكان استشهاده سنة ٥٢٣م

٢ * سقط ليهم من ملك التبعية: ارسله اليهم الملوك التبابعة بعد ما تنصروا.

٣ * ليس هذا في تواريخ النصارى اثرٌ لفيمون وقال ياقوت: اسمه فيميون. وقيل قيميون. والظاهر انه كان راهباً ناسكاً في بلاد حوران، سباه العرب في بعض غزواتهم، مع تلميذ له اسمه صالح، فباعوهما من عرب اليمن. وذكر الطبري عن فيمون امورا عجيبة، منها: انه كان سائحاً ينازل القرى، ويدعو الى دين المسيح ويشفي كل من به ضرٌ وعاهة، وانه خرج يوماً الى فلاة، من الارض، وقد اتبعه صالح وفيمون لا يدري، فجلس صالح منه، منظر العين، مستخفياً منه، لا يحب ان يعلم مكانه، وقام فيمون يصلي. فبينما هو يصلي، اذ اقبل نحوه التنين، الحية، ذات الرؤوس السبعة، فلما رآها فيمون دعا عليها فماتت. ورآها صالح ولم يدر ما اصابها فخافها عليه فعول على فيمون فصرخ: يا فيمون التنين قد اقبل نحوك، فلم يلتفت اليه، واقبل على صلاته حتى فرغ ثم لزمه صالح وتعبد معه.

٤ * النخلة: كانوا يسمونها عزّى.

لهم طويلةً ، ويُعلّقونَ عليها ، في الأعيادِ ، من حُليّهم وثيابهم ، ويَعكِفون عليها أيّاماً . وكانَ قدِ ابتاعَ فِيمُونَ رجلٌ من أشرافِهم وابتاعَ صالحاً آخرُ . فكانَ فيمُونُ إذا قامَ في اللّيلِ ، في بيتٍ له أسكنَهُ إيّاه سيّدُه ، استَسرَجَ له البيتُ نُورًا ، وهو في غيرِ مِصباحٍ ، حتّى يُصبحَ الصّباحُ . فأعجَبَ سيّدَه ما رأى مِنه ، فسأله عن دينِه ، فأخبَرَه به ، وقالَ له : إنّما أنتم على باطلٍ ، وهذه الشّجَرَةُ لا تضُرُّ ولا تَنفَعُ ؛ ولو دعَوتُ عليها إلهي الّذي أعبُدُه لأهلَكَها ، وهو وحدَه لا نِدَّ له . فقالَ له سيّدُه : افعَل ، فإنّك ، إذا فعلتَ هذا ، دخَلنا في دِينِكَ ، وتَركنا ما نحنُ عليه . فدعا فيمونُ ، فأرسَلَ اللهُ ريحاً ، فجعفَتِ النّخلةَ من أصلها ؛ وأطبَقَ أهلُ نَجرانَ على اتّباعِ دينِ عيسى ، فمن هناكَ كانتِ النّصرانيّةُ بنَجرانَ .

وأمّا عبدُ اللهِ بنُ ثامرٍ ، فكان يَجلِسُ إلى فِيمونَ كلَّ يومٍ[1] ، ويَسمَعُ مِنه شَرائعَ النّصرانيّةِ ، حتّى فَقُهَ فيها ، وظهَرَت على يدِه الخَوارقُ ، والمُعجِزاتُ ، ودانَ الكُلُّ بدِينِه . فسارَ إليهم ذو نُواسٍ بجُنودِه ، واستَدعى رأسَهم عبدَ اللهِ ابنَ ثامرٍ فأحذَرَه ، وقالَ له : أفسَدتَ عليَّ أهلَ بلدي ، وخالَفتَ ديني ودِينَ آبائي . ثمّ أمَرَ به ، فقُتِلَ ، وعرَضَ على أهلِ نَجرانَ القَتلَ فلم يَزدهم إلّا جِماحاً ؛ فخَدَّدَ لهم الأخاديدَ[2] وأوقَدَ لهم نارًا ، ثمّ امتَحَنَهم ، فجعَلَ يقولُ للرّجلِ والمرأة : إمّا أن تَترُكَ دِينَكَ وإمّا أن نَقذِفَكَ في النّارِ ؛ فيقولُ : ما أنا تارِكٌ

١ ـ اخبار الطبري والثعالبي وياقوت : ان عبدالله بن ثامر كان يجلس ، اول امره ، الى ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر . وكان يمر في طريقه بخيمة نزلها فيمون فاعجبه ما رأى من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى فقه في دين عيسى بن مريم فجعل عبدالله بن ثامر ، اذا اتى نجران ، لم يبق احداً به ضرّ ، الّا دعاه الى النصرانية فاذا اجاب دعوته شفاه ، ولم يبق احد بنجران به ضرّ الا اتاه ، فاتبعه على امره ، ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه الى صاحب نجران فدعاه فقال له : افسدت عليّ اهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لامثلنّ بك . فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الارض ليس به بأس . فلم يزل به حتى شهد الامير بشهادة عبدالله واستجمع اهل نجران على دين النصرانية ، ومن هنالك كان اصل النصرانية بنجران .

٢ ـ الاخاديد ج الاخدود : الحفرة المستطيلة في الارض ؛ فسمي اهل نجران لذلك اصحاب الاخاديد . وفي القرآن في سورة البروج : قتل اصحاب الاخدود بالنار ذات الوقود اذ هم عليه قعود .

ديني لشيء ؛ فيُقْذَفُ فيها فيُحرَقُ . فبَقِيَت امرأةٌ[1] ، ومعها صَبيٌّ رضيعٌ عُمرُه سبعةُ أشهُرٍ ، فجزِعَت ، وتَهَيَّبَت . فقالَ لها الغُلامُ : يا أُمَّاه لا تَنافقي ، فإنَّك على الحَقِّ ، ولم يكُن يتكلَّمُ من ذي قَبلٍ ، فاحتَرَقَت . وقتَلَ وحرَقَ ذو نواسٍ ، حتَّى أهلَكَ مِنهم ، فيما قالَ ابنُ إسحاقَ ، عشرينَ الفاً ، أو يَزيدون . وأفلَتَ منهم رجلٌ من سبأ[2] ، يُقالُ له دَوسٌ ذو ثُعلُبانَ ، فسلَكَ الرَّملَ على فرَسِهِ ، فأعجَزَهم ، فقدِمَ على قيصرَ ، صاحبِ الرُّومِ ، يستَنصِرُه على ذي نواسٍ .

١ ـ بقيت امرأة : يقال : ان اسم هذه المرأة روحة او رحومة وكانت زوجة للقديس الحارث . وقيل بل انها كانت زوجة ابنه.

٢ ـ من سبأ : اي اصله من مدينة سبأ ، سبأ هي ايضاً السماة مأرب.

ابن الأثير

١١٦٢ - ١٢٣٩ م

هو نصرالله بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الاثير الجزري نسبة الى مسقط رأسه ، جزيرة ابن عمر ؛ كنيته ابو الفتح ، ولقبه ضياء الدين . حصّل علومه في الموصل ، ثم اتّصل بالسلطان صلاح الدين الايوبي وبغيره من ملوك الايوبيين ، وتولى عندهم مناصب عالية كالوزارة والكتابة غير انه لم يكن في كل ذلك هانئ العيش قرير العين ؛ وانما كان دائماً قلقَ المضجع خائفاً على حياته ، لا يكاد يستقرّ في مكان الا فرّ منه الى سواه مستخفياً ؛ ذاك بأنه كان شديد التكبّر والاعجاب بنفسه ، كثير التعنّت والاستبداد ، « لا يرى خيراً إلا فيما يقول ويفعل ولا يفتح الله اسرار البلاغة الا عليه » ، فانساق بذلك الى ازدراء العلماء وتحقيرهم ، فتقوّلوا عليه ، وتوعّدوه بالموت . بيد ان كبرياءه ودعواه وغروره ، التي نحسّها في تعابيره ، لم تمنع ان يكون من ائمة علم الانشاء ؛ فقد جمع في كتابه « المثل السائر » قواعد الادب في اسلوب جديد ؛ واوضح ما في علم الفصاحة والبلاغة ، وما في فنون الانشاء من غموض وابهام ؛ وأظهر ما في صيغ بعض الالفاظ من جمال وموسيقى ، وما هو حسن موقعها في الكلام ؛ وحاول ، في جرأة نادرة وتحكّم لاذع ، شيئاً حسناً من النقد الأدبي .

آثارُه

لابن الاثير مؤلفات عدة ، اشهرها « المثل السائر في صناعة الكاتب والشاعر » وهو كتاب يبحث في البلاغة ، جعله مؤلفه في مقدمة ومقالتين ، فالمقدّمة تحتوي اصول علم البيان ، وتحتوي المقالتان على فروعه ؛ ففي المقالة الاولى قسمان : يبحث الاول في اللفظة المفردة ، والثاني في الالفاظ المركبة ، وصناعة تأليف المركب . وتبحث المقالة الثانية في الصناعة المعنوية ، وهي ايضاً قسمان : الاول منها في الكلام على المعاني مجملًا ، والثاني في الكلام عليها مفصّلًا .



إعلَم أنَّ هذا البابَ متعذّرٌ على الوالجِ[1]، ومَسلَكٌ متوعّرٌ على الناهجِ[2]. ولم يزلِ العلماءُ، من قديمِ الوقتِ وحديثِهِ، يُكثِرون القولَ فيه والبحثَ عنه؛ ولم أَجِد من ذلك ما يُعوَّلُ عليه الّا القليلَ. وغايةُ ما يقالُ في هذا البابِ: إنَّ الفصاحةَ هي الظهورُ والبيانُ، في أصلِ الوضعِ اللُّغويِّ. يقالُ: أفصَحَ الصبحُ إذا ظَهرَ. ثمَّ إنَّهم يقفُون عندَ ذلك، ولا يكشِفون عن السِرِّ فيه وبهذا القولِ لا تَتبَيَّنُ حقيقةُ الفصاحةِ، لأنه يُعترَضُ عليه بوجوهٍ من الاعتراضاتِ: احدُها انه، اذا لم يكنِ اللفظُ ظاهرًا بَيِّنًا، لم يكن فصيحًا؛ ثمَّ إذا ظَهرَ وتَبيَّنَ صارَ فصيحًا. الوجهُ الاخرُ أنَه، إذا كانَ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهرَ البيِّنَ، فقد صارَ ذلكَ بالنِسَبِ والإضافاتِ إلى الاشخاصِ؛ فإنَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهرًا لزيدٍ، ولا يكونُ ظاهرًا لعمرٍو، فهو إذًا فصيحٌ عندَ هذا وغيرُ فصيحٍ عندَ هذا. وليسَ كذلك؛ بل الفصيحُ هو فصيحٌ عندَ الجميعِ، لا خلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ؛ لأنه اذا تحقَّقَ حدُّ الفصاحةِ، وعُرِفَ ما هي، لم يَبقَ في اللفظِ الذي يختصُّ به خلافٌ. الوجهُ الآخرُ أنه اذا جيءَ بلفظٍ قبيحٍ ينبو عنه السَّمعُ، وهو معَ ذلك ظاهرٌ بيِّنٌ، ينبغي أن يكونَ فصيحًا، وليسَ كذلك. لأنَّ الفصاحةَ وصفُ حُسنِ اللفظِ، لا وصفُ قُبحِ. فهذه الاعتراضاتُ الثلاثةُ واردةٌ على قولِ القائلِ: إن اللفظَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيِّنُ، من غيرِ تفصيلٍ.

ولما وقفتُ على أقوالِ النَّاسِ، في هذا البابِ، لمكنتني الحَيرةُ فيها، ولم

١ ـ الوالج: من ولج المكان وفي المكان دخل.
٢ ـ الناهج: من نهج الطريق سلكه.

يَثبُت عندي منها ما أُعوِّلُ عليهِ ؛ ولكنَّ مُلابَستي[1] هذا الفنَّ ومُعارَكتي إيَّاه ، انكشفَ لي السِرُّ فيهِ ، وسأوضِحُهُ في كتابي هذا ، وأُحقِّقُ القولَ فيه، فأقولُ :

ان الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيِّنُ ؛ وأعني بالظاهرِ البيِّن أن تكونَ الفاظُه مفهومةً ، لا يُحتاجُ في فَهمِها الى استخراجٍ من كتابِ لُغةٍ ؛ وإنما كانت بهذه الصفةِ ، لأنَّها تكونُ مألوفةَ الاستعمالِ بينَ أربابِ النَّظمِ والنَّثرِ ، دائرةً في كلامِهم ؛ وانَّما كانت مألوفة الاستعمالِ دائرةً في الكلامِ ، دونَ غيرِها من الألفاظِ ، لِمكانِ حُسنِها . وذلك أنَّ اربابَ النَّظمِ والنثرِ غربَلُوا اللُّغةَ باعتبار ألفاظِها ، وسَبَرُوا[2] ، وقسَموا ، فاختاروا الحَسَنَ منَ الألفاظِ ، فاستعملُوه ، ونَفَوُا القبيحَ منها فلم يستعملوه . فحسنُ الاستعمالِ سببُ استعمالِها دونَ غيرِها ؛ واستعمالُها دونَ غيرِها سببُ ظهورِها وبيانِها . فالفصيحُ اذًا ، من الألفاظِ هو الحَسَنُ .

فإن قيلَ : من أيِّ وجهٍ عَلِمَ أربابُ النَّظمِ والنَّثرِ الحَسَنَ منَ الألفاظِ ، حتَّى استعملوه ؛ وعَلِموا القبيحَ منهـا ، حتَّى نفَوه ولم يستعملوه ؟ قُلتُ في الجواب : إنَّ هذا من الأمورِ المحسوسةِ ، التي شاهدُها من نفسِها ؛ لأنَّ الألفاظَ داخلةٌ في حَيِّزِ الأصواتِ ؛ فالذي يَستَلِذُّه السَّمعُ منها ، ويَميلُ اليه ، هو الحَسَنُ ؛ والذي يكرَهُه ، ويَنفِرُ عنه ، هو القبيحُ . ألا ترى أن السَّمعَ يَستلِذُّ صوتَ البُلبُلِ من الطَّيرِ ، وصوتَ الشَّحرورِ ويَميلُ اليهما ؛ ويكرَهُ صوتَ الغُرابِ ، ويَنفِرُ عنه ؟ وكذلكَ يكرَهُ نَهيقَ الحمارِ ، ولا يَجِدُ ذلك في صَهيلِ الفَرَسِ . والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرى ؛ فإنَّـه لا خلافَ في أن لفظةَ المُزنةِ والدِّيمةِ حسَنةٌ ، يستلِذُّها السَّمعُ ؛ وأنَّ لفظةَ البُعاقِ قبيحةٌ يكرَهُها السَّمعُ ؛ وهذه اللفظاتُ الثلاثُ من صِفةِ المطَرِ ، وهي تدلُّ على مَعنىً واحدٍ . ومعَ هذا فإنَّك تَرى لفظَتَي المُزنةِ والدِّيمةِ ، وما جرَى مَجراهما ، مألوفة الاستعمالِ ؛ وترى لفظَ البُعاقِ ، وما جرَى مَجراه ، متروكاً لا يُستعملُ ، وإنِ استُعمِلَ ، فإنَّما يَستعمِلُه الجاهلُ بحقيقةِ الفَصاحةِ ، أو مَن ذوقُه غيرُ ذوقِ سليمٍ ؛ لا جرَمَ

١ ، الملابسة : المخالطة .

٢ ، سبروا : من سبر الشيء امتحن غوره ليعرف مقداره .

أنّه ذمٌ وقدحٌ فيه ، ولم يُلتفَت إليه ، وإن كانَ عربيًا محضاً منَ الجاهليةِ الأقدمين . فإن حقيقةَ الشيءِ ، إذا عُلِمَت ، وَجبَ الوقوفُ عندَها ، ولم يُعرَّج على ما خرَجَ عنها . وإذن ثَبَتَ أن الفصيحَ من الالفاظِ هو الظاهرُ البيّنُ ؛ وإنّما كانَ ظاهرًا بيّناً لأنه مألوفُ الاستعمالِ ، لمكانِ حُسنِه ؛ وحسنُه مُدرَكٌ بالسّمعِ ؛ والذي يُدرَكُ بالسّمعِ إنّما هو اللّفظُ ، لأنّه صوتٌ يأتلفُ عن مخارجِ الحروفِ ، فما استلذّه السّمعُ منه فهو الحسَنُ ؛ وما كرِهَه فهو القبيحُ ؛ والحسَنُ هو الموصوفُ بالفصاحةِ ، والقبيحُ غيرُ موصوفٍ بالفصاحةِ ، لأنّه ضدُّها لمكانِ قُبحِه .

في البلاغة

وأمّا البلاغةُ فإنّ أصلها ، في وضعِ اللّغةِ ، من الوصولِ والانتهاءِ . يُقالُ : بلَغتُ المكانَ ، إذا انتهيتُ اليه ؛ ومبلَغُ الشيءِ مُنتهاهُ . وسُمّيَ الكلامُ بليغاً ، من ذلك ، أي أنه قد بلَغَ الأوصافَ اللّفظيّةَ والمعنويّةَ . والبلاغةُ شاملةٌ للألفاظِ والمعاني ، وهي أخصُّ منَ الفصاحةِ ، كالإنسانِ من الحيوانِ ؛ فكلُّ إنسانٍ حيوانٌ ، وليسَ كل حيوانٍ إنساناً . وكذلك يقالُ : كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ ، وليسَ كلُّ كلامٍ فصيحٍ بليغاً .

ويفرَّقُ بينَها وبينَ الفصاحةِ من وجهٍ آخرَ ، غيرِ الخاصِّ والعامِّ ، وهو أنّها لا تكونُ إلا في اللّفظِ والمعنى بشرطِ التّركيبِ ؛ فإنّ اللّفظةَ الواحدةَ لا يُطلقُ عليها اسمُ البلاغةِ ، ويُطلقُ عليها اسمُ الفصاحةِ ، إذ يوجدُ فيها الوَصفُ المختصُّ بالفصاحةِ ، وهو الحُسنُ ؛ وأما وصفُ البلاغةِ ، فلا يوجدُ فيها لخلوّها من المعنى المُفيدِ الذي ينتظِمُ كلاماً .

مَواقعُ الأَلفاظِ

. . . الألفاظُ تَنقسِمُ في الاستعمالِ إلى جَزلةٍ ورقيقةٍ ، ولكلٍّ منها مَوقعٌ يَحسُنُ استعمالُه فيه : فالجَزلُ منها يُستعملُ في وصفِ مَواقفِ الحروبِ ، وفي

قوارع[1] التهديد والتخويف وأشباه ذلك ؛ وأمّا الرقيقُ منها فإنه يُستعملُ في وصفِ الاشواقِ ، وذِكرِ أيّامِ البِعادِ ، وفي استجلابِ المَوَدّاتِ ، وملايناتِ الاستعطافِ ، وأشباهِ ذلك . ولستُ أعني بالجزلِ أن يكونَ وحشيًّا متوعّرًا ، عليه عُنجُهيّةُ[2] البداوةِ ؛ بل أعني بالجزلِ أن يكونَ متيناً على عُذوبته في الفم . ولَذاذتِه في السمعِ ؛ وكذلكَ لستُ أعني بالرقيقِ أن يكونَ ركيكاً سَفسَفاً[3] وإنّما هو اللّطيفُ ، الرقيقُ الحاشيةِ ، الناعمُ الملمَسِ .

الألفاظُ كالأشخاصِ

... وبعدُ هـذا ، فاعلَمْ أنّ الألفاظَ تَجري ، من السّمعِ ، مَجرى الأشخاصِ من البصَرِ ؛ فالألفاظُ الجَزلةُ تُتَخَيَّلُ ، في السّمعِ ، كأشخاصٍ عليها مَهابةٌ ووقارٌ ؛ والألفاظُ الرقيقةُ تُتخيَّلُ كأشخاصٍ ذوي دَماثةٍ ولينِ أخلاقٍ ولَطافةِ مِزاجٍ ؛ ولهذا ترى ألفاظَ أبي تمّامٍ كأنها رجالٌ قد ركِبوا خيولَهم ، واستلأموا سلاحَهم ، وتأهّبوا للطِّراد ؛ وترى ألفاظَ البحتريّ كأنها نساءٌ حِسانٌ ، عليهنّ غلائلُ مصبَّغاتٌ ، وقد تحلّينَ بأصنافِ الحُليِ . وإذا أنعمتَ نظرَكَ فيما ذكرتُه ههنا ، وجدتَني قد دَلَلتُك على الطريقِ ، وضربتُ لك أمثالًا مناسبةً .

ابو تمّام والمتنبي وابو عبادة البحتري

لقد وقفتُ ، منَ الشّعرِ ، على كلِّ ديوانٍ ومجموعٍ ؛ وأنفدتُ شَطرًا منَ العُمرِ في المحفوظِ منه والمسموعِ ، فألفيتُه بحرًا لا يُوقَفُ على ساحِلِه . وكيفَ يَنتهي إحصاءُ قولٍ لم تُحصَ أسماءُ قائله ؟ فعندَ ذلكَ اقتصرتُ منه على ما تكثُرُ فوائدُه وتتشعّبُ مَقاصدُه ولم أكُن ممن أخذَ بالتقليدِ والتّسليمِ ، في اتّباعِ من قَصرَ نظرَه على الشّعرِ القديمِ ؛ إذ المُرادُ منَ الشّعرِ إنّما هو إيداعُ

١ * قوارع : قوارص .
٢ * العنجهية : الجهل ، والحمق ، والكبر ، والعظمة .
٣ * السفسف : الردي .

المَعنى الشَّريفِ في اللَّفظِ الجزْلِ اللَّطيفِ ؛ فمتى وَجدتَ ذلكَ فكلُّ مكانٍ خَيّمتَ فهو بابِل[1] . وقدِ اكتَفيتُ من هذا بشعرِ أبي تمّامٍ حبيبِ بنِ أوسٍ ، وأبي عُبادَةَ الوليدِ ، وأبي الطَّيّبِ المُتنبّي ؛ وهؤلاءِ الثَّلاثةُ هم : لاتُ الشّعرِ وعُزّاهُ ومَناتُه[2] الّذين ظهَرَت على أيديهم حسناتُه ومُستَحسناتُه . وقد حوَت أشعارُهم غَرابةَ المُحدَثينَ ، وفَصاحةَ القُدماءِ ؛ وجمَعت بين الأمثالِ السّائرةِ وحِكمَةِ الحُكماءِ . أمّا أبو تمّامٍ فإنّه ربُّ مَعانٍ ، وصَيقَلُ ألبابٍ وأذهانٍ ، قد شُهِد له بكلّ مَعنًى مُبتكرٍ ، لم يَمشِ فيهِ على أثرٍ ؛ فهو غيرُ مُدافَعٍ عن مَقامِ الإغرابِ ، الّذي برَزَ فيه على الأضرابِ . ولقد مارَستُ منَ الشّعرِ كلَّ أوّلٍ وأخيرٍ ، ولم أقُل ما أقُولُه إلّا بتَنقيرٍ ؛ فمن حَفِظَ شِعرَ الرَّجلِ ، وكشَفَ عن غامِضِه ، وراضَ فِكرَه برائضِه ، أطاعَته أعِنَّةُ الكلامِ ، وكانَ قولُه في البَلاغةِ ما قالتهُ حَذامِ[3] . فخُذ مِنّي في ذلكَ قَولَ حكيمٍ ، وتَعلَّم ففَوقَ كلّ ذي عِلمٍ عليمٌ . وأمّا أبو عُبادةَ البُحتُريُّ فإنّه أحسنَ في سَبكِ اللَّفظِ على المَعنى ، وأرادَ أن يَشعُرَ فغَنّى ، ولقد حازَ طرَفَي الرِّقّةِ والجَزالةِ على الإطلاقِ . فبَينا يكونُ في شُطَفِ نَجدٍ ، حتّى يتَشبَّثَ بريفِ العِراقِ[4] . وسُئلَ أبو الطَّيّبِ المتنبّي عنه وعن أبي تمّامٍ وعن نفسِه فقال : أنا وأبو تمّامٍ حكيمانِ ، والشّاعرُ البُحتُريُّ . ولَعمري إنّه أنصَفَ في حُكمِه ، وأعرَبَ في قولِه هذا عن مَتانةِ عِلمِه . فإنّ أبا عُبادَةَ أتى في شِعرِه بالمَعنى المَقدودِ منَ الصَّخرةِ الصَّمّاءِ ، في اللَّفظِ المَصُوغِ من سَلاسَةِ الماءِ ؛ فأدرَكَ بذلكَ بُعدَ المَرامِ ، معَ قُربِه إلى الأفهامِ ؛ وما أقولُ إلّا أنّه أتى ، في مَعانيه ، بأخلاطِ الغالِيةِ[5] ورَقّى في دِباجةِ لَفظِه إلى الدَّرَجةِ

١ * كل مكان خيمت فهو بابل : اي كل مكان حللت به فهو مرعى مخصب هذا مثل يضرب في الوجدان ، ومفعول خيمت مقدر اي خيمت فيه .

٢ * لات الشعر وعزاه ومناته : شبّه الثلاثة الشعراء المذكورين بثلاث الاهات كان لهن التقدم عند عرب الجاهلية .

٣ * حذام : علم لامراة يضرب بها المثل في حدة البصر واسمها ايضاً الزرقاء اليمامة رأت قومها عن شرور اشفت عليهم فلم يصدقوها فهلكوا بعد قليل . قال الفيومي : حذام امراة جرير بن مصعب ، وهو القائل فيها :

اذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام

٤ * بلينا يكون في شطف نجد حتى يتشبث بريف العراق : يريد انه يجمع بين جزالة الالفاظ ورقتها ، فكنّى عن الاولى بارتفاء اراضي نجد ، وعن الثانية باريف العراق ورهادها المخصبة .

٥ * الغالية في معانيه باخلاط الغالية : يريد ان معانيه تشبه الغالية وهي الافاويه العطرة .

العالية. وأمّا أبو الطَّيِّبِ المُتنبِّي فإنّه أرادَ أن يَسلُكَ مَسلكَ أبي تَمّام، فقَصُرَت عنه خُطاه، ولم يُعطِه الشِّعرُ من قِيادِهِ ما أعطاه. ولكنّه حَظِيَ في شِعره بالحِكمِ والأمثالِ؛ واختُصَّ بالإبداع في وصفِ مَواقفِ القتالِ. وأنا أقولُ قولًا لستُ فيه مُتأثِّمًا، ولا منه مُتلَثِّمًا، وذلك: أنّه إذا خاضَ في وصفِ معركةٍ كانَ لِسانُه أمضى من نِصالِها، وأشجَعَ من أبطالِها، وقامَت أقوالُه للسّامعِ مَقامَ أفعالِها؛ حتى نَظُنَّ الفَريقَين قد تَقابلا، والسِّلاحَين قد تواصلا. وطريقُه في ذلكَ تَضِلُّ بسالِكِه، وتَقومُ بعُذرِ تاركه؛ ولا شَكَّ أنّه كانَ يَشهَدُ الحُروبَ معَ سَيفِ الدَّولةِ، فيَصِفُ لِسانُه، ما أدّاه إليهِ عِيانُه. ومعَ هذا فإنّي رأيتُ النّاسَ عادِلينَ فيه عن السَّنَنِ المُتوسِّطِ: فإمّا مُفرِطٌ في وصفه وإمّا مُفَرِّط[1]. وهو وإن انفَرَدَ بطريقٍ صارَ أبا عُذرِه[2]؛ فإنَّ سَعادَةَ الرَّجلِ كانَت أكثرَ من شِعرِه. وعلى الحقيقةِ فإنّه خاتِمُ الشُّعراء؛ ومهما وُصِفَ به فهو فوقَ الوصفِ وفوقَ الإطراء. ولقد صدَقَ في قولِه من أبياتٍ يمدَحُ بها سيفَ الدَّولةِ:

لا تَطلُبَنَّ كَريمًا، بعدَ رُؤيَتِه، إنَّ الكِرامَ بأسخاهُم يدًا خُتِمُوا؛
ولا تُبالِ بشِعرٍ، بعدَ شاعِرِه، قد أُفسِدَ القَولُ، حتّى أُحمِدَ الصَّمَمُ[3]

ولمّا تأمّلتُ شِعرَه بعَينِ المَعدَلةِ البعيدَةِ عنِ الهوى، وعينِ المَعرفةِ التي ما ضَلَّ صاحِبُها وما غَوى، وجَدتُه أقساماً خَمسةً: خُمسٌ منها في الغايةِ التي انفرَدَ بها؛ وخُمسٌ من جَيِّدِ الشِّعرِ الّذي يُشارِكُه فيه غيرُه؛ وخُمسٌ منه من مُتوسِّطِ الشِّعرِ؛ وخُمسٌ دُونَ ذلكَ؛ وخُمسٌ في الغايةِ المُتقهقِرةِ التي لا يُعبأُ بها، وعَدَمُها خَيرٌ من وُجودِها؛ ولو لم يقُلها أبو الطَّيِّبِ لوقاهُ اللهُ شَرَّها؛ فإنّها

١ * اما مفرط في وصفه واما مفرّط: اي يبالغ البعض في الثنا عليه والبعض ينتقصون قدره ويسومونه البخس. يقال فرّط فيه بمعنى ضيعهُ وقدم العجز فيه

٢ * وهو اي اذا انفرد المتنبي بمعنى من المعاني ظفر به وابتدعهُ على احسن صورة. وابو عذر المراة زوجها وهنا مجاز.

٣ * ولا تبال بشعر بعد شاعره الخ يقول المتنبي لسيف الدولة: لا تبال ان لم تسمع شعرًا بعد شعري، فان قول هؤلاء الشعراء قد فسد، حتى ان الصمم قد حُمد في من لا يسمعهم.

هيَ الَّتي ألبَسته لِباسَ المَلامِ، وجعَلَت عِرضَه شارةً لسِهامِ الأقوامِ. ولِسائِلٍ هنا أن يَسألَ ويقُولَ: لِمَ عدَلتَ إلى شعرِ هؤلاءِ الثَّلاثةِ دونَ غيرِهم؟ فأقُولُ: إنّي لم أعدِل إليهم اتّفاقاً، وإنّما عدَلتُ نظَراً واجتِهاداً؛ وذلكَ أني وقَفتُ على أشعارِ الشُّعَراءِ قديمِها وحديثِها، حتّى لم يَبقَ دِيوانُ لِشاعِرٍ مُفلِقٍ يَثبُتُ شِعرُه على المَحَكّ، إلّا وعَرَضتُه على نظَري، فلم أجِد أجمعَ من دِيوانِ أبي تَمّامٍ وأبي الطَّيِّبِ للمَعاني الدَّقيقةِ، ولا أكثرَ استِخراجاً منهما للَطيفِ الأغراضِ والمَقاصِدِ؛ ولم أجِد أحسَنَ تَهذيباً للألفاظِ من أبي عُبادَةَ، ولا أنفَسَ دِيباجةً، ولا أبهَجَ سَبكاً. فاختَرتُ دَواوينَهم لاشتِمالِها على محاسِنِ الطَّرَفَينِ منَ المَعاني والألفاظِ، ولمّا حَفِظتُها ألقَيتُ ما سِواها معَ ما بَقيَ على خاطري من غيرِها.

الهَذَيانُ والشَّعبَذَةُ[1] في الكَلامِ

... وذلك أنّه قد سلكَ قومٌ، في منثورِ الكلامِ ومنظومِه، طُرُقاً خارجةً عن موضوعِ علمِ البَيانِ، وهي بنَجوةٍ عنه، لأنّها في وادٍ وعِلمُ البيانِ في وادٍ. فمِمَّن فعَلَ ذلكَ الحَريريُّ، صاحبُ المَقاماتِ، فإنّه ذكرَ تلكَ الرِّسالةَ، الَّتي هي كلِمةٌ مُعجَمَةٌ، وكلمةٌ مُهمَلةٌ؛ والرِّسالةَ التي حَرفٌ من حروفِ ألفاظِها مُعجَمٌ والآخرُ غيرُ مُعجَمٍ. ونظَمَ غيرُه شعراً، آخرُ كلِّ بيتٍ منه أوّلُ للبيتِ الذي يليهِ. وكلُّ هذا، وإن تضمَّنَ مشقَّةً من الصَّناعةِ، فإنّه خارجٌ عن بابِ الفصاحةِ والبلاغةِ؛ لأنَّ الفصاحةَ هي ظُهورُ الألفاظِ معَ حُسنِها، على ما أشَرتُ إليه في مُقدّمةِ كتابي هذا. وكذلك البلاغةُ، فإنّها الانتهاءُ في محاسِنِ الألفاظِ والمَعاني، مِن قولِنا: بلَغتُ المكانَ، إذا انتَهَيتُ إليه. وهذا الكلامُ المَصوغُ، بما أتى به الحريريُّ في رسالتِه، وأوردَه الشّاعرُ في شعرِه، لا يَتضمَّنُ فصاحةً، ولا بلاغةً؛ وإنّما يأتي، ومعانيه غثَّةٌ، باردةٌ، وسببُ ذلك أنّها تُستكرَهُ استكراهاً، وتُوضَعُ في غيرِ مواضِعِها؛ وكذلك

١ ـ الشعبذة، والشعوذة: خفّة في اليد، وأخذ كالسحر يري الشيء بغير ما عليه اصله في رأي العين، أو يوهم وجود مناظر غير موجودة في الحقيقة.

ألفاظه ، فإنها تجيء مُكرَهةً ايضاً ، غيرَ مُلائمةٍ لأخواتها . وعلمُ البيانِ إنما هو الفصاحةُ والبلاغةُ في الألفاظِ والمعاني ، فإذا خرجَ عنه شيءٌ من هذه الأوضاعِ ، المُشار إليها ، لا يكونُ مَعدوداً منه ، ولا داخلاً في بابه ؛ ولو كان ذلك مما يوصَفُ بحُسنٍ ، في ألفاظِه ومعانيه ، لوردَ في كتابِ اللهِ ، عزَّ وجلَّ ، الذي هو مَعدِنُ الفصاحةِ والبلاغةِ ؛ أو وردَ في كلامِ العربِ الفُصحاء ؛ ولم نرَه في شيءٍ من أشعارهم ، ولا خُطَبِهم . ولقد رأيتُ رجلاً أديباً ، من اهلِ المَغربِ ، وقد تغلغلَ في شيءٍ عجيبٍ ؛ وذاكَ أنه شَجَرَ[1] شَجَرَةً ، ونظَمَها شعراً ؛ وكلُّ بيتٍ من ذلكَ الشعرِ يُقرأُ على ضُروبٍ من الاساليب ، اتباعاً لشُعَبِ تلك الشجرةِ وأغصانِها ؛ فتارةً تُقرأُ كذا ؛ وتارةً تُقرأُ كذا ؛ وتارةً يكونُ جزءٌ منه ههنا ؛ وتارةً ههنا ؛ وتارةً يُقرأُ مقلوباً . وكلُّ ذلك الشعرِ ، وإن كانَ له معنًى يُفهَمُ ، إلَّا أنه ضربٌ من الهَذَيانِ ، والأولى به ، وبأمثالِه ، أن يُلحَقَ بالشَّعبَذةِ ، والمُعالجةِ[2] ، والمُصارعةِ ، لا بدرَجةِ الفصاحةِ والبلاغةِ .

١ . شجرة : اراد رسم شجرة شجر وصوّرها .

٢ . المعالجة : ضرب من الصراع .

فهارس الكتاب

تسهيلًا للاستفادة من مضامين هذا الكتاب ، رأينا ان نتوسع في الفهارس فنشمل بها موضوعات كل ما ورد من القطع النثرية ، وقد رتبناها كما يلي :

١ً – في الاشخاص والارهاط والقبائل والشعوب

٢ً – في الاماكن والبحار والانهار والجبال والمحالّ والبلدان والجزائر

٣ً – في الحيوان

٤ً – في النبات

٥ً – في الثياب والادوات والآنية والمواعين

٦ً – في المعبودات والمعتقدات والتقاليد والعادات

٧ً – في الايام والمعارك

٨ً – في الاسلحة

٩ً – في الكواكب والابراج

١٠ – في اسماء الكتب

الفهرس الاول

في

الاشخاص والارهاط والقبائل والشعوب

ا

آسية بنت علي ٢٣٦
آل الأهتم ٣
آل جفنة ٢٠٩
أبان بن عثمان ٢٨٣ ، ٢٨٤
ابرهيم بن محمد بن علي الامام ١٣٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
ابرهيم بن المهدي ٢٧٥ ، ٢٧٦
ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك ٢٣٠
ابرهيم النظام : ابو اسحق ٤٣
ابرهيم الموصلي ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
أبرويز : اطلب كسرى
ابن ابي عتيق ١٤٠
ابن الأثير : نصرالله بن محمد الشيباني ٣٣٥ ، ٣٣٦
ابن أحمر ٣٢١
ابن اسحق ٣٣٤
ابن الأعرابي ١٥٠
ابن جاهم ٢٧٥
ابن جذام ٩٥
ابن خالويه : ابو الحسن ٥٩
ابن خلدون ٣٣٢
ابن دارة : سالم بن مسافع (شاعر مخضرم) ١٠٢
ابن الزبير : عبدالله ٢٢٣ ، ٢٣٤
ابن زنبّج (محدّث) ٢٨٣
ابن زهير بن المسيّب الضبّي ٢٤٠
ابن زياد : عبيد الله ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
ابن سُرَيج ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٧٢
ابن سُكّرة ٣٢١ ، ٣٢٤
ابن عائشة ٢٢٦
ابن عبّاس ٥٧ ، ١٣٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩
ابن قُتيبة ١٠٣ ، ١٠٤
ابن القِرّية ١١٨
ابن الكلبي ٢٦٠
ابن ليلى ٥٠
ابن المبارك ٧٠
ابن مُحرِز ٣٢٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
ابن مَرجانه ٢١٩
ابن المقدّم : عبدالله ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٣ ، ٩٥
ابن هَرمة : ابو اسحق ابرهيم ٥٥ ، ٢٨٣
ابو أرْب بن فايد بن فضالة ١٠٢
ابو اسحق بن محمد البصري ٢٩٦
ابو الأغرّ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢
ابو بُردة الاسلمي ٢٢٢
ابو بصير : اطلب الاعشى
ابو بكر البَطليوسي ٥٩
ابو بكر الخُوارزمي ٢٨٧
ابو بكر الصِّدّيق ١٦٥
ابو تُراب : اطلب علي بن ابي طالب
أبو تمام ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣
– شارح الحماسة ٢٥٣
ابو جعدة بن محمد : اخو السفّاح ٣٣٣
ابو جعفر المكفوف ٧٤
ابو جعفر : المنصور ٣ ، ٥٥ ، ٨٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
ابو الحسن ٦٠
ابو الحسين بن فارس ٢٨٧
ابو الحَكَم بن هشام : ابو جهل ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠
ابو حنيفة حرب بن قيس ٢٣٦
ابو حَيّة النُمَيري ١١٢
ابو دُلامة ١١٩
ابو دُلَف العِجلي ٣٠٢
ابو زُبيد الطائي : حرملة
ابن المُنذر : ٦٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨
ابو زهد السَّروجي (بطل مقامات الحريري) ٣١٢ ، ٣١٨
ابو سعيد معروف بن زكريّا ١٩٩
ابو سفيان بن حرب ١٣٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
ابو سَلمة الخلّال (وزير آل محمد) ٢٣٣ ، ٢٣٤
ابو الطيّب : اطلب المتنبي
ابو العبّاس عبدالله بن محمد : السفّاح ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
ابو العبّاس المُبرّد ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢
ابو عبد الرحمن الثوري ٩٤
ابو عبدالله الواسطي ١٥١
ابو عُبَيده (رواية الاخبار) ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤
ابو عُبيدة الشعبي ٢٣٠
ابو عُثمان : اطلب الجاحظ
ابو عثمان المازني ٢١٥
ابو عطاء المُطّردي ٥٧
ابو علقمة ١١٦
ابو عمران الحَصيري ٢٩٦
ابو عمرو بن العَلاء ١٠٥

ابو العَمَيْثل (مولى العباس بن محمد) ١٤٢
ابو عون بن عبد الملك بن يزيد ٢٣١
ابو الفتح الاسكندري (بطل مقامات البديع) ٢٩٢ ، ٢٩٨
ابو الفداء ١٩١
ابو الفرج الاصبهاني ٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠
ابو قابوس : اطلب النعمان بن المنذر
ابو لَهَب بن عبد المطلب ١٧٦
ابو محمد : اطلب الحسن بن علي
ابو محمد عبدالله بن مسلم الدِّينَوَري : اطلب ابن قُتَيبة
ابو مَرْيَم ٦٠
ابو مُسلم الخُراساني (أمين آل محمد) ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
ابو مُسهر (رسول عدي بن زيد) ٢٥١
ابو المكنون النحوي ١١٧
ابو النجم العجلي ١٤٣ ، ١٤٤
ابو نُواس ١٠٥
أبو وَهب (من ثقيف) ٢٥٤
أبيّ بن زيد ٢٥٠ ، ٢٥١
الأحدب بن عمرو الباهلي ١٠٢
أحسوان (ملك الهياطلة) ٢٠٤
أحمد بن عُبيد ١٥٠
حمد العوامري ٤٤
الأحوص بن محمد الانصاري ٢٦٩ ، ٢٧٠
الاخطل ١٠٥
إدريس بن ابرهيم الجَعْلي ٢٢٧
الإدريسي ٥٨
إربد بن قيس ٢٥٥
أرسطو : صاحب المنطق ٨٤
الأزد (قبيلة) ١٢٥ ، ٣١٦
إزاذ مَرْد بن الهُرْمُز ١٢٨
الأزهري ٦٤
إسحق بن حياة الحَضْرَمي ٢٢٢
إسحق الموصلي ٢٧٣
أسد (بنو) ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٤٩ ، ٢٢٢
الاسكندر ٧٧
أسلم : غلام بني الحجّاج ١٧٦
أسماء بنت عبدالله ٣٠٩
إسماعيل بن جعفر بن محمد ٢٨٥ ، ٢٨٦
إسماعيل بن عليّ بن عبدالله بن عباس ٥
إسماعيل المكي ٥٧
الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١٧٩
الاسود العَنسي ٢٥٥
أسيد بن عبدالله ٢٢٧
أشجَع (بنو) ١٢٩ ، ١٣٠
أشعب ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
الأشعث بن قيس بن معدي كرب ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢١
أشناس (من قوّاد المعتصم العبّاسي) ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦
الأصمعي ٩٩ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٩٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢
الاعشى ، ابو بصير ، صناجة العرب ٦٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
الأفشين : حيدر بن كاوس ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤
الأفلح المخزومي ٢٧١ ، ٢٧٢
أمرؤ القيس ١٣١ ، ١٤٤ ، ٢٨٩
ام كُلثوم بنت علي بن ابي طالب ١٣٥
الأمين : محمد ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
أميّة (بنو) اموي ، الامويون ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
— عبد شمس ١٣٦
أمية بن ابي خلف ١٧٨
أمية بن ابي الصّلت ١٠٠
الأندلسي ٧١
الأنصار ٢٢٤
انو شروان : اطلب كسرى
إياد بن نزار (وُلد) ٢٠٠
إياس بن قَبيصة الطائي ٢٤٩
إيتاخ (من قواد المعتصم العباسي) ١٨١ ، ١٨٤

ب

بابك الخُرَّميّ ٩٢
باربيه دي مينار (مستشرق) ١٨٨
باهلة (قبيلة) ١٠٢
البجاء (أمير) ١٩٠
البحتري : ابو عُبادة ٣٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٣
بديع الزّمان الهَمَذاني ٢٨٧ ، ٢٨٨
بسّاس بن عمرو الجَعْفي ١٧٦ ، ١٧٧
بشر بن عَوانة العبدي ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤
بكر بن عبدالله الهلالي ٢٨٠
بكر بن وائل ٢٤٩
بكير بن حُمران الاحمري ٢٢٠ ، ٢٢١
البَلاذُري ١٨٨
بكيّ (بنو) ٢٦٧
بنو برمك ١٥٤
بنو العنبر ، بَلعنبر ، (قبيلة) ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
بهرام جور ١١٤

ت

تأبط شرًا : ثابت بن جابر بن سفيان الأهمي ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤
تُبّع ، التبابعة ١٩٠ ، ٣٣٢
التبريزي ٢٥٣
الترك (شعب) ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣
تميم (بنو) ١٠٢
تولب (زوج اسماء بنت عبدالله) ٣٠٩

ث

الثريا بنت علي بن أميّة ٢٦٠
الثعالبي (صاحب اليتيمة) ٢٨٨ ، ٣٢٣
ثعلب ٦٤
ثعلبة (بنو) ٣١٤
ثقيف (بنو) ٢٥٤
ثمالة (قبيلة) ١٢٥
ثمامة بن أشرس ٢٤٣
ثمود (قوم) ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٠
ثوب بن شحمة العنبري ١٠٠ ، ١٠٢

ج

الجاحظ : ابو عثمان ٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٦
جَبَلة بن الأيهم ٢٠٨

الجرادتان (قينتان) ٢١٢
جرير ١٠٥ ، ٢٠٩
جرير بن عُصَب ٣٤١
جرير بن يزيد البَجلي ٢٣٥
جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي ٢١٧
جعفر ١٤٩
جعفر بن دينار (من قواد المعتصم العباسي) ١٨١
جعفر بن محمد ٢١٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
الجُلاجان بن الوعر ٢١٢
جمح (بنو) ٢٥٦
جميل بُثينة ٢٦٤
جَندع بن عمرو ٢١٠
جُهَيم بن الصلت ١٧٧
جويدي (مستشرق ايطالي)

ح

حاتم الطائي ١٢٢
الحارث بن ابي شمر الغساني ٢٠٩ ، ٢٥٧
الحارث بن هشام (راوية الحريري) ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٠
الحُباب بن المنذر ٢٨٩
الحَبط : الحرث بن مالك بن عمرو التميمي ٢٧١
الحجّاج بن عبدالله الصريمي : البَرك ١٢٩ ، ١٣٤
الحجّاج بن يوسف الثقفي ٦٧ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨١
حجر بن عديّ ١٣٤
حَدام : زرقاء اليمامة ٣٤١
حرب (بنو) ١٣٨
الحَرث بن الأغرّ الإيادي ٢٠٠
الحرث بن يزيد التميمي ٢٢١
الحريري ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٣
الحَزين الدِّيلي ٢٨٦
حَسّان بن ثابت الانصاري : ابن الفُريعة ١٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
الحسن بن عليّ بن ابي طالب ١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢١٧
الحسن بن هانئ : اطلب ابا نواس
الحسن الرومي ١٨٦
حسن السِّندوبي ٤٤
الحسين بن علي بن ابي طالب ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
الحُصين بن نُمير ٢٢٤
حكيم بن حزام ١٧٨
حمّاد بن اسحق ٢٦٣
حماس ١٤٩
حمزة بن عبد المطّلب ١٣٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠
حِمْير (قوم) ١٩٤ ، ٣٣٢
حنظلة (بنو) ١١١
حنظلة بن ابي عفراء ١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
حُنين ٢٧٣

خ

خارجة ١٣٤
خاقان : ملك التُبّت ، الشبان ١٩٠ ، ٢٠٤
خاقان : ملك الترك ٢٠٣
خالد بن الصَّقعب الأهدي ١٤٢
خالد بن عبدالله القسري ٧٠
خالد بن المُضلّل ٢٤٧
خالد بن الوليد ٢٤٩
خالد الحذّاء ١٢١
خرقاء بنت النُعمان ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
الخُزَيمي ١٠٥
خمار : جد عدي بن زيد ٢٥٠
الخُوز (جيل من الناس) ٨٢
الخَيزُران (زوج المهدي) ١٦٦

د

دارم (بنو) ١٤١
داود بن علي ٢٣٣
داود بن هُبَيرة ٥
دُبَير (بنو) ١٠١
دَحمان (المفتي) ٢٢٦
الدّمَيري ٥٦
دَوس بن نُعلبان ٣٣٤

ذ

ذو أواس بن ثُبّان : إسعد ، زُرعة ، يوسف ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

ر

رستم (قائد الفرس يوم القادسية) ٢٠٧
الرشيد : هارون ١٥٥ ، ١٦٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
رَقطاء الخَطفيين (قينة) ٢٧١ ، ٢٧٢
رمضان ٩٦
رملة بنت فائد ١٠٢
رودلف برونو (مستشرق) ١٤٨
رواحة (بنو) ٢٠٦
الروم (شعب) ٨٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨
روميه : رحومة (زوج القديس الحارس) ٣٣٤

ز

زاذُويه (مولى بني العنبر) ١٢٩ ، ١٣٤
زاذُويه الهَمذاني ٢٤٩
زبيدة بنت جعفر (زوج الرشيد) ٢٣٨
زُبيدة بن حُميد الصَّيرفي ٩١ ، ٩٣
الزُّبير بن العوّام ١٧٧
الزِّنج ، السودان (جيل من الناس) ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧
زُهير بن ابي سُلمى ٢٩٠
زياد ابن ابيه ١٣٤ ، ٢١٩
زياد بن عُبيدالله الحارثي ٤٥
زيد بن عَديّ ٢٠٥ ، ٢٠٦
زيد : ابو عدي ٢٥٠
زيد بن علي بن الحسين ١٣٦ ، ١٣٨

س

سابور ذو الاكتاف ٢٠٠ ، ٢٠١
ساعدة (بنو) ١٧٦
سالب خاثر ١٣٩
سبر نجر (مستشرق) ١٨٨
سبيل (ترجمان المعتصم العباسي) ١٨٦
سَديف ١٣٥
السَّبريان ١٨٩
سعد بن ابي وقّاص ١٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
سعد بن الضَّباب ١٣١
سعيد بن العاص ١٥٣
سَفّانة بنت حاتم الطائي ١٢٢
سفيان بن معاوية ٣
سَلّامة الزرقاء (قينة) ١٤٠ ، ١٤١
سُليط بن عبدالله بن العبّاس ٢٣٦
سليمان بن سعد الحلبي ٢٦٥

سليمان بن عبدالله ١٤٣
سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ٢٣٦
سليمان بن كثير ٢٣٦
سليمان بن هشام بن عبد الملك ١٣٥ ، ١٣٦
سَمُرة (بنو) ١٠٠
سِنان (وصيف الكاهنه ظريفة) ٢١٤
سندة الخياط ٢٧١ ، ٢٧٢
سَهل بن محمّد ١١٢
سهم بن عمرو بن رهيص (بنو) ١٣٤
سُويد بن هَرَمي ١٠٠
سيف الدولة ٥٩ ، ٣٤٢

ش

شاهان مرد ٢٥٠
شبل بن علي ١٣٦ ، ١٣٨
شبيب بن رواح المَرْوزي ٢٣٦
شبيب الأشجعي ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣
شدّاد بن عاد ٣٢٩ ، ٣٣١
الشرقي بن القطامي ٨٠ ، ١٠٦
شُريح القاضي ٢٢٠
شريك بن عمرو ٢٤٨ ، ٢٤٩
الشعبي ١٥١
الشمّاخ بن ضِرار ١٢٧ ، ١٢٨
شوكر ٨٠
شيبان (بنو) ٢٤٨
شيبة بن ربيعة ١٨٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

ص

الصّاحب بن عَبّاد ٢٨٧
صالح ٣٣٢ ، ٣٣٣
صالح بن علي ٢٣١ ، ٢٣٢
صَخر بن الشريد ٣١٩
صَدَقة بن منصور بن يَزيد ٢٢٧
صَدوف بنت المحيّا ٢١١
صَفراء العقميين (قينة) ٢٧١ ، ٢٧٢
صَفوان (طائف المدلية) ٢٨٦
الصقالبة (شعب) ٧٥
صلاح الدين الايوبي ٣٣٥

ض

الضحّاك بن عُلوان ٣٢٩
الضحّاك بن قيس الحروري ٢٢٨
ضِرار بن القَعقاع ١٤١
ضمضم بن عمرو الغفاري ١٧٥

ط

طاهر بن الحسين (ذو اليمينين) ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
طاهر التراجي ٢٣٩
الطّبري : ابو جعفر محمد ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ٣٣٣
طَرفة بن العبد ١٣٧ ، ٢٩٠
طُوليس ٢٢٦

ظ

ظريفة (كاهنة) ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥

ع

عاد (قوم) ١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢
العاص بن سعيد (بنو) ١٧٦ ،
العاص بن هِشام بن المُغيرة ١٧٦
عامر (بنو) ٢٢٢ ، ٢٥٥
عامر بن إسماعيل المذحجي ٢٣١ ، ٢٣٢
عامر بن الحضرمي ١٧٩
عامر بن زيد ٢٥٠ ، ٢٥١
عامر بن الطُفيل ٢٥٥
عامر بن عبد القيس ٨٤
عامر بن منذر بن نزار (ابو القبائل العدنانية) ١٩٣
عائشه (زوج النبي) ١٦٥
العبّاس (بنو) العبّاسي ، العبّاسيون ١٣٦ ، ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣
العباس بن الاحنف ١٦٦
العبّاس بن اللّيث ٢٣٩
العبّاس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ٢٣٠
عبد الرّحمن بن ابي بكر ٢٦٧
عبد الرحمن بن مُلجم ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤
عبد الجبّار بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان ٢٣١
عبد السلام محمد بن هارون ٤٤
عبد العزيز بن مروان ٢٦٣ ، ٢٦٤
عبد القيس (بنو) ١٠١
عبدالله بن الأمين ٢٤١
عبدالله بن جُدعان ١٠٠
عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ١٣٥ ، ١٣٩
عبد الله بن حاتم الطائي ١٢٢
عبد الله بن حازم ٢٣٨
عبد الله بن حبيب العنبري ١٠٠
عبد الله بن حنظلة الانصاري ٢٢٤
عبد الله بن الذُّهينة ٢٧٨
عبد الله بن رواحه ١٧٩
عبدالله بن الزبير ٢٦١
عبد الله بن سوّار ٦٨
عبد الله بن صالح بن علي ٢٣١ ، ٢٣٨
عبد الله بن علي ١٣٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ٢٣٠
عبد الله بن مالك ٢٨٤
عبد الله بن مسعود ١٨٠ ، ١٨٧
عبد الله بن العبّاس السّلمي ٢٢٠
عبد الله بن قلابه ٣٣١
عبد الله بن مطيع العدوي ٢٢٤
عبد الله بن المقفّع : اطلب ابن المقفع
عبد الملك بن مروان ١١٦ ، ٢٦٣ ، ٢٨٣
عبيد بن الأبرص ٢٤٧ ، ٣١٦
عُبيدة بن الحارث ١٧٩ ، ١٨٠
العُتابي ١٠٥
عُتبة بن ربيعة ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠
عثمان بن حيّان المريّ ١٤٠ ، ١٤١
عثمان بن عَفّان ٨٤ ، ١٨٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥
عثمان بن محمد بن ابي سفيان ٢٢٣
عثمان بن لُهيك (صاحب حرس المنصور) ٢٣٦
العجم ، الاعاجم (شعب) ١٠٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٥٠
عُجيف بن عنبسة (من قواد المعتصم العباسي) ١٨١
عَدنان (أبناء) ٢٣٤
عديّ بن ابي الزّغباء الجُهَنيّ ١٧٦ ، ١٧٧
عديّ بن حاتم الطائي ١٢٢
عديّ بن الرّقاع ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
عديّ بن زَيد ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١
عُذرة (بنو) ٣٠٩
غُرابة الأوسي ١٢٧
العرب ٣ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٦ ،

١٠١، ١١٦، ١١٨، ١٣١، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٥
عروس (زوج اسماء بنت عبدالله) ٣٠٩
عُروة بن مُرّة: اطلب ابا الأغرّ
عسكر الحموي ٣٢٥
عَريض ابو يسار ١٧٦
عَزّة الميلاء (قينة) ٢٧٢
عفاق بن مُرّي ١٠٢
عَفراء (صاحبة عروة) ٢٦٢
عفراء أمّ عوف ومُعوّذ ابني الحارث ١٧٩، ١٨٠
عفيف بن قيس ١٣٦
العُكليّ (أبو الرُدَيني الشاعر) ٥٢
علقمة (بنو) ٢٧١
علقمة بن عُلاثة ٢٥٥
عليّ بن ابي طالب ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ٢٩٢، ٣٢٥
عليّ بن الحسين الأصبغ ٣٢٢
عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ٢١٧، ٢٢٤
عليّ بن عبدالله بن العباس ٢٢٦
علي بن عيسى بن ماهان ٢٣٨، ٢٣٩
علي الجارم ٤٤
عمّار بن ياسر ١٣٢
العماليق ٢١٢
عمر أخو هلال ٨٢
عمر بن ابي ربيعه: ابو الخطّاب ٨٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤
عمر بن الخَطّاب ١٥٠
عمر بن عبد العزيز ١٢٤، ٢٢٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦
عمر الجرميّ ١٢٥
عمر الوادي ١٣٨، ١٣٩
عمرو ١٣٩
عمرو بن خُريث ٢٢١
عمرو بن عامر مُزَيقيا ٢١٣
عمرو (بنو) ١١١
عمرو بن سعد بن أبي وقّاص ٢٢١، ٢٢٢
عمرو بن العاص ١٢٩، ١٢٤
عمرو بن كُلثوم ١٠٦
عمرو بن مسعود ٢٤٧
عمرو بن مَعدي كَرِب (ابو ثور) ١٣١، ١٤٢، ٢٠٨
عمرو بن هند ٢٤٨
عمرو العلا: هاشم ١٠٠
عنترة ٥٢
عُنيزة بنت زعير ٢١١
عوسجة ٢١٨
عرف بن الحارث ١٧٩
العيّار، العيّارون ٢٤٠
عياض بن خليفة الخُزاعي ١٣٢
عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ٥
عيسى بن موسى ٢٣٦

غ

غانم بن عُلوان ٣٢٩
الغريض ٢٢٦
الغساسنة، غسّان، ملوك غسان ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩
غويه (دي) ١٧٤

ف

فاطمة (بنت عم بشر بن عوانه) ٣٠١
الفرزدق ١٠١، ١٠٥، ١٣٧، ٢٩٠، ٣١٤
الفرس ٣، ٨٦، ١٤٩، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٠
فرعون ٢٢٣
الفرنج ١٨٨
فرّوخ بن ماهان: المرزُبان ٢٥٠
فزارة (بنو) ٢٥٨
الفضل بن سهل ٢٤٣
الفضل بن صالح بن عليّ ٢٣١
الفضل بن العبّاس الهاشمي ٢٨٠
الفضل بن عيسى بن أبان ٥٣
فقعس (بنو) ١٠٢
الفَنجَج (شعب) ١٩٣
فهم (قبيلة) ٢٥١، ٢٥٣
فيروز (ملك الفرس) ٢٠٤
فيمون، فيميون ٢٣٢
الفيّومي ٣٤١

ق

القاري بن عدي ٢٦٥
قُثم بن جعفر بن سليمان ٢٨٠
قُدار بن سالف ٢١١
قريش ١٠١، ١١٠، ١١٦، ١٤٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ٢٢٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠
قرين الدّيراني ٢٤١
قُضاعة بن مالك بن حِمير (من اجداد العرب) ١٩٠
قطام بن علقمة ١٣٠
القطامي: الحصين ٨٠
قيس بن الخطيم ١٣٩
قيس بن صعصعة ١٧٩
قيس بن مكشوح المُرادي ١٣١
قيس عيلان ٥٥، ١١٢
— الخُلج ٥٥
قيصر: ملك الروم ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣٣٤
قيميون: اطلب فيمون

ك

كثيّر عَزّة ٥٠، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧
كردي، اكراد ٨٦
كِسرى ١١٤، ١١٥، ١١٩، ٢٣٥، ٢٥٠، ٢٥١
كسرى انو شَروان ٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٥٠، ٣٠٧
كسرى بن هُرمُز أبرويز ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٤٩
كَلب (حيّ من ثعلبة) ٣١٤
الكَلبيّ: عامر بن العَرِث ٣١٤
كعب الأحبار ٣٣١
كعب بن مامه الإيادي ١٢٣
كُليب بن اسماعيل ٢٦٣
كِنانة (قبيلة) ٤٣
كِندة (بنو) ١٣٠، ٢٢٠
كيبشتاشب (من ملوك الفرس الكيانيين) ٧٧
كَيسان: المختار بن ابي عبيد ٥٤

ل

لحيان (بنو) ٢٥٢، ٢٥٣
لَخم (بنو) ٢٠٩، ٢٤٩
لَقيط (من إياد) ٢٠٠

م

مارية بنت شعيب (أم المعتصم) ٢٤٣
مازن (بنو) ١١٠، ١١١، ١٧٦
مالك بن عمرو مُزَيقياء ٢١٥
مالك بن كيدر ١٨٢
مالك بن الهيثم ٢٣٥
المأمون: عبدالله ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣

المُبَرِّد : اطلب ابا العباس المُبَرِّد
المُتَّقي لله العباسي ٢٣٢
المتنبي: ابو الطيب ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣
المتوكل العباسي ١٥٥
مُجدي بن عمرو الجُهَني ١٧٧
مجنون ليلى ٢٧٧
محمّد بن ابرهيم (من قواد المعتصم) ١٨١
محمد بن الاشعث بن قيس ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١
محمد بن حرب ٦٧، ١٤٩
محمد بن سيرين ١٥٠
محمد بن عبد ربّه ٢٦٤
محمد بن علي بن ابي طالب (الحنفيّة) ١٣٣
محمد بن علي بن العباس ٢٢٧
محمد بن القاسم بن ابي عقيل ١٩٤
محمد بن كعب القُرَظي ١٣٢
محمد بن المنتشر ١٢٨
المختار بن ابي عبيد الثقفي ٢٢٤
مخزوم (بنو) ١٠٠، ٢٧٢
مَراجِل (ام المأمون) ٢٣٨
مُراد (بنو) ١٣١
مَرثَد بن شَدّاد بن عاد ٣٣١
المَرزوان ١١٤، ١١٥
مَروان (بنو) ١٣٨، ٢٢٦
مَروان بن الحكم ٢٢٣
مروان بن محمّد ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤
مريم الصَّناع ٨٩، ٩٠
مُزدك، مزدق، مردق ٢٠١
مساور بن هند (الورّاق) ١٠١
المسعودي ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧
مسلم بن عُقبة المريّ : مُسرف ٢٢٣، ٢٢٤
مسلم بن عقيل ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١
مسلم بن عمر الباهلي ٢٢١
مُصعب بن مُفرِّج ٢١١
المطيع العباسي ١٨٨
معاوية بن ابي سفيان ١١٨، ١٢٧، ١٣٩، ١٣٤، ١٣٩، ١٤١، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٩٢، ٣٣١
معاوية بن بكر ٢١٢
معاوية بن مروان ١١٦
معاوية يزيد بن المُهلّب ١٢٤
معبد (المغني) ٢٢٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨
المعتصم العباسي : محمد بن هرون ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٣
المعزّ لدين الله ٢٩٤
مُعوِّذ بن الحارث ١٧٩، ١٨٠
المُغيرة بن نوفل ١٣٣
المقتدر العباسي ٢٣٢
المكيّ ٦٧
مُلهِم (بنو) ١٢٩
المناذرة : آل مُحرِّق ٢٠٥، ٢٤٧
المُنذر اللخمي ابن ماء السما ٢٠٩
المنذر الرابع ٢٥٠
المنذر الخامس ابن النعمان (المغرور) ٢٤٩
المنصور : اطلب ابا جعفر
منصور بن جُمهور ١٩٤
المهاجر بن عبدالله ١١٢
المَهدي (العباسي) ١٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥
مَهرة بن حيدان بن قُضاعة (قبيلة) ١٩٠
الموالي ١١٨
موسى (ابن الامين) ٢٤١

ن

النابغة الذُبياني ٢٩٠
ناعض بن ثومة الكِلابي ٢٨٠
النَّحّار العُذري ١٤١
نزار (جد العرب) ٢٤٩
نصر بن سيّار ٢٢٧، ٢٢٨
نُصيب بن رباح ٥١، ٢٦٣، ٢٦٤
النُّعمان بن بشير الأنصاري ٢١٨، ٢١٩
النعمان بن ماء السماء ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١
النعمان بن المُنذر ١٣٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٣١٧
– ابو قابوس ٢٤٧
– ابو منذر ٢٠٩
النعمان الخامس بن المنذر الرابع ٢٥٠
النَّمر (بنو) ١٣٣
النَّوّار (زوج الفرزدق) ٣١٤
نُوار امرأة حاتم الطائي ١٢٢
نهد (بنو) ١٤٢
نهشل (بنو) ١١٠
نوفل (بنو) ٢٧٠، ٢٧١

هـ

الهادي العباسي : موسى ١٦٦، ٢٧٤، ٢٧٥
هارون : اطلب الرشيد
هارون بن عبد الملك بن الماجشون ٢٧٢
هاشم (بنو) ١١٦، ١٣٦، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٠، ٢٣٢
هانئ بن عروة المُرادي ٢١٩، ٢٢٠
هانئ بن مسعود الشيباني ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٤٩
هُذيل (بنو) ١٠١، ٢٥٢، ٢٥٤
الهُذَليّ : صخر الغيّ ١٠٠
هِرّ (صاحبة طرفة) ١٣٧
هَرثمة بن أعين ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١
هُرمز بن النوشروان ٢٠٤
هشام بن عبد الملك ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ٢٢٦
هشام المخزومي ٢٨٣
هلال بن الأشقر ٢٧٨
الهند الهنود (شعب) ٨٦، ١٩٨
هند بنت اسماء ١١٨
هند بنت النُّعمان ٢٠٦، ٢٥٠
الهَيثم بن العُريان ١١٦

و

وستنفيلد (مستشرق) ٢٣٦، ٣٢٨
الوشاء ١٤٧، ١٤٨
الوليد بن الحُصَين : اطلب الشرقي ابن القطامي
الوليد بن الريّان ٣٢٩
الوليد بن عبد الملك ٣٢٩، ٢٧٠، ٢٧١
الوليد بن عُتبة ١٧٩، ١٨٠
الوليد بن معاوية بن عبد الملك ٢٢٩، ٢٣١
الوليد بن يزيد ٥٥، ٢٢٦، ٢٦٥، ٢٦٦
وَندوا (من قواد الروم) ١٨٥
وهب بن مُنبّه ٣٢٨

ي

ياطس (عامل عمّورية) ١٨٥، ١٨٦

ياقوت ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣
يحيى بن محمد بن ابي قُتَيلة ٢٨٥
يزيد بن عبد الملك ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
يزيد بن عمرو بن هُبيرة ٢٢٨
يزيد بن معاوية ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢
يزيد بن معاوية بن عبد الملك ٢٣١
يزيد بن المقنّع ١١٨
يزيد بن مُلجم ١٢٩
يزيد بن المهلّب ١٢٤ ، ١٣٨
يزيد الناقص (ابن الوليد بن عبد الملك) ٢٣٠
يَعبور (ملك الصين) ٢٠٣
يقطين بن موسى ٢٣٦
يوسف بن عمر الثقفي ١٣٨
يوسف الشّهابي ٢٨٨
اليونان ١٨٨
يوئس الكاتب ٢٦٦

الفهرس الثاني

في

الاماكن والبحار والأنهار والجبال والمحالّ والبلدان والجزائر

ا

اسيا ١٨٩
آمل (بلد) ١٧٣
أبرهان (جزائر) ١٩١
ابو شجوة (كثيب) ٢٦١
ابو فطرس (نهر) ٢٣١
الأبُلّة (بادة) ٢٦٧
أُحد (جبل) ١٣٨
الأحمر (بحر) ١٨٩
اذربيجان (مدينة) ١٨٧ ، ٢٧٤
إربل (مدينة) ٢٣٠ ، ٢٣٥
الأردن (بلاد) ٢٣١
ارمينية (بلاد) ١٩٨
الاستانة ١٢٦ ، ٢٨٨
الاسكندرية ٣١٣
اصبهان (مدينة) ٢٤٥ ، ٣٢٠
إصطخر (مدينة) ١٨٧
إضَم (وادٍ) ٢٦٧
إفريقية ٩٣ ، ٩٤ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ١٩٦
الأنبار (مدينة) ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠
انطاكية ٧٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٢
أنقرة ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣
الأهواز : اطلب خوزستان
اوروبا ٢٤٦
إيوان كِسرى ٢٩١

ب

الباب ، الابواب (موضع) ٢٠٢
باب الطاق (في بغداد) ٢٩٦
بابل ١٣٨ ، ٣٤١
باب المُحول (موضع) ٢٣٩
باريس ١٨٨
بَجاورة (بلاد) ١٩٠
البحرين ١٠٠ ، ١٤٣ ، ٢٤٩ ، ٣٠٢
بُخارى (مدينة) ١٩٣
البَحراء (قرية) ٢٢٦
بَدر (موضع) ١٧٦ ، ١٧٧
برير (بلاد) ١٩٦
البرس (قرية) ٢٢٧
بَرقة (مدينة) ١٩٧
بَساند (بلد) ٢٢٧
البصرة ٥ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ٢١٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
بُصرى (مدينة) ٢٩١
بعلبكّ ١٥٦
بغداد ٤٣ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٥
— الزَّوراء ٣١٤
— مدينة السلام ٢٣٩
بَلخ (مدينة) ٢٠٤
— نهر بلخ ٢٠٤
البَلقاء (بلد) ٢٢٩
البَليدون (موضع) ٢٣٨
بِنكام (بحر) ١٩١
بنو حرام (محلة في البصرة) ٣٠٥
بورنيو (جزيرة) ١٩٢
بوصير (بلدة) ٢٣١
بيروت ٢٨٨

ت

تُبّت ، تُبّتان ٧٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٤
التِبر (بلاد) ٣٠٧
التُّرك (بلاد) ١٩٣
تهامة (بلاد) ٢٦٧ ، ٢٧١

ج

الجامعان : الحلّة المزيدية ٢٢٧
جاوه ١٩١
الجُحفة : المَهيَعة ١٧٧
جُرجان (مدينة) ٣١ ، ١٨٧ ، ٢٨٩
الجزيرة ١٠٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥
جزيرة ابن عُمَر ٣٣٥
جُنابة (بلد) ١٥٢
جُندَ يسابور ٢٠١
جوانى (حصن) ١٠٠
الجَولان ٢٠٩
جيحون (نهر) ٢٨٩ ، ٣٠٧
جِيرُفت (بلد) ١٥٢
جيلان (اقليم من العجم) ٢٠٤

ح

حادر (موضع في العراق) ٢٠١
الحبش (بلاد) ١٩٦
الحبشي (البحر) ١٨٩ ، ١٩٠
الحجاز ١٧٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢
الحدَث (مدينة في بلاد الروم) ١٨١
حرّان ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢
الحريثة (محلة في بغداد) ٩٦
حَرِطيثة (قرية) ٢٢٧
الحرّة (موضع) ٢٢٦
حَضرَموت ١٣٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣١
حلب ٢٠ ، ٢٠٢ ، ٢٨٠ ، ٣٢٥
الحَلّة (بلدة) ٢٢٧
حُلوان (مدينة) ٢٣٩
حمص ١٥٦ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥
حِوّارين (من ارض دمشق) ٢٢٣
حوران ٣٣٢
الحيرة ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

خ

خُراسان ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥
– باب خراسان (محلة في بغداد) ٢٤١
خُوارزم (إقليم ، ومدينة) ٢٨٩ ، ٣٢٥
خوزستان ، الخوز : الاحواز ٨٢ ، ٩٦ ، ١٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨

د

دار العباسية (موضع) ٦٣
دار لحيان (موضع) ١٠١
داهر (مدينة) ٢٠
الدِّبِّة (بلدة) ١٧٦
دَبيق (بلدة) ١٥٢
دجلة ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٦٧
– الزوراء ٣١٤
الدَّرّ جرد (بلد) ١٥٢
دمشق ١١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٢٥
دير الأعور (موضع) ٢٣٤
دير الربيع (موضع) ٧١
دير سِمعان (مكان) ٢٢٥
دينَور (مدينة) ١٠٣

ذ

ذات الشُّوَيرة (عين ماء) ١٣٢
ذات عِرق (موضع) ٢٥٩
ذِفران (وادٍ) ١٧٦
ذوقار (موضع) ٢٤٩

ر

رأس العين (بلد) ٢٢٨
الرامي (جزائر) ١٩
الرَّحيم (ماء) ١٠١
رَخمان (موضع) ٢٥٤
رشيد (بلد) ١٥٥
الرَّصافة (مدينة هشام بن عبد الملك) ٢٢٦
الرَّقّة (مدينة) ١٠٦ ، ٢٣٢ ، ٢٥٩
رَقّة كلواذا (قرية) ٢٤٠
الرُّهاة (مدينة) ٢١٢
الروم (بلاد) ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥ ، ٣٢٥
روضة المدائن ٢٣٥ ، ٢٣٦
الرَّي (مدينة) ٢٣٨

ز

الزّاب (نهر) ٢٣٠
الزاب الصغير : الزاب المجنون ٢٣٠
الزّنج ، بحر) ١٩٠
الزّنج ، زنجبار (بلاد) ١٩٠ ، ١٩٦
الزّنج: الدُّبَجات (جزائر) ١٩٠

س

ساباط (مدينة) ٢٠٦
سامرّا ، سُرّ من رأى ، سُرّ من را ١٨٠ ، ٢٤٣ ، ٢٩١
ساوه (موضع) ٢٢٨
سَبأ : مأرب ٣٣٤
سِجستان (بلاد) ١٥٢
سَرنديب (جزيرة) ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١
سَروج (مدينة) ١٨١ ، ٣٠٩
السَّريّ (موضع ٢٢٨
سَكاوَندجين (مدينة) ٢٠
سكة بني مازن (محلة في البصرة) ١١٠
سلوقية (مدينة) ١٨١ ، ٢٠٣
سَمَرقند (مدينة) ١٩٣ ، ٣٠٧
سِنجار ٣٢٥
السِّند ١٩٤ ، ٢٠٣
سنير (جبل) ١٥٦
سوريا ١٧٣
السودان (بلاد) ١٩٧ ، ٣٠٧
سوس (كورة) ١٥٣
سوق الطرائف (محلة في بغداد) ٢٩٦
سيام (بلاد) ١٩١ ، ١٩٢
– جون سيام ١٩٢
سِيراف (فرضة في فارس) ١٩٩
السَّيلي : الفيليين ١٩٢

ش

الشام ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٣٣٢
الشّحر (بلاد) ١٩٠
الشَّرق (بلاد) ٢٠٤
شهر زور (مدينة) ٢٢٨

ص

الصَّفراء (موضع) ١٧٦
الصُّغد (كورة) ١٩٣ ، ١٩٤
الصَّمّان (موضع) ٢٠٨
صنعاء ١٩٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١
الصِّنف (بحر الهند الصينية) ١٩٢
صُوعطرة : الرَّمي ١٩١
صيمور (بلد) ١٨٧ ، ١٩٩
الصين ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
– بحر الصين ١٩٢

ط

الطالف ٢٥٩
طَبرستان ١٥٥ ، ١٧٣
طرسوس ١٨١ ، ٢٣٨
طوس ٢٣٨

ع

العامرية (موضع) ٢٢٢
العَبقَر (قرية) ٥٨
العراق ٢٠ ، ٣٦ ، ٦٧ ، ٨٨ ، ١٣٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ،

٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٣٤١
– العراقين ١٥٦
– سواد العراق ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦
عرفات (جبل) ١٤٥
العقر (مكان) ١٣٨
عكاظ ٢٥٥
عمان ١٨٧ ، ١٩٥
عمّورية (مدينة) ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦
عين المشورة (مكان) ٢٣٨

ع

غانة (مدينة) ٣٠٧
غُوا (مدينة) ١٨٩
غوطة دمشق ٢٠٩

ف

فارس (بلاد) ٨٢ ، ٩٦ ، ١٥٣ ،
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
٢٠٤ ، ٢٢٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٣٠٧
– بحر فارس ١٩٦ ، ٣٠٢
الفتح (جبل) ٢٠٢
الفرات (نهر) ١٤١ ، ١٩٣
فرغانه : أزهرخانه (اقليم –
مدينة) ٩٤ ، ٣٠٧
– اسبيذ بلان (قصبة اقليم
فرغانه) ٣٠٧
الفسطاط (مدينة) ١٨٧
فلسطين ١٨٧ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ،
٢٣١

ق

القادسية ٢٠٧ ، ٢٢١
قديد (موضع) ٢٢٤
القسطنطينية ١٨٣ ، ٢٠٠
قنّسرين ٢٠٢
قوهستان (بلد) ١٥٢
قيصور ١٩١

ك

كاظمة (موضع) ٣٠٢
الكاليمار (رأس في البحر)
١٩١
الكداد والخميمة (بُليدة)
٢٢٩
الكديد (مكان) ٢٥٩
كربلاء (بلدة) ١٣٨ ، ٢٢٢
الكَرَج (مدينة) ٣٢٠ ، ٣٢٣
كردنج (بحر) ١٩٢
كرمان (اقليم) ١٥٢ ، ١٨٧
الكنّاس (موضع) ٢٣٩
كفرتوثى (بلد) ٢٢٨
كنبانية (بلد) ٨٧
الكوفة ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ،
١٣٨ ، ١٤٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٧ ، ٢٦٥
– الكُنّاسة (موضع في الكوفة)
١٣٨ ، ١٤٢
كهلان (قلعة) ١٩٨

ل

اللاّرمن (مملكة) ١٩٩
لاروي (بحر) ١٨٩ ، ١٩٠
لبسيك (مدينة) ١٢٦ ، ٣٢٦ ،
٣٢٨
لبنان ٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٦
لندن ١٨٨
اللوى (موضع) ٢٧٧
ليدن ١٤٨ ، ١٧٤

م

مأرب (مدينة) ١٩٨ ، ٢١٣ ،
٢١٥ ، ٢١٦
مازن (محلة) ٦٣
المبارك (نهر) ٧٠
المحيط (بحر) ١٩٧
المدائن ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠
مدغشقر (جزيرة) ١٨٧
المدينة يثرب طَيْبة ، طَيْبة ٥٥ ،
٦٠ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٤١ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ،
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٢٣ ،
مُر (مكان ٢٥٩
مرو ٨٨ ، ١٥٣ ، ٣٢٥
المزدلفة ١٤٥
المشان (بُليدة) ٣٠٥
المصانع (جبل) ١١٤ ، ١١٥
مصر ٦ ، ٤٤ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ،
١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
١٨٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٨ ،
٣٢٦
– القاهرة ٢٤٦
المغرب (بلاد) ١٩٦ ، ٣٢٠ ،
٣٤٤
مكة ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ،
١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٣١ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ،
ملتان (مدينة) ١٨٧ ، ١٩٤
المنصورة (قصبة بلاد الهند)
١٨٧ ، ١٩٤
منفوحة (قرية) ٢٥٦
مِنى (موضع) ١٣٩ ، ١٤٥
المهراس (ماء) ١٢٦ ، ١٣٨
مِهران (نهر) ١٩٤
الموصل ١٠٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
٣٢٥ ، ٣٣٥

ن

الناشرانة (موضع) ٢٣٩ ، ٤٠
نجد ٢٧٨ ، ٣٤١
نجران ٣٣٢ ، ٣٣٣
النجمالوس (جزائر الأندمان)
١٩١
نسا ٣٢٥
نصيبين ٢٢٨ ، ٢٣٤
النهروان (مكان في العراق)
٢٠١ ، ٢٣٩

هـ

هراة (مدينة) ٢٨٧
همذان (مدينة) ٢٢٨ ، ٢٨٧ ،
٢٩٩ ، ٣٢٠
الهند ٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ،
١٩١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥
الهند (بحر) ١٩٠
الهندوس (نهر) ١٨٩

و

واسط (مدينة) ٦٧

ي

اليرموك ٢٠٨ ، ٢٠٩
اليمامة ١١٢ ، ١٣٧ ، ٢٥٦
اليمن ١١٤ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
١٩٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢٩١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢
– بحر اليمن ١٩٠

الفهرس الثالث

في

الحيوان

ا

إبل ، الإبل ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٩٠ ، ٢١٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣٣١

– البُخت ٧٩

– الذَّود ٩٠

– الرَّحاب ٥٩ ، ٧٨

– السَّوام ٢١٨

– الطَّعن ٥٠

الإربيان ، الإربيانة ٥٨ ، ١٦٠

– القريدس ٥٨ ، ١٦٠

– يرغوث البحر ٥٨

ابن آوى ، بنات آوى ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥

– الشمهر ٣٥ ، ٣٦

ابن عرس ، بنات عرس ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

أرَضة : السُّوسه ٢٩٤ ، ٢٩٥

ارنب ، ارانب ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٠ ، ١٠٧

– الخز (ولد الارنب) ٩٠

اسد ، الاسد ، أسدة ، أُسد ٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١٧

– ابو الحارث ٢٥٧

– شِبل ، شبلان ٣٥ ، ٣٦

– لبوءة ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

– ليث ، ليوث ٣٠١ ، ٣٠٢

– ليث عِفرِين ٣٠٧

– هِزَبر ٣٠١

أفعى ، افاعٍ ، الافاعي ، الافعوان ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٩

– الثُّعبان ، الثعابين ٤٧ ، ٦٨ ، ١٤٤

– ذوات الانياب ٤٧

– الثُّجاء ٣٠٩

أم حُبَين ٩٩

الأرزّ ٢٨٣

ب

البادنجار ٤٧

البازي ، البوازي ٧٣

بَبْر ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩٦

– سبع هندي ٣٨

البَبَّغاء ٨٤

بطّتان ، البط ١٣ ، ١٤ ، ١١٩

بعوضة ، بعوض ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٧٤

البغل ، البغال ، البِغلة ، بغلة ٥٠ ، ١٢١ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٣٣١ ، ٣٥٧

البقّ ٢٧٤

– الفسافس ٢٧٤

بقرة ، البقر ، بقر ٢٧ ، ٣٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

بنات وردان : الصراصير ٧٨

بهيمة ، بهائم ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤

البوم ٤٨ ، ٥٠ ، ١٠٩

ت

التِّمساح ٤٩

التُّوَط ٥٣

ث

ثعلب ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٣

الثَّور ، الثيران ٩ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٩٢ ، ١١٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨

ج

الجاموس ، الجواميس ٧٩

الجَرادة ، الجراد ٤٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٦٠ ، ٢٥٧

الجُرَذ ، الجُرذان ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥

جُمل ، الجملان ٤٨ ، ٧٤ ، ٧٨

– ابو جمران ، ام جمران ، ام جمرانة ٤٨

جَمَل ، الجمل ٥٦ ، ٥٨ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

– بعير ، البعير ٥٠ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥

الجُندَب ٧٤ ، ٢٥٧

ح

الحُبارى ٤٨

الحجل ٤٨

حِدَأة ٢٥

– الشوحة ٢٥ ، ٤٧

الحِرباء ٧٤

حشَرة ، حشرات ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣

الحكّاة ٥٩

حمار ، الحمار ، الحمير ٣٠ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٦

حِمار الوحش ، حُمُر ، الحُمُر ٣٠ ، ٣١

حَمامة ، حمام ، حمامات ، الحمامة المطوّقة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٢٧٧ ، ٣١٥

– الجوزل ، الجوازل ٣١٥

– ست الزوم ٢٠

– فاختة ٢٠

– فرخ الحمام ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢

– ياطريم ٢٠

حية ، الحية، الحيات ١٦ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩

خ

الخَشاش ٤٧ ، ٥٣
الخُلد ، المَاجِد ٧٩ ، ٢١٤
الخِنزير ، الخنزيرة ، الخنازير ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١٩٧
– الخُوص الخنانيص ٧٤ ، ١٩٧
خنفسة ، الخنفساء ٤٨ ، ٧٠ ، ٩٩
الخيل ، الخيول ٥٠ ، ٧٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥
– الحجر ٥٠
– الخراب ٧٩

د

دابّة ، دُوَيبّة ، دوابّ ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٨١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٧٤
الدّجاج ، الدجاجة ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٩
– الديك ، الدّيكة ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
– صيصة ، صيصية ، الصياصي ٤٨
– الفراخ ١١٩
– الفروج ٥٤ ، ٨١
الدّرّاج ١١٩
دَلْو ٣٦
دودة ٣٠٣

ذ

ذبابة ، ذُباب ، ذِبان ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ٢٩٩
الذرّة الذرّ ٥٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ٢٩٩
ذئب ، ذئاب ٩ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ١٠٩
– جرو الذئب ٧٣ ، ٧٤

ر

رَخمة ، رخم ٤٧
– الأنوق ٤٧

ز

زَبابة ، الزّباب ٧٩
– الزبوبو ، الزبابيم ٧٩ ، ٢١٤
الزّرافة ١٩٦
الزّنابير ٤٨
الزّرق ٤٧ ، ٧٣

س

السَّبُع ، السِّباع ٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ٢٥٧
– سمّ هندي ٣٨
– سباع الطير ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨
سرطان ١٠ ، ١١ ، ١٢
السُّرفة ٥٣ ، ٥٦
– خاتم سليمان ٥٣
السَّحفاة ، السلاحف ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٢١٤
– الرّق ٤٩
السَّمَاني ٥٦
سمكة ، سمكتان ، سمكات السّمك ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ١٥٩ ، ٣٢٨
– الأوال ١٩٧
– البنيك ٤٩
– البيلمب ٤٩
– التال ١٩٧
– الجرّي ٥٨
– حوت ، الحوت ١٩٧ ، ٣٢٨
– خاتير الماء ٤٩
– الدّخن ٤٩
– الذالفين ٤٩
– الرّبيناء ١٥٩
– عنز الماء ٤٩
– اللّخم ٤٩
– كلب الماء ٤٩
– الكوريج ١٥٩
– الكوسج ٤٩
سِنّور ، سَنّورة ، سنانير ، السنانير ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٢٩٧
– قطّ ٧٣
– جِرّ الهرّة ٥٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢

ش

الشاء ، شاة ، شويهة ٥٠ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ٢٤٧
شاهمرك ٤٧
الشاهين ، الشواهين ٧٣

ص

الصّفرد ٥٦
– السّلوى ٥٦
الصّقر ، الصّقورة ٧٣

ض

الضأن ٩٨
– الضّعاج ١٠٢
الضّب ، الضّباب ٥٨ ، ١١٢ ، ١١٣
الضّفدع ، الضّفادع ٤٩ ، ١٠٢

ط

طاوس ٥٥
طائر ، طير ، طيور ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٢٩٠
– الأحرار ٤٦
– الجوارح ٤٦
– سباع الطير ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٧٣
– العتاق ٤٦
طيطوى ١٣ ، ١٤

ظ

ظبي ، ظبا المسك ١٩٥ ، ١٩٦
– غزلان المسك ٢٠٤
الظّبي ، الظّباء ٢٠ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٠٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨
– تيس الظباء ١١٤
– الخشف ٢٩٣
– عنز ١١٤
الظّربان ٢٤٧

ع

عُصفور ، عصافير ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٤ ، ٧٩

– فراخ العصافير ٧٩
عِظاءة ، عِظاء ٥٩ ، ٧٤
عُقاب ، عِقبان ٤٧ ، ٧٣
العقرب ، العقارب ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٢٨٢
– الجرّارات ٦٨
العُلجوم ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦
عناق الأرض ٧٣
عنز ، أعنز ، عنزة ٣٣ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٥٤
– الجدي ، الجداء ٩٨ ، ١١٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
– السخلة ٩٨
– عناق ، العُنوق ١٠٢
– المعز ٣٣ ، ٩٨
– الماعز ١٠٢
عنقاء ، عنقاء مُغرب ١٤
العنكبوت العناكب ٥٣ ، ٨١

غ

الغراب ، غربان ، غراب البين ٢٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٠٨
– العقعق ٨٠
– غداف ، الخدفان ٦٤ ، ٨٤
الغزال ٣١٤
الغنم ٨٤ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤
غيام ، الغيام ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

ف

الفارة ، الفأر ٢٥ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٢١٤
– درص ٢٥ ، ٧٩
– فأرة المسك ، فأر المسك ٧٩ ، ٨٠
الفرس ٥٠ ، ٧١ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٣٠٤ ، ٣٣٤
– بردَون ، البرازين ١١٠
– المهر ٢٠٦ ، ٣٠١
فراش ٤٨
الفهد ، الفهود ٧٣ ، ٨١
الفيل ، الفيلة ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٤ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦

ق

قراد ، القردان ٩٨
قرد ، القرد ، القرود ، قِرَدة ، القِرَدة ١٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ١١٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨
قُنفُذ ، القنافذ ٤٧

ك

كبش ٣٧
الكركيّ ، الكراكيّ ٤٧ ، ١١٩
– الرَهو ٤٧
– الفرنوق ٤٧
الكلب ، الكلاب ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٩٣
– جرو ، الجراء ٥٠ ، ٦٣ ، ٢٤٧

م

ماشية المواشي ١٠٨ ، ٣١٠
مالك الحزين ٤١ ، ٤٢
– البلشون ٤١
مها ٢٠٥ ، ٢٠٦
– بقر الوحش ٢٠٦

ن

ناقة ، أنيق ١٠٠ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٠
– الشقب ٢١٠ ، ٢١١
– الكَوْمة ، الكَوْم ٣٢٠
– النجيب ، النجيبة ، النُجُب ، النجائب ١٩٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣١١
النحل ٤٨ ، ٥٣
نسر ، نُسور ٤٧ ، ٥٠
النعامة ، النعام ٢٩ ، ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٩٧
– الربداء ٥٥
– الرئال ١٢٢
– الظليم ٥٥
النمر ٧٣
النمس ٢٤٧
النمل ٤٨ ، ٩٩

هـ

هامَة ، هوامّ ٤٤
هَمَجة، هَمَج ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٣

و

وحش ، وحوش ٣٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٩٦
الوَزَغ ، الوزغة ٥٩ ، ٧٦
– سام أبرص، أبو بريص ٥٩ ، ٧٦
الوطواط ٤٨ ، ٤٩
– الخُفّاش ٤٩
وَعل ، وعول ، أوعال ٤٧ ، ٢٨٩
– المعز الجبلية ٤٧

ي

اليربوع : اجلب زبابة
اليَعسوب ، اليعاسيب ٤٨
يوءبو ٤٧ ، ٧٣

الفهرس الرابع

في

النبات

ا

الآس ١٦٤ ، ١٦٦
آبنوس (شجر) ١٠٠ ، ١٦٦
أترجّة ، الأترجّ : الكباد ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٩٨
اجاص ١٦١
الإذخر ١٦٥
الأراك ١٦٥
الأعنان ١٦٨
الأعشوت ، كشوت ١٦٠

ب

بانة ، البان ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤
البسباسة ١٩٢
بصلة ، البصل ٧٦ ، ١٢٠ ، ١٦٠ ، ٣٢٤
البطيخ ٧٥ ، ١٦١
البقل ١٦٤ ، ٢٩٨
البقم ١٩١
البلوط ١٦٢
البندق ١٦٢
البلّوج ١٥٧

ت

التفاحة ، التفاح ٧٥ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠
تمر ، التمر ، تمرات ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٤٠
- البسر ١٦٢
- الرطب ، الأرطاب ١٦١ ، ٢٩٨
- القريثاء ١٦٢
- المشقّق ١٦١
التنبول ١٩٨
تينة ، التين ٣٦ ، ٦٨ ، ١٦١

ث

الثمام ١٠١
الثوم ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٠

ج

الجزر ١٦٠
الجوزة ١٥٦ ، ١٦١
جوزبوا ١٩٢
جوزة الطيب ١٩٨

ح

حشيشة ، الحشيش ، الحشائش ١٨١ ، ١٩٥ ، ١٩٦
الحمّص ١٦٢
الحندقوقا ١٦٠
الحنظل ٩٨
- الهبيد ٩٨

خ

الخبّازى ١٩٦
الخردل ٦٨ ، ٧٥
الخرنوب ١٦٣
الخس ١٦٠
الخوخ ١٦١ ، ١٦٤
الخيزران ١٦٦ ، ١٩١

د

الدشتبويه ١٧٠

ذ

الذرة ١٦٢

ر

الرشاد ٧٥ ، ١٦٠
- الحرف : حب الرشاد ٧٥ ، ١٦٠
رمانة ، الرمان ٧٦ ، ١٦١ ، ١٩٨
الريحان ، ريحانة ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠

ز

الزعفران ٧٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٦٥
- زعفران الشعريّ ١٥٤
الزلبق ١٥٧ ، ١٦٢
- السوسن ١٦٢ ، ١٦٣
زهرة ، زهر ١٣ : ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٣٢٢
الزوفا ١٦٨
الزيتون ١٦١ ، ٢٠١

س

الساجة ، الساج ٢٩٤ ، ٢٩٩
السدر ١٦١
- نبقة ، النبق ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٩٢
السذاب : الفيجم ٧٦
السفرجل ١٦٢ ، ١٦٣
السلم ٩٨
السمسم ٢١١
السنبل (نبات) ١٥٦
- سنبل الطيب ١٩٥
السوس ١٦٥

ش

الشاهلوج ١٦١
الشجر ، أشجار ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٥٧ ، ٣٨١ ، ٣٩٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤
- الدغل ٢٥٧
- السوحات الكثهبلات ٢٥٧
الشعير ، شعيرات ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٣١
الشقائق ١٦٢ ، ١٦٣
الشماهة : البطيخ الاصفر ١٦٨
الشيح ، ٧٦
- الشوك ٢٤٣

ص

الصعتر ٧٦
الصفصاف ١٦٢
- الخلاف ١٦٢ ، ١٦٤

الصندل ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩٢

ط

الطرخون ١٦٠

ع

العاقر قرحا ١٦٥
العصفر ٩٠
العضاه ٩٨
العفار ١٠٧
عناقير ١٨
العناب ١٦١
عنب ٢٩٨
العنبر ١٥٧
العندم ٩٣
- دم الاخوين ٩٣
العود الهندي ١٦٢ ، ٢٠٤
- المورد ١٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٣

ع

الغبيراء ١٦١
الغتّ (نبت) ٩٨
الغرب ١٦٢ ، ١٦٤

ف

الفجل ١٦٠
الفستق ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢٠٤
الفصفصة ١٦٠
الفلفل (حب شجر الفلفل) ١٢٠ ، ١٩٢
الفوفل ١٩٨
الفول ١٦٢
- الباقلى ١٦٢

ق

القاقلة ١٩٢
القثاء ١٦١
القرنفل ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٩٢
قصب السكر ١٦٥
- القصب ٢٤٠
القطن ٧٨ ، ٢٠٤
- البرس ٢٠٤
القمح ١٠٠
- البرّ ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٢٧
- الحنطة ١٦٢

ك

الكاذي (شجر هندي وصيني) ٢٠٤
الكافور ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٣١
الكمأة ١٩٢
الكمّرات ١٦٠
الكمّرية ٧٢
الكستنا ١٦٣
- الشاهبلوط ١٦٢

ل

اللبان ١٦٦ ، ٢٧٤
- الكندر ٢٧٤
اللفاح ٧٥
- تفاح الجن ٧٥
اللوبياء ١٦٣
لوزة ، اللوز ١٦١ ، ١٩١
الليمون ١٦٢

م

المحلب ١٦٥
المرخ ١٠٧
المشمش ١٦١
موزة ، الموز ١٦١ ، ١٩٦

ن

النارجيل : جوز الهند ١٩٠ ، ١٩١
النخلة ، النخل ٤١ ، ٤٢ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٤٠ ، ٢٨٩
- الخوص ، ورق النخل ٢٤٠
- رقلة ، الرقلة ١٣٧
- سعف النخل ٢١٥
- العذق ، العذيق ٢٨٩
- العسيب ١٠٠
- الطلع ١٥٩
- الفسيلة ، الفسيل ٧٨
النخل الهندي ١٨٩
النرجس ٦٨ ، ١٧٠
النعنع ١٦٠ ، ١٦٢
النمام ١٦٢ ، ١٦٣

هـ

الهليون ١٦١
الهندبا ١٦٠

و

وردة الورد ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٤
الورس ٢١١

ي

ياسمين ١٦٣

الفهرس الخامس

في

الثياب والادوات والآنية والمواعين

ا

إبريق، أباريق ١٦٦، ٢٩٦، ٢٩٧
إجانة ٢٩٨
أحبولة ٣٢٢
إخوان : خوان ١٠٢
اخية ٢٠٦
إزار، أزر ١١٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩، ٢٧٩
– فوطة ٣٢٠
إفاويه ١٩٢، ١٩٥
إكاف ١١٢
– قتب ١١٢
إكليل، أكلة ١٩٨، ٢٠٩
أمونياك ١٩٣
إناء، آنية ٧٥، ١٢١، ١٦٢، ٢٠٠، ٢٩٧

ب

البجاذي (حجر كريم) ١٥٥، ١٥٨
البخور ١٥٤
– البرمكية ١٥٤، ١٥٧
البرد، بردة ٢٢٦، ٢٣٢، ٣١٦، ٣٢١
البرذعة، البراذع ١٨٣
– جلس ١٨٣
البركار ٢٩٤
برلكان (من الثياب) ٩١
بز القُمّار ١٧٥
بزر، الأبزار ٢٩٣، ٢٩٩
بساط، البُسط ١٣٦، ١٣٨
– لَمَط، إنماط ١٣٨
البلّور ١٥٧، ٢٩٧

ت

التاج ٢٦٣، ٢٩٣، ٢٩٨

ج

الجام، الجامات ٢٠٣
جُبّة، جباب ١٥٢، ٢٧٩، ٣٢٣
جراب، الجُرب ٧٨، ٢٣٠، ٢٦٠، ٢٩٩
– قِراب ٢٦٠
الجُرْبّان، الجُرْبّانات ١٥٥
الجرة ٣٣، ٣٤، ٩٦، ١٢١
– الحُبّ ٩٦، ١٦٨، ٢٩٨
– الخابية ٩٦
– الفُلّة ١٢١
– الكوز ١٢١
الجزء ٣٢٩
جلباب ٣٢٤
جِلد (من ماعون البيت) ١٢١
جفنة، الجفان ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٢١، ٢٩٨
– سُكُرّجة، سُكُرّجات ٢٩٨
جُلجُل، الجلاجل ١١٦، ٢٤٠
الجلمان ٥٢
– المِقَصّ، المقصّان ٥٢، ٧٧
جوارب ١٥٤
الجوهر، الجواهر ١٥٧، ٢٠٣، ٢٠٥، ٣٣٠

ح

حُبالة، حبائل ٢٠، ١٩٥
الحب، الاحباب : أطلب جرّة
حبل ١١٠
– شِكال ٢٥٧
– عِقال ٢٥٧
– قِران ١١٠
الحديد ١٥٨، ١٨١، ٢٠١
الحذاء، الأحذية ١٠٨، ١٥٤
الحرير ٩٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٧١، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧
– الإبريسم ١٥٢، ١٥٧
– الخزّ، الخزوز ١٥٢، ١٥٦
– الآزّ ٩٠، ١٥٢، ١٥٦
– المُلحَم ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥
– حُصر، حصير ٦٠، ٢٩٦
حُقّ، احقاق ١٦٦
الحقيبة ٥٢
حَلَق ٢٩٤
الحَلَة، الحلل ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣
الحَلْي، الحُلِيّ ٣٩، ٨٠، ٣٣٣، ٣٤٠
الحِنّاء ٢٥٩، ٢٦٠
حَوض، حياض الأدم ١٨١

خ

خاتَم، خواتِم، خواتيم ١٥٥، ١٥٨، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٦٢، ٢٦٣
خِباء، أخبية ١١٢، ١٧٨
الخُرْثيّ (اثاث البيت) ١٨٥
الخرقة ٢٩٣
– المَرَيّلة (المريول، الفوطه) ٢٩٣
الخَزائن ٢٣١، ٢٣٥
الخَزّ (من الثياب) ٩٠، ٢٠٧، ٢٨٦
الخرز ١٥٧
– العَلَك ١٥٧
– السَّبَج (الخرز الاسود) ١٥٧
– الكرك ١٥٧
– الكوهر ١٥٧
الخطام ١١٣
الخُفّ، الخفان ١٠٨، ١٢٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٥
الخلخال ٣٠٠
– الحجل ٣٠٠
خِلَع ٢٦٩، ٢٧٠
خِوان ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨
الخَيمة، الخَيم ١٢٣، ١٤١
– المَضرب ٢٣٦

د

دِثار ١٣٣

الدُّرّ ، الدُّرَر ١٤٤ ، ١٥٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٧٠ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩
– السَّنِيح ، المسناح ، المَسانيح ١٥٨
– الفريد ٢٧٣
دُرّاعة ، دراريع ١٥٢
درهم ، دراهم ، دُريهمات ٨٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٣٧ ، ١٧٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤
الدَّفّ ٢٦٠
الدقيق ٢٩٨
الدَّنّ ٢٥٦ ، ٢٩٨
دهن ، إدهان ١٥٧
– الأُرشتام ١٥٧
الدَّوخلة ، الدَّواخل ٢٤٠
ديباج ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٩
– السُّندس ٣٢٣
دينار ، دنانير ١٥ ، ١٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٢٤ ، ١٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤

ذ

الذَّهب ٨٩ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
– التِّبر ٣١٨

ر

راحلة ، رواحل ١٢٧
– رَحل ١٨٣
راية ١٢٧ ، ٢٠٤
الرَّحى ١١٩
الرُّخام ٢٠٣
ردا ، أردية ٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥
الرَّصاص ٢٠١
ركاب ٢٦٣
الرَّكوة (إبريق القهوة) ١٠٦
الرِّواء ١٨١
رياش ٣٣٢
رَيْطة ٣٣٠

ز

زُجاجة ، الزُّجاج ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٥
الزَّبرجد ٢٧٣ ، ٣٢٩
الزَّعفران ١٥٧ ، ١٧١ ، ٢٦٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
الزِّق ، الزِّقاق ، زِقاق ٧٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٢
زعام ، أزمّة ٧٨
– مِقود ٧٨
– خِطام ، خُطم ٧٨
الزَّعفر ٢٩٥
الزُّمُرُّد ١٥٨
الزُّنار ، الزَّنانير ١٤٨ ، ١٥٧
الزَّند ٥٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٩ ، ٣١٥
زورق ، الزوارق ٢٤١
الزَّيت ٢٠١

س

السِّتر ٢٦٥ ، ٢٧٠
– السَّجف ١٢١ ، ٢٦٥
سراويل ، سراويلات ١٥٦ ، ١٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧
السَّرج ٢٦١
– القَرَبوس ٢٦١
سرير ، السرير ١٣٩ ، ١٤١ ، ٢٦٣
سَفَط ٢٤٢
سفينة ، السَّفينة ، السُّفُن ١٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٨٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٧
– الجَعفرية (سفينة نهرية) ٩٦
– البَيضاء ١١٠
سِقاء ، أسقية ٧٨
السُّك ، سكّ المسك ١٧١
السَّكين ، السكاكين ٢٠٢ ، ٢٢٩
سُلّم ، السَّلاليم ١٨٦
سلسلة ٢٥٠
سماط ، سُمُط (ما يوضع عليه الطعام) ١٣٦
السَّمن ٩٣
السَّندروس ١٩٨
سهم ١٠٢ ، ١٠٩
السِّواك ، المسواك ، المساويك ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦
– السَّنون ، السَّنونات ١٦٦
– مسواكدان ١٦٦
السَّوط ١٣٥ ، ١٨٦ ، ٢٧٤

ش

الشَّبكة ، شِباك ٢١ ، ٣٢ ، ١٩٥
شبه ٢٩٦
الشَّرك ، الاشراك ٢١ ، ٣٢ ، ١٩٥
الشِّطرنج ٢٠٥
شكوة ، شُكا ، شُكيّ ١٠٢
الشَّمعة ٢٤١ ، ٢٩٧
شملة ١٤١
شنان ، الشَّن ١٧٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

ص

صابون ٩٣
صاري ، الصواري ١١٠
الصَّحفة ١٤١
الصَّحيفة ٢٥٢
الصَّنج ، الصُّنوج ١٩٨ ، ٢٥٥
– الجَمَك ٢٥٥
الصَّندَل ١٥٧
الصُّندوق ٢٩٧
الصُّوف ٢٤٠ ، ٢٧٩
الصَّولجان ، الصَّوالجة ٢٥٠
– المِحجَن ، المحاجن ٢٥٠ ، ٢٥٨

ط

الطَّبول ١٩٨ ، ٢٣١
طَست ، طسوت ١٦٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
طعم ، الطعمين ٢٥٤ ، ٢٩١
الطُّنفسة ٢٥٩
– قِطع القطوع ٢٥٩
طيب ، الطِّيب ، الطِّيوب ٩٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٦٩
– الخَلوق ، ماء الخَلوق ١٥٤
– الذَّريرة ، الذَّرائر ١٥٣ ، ١٧١
– العَبير ، العبيرة ، العبائر عَبير المسك ١٥٣ ، ١٥٤
– اللَّخالخ ١٥٧
طيلسان ، طيالسة ٧١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٤١
العاج ١٠٢ ، ٢٩٩
العباءة ، عباء ١٤١ ، ٢٥٢
عدل ، اعدال ٧ ، ٨
عربات ٢٧٥
– زُهَيديّات ٢٧٥
– عجلات ٢٧٥
عصا ، العصا ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠
عصائب ١٤٨ ، ١٥٨
العطر ١٥٧ ، ٣٠٩

– الساهريّة ١٥٧
– الصّياح ١٥٧
– المُشلّثة الخزائية ١٥٧
النقود ٨٠ ، ٢٧٣ ، ٣١١
العقيق ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٣٢٩
العُكّازة ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٧٦
العُلبة ١١٣
العَلَم ، الاعلام ٢٢٧
– البنود ٢٢٧
عمامة ٦٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٢١٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٩
العنبر ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٩
العُود (ذو الرائحة الزكية) ١٥٣
العُود (آلة للعزف) ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٨٣
– الرّبط ٢٨٣

غ

الغالية ١٥٤
غلالة ، الغلائل ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٦٠
الغُل ، الاغلال ٢٥٠ ، ٢٧٥
– الكَبْل ٢٧٥ ،
الغيران (الفواصل) ٢٩٩

ف

الفأس ٥٢
– المقراع ٥٢
فراش ، فرش ١٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٣٢٢
فروة ، فرو ، فراء ٢٦٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
الفُسطاط (الخيمة الكبيرة) ٢٦٣
الفضّة ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
– الأجين ٣٠٠
فلس ، فلوس ٩١
الفُلفل ٢٩٣
الفيروزج ، الفيروز ١٥٥ ، ١٥٨

ق

قباب ٢٩١
قدح ، القداح ١١١ ، ١٢٣ ، ٢٢١
– القَعب ١٢٣
القدر ، القدور ١٠٢ ، ١٠٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩
قُربة ، القِرَب ٧٨ ، ١٨١ ، ٢٥٠
القرط ، الاقراط ٨٠
– القُنف ، القُنوف ٨٠
قرطاس ١١٧
القرنفل ١٥٧ ، ٢٩٣
القصعة ، القصاع ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٢١
– جفنة ٣٢١
– القصارة ٢٩٢
القضيب (قضيب المُلك) ٢٢٦ ، ٢٣٢
القُطن ٥٨ ، ١١٧ ، ٢٤٢
قطيفة ٩٤ ، ١٣٣
القلادة ، القلائد ١١٧ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٩٤ ، ٣١١
– الشّعب (قلائد القرنفل) ٣١١
– المخنقة ، المخانق ١٥٥ ، ١٥٧
– المرسلة ، المراسل ١٥٧
قلنسوة ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣١٣
– الدلّية ٢٧٦
– لاطية ٢٧٦
قُلّة ٢٢١
قميص ، قمصان ، قُمُص ٩١ ، ٩٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٦
– الجلباب ٣١٨
– الدّرع ٣١٦
القنّة ٥٣
القِناع ٨٨
– اللّثام ٢١٩
– النّقاب ٣١٨
القَوصَرّة ١١١
– زنبيل ١١١
قيد ٢٥٠
– الوثاق ٢٥١
– الحديد ٢٥١

ك

الكازيا ١٥٧
الكاز (المقصّ) ٧٦
كأس ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٣٢٤
الكافور ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
– ماء الكافور ١٥٧ ، ١٩٢
كانون (مستوقد النار) ٣٢٤
الكبريت ١٩٨
الكتّان ١٥٢ ، ١٥٦ ، ٣٢٤
الكَرَزّن ، الكَرازن ١٥٧
كرسيّ ، كراسيّ ، الكراسي ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٦٦
كساء ، كسوة ، أكسية ٨٨ ، ١٥٣ ، ١٨٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٤
– البَتّ ٢٧٩
– الشّجة ٢٥٩
كفن ٩٤

ل

اللّجام ، لُجم ١٧١ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ ، ٢٧٢
– شكيمة ١٧١
– عنان ٢٤٣ ، ٣٠٣
– مقاود ٢٤٠
اللّحاف ٧٨
لؤلؤ ، اللؤلؤ ، لآل ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩
– الحبّ الاحمر ١٥٧
– حبّ اللؤلؤ ١٥٧

م

ماء القرنفل ١٥٣
ماء الورد ١٥٣ ، ٢٦٥
المِطرَنات ١٥٢
المِجَن ٢٥٨
المِجمَة ، المحاجم ١١٧
– كأس الحجّام ١١٧
مِحباد ٢٣٠
المَخزنة (علبة لخزن الطيب) ١٧٠
المِخضَر ، المِخضرة ٢٣٢
مِخلاة ٣٣٩
مِدية ١٢٢
مِرآة ٢٨٢
مرجان ٢٠٩
المِرمر ٢٠٣ ، ٢٩٩
المِرويّ (من الثياب) ٩٠
المِزود (وعاء الزاد) ١٠٩ ، ٢٠٧
المِسح ، أمساح ، مسوح ٦٧ ، ٢٠٧
مسك ٨٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
المِسَنّ ٢٥٨
المِشراط ، المشارط ١١٧
مِشربة ٢٠٣
المِصباح ٧٧ ، ٣٣٣
مِضرب ١٨٣
مُطرَف ، مطارف ١٥٢ ، ١٥٥
المِعول ٢٥٨

المعجر ، المعاجر ١٥٦
المُعصفر (من الثياب) ٩٠
المِغزل ، المغازل ٣١٥ ، ٣٢١
المِقنعة ، المقانع ١٥٥
مكاتس ٢٤٠
– مَذابّ ٢٤٠
المِكحال ١٣٥
– المِلمول ١٣٥
المَكّوك (مكيال) ٩٠
مُلاءة ١٧ ، ١٨
مِلح ٩٦ ، ٢٩٨
مِلحفة ٢٧٩
المُلاحِر (ضرب من القماش) ١٧١
مِلزم ، الملازم ١١٧
المُلوَّح (حجر كريم) ١٥٨
المِنديل ، المناديل ١٣٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٩٧
المِهراس ٢٥٦
مَواس ١٣٦
الميآزر ، المآزر ، المِيازر ، الأزُر ٢٤٠
– الساعين ، الأسمان ٢٤٠
الميناء (من الحجارة الكريمة) ١٥٨

ن

الناقوس ١٠٧
النَّد ١٥٣
النَّرد ٢٩٥
نطم ، نِطم ، النِّظم ١٦٨ ، ٢٤٩
نِعال ، النِّعال ١٥٤ ، ١٥٦ ، ٢٩٩
النِّقط ٢٢٤
النِّمرقة ، الأنارق ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨
– الوسائد ١٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٢١
النُّورة (مسحوق) ٢٣٠
النُّوشادر ١٩٣

و

وَتِد ، أوتاد ٣٣ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٦٨
وسادة الوسادة : اطلب نمرقة
الوشي (من الثياب) ٩٠
الوَضَم ١٠٧
وكاء ، أوكية ٧٨

ي

ياقوتة ، ياقوت ، اليواقيت ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

الفهرس السادس

في

في المعبودات والمعتقدات والتقاليد والعادات

ا

آدم ٥٤ ، ٥٩
إبرهيم (الخليل) ٢٤٢
أجر ٣٨
أحمر ثمود ١٣٢
الأرَضين السّبع ٣٢٧ ، ٣٢٨
إرَم ذات العماد ٣٢٩ ، ٣٣١
أرمُوزد ٧٧
إستراق السّمع ٥٧
إسلم ، اسلام ، مسلم ، مسلمون ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
أصحاب الاخدود ، شهداء نجران ٣٣٣
أصحاب الفيل ١١٧
اصحاب الكهف ، أصحاب الرّقيم ٢٩٣
إضحاة ، أضحية ، الضحيّة ، الأضحى ٩٤
إله ١١٧
إله البحر ١٣
ألبياء ٢٤٣
الإنجيل ٣٢٢
الأنصار ١٧٩
أهرَمن ٧٧
أيام العجوز ٣٢١

ب

البيت الحرام ١١٧ ، ٢٥٩ ، ٣١١

ت

الثّروية (يوم) ٢٦٠
تشاءم ، التشاؤم ٦٤
تطيّر ، التطيّر ، الطيرة ٦٤ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
تفاءل ، التفاؤل ٦٤ ، ١٦٤
التّنجيم ٥٦
– برج السعادة ٥٦
– الأوتاد الأربعة ٥٦
التنين : الحية ذات الرؤوس السبعة ٣٢٢

ث

الثأر ٢٧٩
– الوتر ، الأوتار ٢٧٩
ثمود (قوم) ١٣٢ ، ٢١٠ ، ٢١١
الثّنوية ٧٧

ج

الجاهلية ٢٠٨ ، ٢٥٦ ، ٣٤١
جُبريل ٢٤٢ ، ٢٤٣
الجحيم ١٣٧
الجنّ ، جنيّة ٤٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧١
الجنّة ٤٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩
– عُرَف الجنان ١١٨

ح

الحارث بن كعب (القديس) ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

حجّ ، الحجّ، الحاج ١٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
– الاعتمار ٢٥٩
الحَدّ ٢٨٦
حظّ ، حظوظ ٦٥
الجن ٥٧ ، ٥٨
حوّاء ٥٤
الحواريّين ٣٣٢

خ

الخوارج ١٢٩ ، ١٣٠ ،

د

الدُّنيا ٣٦ ، ٣٢١
الدّهر ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
– الزمان ٢٩٢ ، ٣١٦
الدّير ٢٠٩

ر

الرّافضة ٤٦
راهب ، الرهبان ٢٠٩ ، ٣٣٢
ربّ ١١٧ ، ١٥١ ، ٢٢٦
– ربّ الكعبة ١١٨ ، ٢٨٣
الرّبّي ، الرُّقية ٤٠ ، ١٥٧
رمضان (شهر) ١١٠
رمي الجمرة ، رمي الجمار (من مناسك الحج) ٢٦١

ز

الزّجر ٦٤ ، ١٠٨
زرادشت ٧٧
الزّندقة ١٣

س

سُبحة ١٤٠
السِّجّيل (حجارة) ١١٧
السِّحر ٣٤٣
السّعي (من مناسك الحجّ) ٢٥٩
سفينة نوح ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٥
سليمان النّبيّ (الحكيم) ١٢٠
السماء ، السماوات ٥٥ ، ٥٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ٢٥٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١
– السّمَوات السبع ٣٢٧ ، ٣٢٨
سيل العرم : سدّ مأرب ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦

ش

الشّعبذة ، الشّعوذة ٣٤٣ ، ٣٤٤
شعوبي ، شعوبيون ٣
شيطان ، الشّيطان ، شيطانة الشياطين ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٤ ، ٢٠٤ ، ٤٤٢ ، ٢٨٢ ، ٣١٩
– إبليس ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨

ص

صالح (نبيّ) ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
– ناقة صالح ١٣٢ ، ٢١٠ ، ٢١١
صَداء (صنم) ٢١٢
الصّدقات ٣٠٧ ، ٣١٢
صلاة ، صلوات ٦٠ ، ٦٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤
صَمود (صنم) ٢١٢
صنم ، اصنام ٢١٢

ط

الطّلاق ٢٧٦
الطّواف بالبيت (من مناسك الحجّ) ٢٥٩
الطّوفان ١١٨

ع

عاد (قوم) ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣
عبدالله بن ثامر : اطلب الحارث ابن كعب (القديس)
عبقري ٥٨
العَرش ٣٢٧
عُزّى ٣٣٣ ، ٣٤١
– النّخلة ٣٣٢ ، ٣٣٣
عفريت ٥٧ ، ١٢٠
العُوذة ، المعاذة ، المعاذات ١٥٧
العيافة ١٠٨
عيسى : اطلب المسيح
العين المالحة ٩٧

غ

غراب البين ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ٢٦٢
غول ، أغوال ١٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

ف

الفصح ٢٠٩

ق

القَدَر ٢١
القرآن ، كتاب الله ١٤٥ ، ٣٢٣ ، ٣٣٣
القرى ١٣٨
القيّيس ٢٠٩
القيامة ٣٢٨

ك

الكاهنة ، الكهانة ، الكهّان ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥
كتاب الله : اطلب القرآن
الكعبة ٢٢٤ ، ٢٦٢ ، ٣٣١
– البَلِيّة ٢٢٤
كنيسة ، الكنيسة ، الكنائس ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٩
– البيعة ، بيعة النصارى ٢٠٧ ، ٢٥٨
الكيسانية ٥٤

ل

الله ٧ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٢

– الخالق ١١٧ ، ٣٢٢ ، ٣١٤ ، ٣١٧
– اللهم ١١٧ ، ٣٢٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٢
اللات ٣٤١
اللبنة اللبن ٣٢٩

م

مارد ٥٧
المتكلم ، المتكلمون ، الواحد من علماء الكلام ٨٧
المجوس ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٧
– نار المجوس ٦٣
محمد ، النبي ، رسول الله ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
مزدك ، المزدكية ، مزدق
مردق ٢٠١
مسجد ، المساجد ٦٨ ، ١٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦
المسخ ، المسوخ ٥٨
المسيح ١٤٧ ، ٢٠٩ ، ٢٥٦ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣
– عيسى ، عيسى ابن مريم ٢٤٣
المصافنة ٩٩
المعتزلة ٤٤
ملاك ، ملك ، ملائكة ، الملائكة ٤٨ ، ٥٧ ، ١٢٠ ، ٢١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
مناة (صنم) ٣٤١
موسى ١٠٦ ، ٢٤٣

ن

نار إبرهيم ٢٤٣
نار الضيافة ٣١٧
ناسك ٢٠٨ ، ٣٣٢
ناقة صالح : اطلب صالح
النصرانية ٢٠٨ ، ٢٤٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣
– نصراني، النصارى ٢٥٦ ، ٢٧٦
النظّارون اصحاب ، العلوم النظرية ٨٧
نوح ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٨

هـ

الهباء (صنم) ٢١٢
هود (نبي) ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

و

وثن ، أوثان ٢١٠
الوضوء ٦٩
الوعيد ٢١١
الوقف في سبيل الله ٥٧
الوقوف في عرفة (من مناسك الحج) ٢٥٩

ي

يعقوب ١٤٤
يمين ، أيمان ٦٠
اليهودية ٣٢٢
يوم النحر (عيد الاضحى) ٩٤

الفهرس السابع

في

الايام والمعارك

ا

أحد (يوم) ١٣٨
أنقرة (وقعة) ١٨٢

ب

بدر الكبرى (وقعة) ١٧٥

ذ

ذات الشيرة (غزوة) ١٣٢
ذوقار (يوم) ٢٠٧

ع

العقر (يوم) ١٣٨
عمورية (موقعة) ١٨٠

ك

كربلاء (يوم) ١٣٨ ، ٢٢٢
– يوم عاشوراء ٢٢٢

م

مكة (يوم حرق الكعبة وهدمها) ٢٢٤
موقعة الزاب ٢٣٠

الفهرس الثامن

في

الاسلحة

ب

بَيضة ١٧٩
– الجَوْد ، الجوذ ٢٤٠

ت

تجفاف ، تجافيف ٢٠٤ ، ٢٤٠

ح

حَرّاقة ٢٤١

خ

خنجر ، خناجر ١٩٩ ، ٢٠٢

د

دَبابة ، دَبابات ١٨٤
درع ، دروع ٢٠٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩
– جوشن ٢٠٤ ، ٢٤٠
الدّرق ٢٤٠

ر

الرُّمح ، الرِّماح ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٠٤

– الطِّراد ، الطِّرادات ٢٤١

س

سِكّين ٢٠٢
السِّنان ١١٧ ، ٣٠٤
سهم ، السِّهام ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٩٢
– مَسمولة زُرق ١٤٤
– النَّبل ٢٦٤
– النَّصل ، نِصال السِّهام ١١٣ ، ١٤٤ ، ٣٤٢
– الأنشاب ، النَّشّابة ١١٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠
السَّيف ، سيف ، اسياف ، سيوف ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٣٢٦ ، ٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٠
– البَند ١٥٦
– الحسام ١٣٠ ، ٣٠٢
– الحمائل ١٥٥
– الغمد ١٥٥
– المَشرَفيّ ١٤٣
– المُهنّد ٣٠٢
اليَمانيّ ٢٥٢

ص

الصَّمصامة (سيف) ١٤٢

ع

العَرّادة ، العَرّادات ٢٢٤

ق

القَنا ١٨٢
قوس ، قِسيّ ١١٣ ، ٢٦٤

م

منجَنيق ، مجانيق ، المنجنيقات ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠

الفهرس التاسع

في

الكواكب والابراج

ج

الجوزاء (برج) ٢٥٧

س

سهيل (نجم) ٥٨

ش

الشِّعرى (الشّامية واليمانية) ٢٩١
شمس ، الشّمس ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨١ ، ١٤٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

ق

القمر ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٥٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٢

ك

الكلب الاصغر (برج) ٢٩١
الكلب الأكبر (برج) ٢٩١

و

الوتد ، الاوتاد الاربعة ٥٦

الفهرس العاشر

في

اسماء الكتب

ا

اخبار الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ١٧٤ ، ١٨٨
الادب الصغير ٥
الادب الكبير ٥
الأغاني ٣ ، ١٨٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦

ب

البخلاء ٤٤ ، ٨٨
البيان والتبيين ٤٤ ، ٨٢

ت

تفريج الكرب والوصول الى الفرج ١٤٨

ح

الحماسة ٢٥٣
الحيوان ٤٤ ، ٤٥

س

سير العجم ١١٤

ش

الشعر والشعراء ١٠٤ ، ١٠٥

ص

الصحاح ١٤١

ع

عيون الاخبار ١٠٤

ف

فتوح البلدان ١٨٨

ك

الكامل ١٢٦
– تهذيب الكامل ١٢٦
كتاب الحيوان (لارسطو) ٨٤
كليلة ودمنة ٥ ، ٦

ل

اللسان، لسان العرب (معجم) ١٠١

م

محيط المحيط ٧٧
المثل السائر ٣٣٥ ، ٣٣٦
مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٨٨ ، ٢٤٩
معجم الادباء ٣٢٦
معجم البلدان ٣٢٥ ، ٣٢٦
مقامات البديع ٢٨٨ ، ٣٩٩
مقامات الحريري ٣٠٥ ، ٣٠٦
الموشى ١٤٧ ، ١٤٨
– كتاب الظرف والظرفاء ١٤٨

ن

نظام التاج ١٤٨

ي

يتيمة الدهر ٢٨٨

مضامين الكتاب

المقدمة ٣

ابن المُقفع ٥
آثاره ٦
باب عرض الكتاب ٧
شريكان ٧
باب الاسد والثور ٩
الرّجل الذي سلك مفازة ٩
القرد والنجّار ١٠
المُلجوم والسّمك ١٠
الغدير والسمكات ١٢
الطّيطوى ووكيل البحر ١٣
الحَبّ والمُنغّل ١٥
الخازن السّارق ١٧
الطبيب الجاهل ١٨
باب الحمامة المطوقة ٢٠
الحمامة المطوقة والجُرَذ والظبي والغراب ٢٠
باب البوم والغربان ٢٣
الفيلة والارانب ٢٣
الناسك والغارة ٢٥
باب القرد والغيلم ٢٦
قرد وغيلم ٢٦
الاسد وابن آوى والحمار ٣٠
الناسك وابن عرس ٣١
الناسك وجرّة السّمن ٣٣
باب اللبوءة والاسوار والشمهر ٣٥
اللّبوءة والإسوار والشمهر ٣٥
باب السائح والصائغ ٣٨
الصائغ والحية والقِرد والبَبّر ٣٨
باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ٤١
الحمامة والثعلب ومالك الحزين ٤١
الجاحظ ٤٣
آثاره ٤٤
كتاب الحيوان ٤٥
اقسام الكائنات ٤٥
تقسيم النّامي ٤٦
أقسام الطّير ٤٦
فصيح الحيوان واعجمه ٤٩
اقسام البيان ٥١
معارف الحيوان ٥٢
حيوان سفينة نوح ٥٤
حُمق النّعامة ٥٥
الانسان عالم صغير ٥٥
الجنّ والجِنّ ٥٧
المَسوخ من الحيوان ٥٨
وفاء الكلب ٥٩
الرجل النبّاح ٦٠

سُكر الحيوان ٦١
حُبث الثعلب ٦٣
انواع الغربان ٦٣
احاديث العرب ٦٤
عضّ ذوات الخراطيم ٦٥
الوالغ من الحيوان ٦٥
خصلتان محمودتان ٦٦
عمر الذبّان ٦٧
أذى الذبّان ٦٧
قاضي البصرة والذبّاب ٦٨
الجاحظ والذبّان ٧٠
الذرّة وخصائصها ٧١
تأديب الحيوان ٧٣
حيّة تصيد العصافير ٧٤
حيّات ترضع البقر ٧٥
قوة بدن الحية ٧٦
علّة قوة بدنها ٧٦
زَرادُشت والفأرة والسنّور ٧٧
حنان العصافير على فراخها ٧٩
انواع الفأر ٧٩
نسج العنكبوت ٨١
البيان والتبيين ٨٢
الحروف التي تدخلها اللثغة ٨٢
الاسنان والكلام ٨٣
احسن الكلام ٨٤
المعنى الحقير ٨٥
البلاغة ٨٥
لغة الكتّاب ٨٦
اقدار المعاني ، واقدار المستمعين ٨٧
كتاب البخلاء ٨٨
بخل اهل مرو ٨٨
مريم الصنّاع ٨٩
زُبيدة بن حُميد ٩١
أصناف المتسوّلين وخدعهم ٩٢
ابو عبد الرحمن الثوري والرؤوس ٩٤
ابن جُذام والسائل ٩٥
الشيخ الاهوازي ٩٦
طعام العرب المذموم ٩٧
طعام العرب الممدوح ٩٩
اكل لحوم الناس والكلاب ١٠١
ابن قتيبة ١٠٣
آثاره ١٠٤
القديم حديث في عصره ١٠٥
كتاب عيون الاخبار ١٠٦
مناقب العصا ١٠٦
مذاهب العجم في العيافة ١٠٨
أبو الأغرّ والكلب ١١٠
حديث ابي حية النُميري ١١٣
الاعرابي اللص والشيخ الكريم
العفو ١١٣
جرام حور والغيثة ١١٤
المَرزوان واهل المصانع ١١٤
القرد والمال الحرام ١١٥
من حُمقى قريش ١١٦
التشادق والغريب ١١٦
الحجّاج وهند ١١٨
سيّد الخطباء ١١٨
قصور الجنّة ١١٨
ابو العبّاس السفّاح وابو دلامه ١١٩
الاعرابي وكسرى ١١٩
سليمان وعفريته ١٢٠
المرأة الاكول ١٢١
جود حاتم الطائي ١٢٢
ايثار بن مامة الايادي ١٢٣

يزيد وبدويّة ١٢٤
الحجّاج والشيخ ١٢٤
ابو العبّاس المبرّد ١٢٥
آثاره ١٢٦
عرابة الأوسي ١٢٧
ظلم الحجّاج ١٢٨
مقتل علي بن ابي طالب ١٢٩
الفتك بالأمويين ١٣٥
عمر الوادي والاسود المغنّي ١٣٨
كل كريم طروب ١٣٩
عثمان بن حيّان وسلّامة الزرقاء ١٤٠
ليس المرء بثوبه ١٤١
من اكاذيب العرب ١٤٢
ابو النجم العجلي وبناته ١٤٣
الضيف الضجر المملّ ١٤٥
البصري والمدني ١٤٦
الوشاء ١٤٧
آثاره ١٤٨
باب شرائع المروءة وصفتها ١٤٩
باب سُنن الظَّرف ١٥٠
باب زي الظرفاء في اللباس ١٥٢
باب زيهم في التعطر بالطيب ١٥٣
باب زي الظّراف ١٥٤
باب زيّهم المخصوص ١٥٥
باب في متظرفات النساء ١٥٥
باب زيهنّ المخالف لزي الرجال ١٥٦
باب ذكر زي الظرفاء في الطعام ١٥٨
باب ذكر زيّهم في الشراب ١٦١
باب ذكر الاشياء التي يتطيّر الظرفاء من اهدائها ١٦٢
باب ما جاء في السواك ١٦٥
باب صفة ذوي التظرّف ١٦٧
الطَّبَري ١٧٣
آثاره ١٧٤
وقعة بدر الكبرى ١٧٥
فتح عمّورية ١٨٠
المسعودي ١٨٧
آثاره ١٨٨
البحار والبلدان وعجائبها ١٨٩
البحر الحبشي وما اشتمل عليه ١٨٩
بلاد التبّت ١٩٤
غزلان المسك ١٩٥
العنبر ١٩٦
القرود ١٩٧
تعذيب الهنود انفسهم ١٩٨
ملوك الفرس ٢٠٠
سابور ذو الاكتاف ٢٠٠
انو شروان ٢٠١
المناذرة والغساسنة ٢٠٥
مقتل النعمان ٢٠٥
خرقاء بنت النعمان ٢٠٧
جبلة بن الأيهم ٢٠٨
ثمود وعاد ٢١٠
هُلك ثمود ٢١٠
هُلك عاد ٢١٢
عهد ملوك اليمن ٢١٣
اسطورة خراب سد مأرب ٢١٣
عهد الامويين ٢١٧
مقتل الحسن بن علي ٢١٧
مقتل الحسين بن علي ٢١٧
من اخبار يزيد وافعاله ٢٢٣

عمر بن عبد العزيز ٢٢٥
الوليد بن يزيد ٢٢٦
انقراض ملكة أمية ٢٢٦
ابو مسلم ونصر بن سيّار ٢٢٧
موقعة الزّاب ٢٣٠

عهد العباسيين ٢٣٣
اول وزير عبّاسي ٢٣٣
مقتل ابي مسلم ٢٣٤
هارون الرشيد ٢٣٧
فتنة الامين والمأمون ٢٣٨
المأمون والنبي الظريف ٢٤٢
المعتصم والشيخ الضعيف ٢٤٣

ابو الفرج الاصبهاني ٢٤٥
آثاره ٢٤٦

من تاريخ العرب ٢٤٧
نصر النعمان ٢٤٧

تراجم الشعراء واخبارهم ٢٤٩
عدي بن زيد ٢٤٩
تأبط شرًّا ٢٥١
أعشى قيس ٢٥٤
أبو زُبيد ٢٥٦
عمر والخنساء الجمحية ٢٥٩
عمر وابن سُريج ويزيد ابن عبد الملك ٢٦٠
نُصيب بن رَباح يعتقه شعره ٢٦٣
نُصيب والعجاء ٢٦٤
اخبار المغنّين والقيان ٢٦٥
الوليد بن يزيد ومعبد ٢٦٥
معبد والمتعصّب له ٢٦٦

ابن سُريج وعدي بن الرّقاع ٢٦٩
رقطاء وصفراء ٢٧١
ابن مُحرز والتجديد في الالحان ٢٧٢
ابن محرز وحنين ٢٧٣
ابرهيم الموصلي والمهدي ٢٧٣
باب الفكاهات ٢٧٥
ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد ٢٧٥
ابليس وابرهيم الموصلي ٢٧٦
حكايات وفكاهات ٢٧٨
هلال والعبد المصارع ٢٧٨
بدويّ في عُرس حضري ٢٨٠
أبان بن عثمان والاعرابي ٢٨٣
حيل اشعب في التكسّب ٢٨٥
الحمار المحبوس ٢٨٦

بديع الزّمان الهمذاني ٢٨٧
اثاره ٢٨٨
المقامة القريضية ٢٨٩
المقامة المضيرية ٢٩٢
المقامة البشريّة ٢٩٩

الحريري ٣٠٥
آثاره ٣٠٦
المقامة الاسكندرية ٣٠٧
المقامة البغدادية ٣١٤
المقامة الكرجية ٣٢٠

ياقوت الحموي ٣٢٥
آثاره ٣٢٦
ما تحت الارض ٣٢٧
إرم ذات العماد ٣٢٩
ذو نواس وشهداء نجران ٣٣٢

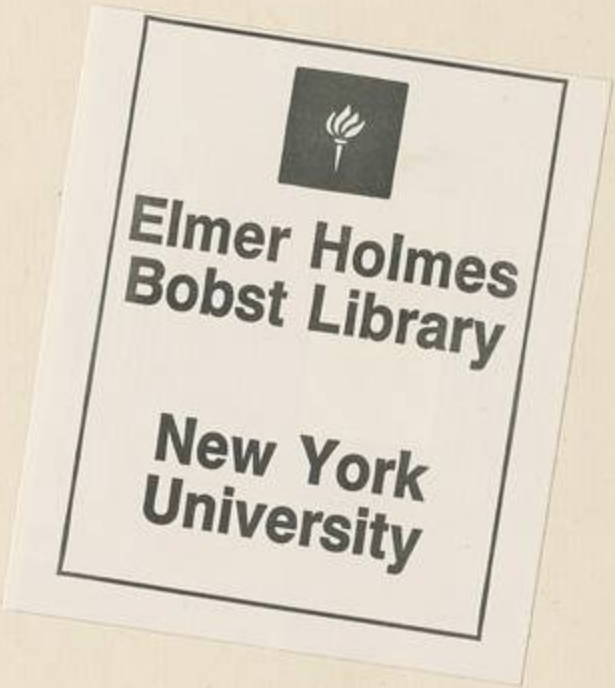
ابن الاثير ٣٣٥
آثاره ٣٣٦
في الفصاحة ٣٣٧
في البلاغة ٣٣٩
مواقع الالفاظ ٣٣٩
الالفاظ كالاشخاص ٣٤٠
ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري ٣٤٠
الهذيان والشعبذة في الكلام ٣٤٣

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣١	٢٣	تشامم منه	تشامم به
٣٥	٥	فقتلها	فقتلها
٣٥	٥	فرُ	فرَّ
٤١	١٦	الماء	المياه
٤٢	٢	فأفرقَ	فأفرقُ
٤٣	٣	عمر	عمرو
٥١	١٥	المستدلِ	المستدلَّ
٥١	٢١	نَصيب	نُصَيب
٥٦	٥	الذرَّة	الذَّرَّة
٥٨	٧	هوي	أهوي
٦٠	٢٠	مجهول	مجهول
٦٣	١	الحسنَ	الحسنَ
٦٥	٢٠	أبو زَيد	أبو زُبَيد
٧١	٢	فتحوّلِ	فتحوّلَ
٧٩	١	أضحكوكة	أضحوكة
٩٠	٢	مرّها	أمرها
٩٨	١٠	والفَرامة ونُخامة	والفُرامة نُخامة
١٠٥	١٥	الحسين بن هانيء	الحسن بن هانيء
١١٦	٢	مِرْوان	مَروان

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٢	٢٧	لبثة	لَبَّتَهُ
١٤٠	٩	تحريمُ	تحريمَ
١٥٦	٢٣	العراقيين	العراقين
١٥٨	٢٠	ربما جملة حلّت	جملة حلَّت
١٦٥	١٣	والسُّكَّر	السُّكَّر
١٨١	٨	السَّور	السُّور
١٨١	١١	إذا	إذ
١٨٤	١٦	ا حابه	اصحابه
١٩١	٥	ا م	أُمم
٢٠٣	٣	الحزية	الجزية
٢٠٩	٦	شِمر	شَمِر
٢٢٤	٩	علي ابي طالب	علي بن ابي طالب
٢٢٨	٣	العلام	الغَلام
٢٢٩	١٤	وقا	وثاقًا
٢٣٩	١٤	نازلًا	نازلًا
٢٤٠	١٤	زُهير	ابن زهير
٢٤٣	٦	ليلةٌ مطيرةٌ	ليلةٌ مطيرةٌ
٢٥٦	٨ و١٤	ابو زبيد	ابو زُبَيد
٢٨٣	٩	الزبر	الزَّبر
٢٨٦	٩	أفيقول	! فيقول
٢٨٦	١٩	حزين الذبيلي	الحزين الذّبيلي
٣٢٢	٢٣	السَّهر	السَّمَر
٣٢٢	٣٢	المنذر	ابن المنذر

تمّ طبع هـذا الكتاب على مطابع
المطبعة الكاثوليكية – بيروت ،
في العاشر من تشرين الثاني من السنة
التاسعة والاربعين بعد التسعمائة والالف


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University